الجزء
الرابع
4

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

جمعه وأعدّه
ثابت العمّور

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

الجزء الرابع

جمعه وأعدّه
ثابت العمّور

تراجيديا فلسطينية

د. وليد علي القططي

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى
1444هـ - 2023م
غزة - فلسطين

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

من إصدارات
مركز الشام للدراسات والبحوث

جمعه وأعدّه
ثابت العمّور

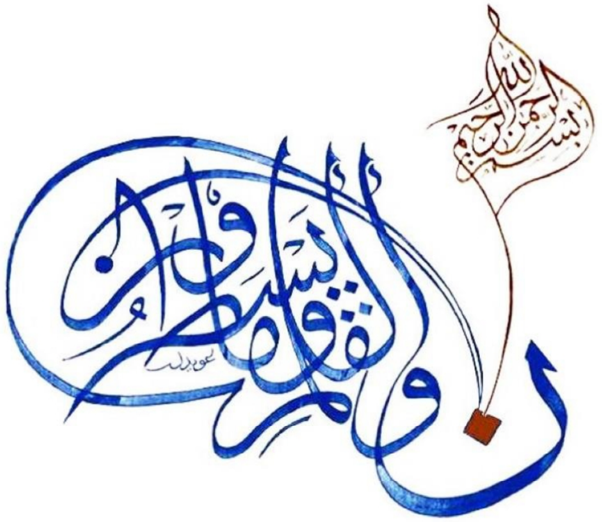

سورة القلم، آية رقم (1)

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

إهداءٌ

إلى روح أبي الذي زرع في نفسي حب القلم

إلى أمي التي علمتني من غير قلم

إلى زوجتي التي صبرت على عشقي الكتابة والقلم

إلى أبنائي الذين أخذت من أعمارهم لأعطي القلم

إلى روح ابنتي ليلي وأرواح كل مرضى السرطان الذين عانوا الألم

إلى كل شعبي الذي ألهمني الطريق إلى وحي القلم

إلى كل المقاومين الأحرار والكادحين الأطهار

إلى الفقراء البؤساء والعاطلين التعساء

أهدي هذا الكتابْ

تقديم

يكمل هذا الكتاب حلقة من حلقات مشروع فكري وثقافي، بدأها الكاتب بثلاثة أجزاء سابقة صدرت على عدة مراحل؛ وهذا هو الجزء الرابع بين يدي القارئ يضم بين دفتيه مجموع ما كَتب من مقالات على مدار عامين كاملين ابتداء من يناير **2021** حتى نهاية ديسمبر **2022**.

إن خصوصية هذا الكتاب لم تتكون فقط نتيجة تغطية الكتاب لأحداث ومواضيع فلسطينية سميت (تراجيديا فلسطينية)؛ لكنها خصوصية المرجعية الفكرية والحركية للكاتب؛ فالمسكوت عنه في هذا الكتاب أن مجموع ما جاء من مقالات وأفكار محكومة بوجهة نظر ورؤية إسلامية أولا وبمرجعية حركية تنتمي لحركة الجهاد الإسلامي ثانيا؛ فالكاتب الدكتور وليد القططي عضو مكتب سياسي لحركة الجهاد الإسلامي. وهذا الموقع الحركي يضفي على الكتاب خصوصية مختلفة ومرد الاختلاف سببين: الأول أن الأجزاء السابقة كَتبت في موقع حركي مختلف للكاتب، والثاني أن عين الكاتب أثناء الكتابة كانت ترى بعين الجهاد الإسلامي وقلمه يقصد تقديم فكر حركة الجهاد الإسلامي.

لقد اشتمل هذا الكتاب واحتوى على جملة محددات وعناوين خَصصت واختصت بحركة الجهاد الإسلامي؛ منها الجهاد الإسلامي واستراتيجية المقاومة المستمرة؛ والوحدة الاسم الآخر لرمضان شلح؛ والحركة الوطنية والجهاد الإسلامي بين الانسجام والتمايز؛ وحزب الله والجهاد الإسلامي الفكر والمقاومة؛ والجهاد الإسلامي والإسلام الآخر، والشقاقي وفلسطين بين فقهي الانتظار والثورة. هذه العناوين وغيرها وموقع الكاتب تجعل من هذا الكتاب أحد أدبيات حركة الجهاد الإسلامي التي تستحضر متغيرات المشهدين الفلسطيني والعربي وتقدم قراءتها ومواقفها الخاصة والمبتكرة دون أن تحيد عن مدرسة الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي رحمه الله.

يجيب الكتاب عن سؤال مهم لكل مهتم بفكر الحركة الإسلامية وممارساتها؛ فهو يسد خانة مهمة في باب أدبيات الحركة الإسلامية عموما وأدبيات حركة الجهاد الإسلامي على وجه الخصوص؛ فتجده يتعرض لحلف القدس.. إيران والجهاد الإسلامي نموذجا؛ ثم يقدم الحرية في فكر الجهاد الإسلامي؛ ويعود بالمشهد جغرافيا حيث أفغانستان وفكريا حيث طالبان وتاريخيا إلى الجبرتي والشقاقي. ورغم وقوف حركة الجهاد الإسلامي على مسافة من السلطة والحكم إلا أن هذا الوقوف لم يمنع الكاتب من

تقديم وجهة نظر فكرية وسياسية عنوانها الحركة الإسلامية ومعضلة أطروحة الحكم، ومن مناقشة بعض أزمات الحركة الإسلامية الفكرية المعاصرة كالتعامل مع التراث ومفهوم الحاكمية وغيرها.

في هذه التراجيديا تجد مسارا موجها معلوم الوجهة سلفا لا حساسية لديه عندما يوغل في الفكر فيذهب حيث العلاقة بين الجهاد الإسلامي والإخوان بين الامتداد والتجاوز. ثم يأخذك الى معادلة موضوعية تتعلق بمحددات الالتقاء بين الكاتب وبين الشقاقي رحمه الله، فكلاهما من مشكاة واحدة وكلاهما أفرد للكتابة والفكر مساحة كافية رغم كثرة الأعمال والمهام؛ التقيا في جرأة الطرح، فهل كان القططي مفسراً لفكر الشقاقي فقط أم مكّملا ومطّوراَ له؛ إن هذا الكتاب يأخذك الى سؤال أين التقى الكاتب بالشقاقي؛ وكيف وأين التقت أجزاء التراجيديا الفلسطينية الأربعة مع رحلة الدم الذي هزم السيف.

ثابت محمد العمور

31 ديسمبر 2022

تراجّيديـا فلسّطينية

د. وليد علي القطي

تراجّيديا 2021

الصورة لمقاتلين من
كتيبة جنين
أثناء إلقاء بيان عسكري

لماذا حتمية تجديد التراث الإسلامي؟

كـتب بتاريخ:

1 يناير 2021م

رواه البخاري، عنوان مقال سابق لكاتب هذه السطور، أثار ردود فعل غوغائية تحريضية ضد المقال وكاتبه، تولى كبر الحملة بعض حملة الفكر الإسلامي الجامد المتحجر، من الذين احتكروا لأنفسهم النطق باسم الإسلام دون غيرهم من المسلمين، وقد اتضح من خلال حملتهم المليئة بالصراخ والصياح والعويل، وجود مشكلة جوهرية عندهم في فهم التراث الإسلامي، ماهيتها عدم إدراك الفرق بين الوحي الإلهي والاجتهاد البشري، ومضمونها عدم القدرة على التمييز بين النص الديني والتراث الديني، وأساسها عدم ملاحظة الاختلاف بين الدين الإسلامي والفكر الإسلامي؛ ولذلك لم يفصل أولئك المساكين بين الحديث النبوي الصحيح كوحي إلهي مقدس، وبين الجهد البشري المبذول لإثبات صحة الحديث النبوي سنداً ومتناً كجهد عقلي بشري يقبل الصواب والخطأ، ويحتاج للتقييم والتقويم، وهي إشكالية تنسحب على التراث الإسلامي كله، ولذلك من المفيد إلقاء الضوء على مفهوم التراث الإسلامي، لنصل إلى الإجابة على سؤال: لماذا حتمية تجديد التراث الإسلامي؟!

التراث الإسلامي هو كل ما تركه لنا أجدادنا المسلمين من موروث مادي كالكتب والعمارة والآثار، أو معنوي ثقافي في مجالات الدين والعلم والأدب والفن، ما عدا الوحي الإلهي - القرآن الكريم والسنة النبوية - ويدخل في ذلك كل اجتهادات العلماء السابقين في فهم الإسلام من مصادره الأصلية- القرآن والسنة- وبذلك يكون مفهوم التراث الإسلامي منفصلاً عن مفهوم الإسلام، وليس هو الإسلام، إنما هو تفسيرات واجتهادات مختلفة في فهم الإسلام ناتجة عن تفاعل العقل البشري المسلم مع النص الديني في القرآن والسنة في ضوء متغيرات العصر والمجتمع، وهذا التفاعل ينتج الفكر الإسلامي وهو فهم علماء المسلمين للإسلام واجتهاداتهم وآرائهم فيما لا نص فيه أو في نص يقبل الاجتهاد والاختلاف، فهو فكر إنساني في دائرة الإسلام يقبل الصواب والخطأ، يؤخذ منه ويرد عليه، ولذلك وجِدت مدارس وتيارات فكرية في مختلف المجالات تمثل نَسخاً متباينة للإسلام، كالصوفية والسلفية، والأشاعرة والمعتزلة، والشيعة والسنة.

تطرق بعض المسلمين في موقفه من التراث الإسلامي فأضفى عليه قدسية، فجعلوه فوق النقد، وفوق المساءلة، وفوق الاختبار، وفي مقدمتهم المدرسة السلفية النصوصية المبتدئة بابن تيمية والمنتهية بابن عبد الوهاب وأتباعه، فأخذوا تراث السلف من علمائهم مأخذ القبول والتسليم واستبعدوا تراث السلف من غيرهم. وتطرف بعض المسلمين المتغربين في موقفه من التراث الإسلامي بالاتجاه الآخر فرفضه محاولاً إلغاء التراث الإسلامي، ودفنه تحت التراب، واستبداله بالتراث الغربي، والبدء من جديد، كما تبدأ الأمم التي ليس لها حضارة ولا تاريخ ولا ذاكرة. والعدل بين موقفي التقديس والرفض هو الوسط الذي يفرق بين الوحي الإلهي والتراث البشري، فما كان من الوحي الإلهي قرآناً وسنة، صحيح الثبوت وصريح الدلالة، فيجب الأخذ به، وما كان من فهم البشر للوحي الإلهي قرآناً وسنة، فيجب مناقشته وفق المعايير المضبوطة بالشرع والعقل، فنأخذ به أو نتركه، أو نجتهد غيره ونجدده.

هذا الفهم للتراث يعطينا الشرعية في نقد التراث السلفي، انطلاقاً من نفي العصمة لأي شخص في الأمة عدا رسول الله ﷺ، مهما كانت منزلته العلمية كبيرة، فلا بد من وزن أقوال السلف وآرائهم وأفعالهم بالميزان الذي لا يخطئ- الكتاب والسنة- وإلاّ فهما أولى بالاتباع، فجميعهم بشر مجتهدون في علومهم غير معصومين من عمل العقل البشري الذي يصيب ويخطئ، ويهتدي ويضل. وإذا كان التراث الإسلامي هو فهم المسلمين للإسلام على مر العصور الماضية، فهو بذلك ليس الإسلام نفسه، بل مجموعة من التفاسير التي يعطيها كل جيل للإسلام بناء على متطلباته، ولا يمكن تقديسه كالنص الديني، أو رفضه بالكلية، بل يجب العمل على تنقيته وتجديده بما يتوافق مع حاجات العصر، والتجديد يكون بالاحتفاظ بالجوهري منه، الملتزم بالإسلام نصاً وروحاً، والمنسجم مع متغيرات العصر، فتجديد التراث ضرورة واقعية، لإزالة معوقات التغيير والتطور والتنمية في الإنسان والواقع.

تجديد التراث الإسلامي هو بداية حتمية لتغيير واقع المسلمين، وجزء أساسي من مشروع النهضة للأمة الإسلامية، فلتغيير الواقع لا بد من الانطلاق من التراث، بتغييره أو بتطويره أو بتجديده، باعتباره مخزوناً نفسياً وعقلياً عند الجماهير على مستوى الشعور والوعي، يوجه سلوكهم، ويحدد تصرفاتهم، ويصنع واقعهم، لابد من تجديد التراث لإزالة المعوقات النفسية والعقلية التي تمنع التغيير، ومن ثم تخلق البيئة النفسية والعقلية المحفّزة لتغيير الواقع، وإحداث النهضة والتنمية، فالتراث بناء على

ذلك ليس مجرد متحفاً للأفكار ومعرضاً للآثار؛ بل هو مخزون ثقافي يوجه الفكر والسلوك، باتجاه التقدم والتطور، أو باتجاه التأخر والتخلف، ولذلك فهو إما رافعة لمشروع النهضة، أو معولاً لهدم كل مشاريع النهضة، فمشاريع الإصلاح الاجتماعي والتقدم الاقتصادي في الدول الناميةَ قد تفشل إذا لم تقترن بتجديد التراث الثقافي لتغيير المخزون الفكري السلبي تجاه الأرض والعمل للفلاح والعامل.

وبدون التجديد الدائم والمستمر للتراث الفكري والفقهي الإسلامي تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية الإلهية الثابتة، وبين متطلبات الواقع المعاصر المتغير والمتطور دائماً وأبداً، ويصبح الدين جامداً ومتحجراً وغير صالح لكل زمان ومكان، وهذا يتناقض مع جوهر الدين ومقاصده في توجيه الحياة الإنسانية. وبدون التجديد المتواصل للتراث الثقافي الإسلامي تتمكن الغزوة الغربية الفكرية من عقول المسلمين لانعدام البديل، فالتجديد هو البديل الإسلامي الصالح لتلبية احتياجات ومتطلبات ومستجدات الواقع المعاصر، فيزول الفراغ الذي صنعه الجمود والتقليد، فلا تجد الثقافة الغربية ثغرة تنفذ منها أو فراغاً تملأه، وفي غياب العصمة لأي عقل بشري مهما كانت عبقريته واستحالة وجود خطاب ديني واحد للأمة الإسلامية، يتعدد الخطاب الديني، والتيارات الفكرية، والمذاهب العقيدية والفقهية... وهذا يتطلب التجديد الدائم والمستمر للتراث الإسلامي لمحاولة الوصول إلى الوسطية في الفكر والعمل، من خلال قراءة واعية للتراث لتنقيته وتجديده.

خَلاصة القول، أن الوحي الإلهي هو الصانع الأول للأمة الإسلامية، ومصدر القوة الأساسي لوجودها الحضاري، وفهم السلف للوحي الإلهي القرآني والنبوي هو التراث الإسلامي الذي أبدعه أسلافنا، وهو كنز ثمين علينا أن نتعامل معه بضوابط واضحة، ومعايير موزونة، بفكر مستنير، وعقل مستبصر، نهتدي به ونسترشد بنوره، فنأخذ منه ما يتفق مع الشرع والعقل، وما ينفع في الواقع المعاصر، ونترك منه ما يناقض الشرع والعقل، وما يضر في الواقع المعاصر، وفي كلا الحالتين لا بد من تجاوز إبداع السلف مع الاعتزاز به والاستفادة منه، إلى إبداع لفكر جديد من نور الوحي الإلهي القرآني والنبوي المتجدد.

التطبيع المغربي.. الحرام بنكهة إسلامية

كتب بتاريخ:

7يناير 2021م

التطبيع إبادة جماعية، كان عنوان مقال كتبه الدكتور سعد الدين العثماني، في مجلة الفرقان، قبل أربعة وعشرين عاماً، مضمونه نقض التطبيع مع الكيان الصهيوني، اعتبر فيه التطبيع "أفضل أداة تفتق عنها المكر الصهيوني"، بهدف "إقامة إسرائيل الكبرى الحلم المعروف للصهيونية"، ويقوم على باطل بحيث "يطالب المظلوم المطارد بمصالحة الظالم وإعطائه مزيداً من الامتيازات"، وانتقد في المقال التطبيع العربي الذي يتم بينما يواصل العدو احتلاله لفلسطين وجرائمه ضد الشعب الفلسطيني. لم يتغير موقف سعد الدين العثماني من التطبيع بعد أن أصبح رئيساً للحكومة المغربية بصفته الأمين العام لحزب العدالة والتنمية الإسلامي، الذي عرف نفسه "حزب سياسي وطني يسعى انطلاقاً من المرجعية الإسلامية..."، فأصدر بياناً باسم الحزب يدين التطبيع الإماراتي مع الكيان الصهيوني قبل أربعة شهور، معتبراً التطبيع "دعماً للعدوان على الشعب الفلسطيني وشرعنة لاغتصاب الأراضي الفلسطينية". والجديد في الموضوع أن العثماني لم يكن يعلم- على ما يبدو- أن ملك البلاد والحاكم الفعلي لها- محمد السادس- الذي ورث عن والده الملك حب اليهود، وأشرِب في قلبه عجل الصهيونية، يدبر مع الأمريكان والصهاينة مشهداً مناقضاً للمقال والبيان، تصل فيه عقدة مسلسل التطبيع إلى ذروة إثارتها، عندما يلبس العثماني في المشهد عمامة التطبيع.

مشهد توقيع الدكتور سعد الدين العثماني على اتفاقية التطبيع في الرباط، مع ممثلي الكيان الصهيوني والإدارة الآمريكية، كان قد سبقه إعلان الرئيس الآمريكي دونالد ترامب حقيقة الصفقة التي يبيع فيها الغالي بالرخيص، فالجزء الأول من الصفقة "تستأنف المملكة علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل" فضلاً عن تعزيز التعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين بما يخدم الاستقرار في المنطقة"، والجزء الثاني من الصفقة هو الصحراء الموجود معظمها تحت السيادة المغربية فعلاً، بإعلان ترامب اعتراف الولايات المتحدة بالسيادة المغربية على الصحراء المغربية، ورفض إقامة دولة صحراوية مستقلة فيها، فظهر الإعلان والاتفاق وكأنهما مقايضة التطبيع مع الكيان الصهيوني بالاعتراف الأمريكي بسيادة المغرب على الصحراء، وهذا المشهد التطبيعي ينسجم مع توجهات النظام الملكي

المغربي في إقامة علاقات طبيعية مع الكيان الصهيوني، التي لم تنقطع يوماً سراً وعلانية، ويتوافق مع الهرولة العربية الموجهة أمريكياً باتجاه حجز مقاعدهم في الصفوف الخلفية للحلف الصهيو أمريكي ضد محور المقاومة، ولكن الشيء الغريب في المشهد هو توقيع رئيس الحكومة المغربية سعد الدين العثماني ممثلاً عن المغرب، ووجه الغرابة فيه هو كونه الأمين العام لحزب العدالة والتنمية الإسلامي التوجه، والمنتمي لتيار الإخوان المسلمين.

مضمون الغرابة هو التناقض بين ما كان يكتبه سعد الدين العثماني عن التطبيع وما فعله في مشهد التطبيع من توقيع، والتناقض بين المبادئ الفكرية والمواقف السياسية الرافضة قطعياً للتطبيع، والتناقض بين الخطاب السياسي الراسخ للحركة الإسلامية أو ما يعرف بالإسلام السياسي فيما يتعلّق بالقضية الفلسطينية كونها القضية الأولى والمركزية للأمة الإسلامية، ومشاركتها عبر أحد فروعها بالتوقيع والتبرير بتمرير التطبيع، ومخالفة مشهد التطبيع لكل أدبيات وأفكار الإسلام الحركي الثابتة التي تعتبر (إسرائيل) كياناً غير شرعي مقام على أرض إسلامية مغتصبة، لا يمكن الاعتراف بها والتعايش والتطبيع معها، وأن الجهاد لتحرير فلسطين من الثوابت الإسلامية التي لا تخضع للمناورة والمقايضة والحسابات السياسية الصغيرة أو الكبيرة، ولذلك وجد حزب العدالة والتنمية صعوبة كبيرة في تمرير توقيع أمينه العام على اتفاقية التوقيع، فقام باستدعاء كل مفردات اللغة السياسية لتبرير التوقيع، والهروب من تبعات المشاركة في تمرير التطبيع، كأحد أخطر استحقاقات وجوده في السلطة، وأحد أسوأ متطلبات محافظته على رئاسة الحكومة.

بيان حزب العدالة والتنمية الإسلامي المدافع عن مشاركة أمينه العام في التطبيع ممثلاً عن المغرب، لم يتضمن فتوى دينية لشرعنة التطبيع كما يحدث أحياناً، ولم يستند إلى سابقة تاريخية من العهد الإسلامي الأول كما يحدث أحياناً أخرى، ولكنه ارتكز على مبررات سياسية تندرج تحت إطار فقه المصالح المرسلة في أحكام السياسة الشرعية، التي تستند إلى رؤية (أمير المؤمنين) للمصلحة، فرأى الملك - أمير المؤمنين - في التطبيع مصلحة يتم من خلالها " تعزيز سيادة المغرب على الصحراء"، بعد الاعتراف الأمريكي بسيادتها عليها، فرأى في ذلك ثمناً مناسباً للتضحية بفلسطين، ورأى حزب العدالة والتنمية تأييد قرار الملك مصلحة في الحفاظ على وحدة واستقرار البلاد من خلال " دعم رئيس الحكومة المغربية والأمين العام للحزب سعد الدين العثماني في إطار مسؤولياته

السياسية والحكومية، وما يقتضيه ذلك من دعم وإسناد للعاهل المغربي "محمد السادس". وإضافة لبيان الحزب شارك في حفلة التبرير الأمين العام السابق له عبد الإله بنكيران معتبراً التوقيع على التطبيع مصلحة عليا للمغرب، وأن البديل هو الخروج من السلطة، وأنه " من غير المناسب أن يقف الحزب الذي يترأس الحكومة ضد قرارات الدولة"." والدولة هنا تعني الملك، والتطبيع هو السبيل لرضا الملك والبقاء في السلطة، ولتمرير مشهد التطبيع لا بد من استدعاء خطاب التبرير.

خطاب التبرير له أكثر من وجه على المستوى السياسي الفكري أو الديني الفقهي، ولكن أساسه التبرير النفسي، لإضفاء الشرعية والمصداقية والأخلاقية للمواقف الجديدة، المتناقضة مع المبادئ والثوابت بتوظيف ميكانزم التبرير لإيجاد سبب منطقي لمواقف غير منطقية، ومبررات مقبولة لأفعال غير مقبولة، وهذا التبرير النفسي كثيراً ما يلجأ إليه السياسيون لتبرير مواقفهم وأفعالهم أو لمواقف وأفعال رؤسائهم، وقد كان لجوء فقهاء الدين إلى ذلك أكثر فأنتجوا تراثاً فقهياً تبريرياً أخضعوا فيه النص الديني للواقع السياسي في عصورهم، لا سيما لينسجم مع مصالح الحكام قديماً وحديثاً، ولذلك امتلأت كتب التراث بفقه يشرعن الاستبداد لدرء (الفساد)، وأباح الاستسلام باسم (السلام)، وأفتى بجواز التطبيع ثمناً للأوهام.

خطاب التبرير الديني والفكري والسياسي لتمرير التطبيع مع الكيان الصهيوني هو سقوط مدوي لمصداقية المشاركين فيه مهما كانت هوياتهم الدينية والفكرية والسياسية، لا سيما إن كان التطبيع يتعلق بالحركة الإسلامية، وهو خطيئة كبرى لا يمكن تبريرها أو تمريرها وتستدعي العديد من علامات الاستفهام والتعجب يمكن طرح بعضها مثل: هل الحرص على البقاء في السلطة هدفاً بحد ذاته يستحق التضحية بمصداقية الحركة الإسلامية؟!، وهل تحقيق مصلحة وطنية وهمية يستحق التضحية بقضية الأمة الأولى (فلسطين)؟!، وهل الحصول على سراب الشرعية الدولية ثمنه المشاركة في خطيئة التطبيع؟!، وهل بدعة فصل السياسي عن الدعوي وجه آخر للمبدأ العلماني المرفوض إسلامياً (فصل السياسة عن الدين)؟!، وهل تحولت (الضرورة) التي سوغت التطبيع هي الضرورة المعتمدة على مصلحة الحزب أو الحركة بدلاً من المصلحة الشرعية المعتمدة على مصلحة الأمة والشعب؟!، وهل الفتوى الدينية وما بني عليها من مبادئ فكرية ومواقف سياسية تتغير بتغير الزمان والمكان أم بتغير المناصب والحكام؟!، وهل تحولت السياسة الشرعية بدون ضوابط دينية إلى

انتهازية سياسية وانحطاط أخلاقي وإفلاس فكري؟!، وهل فقه المصلحة جعل إسلاميي المغرب يلعبون لعبة تقاسم الأدوار، فيكون قرار التطبيع للملك، وتوقيع التطبيع للعثماني، وتبرير التوقيع للحزب، ورفض التطبيع للدعوة، ليكون التطبيع المغربي متميزاً عن التطبيع العربي بإبداعٍ جديد، يقدم فيه الحرام بنكهة إسلامية.

جدل عيد الميلاد.. أزمة عقل صحراوي

كـتب بتـاريخ:

14 يناير 2021م

مع حلول رأس السنة الميلادية من كل عام، يتكرر الجدل العقيم حول حكم تهنئة المسيحيين بعيد ميلاد السيد المسيح عيسى عليه السلام حسب تقويمات الطوائف المسيحية، وكأن قضايا العرب والمسلمين الكَبرى انتهت، ولم يبق إلاّ قضية التهنئة بعيد الميلاد. وهذا العام كان الجدل أشد سخونة وأعلى حرارة، فكان الصوت المحرِم للتهنئة هو الأعلى ضجيجاً والأكثر عجيجاً، وكأنّه قادم من عمق صحراء نجد للتو ، محملاً بجفاف أرضها، وقسوة صخورها، وحدة حرارتها، فكان فقه التحريم منسجماً مع بيئتها الجافة والقاسية والحادة، فولد من رحمها فتاوى تَوغَل في التحريم والتكفير، ومنها تحريم تهنئة المسيحيين بأعيادهم، انتقلت أحياناً من درجة التطرف إلَى درجة الشذوذ.

ومن أمثلة تلك الفتاوى الشاذّة، فتوى لأحد أقطاب التيار الصحراوي في مصر، يحرم فيها على الزوج المسلم أن يرد السلام على زوجته المسيحية، أو يهنئها بأعيادها، وذهب إلى وجوب بغضها دينياً، والاكتفاء بمعاشرتها جنسياً دون أن يقع في خطيئة حبها، وإن كان لا بد فاعلّ فليحب جسدها دون روحها، وكأن الله تعالى لم ينزل في محكم التنزيل بين الزوجين ﴿ وجعلَ بينكَم مودةَ ورحمةً ﴾ وفي الحقيقة لم تكن تلك الفتوى وغيرها خارج سياق نمط التفكير الصحراوي، بل كانت منسجمة مع سيل جارف من الفتاوى المشابهة المستندة للإمامين الكبيرين أحمد بن تيمية وابن القيم الجوزية، التي أحياها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأعاد تلاميذه إنتاجها بإضفاء مزيد من التطرف عليها، ومنها فتوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين- عضو هيئة كبار العلماء في السعودية - "إن تهنئة النصارى بأعيادهم محرم بالاتفاق، كما نقل ذلك ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة، لأن المهنئ لهم هنأهم بشعائر الكفر، كما لو هنأهم بعبادة الصليب، وأكل لحم الخنزير، وشرب الخمر".

مدرسة إسلامية أخرى آمنت بخلاف ذلك الرآي والفتوى، وهي المدرسة الأشعرية التي يتبناها الأزهر ومعظم علمائه، ويتبعها غالبية علماء الأمة، وهذا ينفي (الاتفاق) الذي جاء في فتوى ابن عثيمين، إلاّ إذا كان الاتفاق المقصود هو إجماع علماء مذهبه وتياره. فرأت المدرسة الأزهرية الأشعرية جواز تهنئة المسيحيين بأعيادهم، باعتباره مباحاً أو مندوباً، لا سيما الذين يشاركون المسلمين أوطانهم، وهو

الأمر غير الموجود في الجزيرة العربية، فلم يدرك علماؤها أهمية الحفاظ على الوحدة الوطنية في البلدان المتعددة والأديان والمذاهب، ولذلك جاء في فتوى مركز الإفتاء بالأزهر قبل عامين "أن تهنئة المسيحيين بأعيادهم آمر مرحب به شرعاً، إذ يصنف تحت التعبير عن الإحسان إليهم، والبر بهم، ويدخل في باب لين الكلام وحسن الخطاب، وجميع هذه الأمور أمرنا الله عز وجل بها مع الناس جميعاً دون تفرقة، وخاصة أهل الكتاب ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وقال أيضاً في سورة البقرة ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾.

اذن في مسألة تهنئة المسيحيين بأعيادهم مسألة خلافية اجتهادية من قضايا الفروع التي تقبل الاختلاف وتعدد الاجتهادات، وخطأ أنصار التحريم كما يرى علمائهم هو ربط المسألة بالعقيدة، استناداً إلى اعتبارها تشبهاً بالكفار، وإقراراً بصحة عقيدتهم، وولاء لهم "فهذا إن سلم قائله من الكفر فهومن المحرمات"، كما قال ابن القيم في (أحكام أهل الذمة)، وابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم)، فاتخذت المسألة سبيلاً لكل أنواع التشويه والتشنيع على المبيحين للتهنئة، ابتداء من التبديع والتفسيق، وانتهاء بالتضليل والتكفير، فالمشكلة في مدرسة التحريم أنها لا تعتبر رأي المحللين للتهنئة اجتهاداً معتبراً إسلامياً، رغم قوته وكثرته، انطلاقاً من فهم خاطئ يرون فيه أنفسهم الممثلين حصرياً للإسلام، ويعتبرون آراء علمائهم هو الإسلام نفسه وليس اجتهاداً في دائرة الإسلام، وهذا أصل البلاء وأساس الوباء، الذي حمل فيه العقل الصحراوي المأزوم للمسلمين ثقافة التكفير وفعل التقتيل.

التشدد في تحريم التهنئة بعيد الميلاد، لم تكن المظهر الوحيد لأزمة العقل الصحراوي، فمن مظاهرها انشغال ذلك العقل المأزوم، بآلاف القضايا الصغيرة المفرِقة، وترك القضايا الكبيرة الموحدة، وذهب بالأمة نحو الفُرقة بدل الوحدة، ومن أمثلة ذلك: إهمال مفهوم (الأمة الإسلامية) الجامع لكل المسلمين بنص القرآن الكريم ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾، واستبداله بمفهوم (أهل السنة والجماعة)، لإخراج المَخالفين من دائرة أهل السنة والجماعة، كمدخل لإخراجهم من دائرة الإسلام. وتجاوز مفهوم (الإخوّة الإسلامية) الموّحد لكل المسلمين بنص القرآن الكريم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، ليشعل فتيل الفتنة المذهبية أينما استطاع إلى ذلك سبيلا. ولم يعترف بمفهوم (الإخَوة الوطنية) كجامعة لكل أبناء الوطن الواحد، المستند إلى وثيقة المدينة،

التي وضعها الرسول ﷺ، والقائمة على أساس الشراكة والمساواة في الواجبات والحقوق، وأصر على التمسك بفقه يعزز التمييز والكراهية بين المسلمين وغيرهم. وبدلاً من مفهوم (الإخوة الإنسانية)، وفق مفهوم التعارف الوارد في القرآن الكريم ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾، عزز التصنيف الثنائي القطعي بين داري الإسلام والكفر عندما كان هناك دولة إسلامية واحدة فعلياً (الخلافة) وغيرها دول غير إسلامية.

أزمة العقل الصحراوي تجلّت في انهماكه باستنساخ فتاوى العصور السابقة، وانتزاعها من سياقها الاجتماعي دون تمحيص لتطبيقها على عصرنا، وانشغاله باستدعاء تراث الأزمنة الغابرة، وانتزاعه من سياقه التاريخي دون تمييز ليكون موجهاً لواقعنا، فانتقى من أكوام الفتاوى ما يتفق وهوى مذهبه، واصطفى من ركام التراث ما ينسجم ومزاج مدرسته، فأخرج من جراب فقه الاستبداد ما يشرعن لاستبداد الحكام وفساد الأعوان، وتهميش الشعوب، وإذلال (أهل الذمة...) وأطلق من صندوق فكر الاستعباد ما يؤصل لدونية النساء، وفقر البؤساء، وطاعة الرؤساء، وتضخم أموال الأغنياء... ورسخ في أذهان الكثير من الناس محرمات ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها: الحكم بأن المرأة كلها عورة، وأن الفنون الجميلة كلها محرمة... واستخدم خطاباً دينياً دعوياً مليئاً بآفة الاستعلاء على الناس، ووهم امتلاك الحقيقة المطلقة وصولاً إلى الظن بأنهم للفرقة الناجية... وغير ذلك.

خلاصة القول في جدل عيد الميلاد المتكرر سنوياً، كأحد مظاهر العقل الصحراوي المأزوم، بعجزه عن إنزال النص الديني الثابت على الواقع البشري المتغير، وفقدانه للقدرة على التمييز بين الوحي الإلهي والاجتهاد البشري، والمحكوم بالحرفية النصية الحادة دون اعتبار لمقاصد الشريعة وروح الدين، والمأزوم بانشغاله بقضايا دينية فرعية تقبل الاجتهاد والاختلاف، كالتهنئة بعيد الميلاد، دون أن يهتم بقضايا الأمة الكبرى، مثل: قضية فلسطين، ووحدة الأمة، ومشروع النهضة، وعوامل النصر، ورسالة الأمة... وغيرها، وطالما لم يملأ أصحاب الفكر التنويري ساحة الفكر والعمل الإسلامي سيظل العقل الصحراوي المأزوم ينشر أزمته في عقول أبناء الأمة الإسلامية وواقعها، ومثيراً لنقاش في غير موضعه، وجدل في غير محله.

الانتخابات الفلسطينية.. رؤية ثالثة

كـتب بتاريـخ:

21 يناير 2021م

أصدر الرئيس محمود عباس مرسوماً رئاسياً بإجراء انتخابات عامة بالتتالي، تبدأ بالمجلس التشريعي، فرئاسة السلطة، ثم المجلس الوطني، وصدر هذا المرسوم الرئاسي بعد تلقيه رسالة مكتوبة من رئيس المكتب السياسي لحركة حماس السيد اسماعيل هنية فحواها موافقة حماس على إجراء انتخابات عامة بالتتالي والترابط، بعد تخليها عن شرط إجرائها بالتوازي، ثم إزالة آخر عقبة تمنع إجراء الانتخابات عملياً، ولكنها لم تَنه استمرار الجدل حول الانتخابات نظرياً، بسبب تباين الرؤى حولها ما بين مؤيد مرحب ومعارض مشكّك، وما بين الترحيب والتشكيك رؤية ثالثة، بعيداً عن المنظار ذي اللونين (الأبيض والأسود)، وأكثر بعداً عن الرؤية الثنائية القطعية (الحق والباطل)، والرؤية الثالثة للانتخابات الفلسطينية تحتاج إلى بعض التفاصيل.

أولاً: تعدد الرؤى، واختلاف المواقف، حول الانتخابات العامة الفلسطينية، السابقة واللاحقة، ما بين التأييد والرفض، والترحيب والتشكيك، والمشاركة والمقاطعة، يدخل في باب الاجتهادات السياسية، التي تقبل الصواب والخطأ، وتخضع للرأي والرأي الآخر، ولا يجوز إلباسها ثوباً شرعياً، أو لباساً وطنياً، يذهب بتلك الاجتهادات نحو التحليل والتحريم شرعياً، أو نحو الأمانة والعمالة وطنياً، كي لا ينحدر الخلاف حولها إلى دائرتي التكفير والتخوين، ويبقى في دائرة الخلاف الفكري والسياسي.

ثانياً: الانتخابات العامة بحد ذاتها وفي سياقها الطبيعي أمر إيجابي مطلوب، لأنها أحد مكونات النظام السياسي الديمقراطي النيابي، وأحد أهم وسائل تطبيق الديمقراطية والمشاركة الشعبية في الحكم، وطريقة مضبوطة تؤهل أفراد الشعب للمشاركة في إدارة شؤونهم العامة في بلدهم، وتتيح لهم اختيار حكامهم وتغييرهم، واختيار نوابهم في البرلمان وتغييرهم، ووسيلة قانونية لتداول السلطة سلمياً ومنع احتكارها من أي نخبة متسلطة، وهي حق للمواطنين في دساتير الدول والمواثيق الدولية والأعراف الإنسانية، وهذا ينطبق من حيث المبدأ على الانتخابات الفلسطينية.

ثالثاً: الانتخابات العامة إيجابية، عندما تجرى في الدول المستقلة ذات السيادة الفعلية، وعندما تأتي بعد انتصار حركات التحرر الوطنية وتحرر الشعوب من محتليها، وعندما تكون نتيجة لتطور الحياة السياسية للمجتمعات البشرية، وعندما يكون هدفها تداول السلطة منعاً لاحتكارها ودرءاً للاستبداد والفساد... ولكن الانتخابات العامة لا تكون في سياقها الطبيعي، إذا كانت تحت الاحتلال، وحركة التحرر الوطني لم تحقق الانتصار، ولم تأتِ في إطار تطور الحياة السياسية، واقتصر هدفها تثبيت النخبة الحاكمة وشرعنة الاستبداد والفساد، وقد يكون الواقع الفلسطيني أقرب إلى سياق الانتخابات غير الطبيعي.

رابعاً: الانتخابات العامة الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو، وما ترتب عليها من إقامة السلطة الفلسطينية، الخاصة بالمجلس التشريعي ورئاسة السلطة، جاءت في سياق غير طبيعي أفرزته اتفاقية أوسلو، وكانت جزءاً من الاتفاقية بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة الكيان الصهيوني، وبناء على ذلك أدخلت الانتخابات في القانون الأساسي للسلطة الفلسطينية (الدستور)، وبذلك تكون مرجعية الانتخابات القانونية ما ورد في اتفاقية أوسلو، والقانون الأساسي للسلطة، مما يجعل سقفها مرتبطاً بمشروع التسوية، والمشاركة فيها على هذا الأساس يعني الموافقة على نتائجها المرتبطة بسقف أوسلو ومشروع التسوية.

خامساً: الانتخابات جاءت بناء على اتفاقية بين المنظمة كحركة تحرر وطني، و(إسرائيل) كدولة احتلال، فكانت جزءاً من مشروع سياسي لترويض حركة التحرر الوطني الفلسطينية، وتحويلها من مرحلة الثورة إلى مرحلة السلطة تحت وهم الاستقلال، ولإيجاد كيان سياسي مشوه المعالم ما بين الحكم الذاتي والدولة، ومنزوع الدسم الوطني كبديل عن الدولة الوطنية المستقلة، ولتكوين نخبة سياسية حاكمة مرتبطة مصلحياً بالعلاقة مع الاحتلال، ومنفصلة شعورياً عن الحركة الوطنية الفلسطينية، ولتحويل الأرض المحتلة إلى ساحة تنافس حزبي، وصراع سياسي، واقتتال أهلي، وانقسام سلطوي، ولفتح صراع مؤجل حول هوية الدولة المستقلة لا يجوز فتحه في مرحلة التحرر الوطني.

سادساً: انتخابات السلطة في مرحلة التحرر الوطني توجد شرعية جديدة للقيادة الوطنية الفلسطينية، هي الشرعية التمثيلية المكتسبة من صندوق الاقتراع، سقفها السياسي والوطني مرتبط بمرجعية الانتخابات المنبثقة من اتفاقية أوسلو، لتحل مكان الشرعية الثورية المكتسبة من مقاومة الاحتلال

والنضال الوطني عبر مسيرة كفاح طويلة للقادة وفصائلهم، المرتبط بمرجعية الحركة الوطنية ومدى تمسك قادتها وفصائلها بالحقوق الوطنية الثابتة، والأهداف الوطنية التحريرية، ونهج المقاومة الشاملة. والخطورة في إيجاد شرعية جديدة خارج مسار الحركة الوطنية وشرعيتها الثورية من شأنه إيجاد قيادة لها أولويات مختلفة وربما متناقضة مع أولويات المشروع الوطني الفلسطيني.

سابعاً: رغم أن المجلس الوطني الفلسطيني هو الذي عدل الميثاق الوطني عام **1996**م لينسجم مع اتفاقية أوسلو، وأن مجلسه المركزي هو الذي أصدر قراراً بإنشاء السلطة عام **1993**م، إلاّ أنّه يختلف عن المجلس التشريعي من حيث المرجعية والوظيفة، فمرجعية المجلس الوطني القانونية هي القانون الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومرجعيته السياسية الميثاق الوطني الفلسطيني بنسخته الأصلية، ووظيفته المحددة في القانون الأساسي للمنظمة هي: "السلطة العليا لمنظمة التحرير، وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها"، وإذا ما ضم الكل الفلسطيني وتمسك بالحقوق الوطنية، يقوم بدوره كبرلمان جامع للشعب الفلسطيني، وحارس أمين على المشروع الوطني، ويمثل قيادة جماعية للحركة الوطنية، لذا فإن المشاركة فيه تختلف عن المجلس التشريعي.

ثامناً: الأساس في الانتخابات العامة الفلسطينية أن تعيد بناء مؤسسات النظام السياسي الفلسطيني وفق متطلبات مرحلة التحرر الوطني وعمودها الفقري المقاومة، وتكون بوصلتها موجهة لإنجاز أهداف المشروع الوطني ومحاوره التحرير والعودة والاستقلال، وبالتالي كان من الأفضل أن يسبق عملية الانتخابات وفاق وطني يرتكز على رؤية وطنية توافقية يكون للانتخابات فيها سقف وطني أبعد من مجرد تجديد شرعية أولي الأمر في السلطة، أو حل مشكلة انقسام السلطة، يبدأ بإعادة بناء المنظمة كبيت جامع لكل الفلسطينيين، وإطار قائد لمشروع التحرير، وإعادة بناء السلطة كرافد للمشروع الوطني، وركيزة لصمود الشعب الفلسطيني.

تاسعاً: الحضور السياسي لفصائل الحركة الوطنية لا يأتي عبر بوابة الانتخابات في الواقع السياسي الفلسطيني رغم أهميته، ولكنه يأتي في مرحلة التحرر الوطني من خلال التشبث بالحقوق الوطنية، والثبات على إنجاز الأهداف الوطنية، وعدم التخلّي عن طريق النضال والمقاومة، والالتصاق بجماهير الشعب بآلامها وآمالها، وهذا الحضور ينتزع بالبندقية الموجهة للاحتلال، ويؤخذ بالدم المراق في

ميادين القتال، ويعرف بالتضحية في ساحات النزال... وأي حضور سياسي في الانتخابات لا ينبغي أن يكون على حساب الحضور الوطني المقاوم، والشرعية الثورية النضالية.

عاشراً وأخيراً: بناء على كل ما تقدم من نقاط، وما ذُكر من معطيات ومقدمات، فإن الرؤية من الانتخابات العامة الفلسطينية في السابق واللاحق، وما يبنى عليها من مواقف بالمشاركة أو المقاطعة، الكلية أو الجزئية، هي (**اجتهاد سياسي**) يرى أنها في غير سياقها السياسي الطبيعي، وبعيدة عن إطارها الوطني التحرري، لانفصالها عن مسار الحركة الوطنية، وأهداف المشروع الوطني، وطبيعة مرحلة الكفاح التحرري، و(**اجتهاد سياسي**) يميز بين المجلسين: الوطني والتشريعي، لصالح المجلس الوطني، لاختلاف مرجعية ووظيفة كل منهما، وفي كل الأحوال، هي (**رؤية**) تعتبر الوحدة الوطنية واجب؛ الأساس فيه وحدة الأرض والشعب والقضية، والالتقاء على مشروع وطني موحد، وبرنامج سياسي توافقي، قبل الجلوس في أي إطار وطني، أو أي مؤسسة سياسية .

السنة والشيعة.. التعايش بدل التقريب أو الصراع

كتـب بتاريـخ:

28 يناير 2021م

عندما زار زعيم منظمة (فدائيو الإسلام) المعارضة لنظام الحكم الملكي الإيراني (نواب صفوي) سوريا التقى بالمراقب العام للإخوان المسلمين (مصطفى السباعي) في سوريا، اشتكى إليه السباعي من انضمام شباب الشيعة للحركات العلمانية والقومية، فصعد صفوي إلى أحد المنابر، وقال أمام حشد من الشيعة والسنة "من أراد أن يكون جعفرياً حقيقياً فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين"، وعندما زار نواب صفوي مصر ذكر مؤسس (الجماعة الإسلامية) في لبنان (فتحي يكن) في (الموسوعة الحركية) الحماس الشديد الذي قابله به الإخوان المسلمين، وتعاطف المسلمين معه عندما أعدم على يد الشاه، وعندما تأسست (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) في القاهرة عام 1947م انضم إليها مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الإمام الشهيد حسن البنا، إيماناً منه بسمو أهدافها وإخلاص رجالها من العلماء والأدباء والمفكرين العظام. ما سبق ذكره جاء في دراسة (السنة والشيعة.. ضجة مفتعلة ومؤسفة) عام 1982م، المنشورة في مجلة (الطليعة الإسلامية) للدكتور الشهيد فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، الذي دفع ثمن إيمانه بفكرتي التقريب والثورة جزءاً من عمره في سجن القلعة بمصر.

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، تأسست في القاهرة عام 1947م، بفضل جهود علماء دين سنة وشيعة، انضم إليها أربعة علماء تعاقبوا على مشيخة الأزهر بالتوالي هم: محمد مصطفى المراغي، ومصطفى عبدالرازق، وعبدالمجيد سليم، ومحمود شلتوت، كما انضم إليها الإمام حسن البنا، مؤسس الإخوان المسلمين، والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وانضم إليها من علماء الشيعة: محمد تقي القَمي، ومحمد حسين كاشف الغطاء، ومحمد جواد مغنية، وحسين البروجردي، وأصدرت مجلة (رسالة الإسلام) لتكون ناطقة باسمها، اتخذت الآية القرآنية ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ شعاراً لها، ولتكون معبرة عن أهدافها في جمع كلمة المسلمين باختلاف

طوائفهم ومذاهبهم، ونشر رسالة الإسلام الواحدة إلى البشرية، وكتب فيها كثير من رموز الفكر والأدب والدين منهم: محمد أبو زهرة، ومحمد المدني، وأحمد أمين، وعباس العقاد، ومحمد فريد وجدي وغيرهم، صدر من المجلة ستين عدداً قبل أن تتوقف المجلة عن الصدور، ليتبعها توقف دار التقريب نفسها عام 1979م بقرار سياسي من نظام حكم أنور السادات على أثر انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتدهور العلاقات بين البلدين حد القطيعة، وأسدل الستار على أهم إطار إسلامي يدعو للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

بعد إسدال الستار على دار التقريب، سارت الأحداث نحو الصراع، مدفوعة بعوامل سياسية، وخلفيات نفسية، وخلافات فقهية، وتباينات عقائدية، وساهمت حرب الثماني سنوات بين العراق وإيران في تعميق حالة الصراع المذهبي، وشاركت الأنظمة الخليجية المرعوبة من جريان مياه الثورة الإيرانية تحت عروشها في تأجيج نار الصراع المذهبي، وكان لسقوط حكم صدام حسين مطلع القرن الجديد، ثم اندلاع ثورات (الربيع العربي)، والصراع الاقليمي بين السعودية وإيران، دور في إيجاد بيئة مشجعة لانطلاق مارد الفتنة المذهبية من قمقمه، فضَخَ في أتون نار الفتنة إقليمياً ودولياً ألوفَ مؤلفة من الرجال، ومليارات متتابعة من المال، وأطنان متراكمة من السلاح، فأنتج التحريض المذهبي مزيداً من ثماره المرة المروية بالكراهية والدم، واكتشف المتطرفون دينياً من الجانبين أن الشيعة (روافض كفار)، وأن السنة (نواصب أشرار)، واستعاد المتطرفون قومياً من الفرس والعرب (الشعوبية الفارسية) و(العصبية العربية)، فكانت محصلة كل ذلك الشر الكامن في الصراع هو تراجع محاولات التقريب والوحدة، وتقدم محاولا ت الصراع والفَرقة بين السنة والشيعة.

هذا النمط من الصراع لا ينتهي إلاّ بإفناء آخر شيعي أو آخر سني، أو بتحول كل الشيعة إلى سنة أو كل السنة إلى شيعة، أو بناء سد كسد يأجوج ومأجوج بين الطرفين. وكل الاحتمالات الثلاثة بالطبع مستحيلة، كما أن مفهوم التقريب بمعنى تقريب الآراء بين الطرفين، والتوفيق بينها، وجعلها متقاربة، بتنازل كل طرف عن بعض معتقداته ليقترب من الطرف الآخر، هذا أيضاً مستحيل لأسباب علمية واعتقادية ونفسية وسياسية عميقة، متجذرة في النفس والعقل، وراسخة في التاريخ والعقيدة، وثابتة في السياسة والمصالح. وإذا كان انتهاء الصراع أو إنجاز التقريب لا أفق لهما، فلا مجال للخلاص إلاّ بإيجاد نهج وسط بين التقريب والصراع في هذه المرحلة الاستثنائية، يمنع الذوبان

الكلي في الآخر، وينهي الصراع الأبدي مع الآخر، هو نهج (التعايش)، والتعايش كما عرفه المفكر محمد عمارة "الانطلاق من تمايز المذاهب، والحفاظ عليه، مع العدول عن نفي أحد المذاهب للمذاهب الأخرى، فهو إذن تعايش بين المذاهب"، وكما عرفه الشيخ يوسف القرضاوي "ليس المراد أن يصبح السني شيعياً، أو أن يصبح الشيعي سنياً... إنما نريد أن نتفق على أشياء معينة تقرب بعضنا من بعض وتصلح ذات البين"، وكما لخصه الشيخ محمد الغزالي في (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) في اشارته للسنة والشيعة "دعم الأصول المشتركة لمواجهة المستقبل"، وكما حدد هدفه المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله "الوصول إلى قاعدة الوحدة".

التعايش كنهج وسطي بين التقريب البعيد والصراع الدائم، ضرورة حياتية، وفريضة شرعية، وطريقة واقعية، وتجربة فعلية، تضمن أن يعيش المسلمون على اختلافاتهم المذهبية السياسية والاعتقادية والفقهية ، كأفراد وجماعات ومجتمعات وشعوب ودول، مع بعضهم البعض وجنباً إلى جنب، بأمن وطمأنينة وسلام، بجو من التفاهم والتوافق والتعاون، بعيداً عن التصادم والتصارع والتقاتل، وبناء على الأصول الإسلامية المشتركة، ومفهوم الأمة الإسلامية الواحدة، وعلى أساس مفهوم التعارف القرآني، وعلى قاعدة الاتفاق على كلمة سواء كقاسم موحد، دون التنازل عن القناعات، والذوبان في المعتقدات، والمس بالرموز الدينية، وانتهاك الأصول الإسلامية، والجمع بين الاعتزاز بالذات (المذهبية) واحترام الآخر في الدائرة الإسلامية، والحذر من تضخيم الرابطة المذهبية المفرِقة على حساب الرابطة الإسلامية الموحِدة.

التعايش كنهج ومضمون إنساني وإسلا مي، يوجِه رسالةً لكل متطرفي المذاهب في الدائرة الإسلامية، لا سيما التكفيريين منهم، بأن احتكارهم للإسلام، واستئثارهم بالإيمان، وتكفيرهم للأنام، لن يكون هو الفيصل في دخولهم الجنة، ودخول غيرهم النار، فليريحوا أنفسهم من عناء الحكم على الآخرين بالإيمان أو الكفر؛ فالحكم لله تعالى في ذلك يوم القيامة، وليهتموا بإصلاح أنفسهم، وتهذيب سلوكهم، وتصويب أخطائهم، وليتعظوا بمن سبقهم من الأمم، ولا يكونوا كالذين لا يعلمون عندما قالوا مثل قول اليهود والنصارى في القرآن الكريم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، فلا تخافوا من فقدان أماكنكم في الجنة إذا زاد

عدد ساكنيها، ففيها بقدرة الله ورحمته متسع لكل المسلمين والمؤمنين على مدار الزمن الذين ندعوا الله أن يتغمدهم برحمته التي وسعت كل شيء، وصدق الله العظيم الرحيم القائل في محكم التنزيل ﴿يَدْخِلَ مَن يَشَاءَ فِي رَحْمَتِه وَالظَّالِمِين أَعَدّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الاحتلال وصناعة الملهاة.. الانتخابات الفلسطينية مثالا

كـتب بتـاريخ:

4 فبراير 2021م

يحكى أن مهندساً زراعياً يعمل في إحدى قرى صعيد مصر، كان عائداً بالقطار إلى القاهرة في رحلة تستغرق ساعات، وكان بجواره فلاح مسن يضع تحت رجليه كيساً كبيراً، لاحظ المهندس أن الفلاح طوال الرحلة يقوم بهز وتقليب الكيس كل ربع ساعة تقريباً، تعجب المهندس من ذلك، ودفعه حب الاستطلاع أن يسأل الفلاح في نهاية الرحلة عما بداخل الكيس وسبب هزه وتقليبه، فرد عليه الفلاح أن بداخل الكيس فئران اصطادها من الحقول، وأنه ذاهب للقاهرة لبيعها لأحد مراكز الأبحاث، وعن سبب هزها وتقليبها أضاف "شوف يا بني لو تركتهم ربع ساعة راكزين حيرتاحوا، وكل واحد هيحفظ مكانو ويأمن ويستأنس، فينسى صحابو اللي حواليه، وهيبتدي يقضم ويخرم الشوال اللي هم فيه، وأفضل كدة لغاية ما أوصل بسلام".

سياسة إلهاء الفئران عن هدفها الأساسي بالخروج من الكيس التي كان يتبعها الفلاح، كان يمارسها سجان الاحتلال معنا كسجناء فلسطينيين في معتقل النقب الصحراوي، فعندما كنا نعلن عن الاضراب عن الطعام ضد إدارة المعتقل للمطالبة بحقوق أساسية للأسرى والمعتقلين، كانت إدارة المعتقل تلجأ إلى مصادرة حقوق أنتزعت سابقاً بالنضال والجوع من السجان، مثل إيقاف الزيارات بين أقسام السجن، وبإيقاف دخول الجرائد، وسحب طاولات التنس، وإلغاء زيارات الأهل وغيرها، لتجبر الأسرى والمعتقلين على المطالبة بها مجدداً عبر مفاوضات طويلة ومملة، ليكونوا قد نسوا في نهايتها مطالبهم الأساسية التي أضربوا عن الطعام من أجل تحقيقها، وكانت سياسة الإلهاء تنجح أحياناً في صرفنا عن مطالبنا الأساسية كأسرى ومعتقلين.

ألهية السجّان الإسرائيلي داخل السجون مارسها الكيان الصهيوني مع الشعب الفلسطيني، استطاع بواسطتها إنجاز أهداف المشروع الصهيوني بالسيطرة على كل فلسطين، فعندما احتلوا أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين، وأعلنوا قيام دولة (إسرائيل) عام **1948**م، كان هدف الشعب الفلسطيني تحرير فلسطين المحتلة عام النكبة، وأنشأت حركته الوطنية منظمة التحرير الفلسطينية عام **1964**م من

أجل هذا الهدف، وعندما احتلت (اسرائيل) ما تبقى من فلسطين عام 1967م (الضفة والقطاع)، تحول الهدف عند المنظمة بعد مسيرة ترويض طويلة إلى تحرير الضفة والقطاع التي تمثل أقل من ربع فلسطين الانتدابية، وبعد اتفاقية اوسلو عام 1993م تحولت إلى أراضٍ متنازعٍ عليها، وأدخل الشعب الفلسطيني إلى ألهيات صنعت على عين الاحتلال، تدور حول السلطة، وصلاحياتها وإدارتها وتقاسمها وانتخا باتها... تحت الاحتلال والحصار، بعيداً عن أهداف الشعب الفلسطيني الآساسية بإنجاز التحرير والعودة والاستقلال.

صناعة الملهاة تقوم على أساس إلهاء الشعب عن إنجاز هدفه الوطني والمطالبة بحقوقه الآساسية، وهي سياسة استعمارية واستبدادية يمارسها المحتلون والمستبدون، تنبه إليها الفيلسوف الآمريكي المناهض للإمبريالية والصهيونية نعوم تشومسكي في كتابه (أسلحة صامتة لحروب هادئة)، فذكر عشر استراتيجيات للتحكم في الشعوب، أولها استراتيجية (الإلهاء)، وجوهرها إلهاء الشعوب عن أهدافها الحقيقية بعشرات الألهيات الجزئية التي تبقيه مشغولاً باستمرار، دون أن يكون له أي وقت للتفكير والعمل في قضيته الآساسية، ويقول: "اجعل الشعب منشغلاً منشغلاً منشغلاً، دون أن يكون له وقت للتفكير، وحتى يعود للضيعة مع بقية الحيوانات".

صناعة الألهية ذكرها فيلسوف الثورة الإيرانية علي شريعتي في كتابه (النباهة والاستحمار) عندما فسر معنى الاستحمار بتزييف وعي الشعوب لحرمانها من حقوقها، وبتجديده اتجاهين للاستحمار هما : التجهيل والإلهاء، والتجهيل يعني "تحريك الآذهان إلى الجهل والغفلة، أو سوق الآذهان إلى الضلال والانحراف"، والإلهاء يعني "إلهاء الآذهان بالحقوق الجزئية البسيطة اللا فورية، لتنشغل عن المطالبة أو التفكير بالحقوق الآساسية والحياتية الكبيرة الفورية"، ويفسر ذلك بقوله: "إنه لمن سوء الحظ أن لا تدرك ما يراد بنا، فيصرفوننا عما ينبغي أن نفكر فيه، من مصير مجتمعنا، أو أفكر فيه أنا مع مصيري كإنسان، إلى أن نفكر في أشياء تحسبها راقية جداً وعظيمة ومشرفة، فيصيبون الهدف دون أن نشعر".

سياسة الإلهاء أطلق عليها المفكر الجزائري مالك بن نبي (طريقة التجميد)، فذكر في كتابه (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) أن الاستعمار يلجأ لإلهاء الشعوب عن أهدافها إلى طريقة التجميد التي تطبق في جبهة القتال لتجميد قوات العدو عند نقطة معينة، ويمارسها الاستعمار كسياسة تبقي

الشعب يدور في حلقة مفرغة بعيداً عن هدفه الأساسي، وهي تشبه مصارعة الثيران، عندما يلوح المصارع بمنديل أحمر للثور، فيقوم الثور بالهجوم على المنديل بدلاً من الهجوم على المصارع مرات عديدة حتى تَستنزف قواه وينهار، ويضيف مالك بن نبي "فهو يستمر إذن (الاستعمار) في التلويح بالمنديل الأحمر (هدف وهمي)، حتى لا تكون للشعب المستعمر فرصة يتدارك فيها، ويفكر في أمره، وأن ينظر إلى مشكلاته بمنطق الفعالية، طبقاً للأسس السياسية العلمية، وهكذا يجمد الاستعمار القوات التي تناضل ضده عند نقطة معينة".

ولكي لا تكون الانتخابات ملهاة جديدة للشعب الفلسطيني، تحرف بوصلة مشروعه الوطني عن أهداف التحرير والعودة والاستقلال، وتَغرق سفينة حركته الوطنية في تفاصيل تقاسم وإدارة سلطة تتعايش مع الاحتلال، يجب أن تكون الانتخابات مدخلاً لإقامة نظام سياسي وفق استحقاقات مرحلة التحرير الوطني، القائمة على ركيزتي الصمود والمقاومة، ويخدم أهداف المشروع الوطني بالتحرير والعودة والاستقلال، ويفصل بين السلطة والمنظمة على أساس التمايز والتكامل، ويحدد وظيفة السلطة بتعزيز صمود الشعب في فلسطين المحتلة، ووظيفة المنظمة بقيادة الحركة الوطنية للشعب الفلسطيني في داخل فلسطين وخارجها.

فلسطين.. بين إمامين

كـــتب بتاريـخ:

14 فبراير 2021م

" إلى رجلي القرن: الإمام الشهيد حسن البنا... والإمام الثائر آية الله الخميني"، هذا الإهداء كان لكتاب (الخميني.. الحل الإسلامي والبديل)، للمفكر الشهيد فتحي الشقاقي، الذي كتبه قبيل انتصار الثورة الإسلامية في إيران آخر عقد السبعينيات من القرن العشرين، التي تمر ذكراها السنوية هذا الشهر، وفي مقال لاحق للكتاب انتبه الشقاقي إلى أن يوم انتصار الثورة في الثاني عشر من فبراير هو ذات اليوم الذي اَغتيل فيه الإمام الشهيد حسن البنا قبل ثلاثين عاما من النصر، فربط بين الحدثين قائلا: " ويمر يوم استشهادك يا سيدي وكأنه على موعد كان المسلمون الفقراء في طهران يفجّرون أعتى الأنظمة، ويرسمون ملامح كون جديد"، لم يكن ذلك التاريخ ما يربط بين الإمامين فقط، فقد كانت فلسطين ملتقى الرجلين فكريا وعمليا، باعتبارها قضية الأمة الأولى.

فلسطين قضية الأمة الأولى في فكر الإمامين، فعند الإمام الشهيد حسن البنا " قضية العالم الإسلامي بأسره، وميزان كرامته ومقياس هيبته"، وورقة الامتحان الأولى " فإن نجح العرب في هذا الامتحان واجتازوه بتوفيق؛ فسيكون النجاح حليفهم في كل قضاياهم بعد ذلك، وإن كانت الأخرى فهي الهزيمة أبد الدهر"، وحبها من حب مصر، فقلوب المصريين " يجب أن تخفق بحب فلسطين، وتحنوا عليها، وتعمل لها، بحكم الدين والجوار والإنسانية والوطن معاً". وعند الإمام الثائر آية الله الخميني فلسطين قضية كل المسلمين وسبب مأساتهم التي " تعد العلّة الأساسية في أغلب المشاكل التي تتعرض لها تلك البلدان الإسلامية"، ولذلك اعتبر تحرير فلسطين واجب كل المسلمين، وطالبهم بالنهوض لتحريرها باعتبارها قبلة المسلمين الأولى؛ وجزء من كيانهم الإسلامي، وعبر عن حب الإيرانيين لفلسطين "إن الشعب الإيراني.. يعتبر وبسبب إحساسه العميق بالإسلام أن فقدان فلسطين بمثابة فقدان قطعه من كيانه".

وإذا كانت فلسطين قضية المسلمين الأولى في فكر الإمامين؛ وحبها من حب مصر وإيران، فالكيان الصهيوني خطر على الأمة الإسلامية عامة، وعلى البلدين المسلمين خاصة، والدفاع عنها هو دفاع عن كل الأمة، كما قال الإمام الشهيد " إن العرب حين يذودون عن فلسطين، ويطالبون بحقها،

يشعرون من أعماق قلوبهم أن صميم وحدتهم؛ وسلامة أوطانهم، وحقيقة استقلالهم، مرهون بهذا الجزء من أرضهم... فدفاعهم عن فلسطين دفاع عن صميم كيانهم... ووجودهم وأرضهم". وهذا ما أكده الإمام الثائر الخميني بقوله: " أن جرثومة الفساد التي زرعت في قلب العالم الإسلامي لا يراد من خلالها القضاء على الأمة العربية وحسب، بل أن خطرها وضررها يشمل الشرق الأوسط بأسره، فالمخطط المرسوم يقضي بقيام الصهيونية بالسيطرة على العالم الإسلامي، واستعمار أوسع للأراضي المنابع الغنية للبلدان الإسلامية".

وخطر الكيان الصهيوني على الأمة عامة؛ وعلى مصر وإيران خاصة، يتطلب العمل على إزالته من الوجود، فحتمية زوال (إسرائيل) من الوجود واجب قومي وإنساني، وفرض ديني وأخلاقي، وقد أدرك الإمام البنا ذلك مبكراً، فحدد غاية الجهاد في فلسطين " حتى يتم إزالة هذا الكيان الصهيوني المجرم من كل شبر من الأرض العربية... وليس ذلك بالأمر المستحيل كما يتصور المنهزمون، بل هو هدف يمكن تحقيقه، بقوة الإيمان... والوحـدة ... والسلاح"، وحتمية زوال (إسرائيل) من الوجود عقيدة راسخة عند الإمام الخميني باعتبارها جرثومة الفساد التي يجب قتلها، والغدة السرطانية التي يجب اجتثاثها، ولذلك كان تحريرها واجب كل المسلمين، الذين عليهم " أن ننهض جميعاً ونقضي على دويلة إسرائيل، وليحتل الشعب الفلسطيني البطل مكانها... نحن نقول إن إسرائيل يجب أن تَمحى من الوجود، وأن بيت المقدس ملك للمسلمين وهي قبلتهم الأولى". ولهذا لا يوجد مجال عند الإمامين- من خلال أقوالهما- للحلول السلمية التي تَبقي الكيان الصهيوني على أي بقعة في فلسطين.

وقد رسم الإمامان معالم الطريق لتحرير فلسطين، بكثير من التشابه القريب إلى التطابق بين الرؤيتين، وأول هذه المعالم هي (العودة إلى قيم الإسلام والتوكل على الله)، في استحضار للبعد الديني وعقيدة الأمة، فالبنا دعا إلى " العودة إلى نهج أسلافنا المجاهدين.. وحسن الاعتماد على الله". والخميني اعتبر العودة للإسلام شرطا للتحرير " ما لم نعد إلى إسلام رسول الله ﷺ لن نتمكن من حل قضية فلسطين".

وثاني هذه المعالم (تحقيق الوحدة الإسلامية)، فدعا البنا إلى التمسك بسلاح الاتحاد والتماسك"، ودعا الخميني إلى " وحدة الكلمة والاتكال على الله". وعندما تأسست (دار التقريب بين المذاهب

الإسلامية) في القاهرة آخر عقد الأربعينات من القرن العشرين انضم إليها دون تردد الإمام حسن البنا إيمانا منه بأهمية الوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة، واعتبر الإمام آية الله الخميني إثارة الفتنة بين السنة والشيعة هدفه تفرقة الأمة لإلهائها عن حل القضية الفلسطينية فاعتبر " اتحاد الأمة الإسلامية طريق إنقاذ فلسطين".

الانطلاق من قيم الثورة الإسلامية، والارتكاز على قوة الوحدة الإسلامية، كمعالم على طريق تحرير فلسطين، يتطلب (التحرر من التبعية للاستعمار)، التي يتصف بها الحكام المخالفين لإرادة شعوبهم، الذين تعجب من صنيعهم البنا قائلا: " لماذا لا ينزلون عند إرادة شعوبهم؟، ويتحررون من ربقة التبعية الذليلة لأعدائنا العالميين؟".

واعتبرها الخميني سببا لمنع تحرير فلسطين " إن الآنانية والعمالة واستسلام بعض الحكومات العربية للنفوذ الآجنبي المباشر يمنع عشرات الملايين من العرب من إنقاذ فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي". واستكمالا لمعالم التحرير دعا الإمامان إلى (دعم المجاهدين الفلسطينيين بالمال)، فعند البنا " من الجائز صرف جزء من زكاة المال لمجاهدي فلسطين البواسل"، وعند الخميني " من الواجب تخصيص جزء كاف من الحقوق الشرعية قبيل الزكوات وسائر الصدقات.. للقضاء على عدو البشرية الصهيونية الكافرة". ولتكتمل الصورة كلاهما دعا إلى (سلاح المقاطعة)، فالإمام البنا اعتبر " مقاطعة اليهود المعتدين؟ أمراً واجباً على جميع أبناء الآمة". والإمام البنا اعتبر "الارتباط مع إسرائيل وعملائها تجارياً وسياسياً حراماً ومخالفاً للإسلام".
لقد ترجم الإمام البنا رؤيته واقعاً يتجلى من خلال إرساله لمئات المقاتلين من حركة الإخوان المسلمين إلى فلسطين لمواجهة العدو الصهيوني عام **1948** سجل فيها المجاهدون بطولات وتضحيات جمة، كما ترجم الإمام الخميني رؤيته لفلسطين منذ اللحظة الأولى لانتصار الثورة الإسلامية بتحويل السفارة الإسرائيلية في طهران إلى سفارة فلسطين، وتقديم يد العون إلى حركات المقاومة الفلسطينية، واستمر هذا النهج للجمهورية الإسلامية حتى هذه اللحظة بالدعم المستمر للمقاومة الفلسطينية والإيمان بحتمية زوال إسرائيل.

حضور فلسطين في فكري الإمامين - الشهيد والثائر- وعملهما، كان حاضراً في فكر الثائر الشهيد فتحي الشقاقي، فاعتبرهما رجلي القرن العشرين، وقرأ فكرهما قراءة التجاوز المبدع، فأدرك ثنائية

المشروع الإسلامي – الوحدة وفلسطين- أمام تحدي ثنائية المشروع الاستعماري – التجزئة و(إسرائيل)- واكتشف كلمة السر الثلاثية لمشروع التحرير - الإسلام وفلسطين والجهاد - واستوحى معادلة الفلاح لتحرير فلسطين التي يتفاعل فيها الإيمان والوعي لينتجا الثورة، واستلهم محورية القضية الفلسطينية لتحقيق أهداف الآمة في الاستقلال والنهضة والوحدة، واستنبط العلاقة الجدلية التي تربط حرية الآمة بحرية فلسطين ... والآن بعد غياب الرجال الثلاثة - البنا والخميني والشقاقي- نزداد يقينا بعبثية حركة الإحياء الإسلامي بدون فلسطين، وعبثية حركة التحرير الوطني بدون الإسلام.. وأن البعد عن فلسطين – تحت أي مبرر- هو بعد عن الإسلام أولاَ، وبعد عن حرية الآمة واستقلالها ونهضتها ووحدتها ثانيا وأخيراَ.

ميشيل عفلق.. الإسلام برؤية قومية...

كـتب بتـــاريخ:

26 فبراير 2021م

في حوار مع صديق من المثقفين القّدامى، قبل مثقفي (الفيس بوك) الجدد، أبطال الأثير، وصناع الإثارة، والباحثين عن الفضائح ، كان الحوار حولَ مقال سابق بعنوان (جمال عبد الناصر... قراءة خارج صندوق الإخوان)، انتقد فيه الصديق فكرة المقال الآساسية ، وهي فكرة نقدية ترفض وصمة العداء للإسلام ومحاربة المسلمين التي تَلصقها الحركة الإسلامية في كل من يختلف معها ، أو يخالفها ويتصارع معها، وترفض وهم احتكار تمثيل الإسلام، على أساس أن الآخرين لهم رؤيتهم الخاصة للإسلام، والآخرين في المقال كان يمثلهم التيار القومي الناصري وعلى رأسه جمال عبد الناصر، ما عرف بعد وفاته بالتيار القومي الناصري، والتيار القومي البعثي وعلى رأسه ميشيل عفلق مؤسس التيار القومي البعثي، الذي ينظر للإسلام برؤية قومية، ويضع الإسلام في مكانة مركزية في مشروعه الفكري الحضاري، وهذه المكانة مستخلصة من كتابات ميشيل عفلق على مدار نصف قرن من الزمن، التي جمعت في خمس مجلدات بعنوان : (في سبيل البعث)، بعيداً عن التأثر بالصراع الدموي بين حزب البعث والحركة الإسلامية عندما مارس الحزب القمع ضدها، وبعيداً عن أدلة إسلام عفلق القوية وتسمية نفسه (احمد ميشيل عفلق).

مكانة الإسلام في مشروع ميشيل عفلق الفكري والحضاري، المعروف بالبعث العربي، مكانة مركزية، فهو يتحدث عن أهمية الدين عامة للأمة العربية تحت عنوان (قضية الدين في البعث العربي)، ومن كلماته: "الدين في صميم القضية العربية والمواطن العربي، الذي نعمل لتكوينه ولم نرض له أن يكون تكويناً ناقصاً أو زائفاً". والدين عنده هو الإسلام بالرغم من أنه ولد مسيحياً أرثوذكسياً، فيقول: " بدافع من الحب للأمة العربية، أحببنا الإسلام، منذ السن اليافعة، وبعد أن اقتربنا أكثر من فهم الإسلام، أضحى حبنا لأمتنا يتلخص في حبنا للإسلام، وفي كون الآمة العربية هي أمة الإسلام"، ولذلك أحب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وجعله رمزاً للأمة العربية" في وقت مضى تلخصت في رجل واحد حياة أمته كلها، واليوم يجب أن تصبح كل حياة هذه الأمة في نهضتها الجديدة تفصيلاً لحياة رجلها العظيم، كان محمد كل العرب، فليكن كل العرب محمداً". وقد أكد المفكر محمد عمارة في

كتابه (التيار القومي الإسلامي) على هذه المكانة للإسلام في مشروع البعث العربي فكتب: " استدعى ميشيل عفلق الإسلام كمرجعية لمشروع الأمة الحضاري المعاصر ونهضتها المستقبلية المنشودة، لأن الإسلام حياة متجددة ومجددة لروح الأمة ومشروعها الحضاري".

والإسلام مرتبط بالعروبة عند ميشيل عفلق ارتباط الروح بالجسد "نرى في العروبة جسماً روحه الإسلام".فيقول : "ارتباط العروبة بالإسلام ظل مئات السنين خلال التاريخ عبارة عن الحياة التي يحياها العرب ويتنفسونها كالهواء"، ورأى في تجربة الإسلام وحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) استعداداً دائماً للنهضة العربية، "إذا فَهم الإسلام على حقيقته...تتكرر ملحمة الإسلام البطولية بكل فصولها في واقعنا إلى أن تَختم بالظفر النهائي للحق والإيمان"، ورأى عفلق في الإسلام منبعاً للبعث العربي من الإسلام تجدده وثورته، ونستقي من منبعه فضائل الإيمان في سبيل نشر المبادئ التي تنقذ العرب في هذا العصر من ضعفهم وتفككهم وانخفاض مستواهم الروحي والاجتماعي. وقد ربط بين الإسلام والعروبة والإنسانية، فقال: "الإسلام في واقعه عربي، وفي مراميه المثالية إنساني، فرسالة الإسلام إ نما هي في خَلْق إنسانية عربية... إن يقظة العرب القومية اقترنت برسالة دينية... ليؤدوا واجباً دينياً كله حق وهداية ورحمة وعدل وبذل أراقوا من أجله دماءهم".

والإسلام مرتبط بالثورة عند ميشيل عفلق ، لذلك فرق بين الإسلام الثوري المعادي للاستعمار والرجعية، وا لإسلام (العتيق) الذي يقتصر على العبادة السطحية والمعاني العامة الباهتة ، المهادن للاستعمار والرجعية، ويرى في الثورة وسيلة لديمومة وجود الأمة العربية من خلال اتصالها الدائم بالإسلام؛ فيقول: "وهذا الاتصال لا يكون بالنقل الحرفي ولا بالتقليد، وإنما تكتشف هذه الحقائق من جديد من خلال ثقافة العصر، ومن خلال الثورة والقتال"، ويرى " أنه يجب أن تتحد الصلاة (الإيمان)، مع العقل النير (الوعي) ، مع الساعد المفتول (الثورة) لتؤدي كلها إلى العمل العفوي الطلق الغني القوي المحكم الصائب"، ويعبر عن الثورة بالانقلاب الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب وفي أنفسهم، وأن سر هذا الانقلاب الإسلامي في الوحي الإلهي وليس من البشر".ويميز بين حقيقة الدين وظاهر الدين الذي يصل إلى درجة التناقض الحاصل بين الثورة والاستسلام؛ ويتساءل: "هل يفكر الشباب أن الإسلام عند ظهوره هو حركة ثورية؛ ثائرة على أشياء كانت موجودة : معتقدات وتقاليد ومصالح؟ وبالتالي هل يفكرون بأنه لا يفهم الإسلام إلاّ الثوريون؟".

الإسلام رسالة العرب الخالدة للإنسانية الواردة في شعاره "أمة عربية واحدة... ذات رسالة خالدة"، فيوضح ما هية هذه الرسالة بأنها "إيمان ملازم للآمة يمثل جوهرها"، ويوضح معنى الرسالة بأنها " حضارة وقيم معينة... يستطيع العرب في المستقبل عندما يبلغون المستوى الراقي السليم المبدع أن يحققوها وينشروها بين البشر"، وهذه الرسالة الخالدة مرتبطة بالنهضة العربية الحديثة عنده " إن نهضتنا العربية الحديثة هي من ذلك النبع من ينبوع الرسالة الأولى"، وعن مضمون الرسالة الخالدة التي تحدث عنها عفلق كتب محمد عمارة في كتابه (التيار القومي الإسلامي) يقول: " بعد الدراسة المتأملة للكتابات الكاملة لميشيل عفلق ، ومنها ما كتبه عن تراث الإسلام الثوري والروحي، وعن مرجعية هذا التراث في المشروع النهضوي، مشروع بعث الآمة، وعن دور التراث -الإسلام- في تميز الآمة، وتميز نهضتها القومية، فإننا لا يخالجنا أدنى شك في أن الرسالة الخالدة التي عناها ميشيل عفلق هي ذات الإسلام كثورة وحضارة ميزت الآمة العربية عن غيرها من الآمم ذات الرسالات النسبية التي لها إطلاق وخلود رسالة الإسلام".

وللإسلام عند عفلق دوراً مركزياً في مواجهة التحدي الغربي الحديث للآمة العربية، فهو سبب عداء آوروبا للآمة العربية؛ فيعبر عن ذلك بقوله: "إن المنافسة بسبب الدور الحضاري الذي جاء به الإسلام، وليس بسبب الموقع والثروات والمصالح". ومواجهة التحدي لا تكون بالتبعية للغرب، بل بالتميز والاستقلال الذي لا يتحقق إلآ بالإسلام الثوري الحضاري؛ ومن ذلك قوله: "لا نَريد لنهضتنا القومية أن تكون مقلدة، وأن تنقل مجرد نقل من الحضارة الآجنبية"، وهذا التمايز يقتضي رفض التبعية للغرب بشقيه: الرأسمالي الليبرالي، والاشتراكي الشيوعي، ويدعو إلى طريق ثالث منبثق من روح العروبة ورسالتها الخالدة؛ فقال: "قرأنا الإسلام بعد قراءة الشيوعية.. بعد مواجهة التحدي الاستعماري الغربي وحضارته، وبعد الاطلاع على الحل الثوري الشيوعي الآتي من الغرب أيضا"، ولذلك دعا المسيحيين العرب إلى أن "يحرصوا على الإسلام حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم، وأن يروا في الإسلام ثقافة قومية لهم، يجب ان يتشبعوها ويحبوها"، ولآهمية دور الإسلام في مواجهة التحدي الغربي قال:" ولئن كان عجبي شديداً للمسلم الذي لا يحب العربي، فعجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام".

الإسلام برؤية قومية كما قدمه ميشيل عفلق أو أحمد ميشيل عفلق، يؤكد أن هناك رؤى أخرى للإسلام خارج إطار الحركات الإسلامية، رؤى ترى في الإسلام حضارةً ورسالةً وثورة وروحاً، ولا ترى

وجوداً للعرب والعروبة بدون الإسلام، ولا تؤمن بإمكانية مواجهة التحدي الاستعماري الغربي بدون الإسلام كهوية وثقافة ودين، والجانب الأهم في تلك الرؤية أنها نقطة ارتكاز لتحرير العقل المسلم الحركي المعاصر من أوهامه التي تشربها من التعبئة الحزبية والحركية على مدار عقود طويلة من الزمن، وأهمها: وهم امتلاك الحقيقة المطلقة، ووهم احتكار تمثيل الإسلام، ووهم الثنائية القطعية بين الحق (نحن) والباطل (الآخر)... وهذه الأوهام هي المسئولة عن وصمة العداء للإسلام التي تَلصق بكل من تنافس أو تصارع مع الحركة الإسلامية من داخل السلطة أو من خارجها، وإزالة هذه الوصمة لا تعني تبرئة أحدٍ من جرائم الاستبداد والفساد المرتبطة بالسلطة، التي مورست ضد الإسلاميين وغيرهم، بل تعنيَ إعادة قراءة تاريخهم بطريقة موضوعية مَحررةٍ من وصمةِ العداء للإسلام.

كلب الست وكلب الولاية

كتــب بتــاريخ:

3 مارس 2021م

روى الشاعر الثائر الساخر أحمد فؤاد نجم قصة قصيدة (كلب الست) في كتابه (الفاجومي.. السيرة الذاتية الكاملة) قائلاً: "كنا في أوائل الستينيات، يعني في عز مجد الاشتراكية، وذات صباح طلعت علينا الصحف القومية الثلاث بخبر عجيب بدون تعليق، وكان الخبر يقول : "حفظ التحقيق في قضية أم كلثوم" ويروي نجم حكاية القصة موضحاً:" طلبة معهد التربية كانوا عاملين يوم رياضي مع طلبة الفنون الجميلة بالزمالك – وراء فيلا أم كلثوم- وفي هذا اليوم ذهب بعض الطلاب سيراً على الأقدام ومروا أمام فيلا أم كلثوم، وإذا بكلبها العزيز المدلل ينط من السور ويبقى في الشارع وينشن على أفقر طالب، وهو المدعو إسماعيل خلوصي، ويروح ناطط على كرشه مبعثره بدون سابق معرفة... ذهب الطالب إسماعيل خلوصي إلى نقطة الشرطة وحرر محضراً بالواقعة، وتم تحويله إلى النيابة، ثم القومسيون العام، وإذا المفاجأة تنفجر أمام وكيل النيابة، بعد معرفة شخصية العاضض بأمر الله على أثر مجموعة من المكالمات التليفونية المحمومة اللي بتأمره وبسرعة حفظ التحقيق... ويضطر وكيل النيابة يكتب حيثيات حفظ التحقيق: إن الخدمات التي أدتها أم كلثوم للدولة كفيلة بأن تعفيها وكلبها من المسؤولية الجنائية". وأضاف نجم إلى أن أكثر ما استفزه في الموضوع هو ما جاء في تقرير جريدة (الجمهورية) وقتها عن الحادثة نقلاً عن الطالب المعضوض قوله: "أنا سعيد لأن اللي عضني كلب أم كلثوم" وكان هذا الاستفزاز سبباً في إبداع قصيدته "كلب الست".

قصيدة (كلب الست) (باللغة العامية المصرية) مطلعها وصف السيدة أم كلثوم "في الزمالك من سنين وفي حمى النيل القديم.. قصر من عصر اليمين ملك واحدة من الحريم.. صيتها أعلى من الآذان يسمعوه المسلمين.. ست فاقت على الرجال في المقام والاحترام.." ووصف كلب أم كلثوم الذي تربيه في فيلتها بدلاً من الأبناء وتطلق عليه اسم (فوكس)، فقال: "فوكس دا عقبال أملتك عنده دستة خدامين.. يعني مش موجود في عيلتك شخص زيه يا إسماعين" ووصف الطالب المعضوض إسماعيل، فقال: "واسماعين دا يبقى واحد من الجماعة التعبانين.. اللي داخوا في المعاهد والمدارس من سنين". وذكر في القصيدة بعض تفاصيل حادثة عض الكلب المدلل فوكس للطالب التعبان

إسماعيل، فقال: "لمحة فوكس من الحديد قال دا صيد سهل وحلال.. هوب نط في كرشه دوغري جاب بيجامته لحد ديلها.. إسماعين بدل ما يجري قال يا رجلي رجلي مالها.. بص شاف الدم سايح من عاليها ومن واطيها". وبعد اسبوع من حجز إسماعيل في قسم الشرطة عرض على النيابة لإجباره على التنازل عن الشكوى ضد كلب الست، فيتنازل مخلّصاً نفسه من بهدلة السجن، فيختم نجم قصيدته معلّقاً: "أنت فين والكلب فين أنت قده يا اسماعين.. طب دا كلب الست يا بني وأنت تطلع ابن مين.. بشرى لأصحاب الديول واللي له أربع رجول.. بشرى لسيادنا البهايم من جمايس أوعجول.. هيص يا كلب الست هيص لك مقامك في البوليس.. بكرة تتولف وزارة للكلاب ياخدوك رئيس".

قصة كلب الست تتكرر في بلاد العربان بأشكال مختلفة، ومرات لا حصر لها، ومن أمثلة تلك القصص ما تناهى إلى سمع كاتب هذه السطور عن حادثة قريبة من قصة كلب الست، وصلته عبر سلسلة من الرواة الثقاة، غير المشكوك في عقلهم أو دينهم أو وطنيتهم، ينتهي مصدرها عند مواطن عادي غلبان، ليس من النخبة الحاكمة أو أتباعها أو المصفّقين لها، قدم شكوى ضد مواطن غير عادي، من النخبة الحاكمة والفرقة الناجية، ولكن على خلاف بين الرواة في مكان وزمان وقوع الحادثة، فالاختلاف في المكان دار بين أربع روايات: في إمبراطورية فلسطين العظمى، ودولة فلسطين الكبرى، والولايات الفلسطينية غير المتحدة، ودولة فلسطين المحتلة. أما الاختلاف في الزمان فدار بين أربع روايات أيضاً: العصر ما قبل الحجري، والعصر الحجري القديم، والعصر الحجري الحديث، والعصر الحجري المعاصر، وفي كل الأحوال مكان وزمان وقوع الحادثة لن يغير من الأمر شيئاً، فالعبرة بعموم المعنى المستفاد من القصة، وليس بخصوص تفاصيل القصة، وعموم المعنى والدرس كامن في جوهر القصتين: كلب الست، وكلب الولاية.

قصة كلب الست بدأت بعضة كلب لمواطن غلبان، من سوء حظه طلع كلب الست أم كلثوم، أما قصة كلب الولاية فبدأت بعضة مواطن غير عادي لمواطن عادي، من سوء حظه طلع مواطن من الدرجة الأولى، وصاحب مقام رفيع في الولاية، مصنف على النخبة الحاكمة، ومطبوع على جبينه من أهل الفرقة الناجية، وممسك بيديه مفاتيح الجنة لمريديه، ومفاتيح النار لمخالفيه. عضة المواطن غير العادي للمواطن العادي كانت مختلفة عن عضة الكلب شكلاً وإن كانت تشبهها مضموناً، فكلاهما سببا أذى معنوياً بالشخص المعضوض، واستكمالاً لقصة كلب الولاية، فقد كان سببها بعد العضة،

أن المواطن العادي صدق زعماء الولاية بأن مبدأ المساواة بين المواطنين أمام القانون ساري المفعول، وأن حق التقاضي مكفول أمام جميع المواطنين، فقرر أخذ حقه بالقانون عن الإساءة التي وجهها له المواطن درجة أولى أمام الرعية، فقدم شكوى للمحتسب العام، وهو بمثابة النائب العام في وقتنا الحاضر، وفحوى الشكوى هو الإساءة للمشتكي أمام الرعية، ومعها كل الأدلة الموثقة التي تثبت حدوث الإساءة، ودفع رسوم الشكوى ووكّل محامياً لمتابعتها، وبعدها كان من المفترض مرور الشكوى بالإجراءات القانونية الطبيعية؛ ولكنها مرت بإجراءات تسويفية متعمدة لتمويت القضية، ومر أسبوعَ بعد آخر، وانقضى شهر بعد آخر، حتى مرت شهور ينتقل فيها الملف من مدينة (شمالستان) إلى مدينة (جنوبستان)، وزعموا مرة أن ملف القضية قد ضاع وهناك لجنة تحقيق لمعرفة المسئول عن ضياعه... وهكذا بعد رحلة (كعب داير) عاد الملف إلى المحتسب العام في وزارة الحسبة ليأمر بإغلاق الشكوى وحفظ القضية.

علمَ المواطن العادي المشتكي فيما بعد أنَ المواطن غير العادي المَشتكي عليه، قد استخدم نفوذه لدَى المسئولين في الولاية، ولا سيما المحتسب العام، والقاضي الأعلى، وشيخ الشيوخ، وكبير العلماء... لإغلاق الملف وحفظ الشكوى، دون الحكم فيها، أو تنازل صاحب الشكوى، أو الصلح بين طرفي القضية. وعلمَ أنَ إغلاق الملف جاء خوفاً وطمعاً، خوفاً من عضته المسمومة، التي يمتد أثرها إلى الآخر ة بالتفسيقَ أو التكفير لمن يخالفه أو يمسه بالأذى، وطمعاً في سكوته والرغبة في نيل خيري الدينا والآخرة، من صاحب الوزارة السابق، وبطل فتاوى التكفير والتقتيل، وأستاذ خطب التحريض والتشويه.

خلاصة الكلام في قصتي: كلب الست، وكلب الولاية، هو أن عدم تطبيق مبدأ المساواة أمام القانون لكل المواطنين، مخالفً للمنهج الإسلامي، الذي أرساه القرآن الكريم ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، وقوله تعالى في العدل مع الأقرباء ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾، وما أرسته السنَة النبوية من خلال الحديث النبوي الذي روته أم المؤمنين السيدة عائشة ﵂ وسجله الإمام البخاري في صحيحه: "أن أسامة كلّم النبي ﷺ في إمرأة، فقال: إنما هلك من كان قبلكم، أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد فعلت ذلك لقطعت يدها". وأن عدم تطبيق مبدأ المساواة أمام القانون هو من دلائل التخلّف

ومؤشرات الهزيمة، وأن السعي لتحقيق التقدم في المجتمع والحرص على إنجاز النصر أمام العدو، لا يتم إلا بالأخذ بأسباب التقدم والنصر، وفي مقدمتها تحقيق العدالة والمساواة داخل المجتمع.

الصبر ليس مفتاح الفرج أحياناً

كتــب بتاريــخ:

8 مارس2021م

في يوم المرأة العالمي في الثامن من مارس آذار من كل عام، يحتفل العالم بإنجازات المرأة الاجتماعية والاقتصادية، وتكرم المرأة على إبداعاتها العلمية والأدبية، وتطرح قضايا النساء الجدية والفعلية، بينما نَذكّر نحن العالم بخيبتنا ووكستنا، عندما نغرق في بحر الجدال العقيم، هل إحياء يوم المرأة العالمي حرام غير متاح، أم حلال فهو مباح؟، وهل الاحتفال بعيد الأم عمل يجيزه الرحمن، أم رجس من كيد الشيطان؟ ولا زلنا نتخاصم في صوت المرأة، إن كان عورة فتصمت، أم نصف عورة فتخفت. ولا زلنا نتشاجر في وجه المرأة، أيجوز كشفه فتلبس الحجاب، أم يجب ستره فيسدلَ عليه النقاب؟، وما زال الخصام والجدال في استمرار، ما بقي الليل والنهار، حتى يغير العرب ما في عقولهم، أو يستبدلهم اللهَ بمن ليسوا أمثالهم، وحتى ذلك الحين ستظل قضايا المرأة المَلحة، بعد يومها وعيدها وصوتها ووجهها، هي قضايا التمييز ضدها، وسلبها حقوقها، والعنف المَمارس عليها، ولعل العنف من زوجها أخطرها، ذلك بأنه يبدأ بعنف يسير، وينتهي بقتلٍ شرير، وما جرائم قتل السيدات على يد أزواجهن عنا ببعيد حيث تكررت هذه الجًرائم مراراً في المجتمعات العربية.

واحدة من هؤلاء الضحايا في مجتمعنا الفلسطيني ذهبت ضحية جريمة عنف زوجها، أحد أشباه الرجال ولا رجال، الذي كان بشهادة أم المغدورة "يواظب على ضربها"، وكأنه يواظب على أداء طقوس عبادة شيطانية، نبتت عقيدتها من شجرة ملعونة في المجتمع، وزرعت بذرتها الخبيثة في عمق نفسه الأمارة بالسوء، ورويت من مَستنقع آسن ملوث ببكتيريا التصورات المنحرفة والمفاهيم الخاطئة، فأنتجت ثمار الزقوم بطعم الإدمان، ورائحة الجًريمة، ولون الانحراف؛ فطوعت له نفسه قتل زوجته فقتلها، فأصبح من المجرمين، فأسدل بذلك الستار على المشهد الأخير الحزين، من مسرحية (الصبر مفتاح الفرج) المأساوية، التي فرِض فيها على المغدورة أن تلبس ثوب الضحية جبرياً، وتقوم بدور الزوجة المظلومة والمغلوبة على أمرها قهرياً، بينما اختار فيها زوجها أن يلبس ثوب الجلاد اختيارياً، ويقوم بدور الزوج الظالم الغالب على أمره إرادياً، واحتفظ بعض أفراد المجتمع لأنفسهم بأدوار

الكومبارس الهامشية، فمنهم الشهود على الجريمة، وتجاوز بعضهم دور الشهود، فأصبحوا على الجريمة من القعود.

إن كان الستار قد أسدِل على قصة تلك السيدة الضحية، فإنه لم يَسدل على قصص آلاف النساء المَعنّفات على يد أزواجهن، اللواتي يأخذن معاناتهن معهن في القبر، أو يمتن بصمت مع القهر. ولن تنتهي معاناتهن طالما يعشن مع أزواج يعتبرون ممارسة العنف ضد زوجاتهم أًفضل امتيازات الذكورة، ويرون في ضرب الأنثى أعلى سمات الرجولة، ويتمتعون بالتسلّط على المرأة وهم في قمة الشعور بالفحولة، ويؤمنون بأن إهانة الحليلة من أسمى طباعهم الجليلة. ولن تنتهي معاناتهن طالما تصم آذاننا فتاوى علماء مدرسة الصحراء، القادمين من مجاهل البيداء، من حيث خرج قرن الشيطان، ووسِد الأمر إلى الغلمان، وامتزجت قسوة صخور الجبال بقسوة قلوبهم، واختلطت شدة حرارة الرمال بِشدة تصلب عقولهم، فاكتست مدرستهم وفتاويهم ثوباً دينياً ظاهره فيه الحرص والتدين، وباطنه فيه الغلو والتنطع، فأعطت للرجل حقوقاً فوق حقه، وسلبت من المرأة حقوقاً من أصل حقها، فحولت الزواج من عقد شراكة وتعاون بين زوجين، إلى عقد ملكية واستعباد لأحد الزوجين، وقلبت مفهوم الطاعة الزوجية بالمعروف، إلى عبودية طوعية أو جبرية بغير المعروف، وأصبح فيها الصبر والجزع سيان، والاحتساب والاستسلام مثلان.

وكيف تنتهي معاناة النساء المعنفات من أزواجهن وقد تشّربن من أمهاتهن وجداتهِن ثقافةً اجتماعية تضع المرأة في مرتبة دونية أدنى من الرجل، وتَنشّئ البنات على خدمة الأولاد، وفيها سيلّ جارف من الأمثال الشعبية ترسخ قواعد إذعان المرأة لرب البيت حامل ألقاب: حامي الديار، وبطل الشاشة، وأسد الغابة، وشجيع السيما، وسبع البرمبة... فثبتت في أذهان البنين والبنات صورةً نمطية رسمها بقلمه المبدع الأديب الكبير نجيب محفوظ في روايته (بين القصرين) من ثلاثيته الشهيرة، فابتكر نموذج (سي السيد) مجسداً في شخصيته (أحمد عبدالجواد) الزوج المتسلط المستبد، والآمر الناهي، والحاكم المطاع. وشخصية (أمينة) الزوجة الخاضعة الخانعة، والمستسلمة المستكينة، والمحكومة المطيعة. وليس للمرأة أمام هذا الإرث الديني والاجتماعي سوى أن تعيش معاناتها بمفردها، وتحبس آلامها في داخلها، وتَسمع أنينها لنفسها، وتشكي وجعها لربها. ولأنها امرأة فعليها أن تصبر على زوجها بأخطائه وزلاته وانحرافاَته وإهاناته وقسوته... وكذلك (قرفه)، وأحياناً عليها أن تتحمل (قرف اللي

خلفوه)، وممنوع أن تظهر استياءها أو تقززها كي لا تجرح مشاعره وتحافظ على مشاعر (اللي خلفوه)، وعليها أن تضع نصب أعينها أن الصبر مفتاح الفرج.

الصبر مفتاح الفرج بالتأكيد، والصبر إن كان مطلوباً من الناس عامة، فهو مطلوب من الزوجين خاصة، بقدرٍ متساوٍ، ليحافظا معاً على بنيان الأسرة قوياً متماسكاً، ليكون المجتمع قوياً متماسكاً، وفيما يخص نصيب الزوجة من الصبر، فواجبها أن تصبر على صعوبات الحياة الزوجية، والخلافات الزوجية الطبيعية، لا سيما في بداية الحياة الزوجية، كما أن من واجبها أن تصبر على ما يصيب الزوج من محنٍ خارج قدراته، وفوق إرادته، ويتعدى حريته، كأن تصبر على فقرِ الزوج بعد غناه، ومرضه بعد صحته، وعسره بعد يسره، وضيقه بعد سعته، وضعفه بعد قوته، وتدني مكانته بعد علوها، وفقدان وظيفته بعد امتلاكها... وقد تصبر على كل ذلك ابتداء، فهنا الصبر مفتاح الفرج. ولكن الصبر ليس مفتاح الفرج إذا كان على فعل يقوم به الزوج بمحض إرادته واختياره وقدرته وحريته، وفي استطاعته فعل غيره، فقد هداه الله النجدين، وألهمه السير في أحد السبيلين، وخلقه في أحسن تقويم، فاختار أن يرد إلى أسفل سافلين، فسلك أسوأ النجدين، وسار في أقبح السبيلين، فكان من المنحرفين المتسلطين، ومارس العنف الرجولي ضد المرأة طقساً يومياً، والإرهاب الذكوري على الأنثى اعتقاداً دينياً، فكيف يكون صبر الزوجة عليه مفتاح الفرج لها.

الصبر في هذه الحالة ليس مفتاح الفرج للمرأة، بل هو مفتاح الأمراض النفسية والعقلية، وباب الاضطرابات العاطفية والسلوكية، والطريق إلى الموت قتلاً أو انتحاراً أو وأداً فوق التراب، وهكذا لن تكون تضحية المرأة، أو بالأحرى التضحية بالمرأة هو الحل المناسب، مع زوجٍ لا يحترمها ويقدرها ويمعن في إهانتها وشتمها وضربها، لأن في ذلك إهدار لإنسانية وكرامة المرأة، وقد يؤدي إلى إزهاق لروحها وإهلاك لحياتها. وإلى جانب ذلك فإن الزوج والزوجة سيقدمان أسوة غير حسنة، وقدوة ليست بالسوية للحياة الزوجية والصورة النمطية للزوجين، فيتشربها الأبناء بالتقليد الشعوري أو التوحد اللاشعوري، وبالتلقي المباشر أو الإيحاء غير المباشر، حتى إذا اشتد عودهم وشبوا عن الطوق وتزوجوا أعادوا إنتاج أسر فاشلة بآباء متسلطين وخانعين وأبناء معقدين، وهلم جرا

أما مفتاح الفرج الحقيقي للمرأة والمجتمع فهو يقع على عاتقنا كأهل ومجتمع، فعلينا أن لا نجبر المرأة الزوجة على قبول دور الضحية المغلوبة على أمرها، والصبر على سلوك زوجها المهين

لإنسانيتها وكرامتها، والمؤذي لجسدها ونفسها، والمدمر لحياتها المادية والمعنوية، والأفضل- بعد فشل كل محاولات العلاج والإصلاح - أن ندعمها لتتخلص من مأساتها وتبدأ حياتها من جديد، بعزمٍ شديد، وأملٍ أكيد، وأفقٍ بعيد.

ومفتاح الفرج الحقيقي للمرأة والمجتمع هو الاجتهاد المَجدد للفقه الديني لعلماء الأمة، من أجل إبداع فقه مستنير، ينهض بواقع المرأة والمجتمع، ويطور مَكانتها ودورها في المجتمع، في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية الكلية وضوابط النصوص الدينية القطعية. والاجتهاد المَجدد لثقافة المجتمع لمفكري الأمة، من أجل إبداع ثقافة اجتماعية إيجابية تجاه المرأة تجمع بين جوَهر الدين وروح العصر، وتبني مفهوم تمكين المرأة لترتقي بذاتها وتتقدم بمجتمعها.

لا زال أبو ذر الغفاري يمشي وحده

كتــب بتاريــخ:

17 مارس 2021م

روى ابن كثير في البداية والنهاية أن الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ كان قادماً من الكوفة وسط قافلة من المسلمين، قاصداً المدينة المنورة، فمر في طريقه على (الربذة). فوجد أبا ذر الغفاري ﷺ ميتاً ينتظر الدفن وإلى جانبه امرأته وغلامه فقط، فبكى ابن مسعود، وقال: صدق رسول الله ﷺ القائل: "يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده". لم يكن أبو ذر الغفاري يمشي وحده على رجليه في غزوة تبوك متأخراً عن جيش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ فقط، بل كان يمشي شاقاً نهجه الخاص في الحياة، ذلك النهج الثوري الرافض لأي انحراف عن مبادئ الإسلام كما أنزلت في القرآن والسنة، والثائر في وجه أي تفريط بحقوق المستضعفين كما أقرها الله ورسوله، ولذلك وصفه الرسول ﷺ، بقوله " ما أظلّت الخضراءُ ولا أقلّت الغبراءُ من ذي لهجة أصدقَ من أبي ذر" ، وبهذا المنطق الصادق عاش حياته يدعو إلى أمانة الحكم وعدالة الثروة، وشعاره وصية رسول الله ﷺ له " أمرني خليلي أن أقول الحق وإن كان مراً"، ومحرضاً الفقراء على انتزاع حقوقهم من الأغنياء، بقوله: " عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرجُ على الناسِ شاهراً سيفَه". بهذا المنهج الثوري المتمسك بالمبادئ والحقوق ظل أبو ذَر يمشي وحده، حتى مات وحده في الزبدة ما بين العراق والحجاز.

ثائر آخر سار على درب أبي ذر الغفاري في التمسك بالمبادئ والحقوق، فكان يمشي وحده عندما أنشأ وقاد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، هو الشهيد فتحي الشقاقي - رحمه الله - الذي اكتشف كلمة السر التي جمعت بين الإسلام وفلسطين والجهاد، وحل إشكالية عصره بوجود إسلاميين فلسطينيين بدون تبني الجهاد في فلسطين كقضية مركزية للأمة، ووجود وطنيين فلسطينيين بدون تبني الإسلام كمرجعية نضالية ونظرية ثورية، فأنهى بذلك الفصام النكد بين الدين والوطن، وبين القرآن والبندقية، وجمع بين الإيمان والوعي في بوتقة الثورة، وآلف بين الوطنية والقومية في إطار الأمة الإسلامية... فقاده إيمانَه ووعيه إلى إعلانِ الثورةِ المستحيلة رغم حطام الهزيمة وركام الإحباط، فبدا وكأن قدر كل ثائر أن يمشي وحده تماماً كأبي ذَر الغفاري،

وكما حذّر أبو ذر قومه من مخاطر الانحراف عن المبادئ والحقوق، في ممارسة السلطة وتوزيع الثروة فلم يسمعوا له حتى وقعوا في المحظور بعد الخلافة الراشدة، حذّر الشقاقي شعبه من مخاطر الانحراف عن المبادئ والحقوق، بعد توقيع اتفاقية أوسلو، فاستبصر بعقله ورأى بقلبه مآلها بتكريس الاحتلال والاستيطان والتهويد والانقسام والتطبيع، وهذا ما حدث بعد تبدد الوهم الخادع، فمات شهيداً وحده في مالطا ما بين إيطاليا وليبيا.

إخوة وتلاميذ الشقاقي في حركة الجهاد الإسلامي ساروا على نهجه ودربه، نهج التمسك بالمبادئ والحقوق، ودرب الجهاد والمقاومة، دون تراجع أو تهاون أو انحراف، وأمام دعاة التصالح من أبناء شعبهم، صدحوا بـقصيدة (لا تصالح) للشاعر المصري الثائر أمل دنقل، فاتخذوها نبراساً يضيء طريقهم، " لا تصالح ولو منحوك الذهب.. أترى حين أفقأ عينيك.. ثم أثبت جوهرتين مكانهما.. هل ترى؟ هي أشياء لا تشترى.. لا تصالح ولو قال من مال عن الصدام.. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام.. لا تصالح ولو قيل من كلمات السلام.. سيقولون: ها أنت تطلب ثأراً يطول.. فخذ الآن ما تستطيع.. قليلاً من الحق.. لا تصالح ولو قيل إن التصالح حيلة.. إنّه الثأر.. تبهت شعلته في الضلوع.. إذا توالت عليه الفصول.. ثم تبقى يد العار مرسومة.. فوق الجباه الذليلة".

لم يستمع فريق من الفلسطينيين لأمل دنقل وذهبوا إلى التصالح، بعد أن سكنت عقولهم فكرة تقاسم فلسطين بدلاً من تحريرها، وتشربت قلوبهم فكرة التعايش مع الاحتلال بدلاً من مقاومته، وفعلت عوامل التعرية الوطنية عملها فنحتت في صخرة المبادئ والحقوق فأوهنتها، وأثمرت جهود الترويض السياسي ثمارها المرة على شجرة الواقعية السياسية فأثقلتها، وكانت النتيجة بعد الخروج من لبنان وانهيار الاتحاد السوفيتي وتلاشي التضامن العربي، الصعود إلى هاوية أوسلو، ثم السقوط في هاوية السلطة، والتردي في قاع الانقسام، فخالفنا بذلك ما عملته حركات التحرر الوطنية في كل العالم، التي تحرر الأرض من الاحتلال، ثم تقيم عليها سلطتها الوطنية ودولتها المستقلة، فأصبح ذلك الوضع الشاذ هو الأصل الذي جر إليه بقية الفلسطينيين، وأصبحنا بذلك تنطبق علينا قصيدة (الثور والحظيرة) للشاعر العراقي أحمد مطر التي كتبها بعد أن لحق العرب بمصر عندما وقعت اتفاقية السلام مع الكيان الصهيوني، ومنها: " الثور فر من حظيرة البقر.. الثور فر.. فثارت العجول في

الحظيرة.. تبكي فرار قائد المسيرة.. بعد عام وقعت حادثة مثيرة.. لم يرجع الثور.. ولكن ذهبت وراءه الحظيرة".

هذا الواقع الشاذ، الذي نشأ بعد اتفاقية أوسلو وسلطتها، يراد لجميع الفلسطينيين الدخول في حظيرته، ومن يبقى خارج الحظيرة، فسيتهم بعدم الواقعية والانعزالية، وسيرمى بالعبثية والهزلية، وسيتهمه فلاسفة الهزيمة بعدم امتلاك البديل، والسير خلف حلم عليل، وقد يتهم بالعمل لأجندة أجنبية والخروج عن الصف الوطني، وبذلك يتم تجريمه بتصوير موقفه الطبيعي من الاحتلال كموقف شاذ عن المجموع الوطني، فقط لأنّه يتمسك بالأصل في التعامل مع الاحتلال، وهو مقاومته ورفض التعايش معه، والإصرار على عدم المشاركة في لعبة الإلهاء الكبرى التي تبعد الشعب الفلسطيني عن إنجاز هدفه الوطني بالتحرير، استراتيجية الإلهاء هدفها التحكم بالشعب الفلسطيني ليبقى مشغولاً باستمرار بعيداً عن أهدافه الوطنية الحقيقية عن طريق عشرات الألهيات الجزئية حسب نظرية التحكم لصاحبها (نعوم تشومسكي)، وتعمد إلهاء الشعب بالحقوق الجزئية الصغيرة كي لا يطالب بحقوقه الأساسية الكبيرة حسب نظرية الاستحمار لعلي شريعتي، وإبقاء الشعب يدور في حلقة مفرغة بعيداً عن هدفه الأساسي باختراع هدف وهمي ينشغل به عن هدفه الحقيقي حسب نظرية التجميد لمالك بن نبي. وكل هذه الاستراتيجيات تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي: التعايش مع الاحتلال، عن طريق إقامة نظام سياسي فلسطيني تحت الاحتلال وإلى جانبه، ينشغل فيه الفلسطينيون بأنفسهم بالتنافس الحزبي والصراع على السلطة، بينما يمر الاحتلال والاستيطان والتهويد من تحت أرجلهم، في حالة من التعايش التي تطيل أمد الاحتلال.

المخرج من المأزق الفلسطيني الحالي لن يكون عبر إعادة إنتاج النظام السياسي الذي قادنا إلى مأزقي السلطة والانقسام، ولكن المخرج سيكون عبر الوضوح التام في تحديد طبيعة المرحلة، وأهداف المشروع الوطني، واستراتيجية التحرير المناسبة لطبيعة المرحلة وأهداف المشروع، وفي البداية لا بد من الإقرار بحقيقة أن فلسطين محتلة من بحرها إلى نهرها، بالرغم من الاختلاف في تفاصيل الاحتلال، والاتفاق على أن الشعوب تحت الاحتلال تعيش مرحلة الكفاح الوطني التحرري، وتضع أهداف مشروعها الوطني بناء على ذلك، وفي الحالة الفلسطينية تكون أهداف المشروع الوطني في تحرير الأرض، وعودة اللاجئين، وإنجاز الاستقلال الوطني، وأن استراتيجية التحرير المناسبة لتلك الأهداف هي: الصمود الشعبي، والمقاومة الشاملة، وأي نظام سياسي فلسطيني في مرحلة

الكفاح الوطني ينبغي أن تكون بوصلته تحقيق أهداف المشروع الوطني، وأي نظام سياسي بخلاف ذلك سيؤدي إلى التعايش مع الاحتلال، وهذا ما يهدم أساس المشروع الوطني الفلسطيني القائم على مقاومة الاحتلال والتخلّص منه، ولإقامة نظام سياسي بوصلته المشروع الوطني لا بد من الفصل بين السلطة والمنظمة، لتبقى وظيفة السلطة إدارة شئون الفلسطينيين في الداخل، ومهمتها دعم صمودهم داخل وطنهم، ولتبقى وظيفة المنظمة توجيه الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية في الداخل والخارج، ومهمتها قيادة مقاومتهم وكفاحهم الوطني، وحتى يتحقق ذلك سيبقى الجهاد الإسلامي يسير على درب أبي ذر، فإن لم يستطع القيام بدور التغيير المنشود، فلن يتخلّى عن دور الشهادة على الواقع والشهيد على المرحلة، حتى يتغير الواقع وتتبدل المرحلة، ويومئذٍ يفرحَ المؤمنون الثابتون بنصر الله "أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيب".

نوال السعداوي.. وتحرير المرأة

كتــب بتاريـخ:

25 مارس 2021م

الإنسان العادي يموت ويدفن دون أن يختلف فيه الناس حياً أو ميتاً، فإذا اختلف الناس حول إنسان ما في حياته وبعد مماته اختلافاً شديداً، فرفعه بعضهم إلى درجة الملاك الرحيم، ودعوا له بالرحمة، وهوى به بعضهم إلى دركة الشيطان الرجيم، وصبوا عليه اللعنة، فاعلم أنه إنسان غير عادي، ونوال السعداوي من هذا النوع من الناس، ماتت فنالت من الثناء والمدح بقدر ما نالت من الهجاء والقدح، وأخذت نصيبها من الاحترام والتعظيم، كما أخذت نصيبها من الاحتقار والتصغير، وانقسم الناس فيها بين محبٍ غالٍ، ومبغضٍ قالٍ، وانهال المحبون تقريظاً وتكريماً، وعلا صوت المبغضين تقريعاً وتوبيخاً، وما بين النقيضين يوجد فسحة من الرأي يسمح بالذهاب إلى ما كتبته نوال السعداوي مباشرة، وما كتبته محوره قضية (تحرير المرأة)، على تنوع أشكاله ما بين الدراسة والمقال والقصة والمسرحية، في عشرات الكتب على مدار سبعة عقود من الزمن عاشتها الكاتبة، كانت فيها قضية تحرير المرأة تتأرجح بين قطبين: يريد أحدهما تقييد المرأة بالإسلام، ويريد الآخر تحرير المرأة من الإسلام، وأوسطهما يريد تحرير المرأة بالإسلام، ولمعرفة موقع نوال السعداوي من ذلك، لا مناص من دراسة مختصرة لفكرها من خلال كتبها.

ترى نوال السعداوي في كتابها (الأنثى هي الأصل) أن الأنثى بالطبيعة أصل الحياة بسبب قدرتها على ولادة الحياة الجديدة، وبالتالي أعلى قيمة، ولكن الرجل فرض سيطرته، فساد النظام الذكوري الأبوي المجتمعات البشرية. وانتقدت في كتابها (الأغنية الدائرية) النظام الذكوري، الذي سيطر على كل شيء، ولم يترك للمرأة سوى مكانة ثانوية على هامش نظامه. وذكرت في (مسرحية إيزيس) كيف انتشرت الصورة النمطية للمرأة، فأصبحت رمزاً للخطيئة وحليفاً للشيطان. وهذه المكانة الدونية للمرأة رسخت من خلال ممارسة التربية الذكورية وسيادة الأسرة الأبوية، كما ذكرت في كتاب (الرجل والجنس)، وعمقت من خلال دور الثقافة المجتمعية التي ترسخ أفضلية الذكور على الإناث، كما جاء في كتابها (المرأة والجنس) فكان ذلك من أسباب معاناة المرأة، التي تعيش في ظلها صراعاً نفسياً عميقاً، صورته في رواية (امرأتان في امرأة)، من خلال شخصية بهية شاهين بطلة روايتها الثائرة

المتمردة على مجتمعها الذكوري الأبوي، تعيش فيه صراعاً بين شخصية تريدها متحررة من قيود المجتمع، وأخرى تريدها منصاعة لقيوده وراضخه لسطوته. والصراع النفسي للمرأة ركزت عليه في دراسة خاصة بعنوان (المرأة والصراع النفسي) تناولت فيه مرض العصاب الناتج عن الإحباط المستمر للنساء لعدم تحقيق طموحهن الجسدي والعقلي بسبب مفاهيم اجتماعية ترى في المرأة أقل من الرجل جسداً وعقلاً، وأنها خَلقت لخدمة الرجل وإنجاب وتربية الأطفال فقط.

ركزت نوال السعداوي على معاناة المرأة العربية والمصرية، فذكرت من خلال مجموعتها القصصية (أدب وقلة أدب) مجموعة من المشاكل المعاصرة للمرأة من خلال شخصيات رواياتها مثل: النظرة المزدوجة لكل من سلوك الرجل والمرأة، والزواج القصري من الأثرياء العرب، والاستغلال الجنسي للنساء، والقتل الفكري والنفسي للبنات، وزواج الصغيرات القاصرات، وختان الإناث، والعنف الذكوري ضد المرأة، وتمييز القانون المصري ضد النساء. وفي كتاب (المرأة والغربة) توضح قهر المرأة الجسدي والنفسي المتستر وراء الفضيلة، وتصف كيف تفقد المرأة ذاتها داخل الزواج، فتصبح زوجة فلان أو أم فلان، فتفقد اسمها عندما يقرر الرجل الزواج بأخرى أجمل أو أصغر أو أغنى. وتنتقد في كتابها (الأغنية الدائرية) التمييز المجتمعي في عقوبة الزنا بين الرجل والمرأة حتى لو كانت المرأة هي الضحية بالرضا أو بالإكراه. وربطت بين السلطة والدين والجهل كثالوث يعمق معاناة المرأة المصرية من خلال روايتها (موت الرجل الوحيد على الأرض)، فنسجت بواسطة واقع بعض النساء الريفيات كيف تتحالف السلطة ممثلة في عمدة القرية، والدين ممثلاً في إمام الجامع، والجهل متمثلاً في حلاق القرية، على إيجاد مجتمع تكون فيه المرأة وسيلة للإمتاع فقط.
واستفادت نوال السعداوي من سجنها في كتابة مسرحية (اثنتا عشرة امرأة في زنزانة) فساوت فيها بين قهر المرأة في البيت أو في السجن، واتخذت من قضايا السجينات قصصاً متعددة ترى في جميعها أسراراً تَخفي قهر النساء في المجتمع الذكوري، سواء كَن مسجونات بسبب حرية الرأي، أو التسول أو الدعارة، أو القتل، فالجريمة مرتبطة بالذكورة، فلا يمكن لأي امرأة أن تكون مجرمة من وجهة نظرها، فالإجرام يحتاج إلى ذكورة، كما ذكرت على لسان إحدى بطلاتها في قصتها (امرأة عند نقطة الصفر)، التي تروي فيها قصة سجينة تنتظر الإعدام بسبب جريمة ساقها الرجال إلى مصيرها المحتوم كامرأة مومس في مجتمع ذكوري مريض، الرجل فيه كل شيء، والمرأة لا شيء تقريباً. ومن السجن تنتقل إلى مجال الآدب لتنتقد فيه الآدب الذكوري المتحيز ضد النساء، فتذكر مثالاً على ذلك

عبد القادر المازني في كتابها (الوجه العاري للمرأة العربية)، فأقصى ما تتمناه البطلات في أدب المازني هو أن تحقق وجودها بالزواج، فعالم المرأة عنده هو الرجال، وأحلام العثور على الزواج، وفنون الاحتفاظ بالزوج. وفي (مسرحية إيزيس) لتوفيق الحكيم تنتقد مسرحيته إيزيس التي لا يرى المرأة من خلال شخصية إيزيس إلاّ ظل لزوجها، ولا يرى قيمة ذاتية عندها إلاّ الوفاء لزوجها، بينما رأت هي فيها قيم العدل والحكمة والمعرفة.

لم تقتصر كتابات نوال السعداوي على وصف معاناة المرأة عموماً، والمرأة العربية والمصرية خصوصاً، ولم تكتف بتحليل أسباب معاناتها- وفق رؤيتها - بل تعدى ذلك إلى تكوين مفهوم خاص لقضية (تحرير المرأَة)، فوضعتها في إطار تحرير المجتمع كله، وجعلتها جزءاً من التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني، فكتبت في كتابها (المرأة والجنس) أن تحرير المرأة جزء من تحرير المجتمع كله من النظام الرأسمالي وقيمه التجارية والأخلاقية، وأن كفاحها من أجل التخلّص من قيم الرأسمالية وتقاليدها هو الكفاح المجدي، وأن نجاح حركة تحرير المرأة يرتكز على مقدار نجاح المرأة في المساهمة في تغيير المجتمع نحو المساواة والعدالة للجميع. وفي نفس السياق رأت في كتابها (قضية المرأة المصرية السياسية والاقتصادية) أن لتحرير المرأة مما أسمته عبودية الرجل يجب أن يكون لها كيانها الاقتصادي والاجتماعي والنفسي المستقل، فالثمن الذي ستدفعه المرأة في العبودية أكبر من ذلك الذي ستدفعه من أجل تحررها. وإضافة للقوة الاقتصادية فإن امتلاك القوة السياسية للمرأة سيؤدي إلى انتزاع حقوقها كما جاء في كتاب (الوجه العاري للمرأة العربية) فالحرية تؤخذ ولا تمنح. وربطت بين كرامة المرأة وحريتها واستقلالها الاقتصادي في كتاب (المرأة والغربة)، فترى في قضية تحرير المرأة قضية سياسية واقتصادية ضد جميع أنواع الاستغلال الذكوري بمختلف أشكاله.

وإذا كان فقدان استقلال المرأة الاقتصادي من أبواب فقدانها لحريتها وكرامتها واستقلالها، فإن فقدان استقلال مصر الاقتصادي يؤدي إلى نفس النتيجة، ولذلك كتبت في كتاب (أوراق حياتي) كتبت تنتقد المعونة الأمريكية لمصر في عهد السادات عقب اتفاقية كامب ديفيد، "من أجل استمرار المعونة تحدث التنازلات... الدولة التي تعيش عالة على غيرها كالمرأة أو الطفل الذي يعيش عالة على غيره". وتساءلت كيف سيكون الفرد مستقلاً في وطنٍ غير مستقل؟ وربطت بين كرامة المرأة والوطن في

كتاب (توأم السلطة والجنس)، فقالت: " المرأة العاجزة عن الدفاع عن كرامتها وحريتها لا تستطيع أن تدافع عن كرامة الوطن وحريته". ووسعت فكرة (الخصاء) في مسرحيتها (الحاكم بأمر الله) ليمتد إلى الذكر والأنثى، متجاوزاً مفهوم الخصاء بمفهوم العجز الجنسي والعقم العضوي، إلى مفهوم العجز الفكري والعقم النفسي. وربطت بين ثالوث الفقر والجهل والمرض المؤدي إلى تخلف المرأة والمجتمع في كتاب (الأطفال يغنون للحب). وأخطأت حين وضعت الحجاب والتعري في درجة واحدة من إعاقة تحرير المرأة في كتاب (مذكرات طبيبة)، فاعتبرت التعرية والتغطية وجهان لعملة واحدة، فالملابس من وجهة نظرها ليس لها وظيفة أخلاقية. وتجاوزت ذلك إلى اعتبار الحجاب رمزاً لعبودية المرأة. وذهبت أبعد من ذلك بنقدها أحكاماً شرعية وردت في نصوص قطعية الثبوت والدلالة جاءت في القرآن والسنة، بل تعدت الخطوط الحمراء بتطاولها على الذات الإلهية في أحد كَتبها.

بالرغم من أن نوال السعداوي طالبت بتحرير المرأة من أغلالها الاجتماعية الموروثة من عصور التخلّف والجمود، التي أوقفت عجلة التقدم والتطور. ودعت إلى تحرير المرأة من قيودها القانونية الموروثة من عصور أغلقت فيها أبواب الاجتهاد، التي أوقفت عجلة التجديد والابداع. ونادت بتحرير المرأة من سجون التيار الصحراوي الذي قيد المرأة بفتاوى نَسبت إلى الإسلام وكبلها بآراء فقهية نَسبت إلى الشرع، واستدعى نموذج المرأة العورة التابعة من عصور الانحطاط... لكنها لم تتوقف عند النموذج الإسلامي الوسطي الحضاري فتأخذ منه، الذي يعمل على تحرير المرأة بالإسلام وليس من الإسلام، وعتق المرأة من الظلم وليس من الفطرة... فذهبت نوال السعداوي نحو نموذج التيار الغربي للمرأة، المستورد من أوروبا وأمريكا، والذي يعمل على تحرير المرأة من الإسلام وليس بالإسلام، وعتق المرأة من الفطرة وليس من الظلم، في محاولة لجعل المرأة تفقد هويتها كعربية ومسلمة، ويتميع دينها كفرد ومجتمع، وتنتكس فطرتها كإنسان وأنثى... وما إلى ذلك من أثر على الأمة بفقدان هويتها، وتمييع دينها، وانتكاس فطرتها.

الشتم.. تفريغ انفعالي وإفلاس أخلاقي

كتــب بتاريــخ:

28 مارس 2021م

يروى أن أعرابياً كان يرعى الإبلَ لقومه، فهاجمتْهُ عصابة من قطّاعِ الطرقِ، واستولتْ على الإبلِ دونَ أنْ يفعل شيئاً، سوى صعود تلة لينهال عليهم شتماً، حتى ساروا بعيداً بالإبل، ولمّا عاد إلى قومه سألوه عن الإبلِ فروى لهم ما حدث، وعندما استفسروا عما فعله لمنعهم من الاستيلاء على الإبلَ، أجابهم: "أوسعتهم شتماً وساروا بالإبل"، فذهبت مقولته مثلاً يقال لكل من تقصر يده بالفعل ويطول لسانه بالقول، فينطلق بالشتم والسب والطعن والقدح واللعن... ولكل من يظن أنّه فعل بلسانه مالم يستطع فعله بيده، ولكل من يوهم نفسه أنّه فعل الشيء لمجرد أنّه قاله، ولكلٍ من اكتفى بما يقوله ليكون بديلاً عما يفترض أن يفعله، ولكل من لا يملك غير شتم الناس أحياء وأمواتاً، ذُكراناً وإناثاً، بحق أو بغير حق فالأمر سيان، وفيه قولان.

ظاهرة الشتم تحدث عنها المفكر السعودي عبد الله القصيمي في كتابه (العرب ظاهرة صوتية) تحت عنوان (اللغة بلا موهبة.. أقبح أنواع الاستفراغ)، فقال: "أردأ صيغة لأردأ كائن هو الجهاز الذي لا يوجد جهاز آخر يساويه أو يشبهه في استفراغه لكل أنواع الفَحش والقدح والسباب والغباء والنذالات والأكاذيب والفضائح بكل أحجامها وألوانها وأصواتها... وهل يمكن أن تكون هذه الصيغة إلاّ في ذات اللسان العربي... إنّ مثل هذا اللسان لن يكون حينئذ إلاّ تفجّراً مستمراً بكل القبح والفضح والبلادة والنذالة والفحش، وبكل أنواع وأساليب السوء بلا أيٍ قيد أو ضبط". وقال عن صفة الصراخ الصوتي للعرب في مرحلة الهزيمة: "إن العربي ليرفض الصعود إلى الشمس ممتلكاً لها إن كان ذلك بصمت؛ ليختار التحدث بصراخ ومباهاة عن صعوده إلى القمر وامتلاكه له بلا صعود ولا امتلاك".

هذه القسوة في التعبير عن الفواحش الكلامية عند العرب كما وصفها القصيمي في النصف الثاني من القرن العشرين، وجدت مصداقاً لها في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين، على صفحات التواصل الاجتماعي الإلكتروني المختلفة المليئة بالسوء من القول، بعد أن أصبحت تلك الفواحش اللغوية أكثر سهولة، وأسرع سيولة، وأعمق سفاهة، وأشد رعونة، وبعد أن اخترع (الكفار) الشبكة

العنكبوتية العالمية؛ ليستخدمها (المؤمنون) في شتم ولعن وتكفير بعضهم بعضاً... فكان العرب – حسب الدراسات والإحصائيات- أكثر الشعوبِ ثرثرةً على منصات التواصل الاجتماعي الإلكتروني والهواتف الذكية؛ لأنهم أقل الشعوب عملاً وإنتاجاً وإنجازاً، وثرثرتهم معظمها تدور: بين إشاعات كاذبة ومسبات لاذعة، أو تعليقات مسيئة وشتائم بذيئة، أو قبح فاضح وسوء طافح، أو هجو مهين وهمز لئيم. بينما كانت الشعوب الصناعية، وفي مقدمتها الشعبين الألماني والياباني أقل الشعوبِ ثرثرةَ على تلك المنصات والهواتف؛ لأنهم أكثر الشعوب عملاً وإنتاجاً وإنجازاً، وبالتالي أقلها جهراً بالسوء من القول.

حالة الثرثرة اللسانية والضجيج الصوتي، لا سيما الفارغ والقبيح منه، شتماً ولعناً، تَصيب الأمم والشعوب في مراحل هزيمتها وانكسارها، وأزمنة تراجعها وانحدارها، عندما يضربها العجز والكسل، ويقعدها الوهن والفشل، وعندما تستبدل العمل بالقول، والتجديد بالتقليد، والإبداع بالاتباع، والرحمة بالقسوة... فتلجأ إلى التعويض النفسي عبر عالم الكلام تعويضاً لا شعورياً لما عجزت عنه في عالم الأفعال، بطريقة الهروب إلى الأمام، والعيش انتظاراً لمستقبلٍ غير أكيد، أو الهروب إلى الخلف، والعيش عالةً على أمجاد ماضٍ تليد. أو الهروب داخل أعماق النفس لاستخراج منها ما دفن في زمن الهزيمة والعجز، وما تراكم من عصور الاستبداد والفساد، من غضبٍ وكبت وضغط وإحباط، فتساعدها اللغة المنطوقة والمكتوبة على التفريغ الانفعالي لإخراج أبشع ما بجوفها من طاقة الغضبً الوحشية، ومخزون العقد المكبوتة، وثقل الضغط المتراكم، وشدة الإحباط المتكدس... فيعطيها التفريغ الانفعالي شعوراً وهمياً بالراحة، وإحساساً مفتعلاً بالطمأنينة؛ فتخلد إلى الدعة والسكينة؛ حتى يستبدلها الله بغيرها ممن ليسوا بأمثالها.

آن الأوان لإعادة النظر في أساليب اللعن والطعن والشتم والسب وكل الفواحش اللغوية التي يتبعها البعض على مواقع التواصل الاجتماعي الإلكتروني، ضد مخالفيهم وخصومهم وحتى أعدائهم، وضد الشخصيات التي لا تعجبهم، أو المثيرة للجدل بحق أو بغير حق، لا سيما ممن توفاهم الله ومضوا إليه بأخيارهم وأشرارهم؛ فالكلام المَسيء الفاحش لا يثبت صواباً أو ينفي خطأً، ولا يظهر حقاً أو يزهق باطلاً، ولا يقنع صديقاً أو يفحم خصماً. والعكس هو الصحيح فقد يزيد الخلاف والخصومة والعداوة، ويبعد الناس عن الحق والصواب، ويقربهم من الباطل والخطأ، فضلاً عن أنه سلوك منهي

عنه في القرآن الكريم، بقوله تعالى: "وَلَا تَسبوا الّذين يَدْعَونَ من دَونِ اللّه فَيسبوا اللّهَ عَدْوا بِغَيرِ علْمٍ"، ومنهي عنه في السنة النبوية، لقوله صلى اللهَ عليه وسلمَ " ليس المؤمن بالطّعانِ ولا اللّعّانِ ولا الفاحشِ ولا البذيِء". والمنهج الإسلامي الحضاري في مواجهة الآخرين داخل الدائرة الإسلامية أو خارجها يعتمد على المواجهة بالأدلة والبراهين لقوله تعالى: "قُلْ هَاتُوا بُرهَانَكُمْ إن كُنتُمْ صادقين" وعدم اتباع منهج مشركي قريش في اللغط الباطل من القول، الذين قالوا لبعضهم البعض " لَا تَسمَعوا لِهَذَا القرآنِ وَالغَوْا فيه لَعَلّكمْ تَغْلبونَ".

هذا المنهج الإسلامي في البعد عن الكلام الفاحش البذيء، وترك السب والشتم، لا يعني تمييع المبادئ والمواقف، أو إلباس الحق بالباطل، أو مزج الصواب والخطأ، كما لا يعني الضبابية في الحكم على الأفكار المخالفة للإسلام، أو المجاملة في تقييم الشخصيات المعادية للإسلام، وهو بالتأكيد يعني تسمية الأشياء بمسمياتها إيجاباً أو سلباً، والتصدي لأصحاب الأفكار الضالة والمذاهب المنحرفة؛ فالدفاع عن الإسلام واجب على كل المسلمين على قدر استطاعتهم وقدراتهم، دون أن نخلط بين فهمنا للإسلام والإسلام نفسه، كي لا نجعل اجتهادنا في فهم الإٍسلام هو الإسلام نفسه، فنخرج غيرنا من الإٍسلام بغير حق، وبهذا المنهج الإسلامي الحضاري البعيد عن الشتم المعبر عن التفريغ الانفعالي والإفلاس الحضاري والأخلاقي نستطيع أن نمسك عصا موسى - عليه السلام - التي تلتهم حيات الزيف والضلال والكفر.

ماذا خسر المسلمون بعزل (المعتزلة)؟

كتــب بتاريــخ:

31مارس2021م

يقف المسلمون اليوم أمام أزمتهم الحضارية أمام تحديين: تحدي التغريب والاستلاب الحضاري، القائم على العقل المفصول عن النص الديني، وتحدي التسلّف والاستلاب الماضوي، القائم على النقل المفصول عن المنطق العقلي. وكلّ من التيارين - التغريب والتسلّف- يحاول أن يشد الأمة إليه، والخروج من الأزمة الحضارية يقتضي التوفيق بين العقل والنقل، والتراث العربي الإسلامي لم يغفل عن هذه الحقيقة، فقد قدمت المذاهب الاعتقادية والمدارس الفكرية إسهامات مهمة في هذا الجانب، وفي مقدمتها مدرسة (المعتزلة)، تلك المدرسة التي عزلت عن الحياة الثقافية العربية والإسلامية على يد خصومها الفكريين، فأزهقت روحها، وشَوّهت سمعتها، وأحرقت كتبها، ففقدت الأمة بذلك أهم دعاة التحرر الفكري، والتفكير العقلاني، فماذا خسر المسلمون بعزل (المعتزلة) ؟

ظهر المعتزلة في آخر العصر الأموي على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في البصرة، اللذين انفصلا عن أستاذهما الحسن البصري، بعد أن خالفاه في مسألة مرتكب الكبيرة، ونشؤوا كرد فعل على تطرف مدرستين في الدين والسياسة، هما: الخوارج والمرجئة، لا سيما في مسألة مرتكب الكبيرة من المسلمين، فهو كافر عند الخوارج ومؤمن عند المرجئة، فجاء المعتزلة بنظرية المنزلة بين المنزلتين، فاعتبروه فاسقاً بين الإيمان والكفر، واستمر وجودهم في العصر العباسي الأول كحاجة إسلامية داخلية للتخفيف من تطرف التيار السلفي النصوصي الحرفي، وكذلك كحاجة إسلامية خارجية للرد على أعداء الإسلام بنفس منهجهم العقلي المنطقي الفلسفي. وهذا ما أكده ابن خلدون قديماً في مقدمته عندما عرف (علم الكلام) الذي جاء به المعتزلة، فقال: "علم يتضمن الحجاج عن القواعد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة". وهو ما أكده محمد أبو زهرة حديثاً في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية) عند الحديث عن المعتزلة، بقوله: "إنّهم قاموا بحق الإسلام من الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورد كيد الزنادقة والملاحدة والكفار في نحورهم، وكان لا بد من وجودهم ليوقفوا تيار الزنادقة الذي طم في أول ظهور الدولة العباسية، ولذا كان الخلفاء الأوائل في هذه الدولة يشجعونهم".

هذا التشجيع تحول إلى تبني الخلافة العباسية لمذهبهم الاعتقادي في عهد المأمون فالمعتصم ثم الواثق، وارتبط اسم المعتزلة بالقمع الفكري العباسي ضد العلماء المخالفين لمذهبهم، وظهر ذلك في قضية (خلق القرآ ن)، ومن أبرزهم الإمام أحمد بن حنبل، الذي أوذي فيما عَرف تاريخياً بمحنة خلق القرآن، التي انتهت بتولي المتوكل الخلافة، لتبدأ محنة المعتزلة من الدولة العباسية وخصومهم الفكريين خاصة من التيار السلفي، وتزامن ذلك مع نشأة المذهب الأشعري على يد إمام المعتزلة في عصره أبي الحسن الأشعري، الذي انشقَ عنهم وأنشأ مذهباً اعتقادياً وسطاً بين المعتزلة والسلفية، جامعاً بين النقل والعقل، وناصراً للنقل - القرآن والسنة- بدلالات العقل، وموظفاً العقل في بيان نصوص الوحي قرآناً وسنة. فاجتمع على المعتزلة: قمع السلطة العباسية لهم، وتطرف التيار السلفي ضدهم، وانتشار المذهب الأشعري بديلاً عنهم، ومزاج العامة المَعادي لهم، فأخرجوا باتفاق السلفية والأشعرية من دائرة (أهل السنة والجماعة)، لتبدأ الغيبوبة الحضارية للأمة في آخر العصر العباسي لتحقن بجرعة جديدة من التطرف ضدهم، بعد إعادة إنتاج السلفية بالعباءة الوهابية المغمسة بزيت البترول.

بإخراج المعتزلة من دائرة أهل السنة والجماعة وعزلهم عن الحياة الفكرية والثقافية العربية والإسلامية خسر المسلمون أهم التيارات الفكرية التي كان من الممكن أن تحافظ على توازنهم وحيويتهم أمام تيارات الجمود والرجعية من جهة، وتيارات الميوعة والتغريب من جهة أخرى، ومن أمثلة الاتجاهات التي كان من الممكن أن تكون في وضع أفضل بحضور المعتزلة الاتجاه العقلي الذي ميزهم، فقد اعتبروا النظر العقلي هو أول الواجبات التي تؤدي إلى الاستدلال على الحقائق، وفي طليعتها حقيقة وجود الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته" فالعلم بالله تعالى نظر إنساني حر يتم بواسطة العقل والتفكير، ومن ثم يؤدي إلى معرفة الخير والشر، والتمييز بين الحسن والقَبح، ويقود إلى فهم القرآن والسنة بإعمال العقل في نصوصهما، فهو وسيلة لفهم مراد الوحي قرآناً وسنة، وكان للمعتزلة دور في توسط الأشعري بين المعتزلة والسلفية في التوفيق بين العقل والنقل، نظراً لخلفيته الفكرية الاعتزالية عندما كان إماماً لهم أربعين عاماً قبل خروجه عليهم.

والاتجاه النقدي كان من الممكن أن يكتسب قيمة أكبر بحضورهم، فالانتقاد في نظرهم وظيفة منهجية يضطلع بها الفكر الحر حين يجيد المعرفة والفهم، ويميز بين الحق والباطل، والصواب

والخطأ، فقد رفض المعتزلة أن يكون الدين مجرد نصوص يتم تلقينها للمؤمنين ليحفظوها ويرددوها، ورفضوا أن يكون العقل البشري عاجزاً عن إدراك المقاصد الإلهية العظيمة من خلال نصوص الوحي، ولقد نظر المعتزلة نظرة انتقادية إلى أحداث التاريخ، وذهبوا إلى فهمها وتفسيرها، والحكم عليها بدون حواجز العصمة والقَدسية التي يضربها البعض على شخصيات التاريخ في العصور الإسلامية جميعاً، كما نظروا نظرة انتقادية إلى العلوم الإسلامية، فرفضوا انحراف بعض العلماء في مجالات التفسير والحديث عن الحد المنطقي المعقول، وكانت الروح العلمية الانتقادية لديهم هي التي تؤدي إلى شعور الإنسان بكرامته الإنسانية، من خلال الإيمان بعد قناعة ويقين والمعرفة بعد دليل وبرهان.

والاتجاه التحرري كان من المرجح أنه سيكتسب مدلولاً أعمق بحضور المعتزلة، فالاعتزال يحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر قدر المستطاع، ويعمل على ترسيخ حق الإنسان الذاتي في ابتكار آرائه وتحمل المسؤولية الواعية عن أفعاله وأعماله التي يخلقها لنفسه، وكان موقفهم التحرري من احترام إرادة الإنسان، جوهر نظريتهم في (العدل الإلهي)، فالله تعالى هو الذي خلق في الإنسان حرية الإرادة والفعل، متحملاً لمسؤولية أفعاله، وبالتالي مستحقاً الجزاء على ما يفعله ثواباً أو عقاباً في الآخرة، وهذا الاتجاه التحرري هو معيار إنسانية الإنسان وكرامته، ودليل على العدل الإلهي، إذ كيف يجبر لله - سبحانه وتعالى - عباده على فعل قدره هو عليهم، ثم يحاسبهم لأنهم فعلوه؟!.

والاتجاه الثوري كان سيأخذ عمقاً أكبر بحضورهم، وهذا الاتجاه واضح في نظرية الإمامة عندهم، وفي الأصل الخامس فن مبادئهم وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فكانت نظريتهم في حرية الإنسان ذات بعد سياسي معارض للسياسة الأموية الاستبدادية وضد قولهم بالجبرية لتبرير أخطائهم، وتنصيب الخليفة عندهم له طريق واحد هو الاختيار والبيعة، مقابل (تولية العهد) الأموية، فرفضوا بذلك طريقة (النص والوصية) عند الشيعة، كما رفضوا شرعية (إمارة المتغلّب) عند أهل السنة والجماعة، وميزوا بين ما هو حق واختصاص لسلطة الخليفة، وما هو حق واختصاص للأمة، وجعلوا من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً للدعوة الإسلامية، ومدخلاً لمشروعية الثورة ووجوبها على الحاكم الفاسق إذا أخل بشروط البيعة مع الأمة، بعد مراقبته ومحاسبته ونصحه، فانتقلوا بتلك القاعدة من المسؤولية الفردية إلى المسؤولية الجماعية للأمة، كممارسة ثورية لانتزاع الحرية، ومشاركة إيجابية لكل أفراد الأمة.

بهذه الاتجاهات العقلية والنقدية والتحررية والثورية، بمضامينها العلمية والإنسانية والإيجابية والتجد يدية، كان من المرجح أن حال العرب والمسلمين سيكون أفضل من واقعهم الحالي المتردي، وكان من المؤكد أنهم سيتجاوزون أزمتهم الحضارية التي تسبب فيها كلّ من: الاستلاب الحضاري الغربي، والاستلاب التاريخي الماضوي. وهذا ما توصل إليه المفكر والأديب المصري أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام)، بقوله: "كان مسلك المعتزلة مسلكاً لا بد منه... لقد قرروا سلطان العقل وبالغوا فيه أمام من لا يقر للعقل بسلطان، بل يقول نقف عند النص... وقال المعتزلة بحرية الارادة وغلوا فيها أمام قوم سلبوا الإنسان إرادته، حتى جعلوه كالريشة في مهب الرياح، أو كالخشبة في اليم. وعندي أن الخطأ في القول بسلطان العقل وحرية الإرادة والغلو فيهما خير من الغلو في أضدادها. وفي رأيي أنّه لو سادت تعاليم المعتزلة في هذين الأمرين- أعني سلطة العقل وحرية الإرادة – بين المسلمين من عهد المعتزلة إلى اليوم، لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي، وقد أعجزهم التسليم وشلهم الجبر وقعد بهم التواكل". فهل سيستدعي المسلمون فكر المعتزلة للمساهمة في تجاوز أزمتهم الحضارية؟

(الإسلام السياسي).. أزمة مصطلح ونَخبة

كتب بتاريـخ:

4 أبريل 2021م

في بداية مبكَرة وغير موفقة بدأ سياسي فلسطيني حملته الانتخابية بفرقعة قنبلة صوتية، أصابت إحدى شظاياها حركات المقاومة الفلسطينية ذات المرجعية الإسلامية، عندما قال: "كل الأطراف الموجودة لديها مشكلة مع الإسلام السياسي أو الإسلاموية السياسية". وبعيداً عن المشكلة التي تحدث عنها طبيب الأسنان الحيران، فإن مصطلح (الإسلام السياسي) فيه أزمة مزدوجة: إحداها أزمة مصطلح في المفهوم نفسه، والثانية أزمة نَخبة في الفئة المستخدِمة للمفهوم.

جذور مفهوم (الإسلام السياسي) ممتدة لمرحلة ما بعد إلغاء الخلافة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين، عندما سقط آخر نظام سياسي إسلامي على يد القوميين العلمانيين الأتراك، فانقطع حبل الخلافة الإسلامية الممتد منذ دولة الخلافة الراشدة، فنشأت تيارات فكرية، وتكونت جماعات إسلامية، وأسست أحزاب إسلامية... لاستعادة النظام السياسي الإسلامي (الخلافة) إلى الوجود والحكم، برز منها: تيار الجامعة الإسلامية، وجماعة الإخوان المسلمين، وحزب التحرير الإسلامي... وهذه التيارات والجماعات والأحزاب اصطلح على تسميتها بـ (الحركة الإسلامية) في إشارة إلى كل من يسعى إلى استعادة دور الإسلام الأساسي في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب والأمة، انطلاقاً من الفهم الشمولي للإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهاج حياة ونظام حكم. غير أن خصومها من المتغربين العلمانيين العرب اصطلحوا على تسمية الحركة الإسلامية بمصطلح بديل هو (الإسلام السياسي) في عملية نسخ لصق عن أساتذتهم من المستشرقين الآجانب.

(الإسلام السياسي) كمصطلح يستند إلى فكرة أساسية مضمونها: فصل الدين عن الحياة والسياسة، المستوردة من الغرب الأوروبي الذي عاش ظروفاً تاريخية اصطدم فيها الدين المسيحي الكنسي مع كل مكونات الحياة كالعلم والسياسة، فإضافة (السياسي) إلى (الإسلام) توحي بأنها ليست جزءاً منه، وكأن الإسلام كدين ليس له علاقة بشؤون الحياة السياسية، وكأن الحركة الإسلامية أقحمت نفسها في معترك السياسة بدون وجه حق لتحقيق أهداف سياسية ليست من أهداف الدين، أو كأنها

استغلت الدين للوصول إلى أهداف غير دينية، أو وظفت الدين للسيطرة على الحكم. وإضافة إلى ذلك، فالمصطلح فيه اختزال للإسلام في أحد جوانبه (السياسة)، ويدل على وجود أنواع مختلفة للإسلام، فهذا إسلام سياسي، وذاك إسلام اقتصادي، وإسلام عروبي، وإسلام آمريكاني... وفي رفض استخدام المصطلح من هذا المدخل كتب المفكر الشهيد فتحي الشقاقي: "مسألة الفصل بين الدين والسياسة جاءت في قراءة التاريخ الأوروبي الغربي الحديث... الإسلام تجربة مختلفة تماماً... فهو في جوهره ومنذ لحظة تنزيله نظام للحياة ليسوسها على أسس من العدل والحق والخير والكرامة والسلام، دخول الإسلام على خط الحياة كاقتصاد وحرب وإدارة ونظم واجتماع لم يكن منفصلاً أو لاحقاً، بل جاء من أجل ذلك، ومن هنا مسألة الفصل ليست خاطئة فقط أو مضللة فقط؛ ولكنها مستحيلة أيضاً... السياسة من منظور إسلامي هي عملية تجسيد الشريعة في دولة".

إضافة لدلالة مصطلح (الإسلام السياسي) السلبية في علاقة الإسلام بالحياة، وعلاقة الحركة الإسلامية بالسياسة، فقد ارتبط المصطلح بمفاهيم أخرى تحمل دلالات أكثر سلبية، وهذه المفاهيم بضاعة غربية باعها المستشرقون الأوروبيون لتلاميذهم المتغربين العرب، منها ما استخدمه السياسي الفلسطيني في مقابلته الصحفية كمرادف لمصطلح (الإسلام السياسي)، وهو مصطلح (الإسلاموية السياسية)، وهو مصطلح يحمل مضامين توحي بالتطرف والتشدد والتعصب، ومفهوم منحاز ضد الحركة الإسلامية يربطها بالعنف والإرهاب و (الإسلاموفوبيا). ومنها ما استخدمه الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل في كتابه (خريف الغضب) عندما جعل الجزء الثالث من الكتاب تحت عنوان (الإسلام السياسي)، واستخدم مصطلح (الأصولية الإسلامية) كمرادف للإسلام السياسي، بمعنى العودة إلى الأصول الإسلامية الأولى، في سياق استعراضه لجذور الجماعات الإسلامية التي استخدمت العنف ضد المجتمع والدولة في عهد السادات. واستمر الكَتاب والإعلاميون والسياسيون من النخبة العلمانية المتغربة المرتبطة بالأنظمة الحاكمة المتصارعة مع الحركة الإسلامية في استخدام تلك المصطلحات والمفاهيم السلبية وغيرها؛ في إطار شيطنة الحركة الإسلامية، وعمدوا إلى ترسيخ خطاب الكراهية والإقصاء ضدها.

ترسيخ خطاب الكراهية والإقصاء ضد (الحركة الإسلامية) أو ما سمي بـ (الإسلام السياسي) من النخبة المتغربة، وجد من يزوده بالوقود من خطاب التيار المتطرف التكفيري المنتسب للحركة الإسلامية،

الذي جاء كرد فعل للقمع الدموي للأنظمة الحاكمة المستبدة والفاسدة لشعبها وللحركة الإسلامية، واستجابة للفهم الحرفي الجامد للنص، وقد استغلوا تطرف هذا التيار بأجنحته المختلفة في قضايا سياسية واجتماعية وثقافية متعددة، كالمواطنة والديمقراطية والحرية والمرأة وغيرها، لاتهام (الإسلام السياسي) بالرجعية والتخلف والجمود والتحجر، كما استندوا على ممارسات بشرية خاطئة في التعامل مع الآخر المسلم وغير المسلم، وفي الوصول إلى السلطة أو ممارستها؛ ليثبتوا ما أسموه فشل الإسلام السياسي فنشروا كتباً ومقالات بعناوين مدلولاتها تعني أن (الإسلام السياسي) قد فشل وانتهى إلى غير رجعة، ومنها كتاب المستشرق الفرنسي (أوليفييه روا) بعنوان: فشل الإسلام السياسي عام **1992**، وتبعه آخرون بعناوين مشابهة منها: مأزق الإسلام السياسي، وأزمة الإسلام السياسي، وانحسار الإسلام السياسي، وتهشم الإسلام السياسي، وما بعد الإسلام السياسي... والإسلام السياسي الذي يتحدث عنه هؤلاء ليس الإسلام السياسي الذي تحدث عنه الدكتور مصطفى محمود في كتابه (الإسلام السياسي والمعركة القادمة)، ومن ملامحه تجاوز الإصلاح الفردي إلى الإصلاح الاجتماعي والحضاري، الإسلام الذي ينازعهم السلطة في توجيه العالم وبنائه بقيم أخرى، والذي يريد أن يحرك الحياة بمبادئ مختلفة، الإسلام الذي يريد أن ينهض بالثقافة والعلم والاختراع والتكنولوجيا؛ ولكن لغايات أخرى غير التسلّط والغزو والعدوان والسيطرة.

إذا كانت النخبة العربية العلمانية المتغربة قد استغلت تطرف بعض الحركات المنتسبة للإسلام على مستوى الفكر والممارسة، وتخبط مواقفها وتحالفاتها، وتقديم مصالحها على مبادئها؛ فأطلقت عليها مصطلح (الإسلام السياسي)، ثم شوهت مضمونه وعممته على كل الحركة الإسلامية بتياراتها الفكرية المتباينة، فإن النخبة الفلسطينية التي تنتمي إلى نفس المدرسة قد سارت على دربها، دون أن تدرك خصوصية الحركة الإسلامية الفلسطينية كحركة مقاومة وطنية بمرجعية إسلامية، أو حركة إسلامية قضيته المركزية وطنية، فوضعتها في قائمة (الإسلام السياسي) وأسقطوا عليها كل مضامينها ومدلولاتها السلبية، ولذلك رد عليهم المفكر الراحل رمضان شلح رافضاً تسمية الحركة الإسلامية الفلسطينية بالإسلام السياسي، فقال: " نحن لسنا حركة إسلام سياسي، وأتحدث عن الحركة الإسلامية في فلسطين، وخصوصاً حماس والجهاد، ونرفض هذا المصطلح الذي نحته وصاغه الغرب وتردده أبواقه بيننا لتشويه الإسلا م، لأن المراد بهذا المصطلح أن الإسلاميين أدخلوا السياسة في الإسلام فشوهوه وحرفوه. نرفض هذا المصطلح لأنّه مضلل وكاذب، لأن الإسلام في فهمنا لا

يخضع للسياسة؛ بل الإسلام هو الذي يوجه السياسة، ويحميها من التيه والضياع، وصولاً إلى التماهي مع العدو... لذلك نحن لسنا إسلاماً سياسياً، ولكن سياستنا إسلامية".

(الإسلام السياسي) أزمة مصطلح مستورد من الغرب، ينتمي لسياق تاريخي مختلف، استخدم كبديل عن مصطلح (الحركة الإسلامية) الأصيل، وإن كان لا بد من استخدام المصطلح، فالإسلام السياسي الذي يعرفه الآحرار، يختلف عن الإسلام الذي يعرفه العبيد، الإسلام الذي يوظف الدين لخدمة السياسة، فيتعايش مع الاستبداد والفساد والظلم والتبعية والاحتلال، أما الإسلام السياسي الذي يعرفه الأحرار يجعل الدين موجهاً للسياسة، فيدفع الناس إلى التمرد والثورة على الاستبداد والفساد والظلم والتبعية والاحتلال. (الإسلام السياسي) أزمة نخبة متغربة تستورد مفاهيمها وثقافتها من الغرب، وتنتمي لإطار فكري وسياق تاريخي مختلف عن إطار وسياق الآمة، وتحتكر مفهومي الإسلام والوطنية في إطار مدرستها الفكرية السياسية.

رمضان من رقي الأغنية إلى إسفاف الدراما

كتــب بتاريـخ:

11 أبريل 2021م

قطعت الإذاعة المصرية برامجها المعتادة؛ وبدأ المذيع بتلاوة البيان التالي: " أعلنت دار الإفتاء المصرية ثبوت هلال شهر رمضان المبارك ليكون غداً... أول أيام الشهر الكريم...". وما إن انتهى المذيع من تلاوة البيان حتى انطلق صوت الفنان محمد عبد المطلب مغنياً: "رمضان جانا وفرحنا به.. بعد غيابه وبقاله زمان.. غنوا وقولوا شهر بطوله.. أهلاً رمضان رمضان جانا". هذا المقطع كان ولا زال يتكرر سنوياً؛ حتى ترسخت أغنية (رمضان جانا) في أذهان أجيال متعاقبة، لتصبح أيقونة رمضانية ونشيداً وطنياً لشهر رمضان، تتصدر أغاني الترحيب بالشهر الكريم؛ نظراً لبساطتها وانسيابها وعذوبتها، ولاحتوائها على ثلاثية الإبداع الغنائي شعراً ولحناً وأداء، ولما تحمله من مشاعر ومعاني الحنين والشوق لرمضان، والفرحة والبهجة بقدومه، ولما تثيره من شجن وحزن على ذكريات الطفولة وأيام البساطة، فقد تحوّلت الأغنية إلى سيمفونية يعزفها زمن الجمال، وترنيمة تحوى ذاكرة الأيام، أيام اللعب بعد الإفطار بفوانيس الشمع المصنوعة من علب التنك الفارغة، وصوت المسحراتي قبل الفجر على إيقاع الطبلة مبتهلاً ومنادياً للسحور، و(لمة العيلة) حول طبلية الأكل انتظاراً لأذان المغرب.

سبق أغنية (رمضان جانا) أغنية كانت تفوقها شهرة، وهي (وحوي يا وحوي) للفنان أحمد عبد القادر، المليئة بمشاعر الشوق لرمضان والفرحة بظهور هلاله "هلّ هلالك والبدر أهو بان.. شهر مبارك وبقاله زمان.. محلا نهارك بالخير مليان.. محلا صيامك فيه صحة وعال". ولحق أغنية (رمضان جانا) الكثير من الأغاني الجميلة المرحبة بشهر رمضان والمبتهجة بقدومه والمعبرة عن معانيه وقيمه الراقية، مثل: مرحب شهر الصوم، أهو جه يا أولاد، هاتوا الفوانيس يا أولاد... فإذا ما وصلنا إلى العشر الأواخر من رمضان شرعت الإذ اعة المصرية تبث أغاني لتوديع الشهر الكريم معبرةً عن اللوعة والوحشة لفراقه، وسيدة هذه الأغاني (والله لسه بدري يا شهر الصيام) للفنانة شريفة فاضل، فيمتزج فيها شعوري الحزن والفرح لفراق رمضان واستقبال العيد، وأغنية (والله بعودة يا رمضان) للفنان محمد قنديل معبراً فيها عن المعنى الحقيقي للصيام "ونصوم عن أخطائنا.. ونصوم عن أطماعنا.. مش بس عن الزاد"، وإذا ذهب رمضان فلتبق بركته كما تمنى الفنان محمد رشدي في أغنية (يا بركة رمضان خليكي..

خليكي في الدار)، ويواسي الفنان محمد طه الناس على حزن فراق رمضان بفرحة العيد بعده في موال (رمضان مروح وجايب لنا عيده.. وفي آخره يا ناس بنفرح بيوم عيده)، ويودع الشيخ سيد النقشبندي شهر رمضان بابتهال ديني مفعم بالمشاعر الحزينة: " وداعاً أيها الشهر الحبيب.. وموعدنا إذا عشنا قريب.. ستوحشنا إذا ما الصبح نادى.. وتوحشنا إذا نادى المغيب".

الاحتفاء بالشهر الكريم عبر الأغاني الراقية ترحيباً وتوديعاً في النصف الثاني من القرن العشرين تلاشى مع مطلع الألفية الثالثة، وذهب مع الريح العقيم القادمة من عمق صحراء العرب القاحلة، المحمّلة برمال السفاهة العصرية والتفاهة الفنية، بسرعة فاقت سرعة صوت الحكمة والرشاد، لتضرب وجوهنا بدراما الإسفاف ومسلسلات الاستخفاف، المسماة زوراً (الدراما الرمضانية) وبهتاناً (مسلسلات رمضان)، وكان الأولى تسميتها بالدراما الشيطانية أو مسلسلات الشيطان؛ ذلك بأن شياطين الفن من الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف الفن سموماً، فيقذفوا أسوأ ما في جوفهم من سفاهة وتفاهة، فيها كل شيء ما عدا القيم الأخلاقية، والرسائل الحضارية، والأهداف التربوية، والأفكار التنويرية، والحلول للمشاكل المجتمعية... وغايتها إلهاء الناس عن التمتع بالعبادة في رمضان، وإطفاء شعلة القيم والمعاني الرمضانية. ولتأكيد انحطاط الكثير من هذه المسلسلات نقتبس بعض عناوين المقالات التي نُشرت عنها: مسلسلات رمضان تدعو إلى الإسفاف وانحدار الأخلاق، دراما رمضان استخفاف بالعقول والقيم الاجتماعية، حينما يصبح الإسفاف فناً في رمضان، مسلسلات رمضان أوكازيون السخافة، دراما رديئة بمضامين قبيحة، مسلسلات التدمير الأخلاقي، دراما رمضان من تزييف الحاضر إلى تزوير التاريخ، من المسئول عن انحطاط الدراما الرمضانية؟
إضافة لآراء الكَتاب فقد كان للنقّاد رأي في تقييم الدراما الرمضانية، فأكد الكثير منهم إسفافها بما تلعب من دور سلبي في تشويه الأفكار وانحراف السلوك، ففي تقرير بعنوان (قراءة نقدية في مسلسلات رمضان 2020) سجل فيه رأي الناقد الفني المصري عصام زكريا في مسلسلي: أم هارون، ومخرج سبعة، قال: "المقصود من هذا الجدل ليس عرض التاريخ من أجل التاريخ، إنما عرضه مغلوطاً من أجل الترويج للتطبيع مع إسرائيل... والتمهيد للتطبيع مع إسرائيل"، وفي تقرير سابق آخر بعنوان (الدراما الرمضانية ترسخ ظاهرة العنف) نشره موقع الخليج قال الناقد الفني اللبناني جمال فياض: "ما يحصل لا يعتبر علامة صحية في المجتمع، فهو استغباء للمشاهد... فهو لا يشاهد سوى مشاهد العنف الشديد والضرب والقتل... وتتركز مشاهدها على العنف والتضارب بالأيدي ويروج لها بشكل

كبير". ومن الدراسات العلمية التي تناولت ظاهرة الدراما الرمضانية دراسة دكتوراه بعنوان (الممارسات الدرامية في المسلسلات الرمضانية المصرية ودورها في تشكيل سلوك الجمهور) للباحثة سحر مؤنس عيد في جامعة المنصورة، وقد اتخذت مسلسل (الأسطورة) مثالاً لأنه أكثر المسلسلات مشاهدة في موسم رمضان **2016**، وقد خرجت بالعديد من النتائج أهمها أن جرعات العنف الجسدي من ضرب وبلطجة وثأر، والعنف اللفظي من شتائم وإهانات وألفاظ بذيئة، تنتشر بنسبة كبيرة في مشاهد المسلسل وتؤثر على أفكار واتجاهات وسلوكيات الشباب بطريقة سلبية، كما أن المسلسل يقدم نموذجاً مشوهاً للبطولة الشعبية يعتمد على البلطجة والفهلوة.

المسؤولون عن إسفاف معظم المسلسلات الرمضانية يبررون أعمالهم الدرامية الرديئة بنظرية أن الفن مرآة الواقع بعجره وبجره، فيعيدوا إنتاج الواقع درامياً بشيء من المبالغة لزوم الإثارة والتشويق، فترد بضاعة المشاهدين المزجاة إليهم بجرعة من التضخيم والتشويه، فتطبع مشاهدها في عقولهم وقلوبهم، وتنعكس قيمها على أفكارهم وسلوكهم، خيراً أو شراً، كما يحمل بعضهم نظرية أن الفن للفن، وما هو كذلك، إن يريدون إلا هروباً من الواقع بهمومه وأحزانه، إلى راحة الترفيه ومتعة الجمال وسكينة الخيال، لحظات تَسرق من تغول الزمن، يرجع بعدها الناس أكثر هماً وحزناً. وفي الحقيقة ليس من العيب أن يكون الفن مرآة للواقع، ولكن بشرط أن يقدم صورة صادقة للواقع ليرتقي به إنساناً ومجتمعاً وأمة، في فنٍ محوره الإنسان وروحه المجتمع وقضيته الأمة، ولا مشكلة في أن يكون الفن للفن، ولكن بشرط أن يلتزم بقضايا الإنسان والمجتمع والأمة، إنسانية الإنسان وحريته، وهموم المجتمع وطموحاته، وقضايا الأمة ولا سيما قضيتها المركزية فلسطين... وبذلك نحافظ على رقي الأغنية ونتخلّص من إسفاف الدراما، ونسمو بالفن والإنسان بعيداً عن قبضة الطين ومستنقع الرذيلة، وقريباً من نفخة الروح وسماء الفضيلة، وخصوصاً في شهر رمضان المبارك الذي يعد فرصة للعبادة والعلم وتزكية النفس والسمو بالروح.

في اليمن شيء لا يفهمه آل سعود

كتــب بتاريـخ:

17 أبريل 2021م

ورد في "صحيح مسلم" أن رسول الله ﷺ لما نزلت آية: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، قال: "جاءَ أهلَ اليمنِ، هم أرقَ أفئدةً. الإيمان يمانٍ، والفقه يمانٍ، والحكمة يمانية". وفَي مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ رفع رأسه إلى السماء، وقال: "أتاكم أهل اليمن كقطع السحابِ، خير أهل الأرض". وفي "صحيح البخاري"، دعا الرسول إلى أن تحل البركة في الشام واليمن: "اللهّم باركْ لنا في شامِنا، وباركْ لنا في يمنِنا"، في جمعٍ يوحي بوجود سر يربط بينهما.

هذه الأحاديث النبوية وغيرها في اليمن أرضاً وشعباً لم يفهمها حكام الجزيرة العربية من آل سعود وآل الشيخ عندما التقى الاستبداد السياسي بالتطرف الديني في صحراء نجد، حيث {هناكَ الزلازِلَ والفتن وبها يطلع قرن الشيطانِ}، كما جاء في "صحيح البخاري" عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن رسول الله ﷺ وقد أدى عدم فهم هذه الأحاديث النبوية من قبل ثنائي الاستبداد والتطرف في بلاد العرب إلى عدم فهم أشياء أخرى في اليمن، فقادهم ذلك إلى حماقة العدوان العسكري على اليمن قبل أكثر من 6 سنوات.

العدوان السعودي على اليمن بدأ فجر الخميس في 26 آذار/مارس 2015، مدعوماً بتحالفٍ عربي أميركي واسع، وبإمكانيات مالية وعسكرية وتقنية هائلة. بعد 4 أيام من العدوان، كتبت مقالاً بعنوان "الأمة المهزومة تبحث عن نصر وهمي في اليمن". ومما جاء فيه: "هذه الأمة المهزومة تبحث عن نصر وهمي في مكان آخر غير مكان المعركة الحقيقي، ولن ينفعها هذا الوهم، ولن يفيدها هذا النصر... أما اليمن، فسيخرج من هذه الحرب والأزمة عاجلاً أو آجلاً، ولا خيار له سوى العودة إلى ما يجمع اليمنيين ويوحدهم... الإسلام والعروبة والوطن...".

وبعد عام ونصف العام من بدء العدوان تقريباً، وتعقيباً على مذبحة عزاء الصالة الكبرى الوحشية التي نفذها العَدوان السعودي، كتبت مقالاً بعنوان "مذبحة اليمن.. الصمت جريمة"، أكدت فيه الفكرة

نفسها، مطالباً نظام آل سعود بتوجيه ترسانة أسلحته الضخمة إلى العدو الحقيقي للأمة ممثلاً بالكيان الصهيوني.

وبعد **5** سنوات على العدوان، كتبت مقالاً بعنوان "الانتصار على الطريقة الفلسطينية"، جاء فيه: "ما زال نظام آل سعود الحاكم في جزيرة العرب يواري هزيمته في اليمن... باحثاً عن صورة النصر المفقود بين حطام المباني المدمرة وأشلاء الأطفال المبعثرة". إن عجز نظام آل سعود عن تحقيق النصر الذي وعد به خلال أيام أو أسابيع من بدء العدوان بعد دخوله عامه السابع، يشير إلى أن في اليمن شيئاً لا يفهمه آل سعود.

الشيء الذي لا يفهمه آل سعود في اليمن لا يتعلّق بالأشياء المادية بالطبع، كالمال والسلاح وغيرهما، فامتلاك اليمن لهما لا يقارن بما لدى دولة آل سعود من مالٍ فائض وسلاح زائد، ولا يتعلّق بالقدرة على حشد الحلفاء من السادة العجم الذين يدفع لهم المال جزية أو العالة العرب الذين يدفع لهم المال استرقاقاً وارتزاقاً، فقدرات اليمن على التحالف محدودة بأحرار الأمة من المتمردين على الهيمنة الصهيو-أميركية.

فلنبحث عن هذا الشيء في مكانٍ آخر يتعلّق بالإنسان نفسه، وليس في الأشياء والحلفاء، فالسر يكمن في الإنسان اليمني المقاوم للعدوان. هذا الإنسان بناء متراكم من عبق التاريخ، وفي التاريخ تكمن الإجابة. لنأخذ مثالاً من كتاب "تاريخ اليمن مقبرة الغزاة" للباحث اليمني عبد الله بن عامر، وهو بحث تاريخي يوضح كيف ابتكر اليمنيون الظروف في مواجهتهم كل الغزاة عبر التاريخ منذ القدم.

هذه المواجهة تؤكد أن اليمن لم يفتح لأي غازٍ إلا ليقبر مع أحلامه في ترابه، والكتاب يبين أن اليمنيين لم يعطوا الشرعية لأي حاكم يمني إلا عبر التصدي للغازي ومقاومة الاحتلال. في المقابل، فإنهم ينزعون الشرعية عن الحاكم الذي يتعاون مع الغزاة ويخضع للعدوان.

وبعد دراسة تاريخ اليمن منذ القرن العشرين قبل الميلاد وحتى القرن العشرين للميلاد، يتضح أن الغزاة كانوا في أوج قوتهم العسكرية، بينما كان اليمن في أسوأ حالاته عند الغزو. رغم ذلك، خرج الغزاة أضعف واليمنيون أقوى، وكان اليمني أمام هذه الغزوات مقاوماً عنيداً ومقاتلاً صلباً لا يعرف الهزيمة، وإن عرفها يوماً، فهي ليست إلا كبوة، سرعان ما ينهض منها ويتجاوزها.

لهذا، ظلّ اليمني يصارع قوى الغزو من دون كلل أو ملل حتى تحقق النصر على العدوان، ما أكسبه صفات الإنسان الحر العزيز الآبي؛ هذا الإنسان الذي يقف مع قضايا أمته، مهما كان الثمن الذي سيدفعه غالياً. ولذلك، كان موقف أحرار اليمن من قضية الآمة المركزية فلسطين واضحاً، من خلال خطاب حركة "أنصار الله" التي تقود مقاومة العدوان السعودي على اليمن، وهو خطاب سياسي واضح في اعتبار فلسطين قضية الآمة المركزية، واعتبار "إسرائيل" عدو الأمة الرئيسي، ورفض حالة الولاء للعدو عبر التطبيع والسلام معه، ورفع شعار "الموت لأميركا وإسرائيل".

صفات الأحرار التي تعمقت عبر الزمن في الشعب اليمني من خلال مقاومته للغزاة، لم يفهمها آل سعود لافتقارهم إليها، وفاقد الشيء لا يفهمه، ولا سيما عندما يكون فقدان الشيء بمحض الإرادة، فآل سعود تنازلوا عن صفات الأحرار طوعاً، عندما قايضوا وصولهم إلى الحكم واستمرارهم فيه بحريتهم وكرامتهم، فرضوا بأن يكونوا مع الخوالف تابعين لمن اعتقدوا أن بيده مقاليد الأمور من القوى الكبرى، فخضعوا لإرادة بريطانيا العظمى، ثم لهيمنة الولايات المتحدة الأميركية، ودخلوا بيت الطاعة الأميركي باختيارهم، ودفعوا الجزية لسيد البيت الأبيض، مقابل حمايتهم من "البعبع" الذي صنعه لهم في صورة عدو داخلي هو الشعب العربي الأصيل الآبي في الجزيرة العربية، أو في صورة عدو خارجي وهمي هو الجمهورية الإسلامية في إيران.

وقد كانوا بذلك مثالاً حياً للعبودية الطوعية التي تحدث عنها الفلاسفة، ومثالاً لتماهي المقهور مع صفات المتسلط أو اقتداء المغلوب بسلوك الغالب، فمارسوا الاستعلاء الممارس عليهم من قاهرهم وغالبهم على من اعتقدوا واهمين أنه أضعف منهم، فشنوا العدوان على اليمن لإخضاع شعبه وإدخاله إلى بيت الطاعة السعودي، وهو ما يعني ضمناً الدخول إلى بيت الطاعة الأميركي، وتلقائياً الدخول إلى حظيرة الدول المنبطحة للأميركيين والمطبعة مع الصهاينة، ليكون الجميع في العبودية سواء؛ لا فضل في ذلك لعربي على عربي إلا في زاوية الانبطاح وسرعة التطبيع.

الشيء الذي لم يفهمه آل سعود في اليمن هو إرادة الحياة الحرة الكريمة التي سكنت أرواح اليمنيين وكل الشعوب الحرة الكريمة، وهو شوق الحياة العزيزة الأبية التي عمرت نفوس اليمنيين وكل الشعوب العزيزة الأبية، وهو لهيب حياة الرجولة والمروءة التي تشعل قلوب اليمنيين والشعوب المتمردة الثائرة على الطغيان تمرداً وثورةَ... إنها صفات يفتقدها آل سعود، فضلاً عن أنهم لا يفهمونها،

لطول عهدهم بالتبعية للأجنبي، فطال عليهم الأمد، وماتت نخوتهم وأنفتهم... بخلاف شعبهم العربي الأبي الأصيل في الجزيرة العربية وكل الشعوب العربية العزيزة المتعطشة إلى الحرية، والتي ستنتصر حتماً على نزعة العبودية المستحكمة بآل سعود والحكام السائرين على دربهم، كما قال الشاعر التونسي الثائر أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة .. فلا بد أن يستجيب القدر

حينئذ، بعد هزيمة العدوان، سيجد اليمنيون طريقهم إلى الوحدة والاستقلال والازدهار، عندما يلتقون على ما يجمعهم على أرضية الإسلام والعروبة والوطن، وقبل كلّ ذلك إرادة الحياة؛ الشيء الذي لم يفهمه آل سعود.

بايدن والعولمة.. أمركة بطعم البرجر

كتــب بتاريــخ:

20 أبريل 2021م

جاء في أحد مشاهد الفيلم الأمريكي التاريخي (الإسكندر) كلاماً للفيلسوف أرسطو مخاطباً الإمبراطور الإسكندر الأكبر، يقول فيه: "نحن اليونانيين آمة مختارة، ثقافتنا هي الأفضل، حضارتنا هي الأفضل، ورجالنا هم الأفضل، كل الآخرين برابرة، من واجبنا الأخلاقي أن نهزمهم ونستعبدهم، وندمرهم إذا لزم الأمر". مضمون هذه الفقرة يلخّص عقيدة التفوق العنصرية، ويختزل فكرة الاستعلاء الاستكبارية، وهي العقيدة والفكرة التي كانت ولا زالت تحكم الغرب الأوروبي بالشرق الآسيوي والجنوب الأفريقي منذ غزوات اليونان في القرن الثالث قبل الميلاد بقيادة الإسكندر المقدوني المعروف بالإسكندر الأكبر، مسلّحاً بعقيدته الوثنية وفلسفته العنصرية، ومنذ غزوات الرومان شرقاً وجنوباً حاملين عقيدتهم الوثنية فالمسيحية وفلسفتهم الاستعلائية، مروراً بالغزو الصليبي في القرون الوسطى المدجج بالحقد الديني والجشع الاقتصادي، والاستعمار الأوروبي في العصور الحديثة بصبغته الشريرة المتعددة الألوان وطبيعته العنصرية الاستعلائية، وصولاً إلى الاستعمار الأمريكي الجديد المعاصر المرتدي قناع العولمة.

العولمة شكل جديد للاستعمار بمضمون قديم يجمع بين عنصرية اليونان واستعلاء الرومان، ويدمج بين حقد الصليبيين وجشع الأوروبيين، وهو الاستعمار الذي حرك جيوش الغزو الأوروبية بقيادة الإسكندر الأكبر (اليوناني)، وهرقل الأكبر (الروماني)، ونابليون بونابرت (الفرنسي)، وإدموند ألنبي (الإنجليزي)، وجورج بوش الابن (الأمريكي). لا اختلاف بين الغزوات القديمة الغابرة، وبين الغزوات الحديثة المعاصرة، سوى في إضافة النكهة الدينية لعقيدة التفوق الوثنية الملخّصة بفكرة (شعب الله المختار)، بعد اقتباسها من التوراة المزيفة ودمجها في الديانة المسيحية على يد الكنيسة البروتستانتية، فأنتجت أسوأ ما في الحضارة الغربية مجسدة في الصهيونية بشقيها المسيحي واليهودي، فكانت نتيجة هذا الزواج الشيطاني دولة (إسرائيل)، لتكون مركزاً للمشروع الاستعماري الغربي في قلب العروبة والإسلام. ولا اختلاف بين الغزوات القديمة والحديثة سوى في إضافة النكهة الحضارية بطعم الأخلاق، فتحولت الغزوات لعملية حضارية أخلاقية يتم فيها (ترقية) الشعوب

(المَتخلّفة)، وتعمير الأراضي (البور)، ولا ضَير إنْ قَتل وَهجّر واستَعبِد الملايين في سبيل هذا الهدف (النبيل). أليس هذا ما فعله المستوطنون الأوروبيوِن المسيحيون في البلاد التي أسموها (أمريكا)؟!، أليس هذا ما فعله المستوطنون الأوروبيون اليهود في فلسطين التي أسموها (إسرائيل)؟!.

بهذه الروح الشريرة والنفس الجشعة تحركت الولايات المتحدة الأمريكية كزعيمة للعالم الغربي ووارثة حضارته، بطبيعتها الفردية النفعية، ونزعتها الاستعمارية الاستعلائية، وروحها الحربية الدموية، وعقدتها العنصرية في التفوق العرقي والثقافي، واعتقادها بأفضلية حضارة الآنجلو ساكسون البروتستانتية، وسيطرة فكرة التفويض الإلهي لإنقاذ البشرية عليها، وامتلاكها لحق التضحية بالآخر لإنقاذ البشرية... بهذه الروح ألقى هاري ترومان القنبلتين الذريتين على اليابان، وغزا جون كنيدي فيتنام، وضرب دونالد ريغان ليبياً، وغزا جورج بوش الابن أفغانستان والعراق، ودمر دونالد ترامب سوريا. وبهذه الروح بدأ جو بايدن رئاسته لأمريكا محاولاً إضفاء بعداً أخلاقياً عليها عندما أعلن العودة للانخراط في قضايا العالم بممارسة القيادة الأخلاقية للعالم". التي وضحها في مقاله (لماذا على الولايات المتحدة أن تقود العالم؟) يتضمن رؤيته لبسط الهيمنة الأمريكية على العالم مرة أخرى، والسعي لدور أكبر لأمريكا في إطار العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية، وبذلك تكون العولمة مفهوماً مرادفاً للأمركة، ولكنها الأمركة بطعم البرجر.

الأمركة بطعم البرجر، تعني تعميم النموذج الأمريكي للأكل كرمز ومدخل لتعميم النموذج الأمريكي في كل مجالات الحياة، فالبرجر أو (الهامبورغر) هو وجبة الطعام الرئيسية التي تقدمها سلسلة مطاعم (ماكدونالدز)، البالغ عددها حوالي (34) ألف مطعم موزعين على (120) دولة، وهو نموذج واضح للعولمة أو الأمركة، من خلال تعميم النموذج الأمريكي في الأكل: طريقة عمله، وأسلوب تقديمه، وطقوس أكله، كوجبة طعام: فردية، وسريعة، ومتشابهة، ومكررة، وكأنها تشير إلى النزعة الفردية النفعية، والثقافة السريعة السطحية، والطريقة المتشابهة في إعادة إنتاج المعرفة دون خلقها، ونظام العمل المكرر الممل المجرد من بعده الإنساني. وكوجبة طعام خالية من اللمسة الإنسانية وتفاوت الذوق البشري، وعابرة للقارات والقوميات والثقافات، كما يراد لكل مفردات النموذج الأمريكي أن تكون كذلك. وفرض النموذج الأمريكي عبر عنه الدكتور محمد عمارة، بقوله:" إن العولمة هو الاجتياح الغربي بزعامة أمريكية لصب العالم في قالب الحضارة المهيمنة ولمصلحة أهلها". تماماً

كما عبر عن ذلك سابقاً الرئيس الأمريكي روزفلت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مستعلياً بنشوة النصر، بقوله: "إن قدرنا هو أمركة العالم".

إذا كان قدر أمريكا هو أمركة العالم، فهذا ليس قدرنا كأمة عربية وإسلامية، فالسير مع القطيع في قافلة الأمركة ليس قدراً جبرياً ولا قضاء قهرياً، فإن فُرض على الأمم ذات القابلية للاستعمار والاستحمار، والشعوب ذات الاستعداد للاستعباد والاستبداد، فلا يمكن أن يفرض على الأمم الحرة والشعوب الأبية، وأمتنا بما حباها الله برسالة حضارية، وما لديها من إمكانات ذاتية، تستطيع أن تختار قدرها بإرادتها الحرة وعزيمتها الصلبة، فتختار القوة والقدرة والتطور والتقدم، متجاوزة ما فُرض عليها من ضعف وعجزٍ وتخلّف وتأخرٍ. وهي تستطيع أن تخرج من التبعية لتصنع فجر استقلالها، وتغادر الماضيً لترسم ملامحً مستقبلها، وتتحرر من ضيق التقليد إلى سعة التجديد، وتتمرد على قيود الاتباع لتتنفس هواء الإبداع.

وأخيراً تستطيع الأمة أن تستحضر مفهوم التدافع الحضاري الإسلامي، بدلاً من مفهوم الصراع الحضاري الغربي، فتستبدل التنافس الحضاري بالتفاعل الحضاري، وتنافر الشعوب بتعارف الشعوب، وإلغاء إنجازات الحضارات غير الغربية بالبناء على تراكم إنجازات الحضارة البشرية. وهي تستطيع أن تستدعي مفهوم العالمية الإسلامي بدلاً من مفهوم العولمة الأمريكي، فتستبدل تناقض الثقافات بتلاقح الثقافات، وفرض النموذج الأمريكي على العالم بالالتقاء على القواسم الإنسانية المشتركة، وتعميم مزاعم التفوق العنصرية بتعميم قيم الإخوة الإنسانية. وعندما تصل الأمة إلى هذه المرحلة ستعيش العالمية الإسلامية بطعم العزة والحرية بعد أن تتمرد على الأمركة بطعم الذلة والعبودية.

القدس ومعركة السيادة بين الانتخابات والمقاومة

كتـب بتاريـخ:

25 أبريل 2021م

كَنت شاهداً على حوارٍ باللغة العبرية تخلله جدل بين (شاويش المردوان) كما كنا نَسمي ممثل أحد أقسام السجن أمام السجانين، وبين ضابط الأمن المسمى بالعبرية (كستين هبيتحون). والمكان هو سجن النقب الصحراوي جنوب فلسطين، المسمى إسرائيلياً (كتيسعوت) وفلسطينياً (أنصار 3)، والزمان بعد توقيع اتفاقية أوسلو بأيام، والموضوع هو اسم الكيان السياسي الذي سينشأ بموجب الاتفاقية، فقد أصر ممثل القسم المسجون بأنه دولة وبالعبرية (مديناه)، بينما أصر ضابط الأمن السجان بأنه حكم ذاتي وبالعبرية (اتونوميا). ولما رأى السجان إصرار السجين على رأيه، قال له: بإمكانك أن تسميها دولة أو إمبراطورية لو شئت، ولكن هذا لن يغير من المضمون شيئاً، والمضمون هو حكم ذاتي (اتونوميا).

بهذه المنهجية الخطأ التي اتبعها (شاويش المردوان) في تسمية الحكم الذاتي دولة تعاملنا كفلسطينيين مع الكثير من المصطلحات والمفاهيم التي أفرزتها اتفاقية أوسلو فغيرنا أسماء المصطلحات وبدلنا دلالات المفاهيم، لنوهم أنفسنا بأن تغيير مسميات المصطلحات يغير مضامينها، وأن تبديل دلالات المفاهيم يبدل حقيقتها، فالرئيس هو رئيس دولة فلسطين وليس السلطة الفلسطينية، والوزير هو وزير دولة وليس مديراً لملف في سلطة الحكم الذاتي، وهكذا جميع المناصب المدنية والرتب العسكرية، التي مَنحت بكرمٍ طائي لكل مستحق وغير مستحق حتى فاقت بعددها دولاً تفوقنا عدداً أضعافاً مضاعفة، وهذا التَّغيير والتبديل طال المصطلحات والمفاهيم السياسية فشوهها تضخيماً أو تصغيراً، ومنها مفهوم السيادة.

برز مفهوم السيادة مؤخراً بعد إقرار الانتخابات الفلسطينية العامة، واستخدم مرتبطاً بإجراء الانتخابات في مدينة القدس، فاعتبره بعض الساسة الفلسطينيين مظهراً للسيادة الوطنية الفلسطينية على القدس، وذهب بعضهم إلى اعتبار الانتخابات في القدس بمثابة معركة سيادة مع الاحتلال، وأن عدم إجراء الانتخابات في القدس يساوي التنازل عن السيادة الوطنية الفلسطينية على المدينة، وكأن

السيادة الفلسطينية موجودة فيها وعدم إجراء الانتخابات فيها سيؤدي إلى فقدانها، والتفريط في السيادة هو تفريط في القدس نفسها، وهكذا تمت عملية تشويه مفهوم السيادة وتضخيم دور الانتخابات في علاقتها بالسيادة، وفي الحقيقة رغم أهمية إجراء الانتخابات في القدس المحتلة للسلطة الفلسطينية كأحد مظاهر ممارسة السلطة المنقوصة تحت الاحتلال، ولأهل القدس كأحد مظاهر ممارسة حقوق المواطنة السياسية وواجباتها في دولة غير موجودة، إلاّ أن هذا لا زال بعيداً عن مفهوم السيادة.

السيادة كمفهوم سياسي يرتبط بممارسة الدولة لسلطتها الوطنية على إقليمها الجغرافي أرضاً وشعباً، وامتلاك الدولة لسلطة الهيمنة فوق إقليمها ومواطنيها، والسيادة أعلى من السلطة، وممارسة السلطة هو أحد مظاهر السيادة، وتنقسم السيادة حسب قواميس المصطلحات السياسية إلى داخلية وخارجية؛ فالسيادة الداخلية هي الحق الذي تتمتع به الدولة في قيادة وتوجيه الجسم السياسي الوطني، وفي ممارسة السلطة بهدف تحقيق المصلحة العامة للمواطنين، أما السيادة الخارجية أو الدولية فهي الحق الخاص بدولة من الدول في ممارسة استقلالها، أي أنها لا تخضع في قراراتها وممارستها لسلطة أية جهة خارجية ولا تتعرض من حيث المبدأ لضغط أي من الدول الأخرى. ولأهمية عنصر السيادة للدولة فقد جعلها بعض فقهاء السياسة عنصراً رابعاً للدولة بعد الأرض والشعب والسلطة. وبهذا المفهوم السياسي للسيادة يتضح علاقته الحقيقية بإجراء الانتخابات العامة في مدينة القدس.

إجراء الانتخابات التشريعية وغيرها في مدينة القدس مرتبط بإرادة أقوى من السلطة الفلسطينية، وسلطة أعلى من السلطة الفلسطينية، هي إرادة وسلطة دولة الاحتلال، وإذا تمت عملياً فإنها تتم تحت الاحتلال، فهي نوع من ممارسة بعض الحقوق السياسية وبعض أعمال السلطة تحت الاحتلال، فهي بذلك بعيدة عن مفهوم السيادة بمضمونها السياسي الحقيقي، وإن رأى البعض فيها سيادة، فهي سيادة وهمية كبقية المصطلحات والمفاهيم التي خدع بها بعض الفلسطينيين أنفسهم ليوهموا أنفسهم أنهم أنجزوا بلسانهم مالم يستطيعوا إنجازه بعملهم.

والسيادة الحقيقية في القدس وكل فلسطين هي السيادة التي يتم انتزاعها بالمقاومة الشعبية بكافة أشكالها، وهو ما فعله شباب القدس في الأيام الأخيرة من مقاومة الاحتلال والتصدي لمستوطنيه

في القدس دفاعاً عن المسجد الآقصى وطلباً للحرية، وتأكيداً على أن معركة السيادة في القدس تمر عبر المقاومة وليس الانتخابات. فإذا كانت السيادة الإسرائيلية مفروضة على القدس بقوة السلاح الغاشم والواقع الظالم والقوانين غير الشرعية، فإن السيادة الوطنية الفلسطينية مفروضة في القدس بقوة سلاح الحق والمقاومة الشعبية والقوانين الثورية الشرعية. وحتى لو لم يستطع الشعب الفلسطيني فرض سيادته الوطنية بالمفهوم السياسي الكامل على أرضه من خلال الثورة والمقاومة في المدى المنظور، ولكنه بامتلاكه إرادته الوطنية الحرة برفض الاحتلال والثورة عليه ومقاومته يكون قد غرس في أرضه المباركة بذور السيادة الحقيقية التي ستنبت أشجار التحرير والعودة والاستقلال.

عندما تكون الدراما مقاومة

كتــب بتاريــخ:

28 أبريل 2021م

جمهورية زفتى، اسم مسلسل درامي مصري عرض عام 1998م، يروي قصة حقيقية لأحد مراكز محافظة الغربية، حدثت أثناء ثورة 1919م، أعلنت البلدة فيها استقلالها باسم (جمهورية زفتى)؛ مما استدعى سلطة الاحتلال الانجليزي أن ترسل قوة عسكرية كبيرة لقمع الثورة، قصة زفتى كان من الممكن أن تندثر في زحمة الأحداث، لولا أن خلدتها الدراما فأرخت لقصة المعاناة والمقاومة في البلدة كنموذج مصغّر لقصة مصر كلها، التي يعاني شعبها من ثُلاثي الظلم: الاحتلال الإنجليزي، والملكية الحاكمة، والنظام الإقطاعي، فعانى الشعب من البطش العسكري، والاستبداد السياسي، والاستغلال الاقتصادي. والجانب الآخر من الصورة التي رسمتها الدراما هو المقاومة التي قادها محامي شاب من المثقفين الثوريين، وحد أهل البلدة تحت لواء الثورة بكافة فئاتهم وشخصياتهم، فانضم إليه إمام مسجد البلدة، وضابط قسم الشرطة، ومطرب القرية، وحتى رئيس عصابة المطاريد... وأعلنوا جميعاً قيام (جمهورية زفتى) لمدة قصيرة من الزمن انتهت بإرسال جيش الاحتلال قوة عسكرية قضت على الثورة. والمسلسل قدم نماذج إنسانية متناقضة جمعت بين الثوار المخلصين والانتهازيين، وبين الوطنيين الصادقين والمذبذبين، وبين الشهداء الأخيار والخونة الأشرار.

دراما المقاومة في مسلسل (جمهورية زفتى) أكد على صورة المعاناة والمظلومية من جهة، وعلى صورة المقاومة والبطولة من جهة آخرى، وهي نفس القيم التي أكد عليها مسلسل (التغريبة الفلسطينية) السوري الذي صنف كأفضل عمل درامي عالج القضية الفلسطينية تاريخياً واجتماعياً، فصور الظلم الذي وقع على الشعب الفلسطيني قبل النكبة وبعدها، كما صور البطولة التي واجه بها الشعب الفلسطيني الاحتلال الإنجليزي والمشروع الصهيوني، والمسلسل يقدم الرواية الفلسطينية للصراع بطريقة واقعية تَظهر معاناة النكبة والتشرد واللجوء، ولم يغفل عن تسجيل بعض عناصر الضعف في المجتمع الفلسطيني قبل النكبة، كالتفاوت الطبقي، والتنازع العائلي، وقتل النساء بالشبهه. وقدم نماذج إنسانية واقعية منها: الفلاح البسيط، والعامل الكادح، والمثقف الثائر، والتاجر الانتهازي، والإقطاعي المستغِل، والعميل الخائن... وتأكيداً لقيمة المقاومة والبطولة انتهى

المسلسل بطريقة رمزية مفتوحة تدل على استمرار الشعب الفلسطيني في المقاومة جيلاً بعد جيل، ويظهر ذلك في المشهد الآخير للمسلسل عندما يخرج (رشدي) بندقية والده الشهيد من مخبئها ليواصل طريق المقاومة.

وعندما تكون الدراما مقاومة تَقدم الدراما الفلسطينية من غزة المحاصرة والصامدة والمقاوِمة صوراً جميلة من مقاومة الاحتلال الاسرائيلي، كان آخرها في عملين دراميين: أحدهما يصور معاناة مدينة القدس وأهلها من الاحتلال والاستيطان والتهويد والتهجير والتضييق والضرائب والمخدرات... وهو مسلسل (بوابة السماء) بجزأيه الآول والثاني، الذي يجمع بين المعاناة والصمود والمقاومة، من خلال إظهار مدى تمسك المقدسيين بأرضهم وبيوتهم، وقوة دفاعهم عن المسجد الأقصى، ويقدم العديد من نماذج المظلومية والبطولة في حالات الشهداء والأسرى والجرحى والمرأة الصامدة المرابطة والرجل الفدائي المقاوم، والعمل الدرامي الآخر مسلسل (ميلاد الفجر) المستوحى من أحداث حقيقية وقعت في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، وأرخت للمرحلة الأولى من ميلاد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين كأحد أهم حركات المقاومة الفلسطينية، برؤيتها النوعية التي تجمع بين الإسلام وفلسطين والمقاومة وهي المرحلة التي سبقت وهيأت للانتفاضة الأولى ورافقتها حتى العمليات الاستشهادية الكبيرة منتصف التسعينيات، والمسلسل يؤكد على فكرة المقاومة بطريقة درامية تَظهر جرائم الاحتلال وبطولات المقاومة، كما تَظهر تماسك الشعب الفلسطيني وتوحده خلف المقاومة، وتَبين قيم المجتمع الفلسطيني المساندة للمقاومة، وروح التعاون والتكافل التي تسكن الآسر الفلسطينية خاصة في أوقات الآزمات.

هذه نماذج من دراما المقاومة تستطيع هي وغيرها تحدي تيار دراما التطبيع. الموجه من بعض الأنظمة الحاكمة، فتَبطل الرواية الإسرائيلية الصهيونية للصراع بالرواية الفلسطينية العربية، وتواجه شرعنة العلاقات مع الصَهاينة بتجريم العلاقات معهم، وتؤكد على تعريف (إسرائيل) كعدو للأمة مقابل إعادة تعريف العدو بعيداً عن (إسرائيل) من دراما التطبيع. والتي تستطيع مواجهة تيار التفاهة في الدراما، فتواجه السطحية بالعمق، والإسفاف بالسمو، والجهل بالوعي، والتبعية بالآصالة، والخضوع بالممانعة، والانحلال بالالتزام، والإفساد بالآخلاق، والاستبداد بالثورة، والاحتلال بالمقاومة... وعندما تكون الدراما مقاومة تستطيع مواجهة تيار التحريم الصحراوي الجامد الذي جعل من الدراما موضوعاً لتفريغ عقده الفكرية، وحاجته للاشتباك الدائم مع غيره، ورغبته في الهجوم المستمر على

الآخر الذي لا يشبهه، فاعتبرها رجس من عمل الأشرار، ودنس لا يقوم به إلا أهل النار، فتركها لهم بفنهم الرديء المفسِد للناس دون أن يستفيد من الدراما كأحد أهم أبواب الدعوة والثورة.

وعندما تكون الدراما مقاومة يكون الفن راقياً تلتقي فيه قيم الجمال والحق، فيكون الشكلَ جميلاً والمضمون حقاً، فيتجسد الجمال والحق في قصيدة شاعر، أو نثر أديب، أو ريشة رسام، أو لحن موسيقار، أو صوت مغني، أو دراما ممثل... وحين يكون الفن مقاوماً يمتلك صوابية الفكر، وصدق الأدب، وسمو الفن، وخاصة إذا كان الحديث عن فن الدراما، وخاصة دراما المقاومة؛ التي تجعل من الدراما سلاحاً يقاوم الظلم بكافة أشكاله لا سيما الاحتلال والاستبداد، وليست مجرد تصوير المقاومة بالتمثيل فتزرع في العقل وعياً، وتغرس في القلب إيماناً، وتفجر في النفس ثورة، وتجعل الشعب أكثر ثقة بنفسه وقدراته، وأكثر إدراكاً لواقعه وحاضره، وأشد تمسكاً بقضيته وحقوقه، وأقوى إصراراً لامتلاك إرادته ومستقبله.

وأخيراً عندما تكون الدراما مقاومة تنتشر ثقافة المقاومة، ثقافة النصر المضادة لثقافة الهزيمة الناتجة عن دراما التطبيع، والفرق بينهما كالفرق بين الحياة والموت، الحياة الكامنة في إرادة النصر وحياة العزة والكرامة، والموت الكامن في فقدان إرادة النصر والرضى بحياة الذلة والمهانة. والنصر والهزيمة كثقافة يفصلهما الاستسلام أو عدم الاستسلام لإرادة العدو، مهما كانت نتيجة المعركة العسكرية نصراً أو هزيمة، فالنصر يلازم الشعب والمقاومة طالما لم يلقوا السلاح وواصلوا طريق الكفاح، والهزيمة لا تأتي بعد الهزيمة العسكرية للجيش أو المقاومة فقط، ولكنها تأتي بعد الهزيمة النفسية وفقدان إرادة النصر، أو بعد إنكار الهزيمة مكابرةً للنفس ومعاندة للواقع، الذي يكرس ديمومة الهزيمة وهنا تكون الهزيمة مضاعفة، ولكي لا نصل إلى تلك المرحلة من الهزيمة نحن بحاجة إلى ثقافة المقاومة وفن المقاومة ودراما المقاومة.

يوم القدس العالمي بين نهجين ومحورين

كتب بتاريـخ:

6 مايو 2021م

كتاب (الخميني.. الحل الإسلامي والبديل)، للدكتور المفكر فتحي الشقاقي، صدر عام 1979م، اعتبر فيه الإمام الثائر آية الله الخميني أحد رجلي القرن العشرين، مع الإمام الشهيد حسن البنا، واعتبر الثورة الإسلامية في إيران أحد أهم أحداث القرن العشرين. وفي نفس العام انتصرت الثورة الإسلامية الإيرانية، وأعلنت الجمهورية الإسلامية في إيران، وتبعهما إعلان يوم القدس العالمي في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك من كل عام؛ للتضامن مع الشعب الفلسطيني المسلم، ولدعم قضية فلسطين والقدس. وفي حدث ثالث كانت أفغانستان على موعد مع الغزو السوفيتي، ليبدأ الشعب الأفغاني رحلة الجهاد ضد الاحتلال السوفيتي، وليبدأ تدفق (الأفغان العرب) للجهاد في أفغانستان، على بساط الريح الأمريكي السعودي، ليكونوا وقوداً للحرب الباردة بين القطبين الأمريكي والسوفيتي، وعلى هامش تلك الأحداث الثلاثة كان هناك مشهدين حواريين منفصلين في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، كان كاتب هذه السطور معايشاً للأول ومشاركاً في الثاني.

مشهد الحوار الأول بطله شيخ فلسطيني ذو لحية طويلة وجلباب قصير، بدأ الحوار بتوجيه الشيخ الأمر لمريديه بتجهيز أنفسهم للسفر إلى أفغانستان لكسب شرف الجهاد ضد الكفار فيها، والفوز بأجر الشهادة على أرضها، فسأله أحدهم متعجباً: كيف نترك الجهاد في فلسطين، ونسافر للجهاد في أفغانستان، أليست فلسطين أولى بجهادنا واستشهادنا؟!، فأجابه الشيخ مبرراً: لا يوجد راية للإسلام في فلسطين نجاهد تحتها، وتلك الراية الإسلامية موجودة في أفغانستان، وأفغانستان هي طريقنا لتحرير فلسطين ومحطتنا الأولى نحو القدس، فسأله آخر مندهشاً: كيف تكون أفغانستان هي طريقنا إلى فلسطين والقدس؟!، فأجابه الشيخ موضّحاً: في أفغانستان سنقيم قاعدة للجهاد ندرب فيها المجاهدين ونعدهم للقتال في فلسطين، لنعود بهم بعد النصر في أفغانستان إلى فلسطين مجاهدين ومحررين. كانت هذه الجرعة من التبرير كافية لتسافر المجموعة للجهاد في أفغانستان، وليتبعها المئات فالآلاف من العرب، في طوابير تُساق إلى الذبح على حجرِ الحرب الباردة، حتى إذا ما

انتهى دورهم عاد الناجون من المذبحة، ليكونوا مجاهدين تحت الطلب الأمريكي في كل بقاع الأرض من الشيشان إلى مالي مروراً بسوريا والعراق ما عدا فلسطين والقدس.

كان خروج هؤلاء الشباب الفلسطيني والعربي للجهاد في أفغانستان دون فلسطين عنواناً لمشهد الحوار الثاني، وبطله مفكر فلسطيني ذو لحية قصيرة وبدلة رسمية، بدأ الحوار بتوجيه سؤال من تلاميذه عن كيفية حل الإشكالية التي أدت إلى خروج هؤلاء الشباب المسلم للجهاد في أفغانستان بدلاً من فلسطين، ودفعت بالشباب الوطني للقتال في فلسطين بدون تبني الإسلام كمرجعية نضالية ونظرية ثورية، فأجابهم المفكر: إن حل الإشكالية يكون بالجمع بين الإسلام كمنطلق، وفلسطين كهدف، والجهاد كوسيلة، فسألوه عن البندقية البعيدة عن الإسلام، والبندقية البعيدة عن فلسطين، ما شأنهما؟، فأجابهم: إن البندقية التي لا يوجه الإسلام بوصلتها تائهة، والبندقية التي لا يصوب رصاصها إلى فلسطين والقدس مشبوهة، وهنا سألوه عن القدس، ما مكانتها من الصراع؟، فأجابهم: القدس قلب فلسطين، وفلسطين قلب العرب والمسلمين، فهي تختصر فلسطين والعالم، ومركز الصراع الكوني بين تمام الحق وتمام الباطل، وعند الحديث عن القدس كان السؤال عن يوم القدس العالمي حتمياً، فأجاب المفكر موضحاً عبقرية التقاء الزمان والمكان، زمان شهر رمضان المبارك، ومكان القدس المباركة، في يوم القدس العالمي، ليلتقي الزمان الذي يحمل ذكريات أزمنة النصر، بالمكان الذي يحمل وعد النصر.. وعد الآخرة، حتى تكتمل دائرة النصر الإلهي بإساءة وجوه بني إسرائيل، وتتبير علوهم، وتدمير إفسادهم، وعندها ستكون القدس لا أورشليم.

وحتى تكون القدس لا أورشليم عندما يكتمل مشهد النصر الإلهي، سيبقى يوم القدس العالمي فاصلاً بين نهجين: الأول يوجه بوصلته نحو القدس، ويصوب بندقيته نحو الكيان الغاصب للقدس، ويريد أن تكون كل البلاد فلسطين، وكل الأيام للقدس، ويتوق لرؤية كل الأمة عزيزة، ويزرع كل الأرض مقاومة. والثاني يوجه بوصلته إلى كل الاتجاهات ما عدا القدس، ويصوب بندقيته إلى كل الأماكن ما عدا الكيان الغاصب للقدس، ويريد أن تحذف فلسطين من الجغرافيا، ويحذف يوم القدس من التاريخ، ويتوق لرؤية كل الأمة ذليلة، ويزرع كل الأرض مساومة.

وحول النهجين المتناقضين تمايزت الأمة في محورين: جمع الأول كل أحرار الأمة في الخندق المقاوم للاستعمار الصهيوأمريكي، في محورٍ مركزه القدس قلب فلسطين، وأطرافه حركات المقاومة ودول

الممانعة، الرافضة لأن تكون الإرادة الأمريكية قدراً جبرياً على الأمة، والرافضة لأن تكون العربدة الإسرائيلية قضاء قهرياً على الأمة.

وجمع الثاني كل أذلاء الأمة في الخندق الخاضع للاستعمار الصهيوأمريكي، في محورٍ مركزه أورشليم قلب (إسرائيل)، وأطرافه عواصم أنظمة التطبيع العربية، وجماعات التكفير الوحشية، فكلاهما- المطبعين والتكفيريين- وجهان لعملة أمريكية واحدة طَبعت في أورشليم، وفرعان لشجرةٍ خبيثة واحدة ارتوت من بركةٍ آسنة نفث فيها قَرن الشيطان.

ولتأكيد التمايز بين نهجي المقاومة والمساومة، ومحوري المقاومين والمطبعين، أصبح إحياء يوم القدس العالمي أكثر إلحاحاً وأهمية من أي وقت مضى؛ ذلك بأنّ مستضعفي الأرض بعد تفرد الهيمنة الصهيوأمريكية على العالم أصبحوا أكثرً بؤساً، وأن مسلمي الأمة بعد الفتن المذهبية أصبحوا أكثر تشرذماً، وأن عرب المحيط والخليج بعد سباق التطبيع مع العدو أصبحوا أكثر بعداً عن القدس وقرباً من أورشليم، وأن شعب فلسطين بعد رحلة التيه الطويلة في صحراء أوسلو القاحلة، ونفق الانقسام المظلم، وملهاة الانتخابات الحزينة، أصبحوا أكثر بعداً عن محطة العودة إلى فلسطين، وأبعد مسافةً عن طريق تحرير القدس.

ولكي نقترب من محطة العودة إلى فلسطين وطريق تحرير القدس أصبح إحياء يوم القدس العالمي بمثابة ميلاد متجدد سنوياً، يمنحنا الفرصة والقوة لإعادة تصويب البوصلة نحو فلسطين والقدس، ويمنحنا الرجاء والأمل لتتوحد الأمة الإسلامية حول القدس، لتحقق شرطي الإيمان والقوة في جيل وعد الآخرة عباد الله أولي البأس الشديد، ليسوؤوا وجوه الصهاينة، وليتبروا إفسادهم، ويدخلوا المسجد الأقصى في القدس كما دخلوه أول مرة، ويمنحنا الرؤية والروح ليتوحد الشعب الفلسطيني حول القدس في مشروعٍ وطني عنوانه العودة إلى مرحلة التحرير الوطني، ووسيلته الصمود والمقاومة، وهدفه التحرير والعودة، بعد أن عاشوا ردحاً من الزمن أسرى لوهم الاستقلال، وكابوس الانقسام، وسراب الانتخابات... وحتى يتحقق وعد الآخرة بالنصر وتحرير القدس سيظل يوم القدس العالمي مصباحاً ينير للأمة طريقها لتحرير القدس، وسيظل فكر الإمام الثائر آية الله الخميني - مبدع يوم القدس العالمي - نبراساً يضيء للأمة طريقها لاستعادة القدس.

بعد (سيف القدس) نغزوهم ولا يغزونا

كتــب بتاريــخ:

14 مايو 2021م

حتى كتابة هذه السطور لا زالت الحرب تحمل أوزارها وتلقي بحممها، فالعدو المجرم يواصل صب حمم قذائفه المدمرة من الجو والبر والبحر على قطاع غزة؛ فيقتل البشر ، ويحرق الشجر ويدمر الحجر... والمقاومة الباسلة تدك مدن المستوطنة الصهيونية من شمال فلسطين إلى جنوبها لترسم خريطة فلسطين بالنار، وتضع على رؤوس قادة العدو إكليل العار... وقبل أن تضع الحرب أوزارها وتفرغ حممها، وتنتهي هذه الجولة من الحرب، فيتوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ويعود سيف القدس إلى جرابه، فقد لاح من بين دخان الحرب السوداء خيوط الضوء البيضاء، ويمكن التقاط بعضها؛ في محاولة لفك شيفرتها، ومنها :

<u>أولا:</u> معركة سيف القدس، هي الحرب الأولى فلسطينيا التي تقرر المقاومة الفلسطينية المبادرة بالحرب، وتحدد ساعة الصفر لانطلاقها، وهي الحرب الثانية عربيا بعد حرب أكتوبر **1973** م التي يبدأ بها العرب، وجميع الحروب الأخرى كانت بمبادرة الكيان الصهيوني ابتداء من حرب النكبة والعدوان الثلاثي والنكسة، وانتهاء بحروب غزة الثلاثة وآخرها حرب **2014**م، ومرورا بحرب لبنان الأولى عام **1982** م، وحرب لبنان الثانية عام **2006** م، إضافة لعشرات المعارك والعمليات العسكرية الأخرى، وهذه المبادرة بالحرب للمقاومة الفلسطينية بجناحيها الأساسيين : حماس والجهاد، تعني تراجع الردع الإسرائيلي، وزيادة الثقة بالنفس، وشجاعة قرار الحرب.

<u>ثانيا:</u> معركة سيف القدس، هي الحرب الأولى التي تخوض فيها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة الحرب لأسباب غير متعلقة بالوضع الميداني الغزاوي كالعدوان العسكري والحصار الاقتصادي، وغير ناتجة بتدحرج الأحداث المتبادلة بين المقاومة والاحتلال، بل اندلعت بسبب أهم مفردات القضية الفلسطينية، وهي القدس والمسجد الأقصى، باعتبارها قضية إجماع وطني فلسطيني، بعد تواصل انتهاكات المستوطنين لحرمة المسجد الأقصى وتخطيطهم لاقتحامه، وتواصل بطش جيش الاحتلال واستباحة الدم الفلسطيني في باحات المسجد الأقصى وعلى أبوابه، طوال شهر رمضان المبارك.

وهذا يدل على أن المقاومة الفلسطينية رغم اهتمامها بتوفير الحياة الكريمة لشعبها وحاضنتها لدعم صمودهم، فإنها تضع في أولوياتها القضية الوطنية بكل مفرداتها: القدس والتحرير والعودة وغيرها.

ثالثا: معركة سيف القدس، باسمها وأسبابها وهدفها، تدل على أن القدس هي مركز الصراع بين الكيان الصهيوني من جهة والشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية من جهة أخرى، وهي تَلّخص طبيعة الصراع الإحلالي الاستيطاني من خلال ما يحدث في حي الشيخ جراح من محاولات طرد وتفريغ الحي من سكانه الفلسطينيين لإحلال وتوطين مستوطنين يهود مكانهم. وهي تَلّخص طبيعة الصراع الديني الحضاري من خلال ما يحدث في المسجد الأقصى وبيت المقدس وأكنافهما، من محاولات السيطرة الجغرافية ماديا وفعليا، ومحاولات السيطرة التاريخية معنويا ورمزيا، لتكون الرواية الجغرافية والتاريخية رواية يهودية صهيونية... وهذه التسمية والأسباب والأهداف لمعركة (سيف القدس) تدل على محورية الصراع في القدس وأكنافها بين الحق والباطل.

رابعا: معركة سيف القدس، بعنوانها ومضمونها، المتمحور حول القدس، عنوان وحدة فلسطين، ومضمون الوحدة تتجسد في وحدة الشعب والأرض والقضية، فالشعب توحد خلف القدس وسيفها في كافة أماكن تواجده، لا سيما في فلسطين المحتلة، لا فرق بين سكان قطاع غزة رغم معاناة الحصار وآلام العقوبات، وبين سكان الضفة رغم معاناة الاحتلال والاستيطان وبطش أجهزة التنسيق الأمني، وسكان الأرض المحتلة عام النكبة رغم معاناة التمييز العنصري ومحاولات الأسرلة، ووهم المواطنة، وأكذوبة التعايش في (مجتمع إسرائيلي) واحد! ووحدة الأرض الفلسطينية التي رسمت معالمها صواريخ المقاومة من شمال فلسطين إلى جنوبها، ووحدة القضية الفلسطينية كقضية تحرير وعودة واستقلال محورها القدس.

خامسا: معركة سيف القدس، أنهت الجدل العقيم حول مهزلة الانتخابات من جانبين: أولهما وهم السيادة على القدس الذي من أجله ألغيت الانتخابات بعد رفض الاحتلال لإجرائها في القدس، فجاءت المقاومة الشعبية من أهل القدس وفلسطين المحتلة عام النكبة، لتقول أن السيادة على القدس تفرضها المقاومة وليس الانتخابات، فتعدل خط سير (مسيرة الأعلام) للمستوطنين، ثم لتأتي صواريخ المقاومة من غزة فوق رؤوس المستوطنين لتفرض على الاحتلال والمستوطنين إلغاء المسيرة فورا

والهروب بطريقة مذّلة. وثانيها وهم الشرعية عبر الانتخابات تحت الاحتلال لتعيد الشرعية إلى أصلها المنتزع بالمقاومة والدم والعرق، فالشعب يعطي الشرعية للمقاومة في مرحلة التحرير الوطني.

سادسا: معركة سيف القدس، حتى الآن بما تبين من القدرة على اتخاذ قرار الحرب، وإدارتها بتنظيم وانضباط وهدوء ، وتطور قدراتها الصاروخية كماً ونوعاً ومسافة واستمرارية، تَعتبر محطة تحول كبرى مفصلية في تاريخ الصراع بين الكيان والآمة عامة، وبين الكيان والمقاومة خاصة، فقد تجاوزنا مرحلة الانتصارات الإسرائيلية في الحروب الثلاثة الأولى : النكبة والعدوان الثلاثي والنكسة، وتجاوزنا مرحلة اختلاط النصر بالتعادل والهزيمة للكيان في حربي أكتوبر ولبنان الأولى، وتجاوزنا المرحلة الثالثة التي حققت فيها المقاومة الإنجازات من خلال الدفاع، فأخرجت الجيش والمستوطنين من غزة عام **2005**، وأخرجت الجيش من لبنان مدحوراً مذعوراً عام **2000**، ومنعت الكيان الصهيوني من تحقيق النصر في حروب غزة الثلاثة، إيذاناً ببدء المرحلة الرابعة بانطلاق الصلية الأولى من صواريخ المقاومة من غزة فوق رؤوس المستوطنين المستعدين لاقتحام المسجد الآقصى في القدس، وهي مرحلة المبادرة بالهجوم، أو الآن نغزوهم ولا يغزونا.

خَلاصة الآمر أن معركة (سيف القدس) تشكل محطة تحول كبرى مفصلية في تاريخ الثورة الفلسطينية في صراعها مع محتل أرضها ومهجر شعبها وقاتل أهلها، وفي تاريخ الصراع بين الآمة الإسلامية والكيان الصهيوني، وهي مرحلة نغزوهم ولا يغزونا، بمعنى المبادرة باتخاذ وتنفيذ قرار الحرب التحريرية الشاملة في محطة إساءة وجوه بني إسرائيل في حروب المقاومة، وهو الممر الإجباري والتمهيدي لمحطة دخول المسجد الآقصى وتتبير علو دولة الإرهاب والإفساد، وتحرير فلسطين، وما بين المحطتين الكثير من إنجازات النصر، وآلام المعاناة، حتى يأذن الله تعالى بالنصر المبين، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

هل ستكون (سيف القدس) الحرب قبل الأخيرة؟

كتــب بتاريــخ:

17 مايو 2021م

مرت ذكرى النكبة الثالثة والسبعين وفلسطين كلها موحدة تقاوم خلف القدس وسيفها، غزة بالصواريخ، والضفة بالحجارة، والساحل والمثلث والجليل والنقب بالمظاهرات، في لوحة عز وشرف وكرامة، مرسومة بالدم والعرق والدموع... ذكرى النكبة المحفورة في عمق الذاكرة بحروف من ألم وحسرة ومهانة، تضرب في الوعي الجمعي للشعب والأمة بسؤال ليس له جواب مقنع : كيف استطاع كيان ناشئ بجيشه الصغير أن ينتصر على جيوش عربية عديدة، ودول عربية كبيرة، ويتمدد ليحتل كل فلسطين والجولان وسيناء، ليضع قدمه الأولى على هضبة الجولان وقدمه الآخرى على مياه قناة السويس، في غضون أقل من عشرين عاماً على قيام الكيان الصهيوني، ليكتب جيش الكيان لقب " الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر"... فما باله يقهر في حرب (سيف القدس) فيعجز عن وقف صواريخ المقاومة الفلسطينية المنهمرة كحجارة السجيل فوق رؤوس مستوطنيه في مستوطنته المركزية تل أبيب ومعظم مستوطناته المقامة على أنقاض أرضنا المغتصبة، فتنقلب الصورة لتصبح المقاومة الفلسطينية التي لا تَقهر، وما بين المشهدين شيء ما تغير.

لم يتغير الكيان الصهيوني أو الجيش الإسرائيلي، ولكن الذي تغير هو الإنسان العربي الذي يحارب الكيان وجيشه، فقد انتهت حروب الجيوش النظامية لأنظمة حاكمة غير جادة في مواجهة الكيان الصهيوني، وكان آخرها حرب أكتوبر عام **1973** م، التي خرج بعدها الجيش المصري من الصراع، مقابل استعادة سيناء منزوعة السيادة لمصر، ثم لتكون حرب لبنان الثانية عام **1982** م، مرحلة فاصلة بين حروب الجيوش والمقاومة، فيهزم فيها قوات المنظمة شبه النظامية، وتنتصر فيها قوات حزب الله المقاومة بعد ثمانية عشر عاماً من المقاومة العنيدة، تَوجت بانسحاب الجيش الإسرائيلي مدحوراً تحت ضربات المقاومة عام **2000** م، لتبدأ في نفس العام الانتفاضة الفلسطينية الثانية بعد فشل المرحلة الانتقالية من اتفاقية أوسلو في تحقيق وعودها، وانتهت بأول إنجاز للمقاومة على الأرض الفلسطينية. عندما فككت المشروع الاستيطاني في غزة، وأجبرت جيش الاحتلال على

الانسحاب إلى حدود القطاع، وبعد ذلك بعام حققت المقاومة اللبنانية إنجازاً جديداً في حرب لبنان الثانية عام 2006م، عندما أجبرت الجيش الإسرائيلي الغازي على الهروب مذعوراً تحت ضربات المقاومة ومن ثم وقف الحرب دون أن تحقق هدفها، لتبدأ حروب غزة العدوانية الثلاثة وعشرات المعارك وجولات التصعيد، دون أن يستطيع الجيش الإسرائيلي تحقيق النصر في ميدان المعركة، أو إنجاز صورة النصر في ميدان الإعلام، وهذا شيء قريب من الهزيمة.

حقيقة العجز عن تحقيق النصر أو صورة النصر عبر عنها وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق أفيجدور ليبرمان، بقوله: " إن الحكومات الإسرائيلية توقفت عن الانتصار منذ حرب لبنان الأولى"، ولكن ليبرمان لم يدرك سبب توقف الحكومات الإسرائيلية عن الانتصار ، وحاول رئيس أركان الحرب الإسرائيلي أفيف كوخافي معرفة السبب عن طريق عقد ورشة عمل من كبار ضباط جيشه سماها (ورشة النصر)؛ لحل لغز مأزق النصر، لتجيب على سؤال : كيف يمكن لإسرائيل أن تحظى بنصر نظيف حاسم غير قابل للشك في حروبها المقبلة؟!، ورشة العمل لم تستطع الإجابة عن هذا السؤال، لإدراكهم استحالة تحقيق النصر بالمفهوم التقليدي القديم، كاحتلال الأرض، أو تحقيق الأهداف السياسية للحرب، أو إخضاع المقاومة لإرادة الكيان، فذهبت الورشة إلى تغيير مفهوم النصر ليكون أكثر تواضعاً، يتركز حول زيادة المدة الزمنية بين جولات المواجهة، أو تقليل أمد كل جولة ومواجهة ضررها وردع العدو عن مهاجمة (إسرائيل)، وتعبيراً أكثر وضوحاً عن مأزق النصر الإسرائيلي كتب رئيس هيئة التحرير في صحيفة هآرتس مقالاً تحليلياً عقب إحدى جولات التصعيد قبل ثلاثة أعوام : " عندما تخوض إسرائيل مواجهة انطلاقاً من هدف معلن فإن أعدائنا سينتصرون طالما أنهم لا يستسلمون".

الشيء الأكثر خطورة على الكيان الصهيوني من مأزق النصر هو دور الصواريخ في تقويض أساس المشروع الصهيوني، فهذا الكيان قام على ثلاث ركائز مترابطة، هي : الأمن والهجرة والاستيطان، فالأمن أساس جلب اليهود الصهاينة، وهجرتهم إلى (أرض الميعاد)، والاستيطان فيها، ليحقق كل يهودي صهيوني حلمه الخاص في (أرض السمن والعسل)، ويحقق اليهود مجتمعين حلمهم الجمعي في إقامة (وطن قومي يهودي)، والصواريخ تسلب المستوطنين الأمن الشخصي والجماعي، وبدلاً من أن تكون (إسرائيل) أكثر مكان آمن لليهود في العالم، تصبح أكثر مكان خطراً على حياة اليهود في العالم، فلا يهاجر يهود جدد إليها، بل تتحول إلى مكان طارد لليهود فتتزايد الهجرة العكسية، فيتأثر

الاستيطان سلباً، وهو جوهر المشروع الصهيوني، وفي ذلك الخطر الأمني خطراً وجودياً على دولة (إسرائيل)، وهذا ما عبر عنه مؤسس الدولة العبرية ديفيد بن جوريون بقوله :" إن جوهر مشكلتنا الأمنية هو وجودنا بالذات، وهذا هو المعنى الفظيع لمشكلتنا الأمنية".

المأزق الأمني والوجودي الذي سببته صواريخ المقاومة للكيان الصهيوني في تصديها لحروب ومعارك الكيان العدوانية السابقة، تعمق بشكل كبير وسريع في الجولة الحربية الحالية (سيف القدس)، بسبب تطور صواريخ المقاومة كما ونوعا ومسافة، ومراكمتها لعناصر القوة المبنية على كل جولات الصراع السابقة، وإصرارها على إرادة النصر رغم ضخامة الخسائر البشرية والمادية، وإيمانها بأهمية نتائج المعركة على مسار الصراع مع الكيان الصهيوني، وما لها من تأثير هائل على الكيان في كل المجالات، أهمها: تغّير صورة (إسرائيل) القوية وجيشها القادر، أمام العرب والعالم، لتصبح (إسرائيل) الضعيفة، وجيشها العاجز. وفقدان ثقة المستوطنين اليهود في دولتهم لتصبح مكاناً غير آمن للعيش فيه، وفقدان ثقتهم بجيشهم ليصبح مؤسسة غير قادرة على حمايتهم، وفقدان ثقتهم بقيادتهم السياسية لتصبح قيادة لا تستطيع قيادتهم لبر الأمان.

وهذه النتائج المتعلقة بالجبهة الداخلية للكيان مهمة، والتي ستساهم في تفكيك الكيان من الداخل، ككيان أوهن من بيت العنكبوت، والتي ستجعلهم ((يَخْرِبُونَ بُيوتَهم بِأَيْدِيهِم))، ولكن الأهم منها هو تكملة الآية القرآنية الكريمة ((وَأَيْدِي الْمُؤمنين))، وهي النتيجة التي سيخرج بها أعداء (إسرائيل) في محور المقاومة وكل أحرار الأمَة والعالمَ، عندما يرون عجزها أمام جبهة غزة منفردة، فكيف إذا ما انهمرت الصواريخ على الكيان من كل الجبهات مرة واحدة؟، وهذه النتيجة ستعجل في الإعداد لحرب وعد الآخرة الفاصلة، فبعد أن صدق الله العظيم وعده بمجيء اليهود جماعات مهاجرة من كل أنحاء العالم إلى فلسطين ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخرة جِئْنَا بِكُمْ لَفيفًا))، وبعد أن بعث الله تعالى جيل النصر ممن يمتلكون شرطي الإيمان والقوة بقوله تعالى ((عبادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيد))، لم يبق إلا تحقيق وعدة الآخرة حيث المعركة الكَبرى الفاصلة ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخرة لِيسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَولَ مَرةٍ وَلِيتَبرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرا))، فهل ستكون معركَةَ (سيف القدس) الحربَ قبل الأخيرة؟!

نحو مشروع تحرير مركزه غزة وقبلته القدس

كتـب بتاريـخ:

20 مايو 2021م

منذ اللحظات الأولى (لمعركة سيف القدس)، فرضت صواريخ المقاومة السيادة الفلسطينية على مدينة القدس، فألغت (مسيرة الأعلام) الاستيطانية، وأجبرت مستوطني تل أبيب على منع التجول، ووحدت الشعب الفلسطيني خلف القدس وسيفها منتفضين ضد الاحتلال... وقبل أن تضع الحرب أوزارها ويعود السيف إلى غمده، أصبح من الواضح أن ما بعد الحرب ليس كما قبلها، وأن مشروع التحرير قد وصل إلى محطة سياسية وعسكرية متقدمة لا رجعة عنها، تقتضي إعادة توجيه مسار مشروع التحرير بعيداً عن الفريق الخائب المعطل لمسار التحرير، والذي ربما يسير بطريق معاكس لمسار التحرير، وهذا يتطلب العودة إلى بداية الانحراف في المشروع الوطني الفلسطيني على يد نفس الفريق الخائب الفاشل.

المشروع الوطني الفلسطيني بعد النكبة تبلور بعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م. وحدد أهدافه بتحرير كل فلسطين، وعودة كل اللاجئين، وتحقيق الاستقلال الوطني، وحدد وسيلته بالكفاح المسلح، وحرب التحرير الشعبية، وعرف طبيعة المرحلة كمرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين، ورسم ملامح المشروع الوطني الأساسية، وأهمها: طبيعة الكيان الصهيوني، وحلفاء الثورة وأعدائها... وبفعل عوامل التعرية الثورية، والتآكل في مفهوم الوطنية، وتشويه الواقعية الثورية، تم تعديل المشروع الوطني وإعادة إنتاجه بعنوان البرنامج المرحلي أو النقاط العشر عام 1974م، الذي فتح الطريق بعد عشرين عاما لاتفاقية أوسلو وإقامة السلطة الفلسطينية عام 1994م، بعد إجراء عملية تجميل فاشلة للبرنامج المرحلي، فأقيمت سلطة تحت الاحتلال وليس على أرض محررة، وسلطة تحكمت فيها نخبة غير وطنية بدلا من إقامة سلطة وطنية، وسلطة مسالمة ومرتبطة بالاحتلال مكان سلطة الشعب الوطنية المقاتلة، وسلطة مقبرة للدولة المستقلة وليست ممراً لها، وسلطة تقدم وظائف أمنية ومدنية وسياسية تخدم الاحتلال أكثر مما تخدم الشعب.

فريق أوسلو كانوا من أهم أسباب حدوث الانقسام الفلسطيني عام **2007**، بعد فوز حركة حماس بالانتخابات التشريعية قبلها بعام، وكان هذا الفريق المسؤول عن فرض العقوبات الاقتصادية المهينة على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، ومنذ ذلك الحين فشلت كل محاولات المصالحة، وإعادة بناء النظام السياسي الفلسطيني تحت سقف اتفاقية أوسلو، بما فيه المحاولة الأخيرة بإنجاز المصالحة وبناء النظام السياسي الفلسطيني من بوابة الانتخابات التشريعية والرئاسية والوطنية، لإعادة بناء السلطة والمنظمة.

ورغم تنازل فصائل المقاومة عن بعض قناعاتها لإنجاح مسار الانتخابات والمصالحة، فشاركت في العملية الانتخابية أ و التزمت بعدم تعطيلها، إلا أن فريق أوسلو قلب الطاولة الوطنية عندما تأكد له أن نتائج الانتخابات لن تكون لصالحه، وأن الشعب سيعاقبهم على التنسيق الأمني وعقوبات غزة وفساد السلطة، فأخرج من جيبه ورقة القدس المتعلقة برفض سلطة الاحتلال إجراء الانتخابات فيها، لَيعلن تأجيل الانتخابات، وهي كلمة السر لإلغائها، فاستخدم قضية وطنية لتحقيق أهداف غير وطنية، فهو حق يراد به باطل.

أمام دور فريق أوسلو في انحراف مسار المشروع الوطني، وتخريب مسار المصالحة وإعادة بناء النظام السياسي عبر الانتخابات، وأمام الحقائق التي فرضتها المقاومة في جولات كفاحها المسلح وآخرها (سيف القدس)، وأهمها: توحد الشعب الفلسطيني خلف المقاومة، وخروج فريق أوسلو من دائرة الصراع مع العدو، لا مناص من إعادة بناء مشروع التحرير الوطني المقاومة بعيداً عن هذا الفريق الخائب، بناء على القواعد الوطنية المشتركة التي تجمع فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وأهمها حركة فتح، وجناحي المقاومة الوطنية الإسلامية: حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وتلك القواعد موجودة في الميثاق الوطني الفلسطيني ووثيقتي كل من حماس والجهاد السياسية.

المسار الجديد لمشر وع التحرير الوطني المقاوم، يجب أن يكون بعيداً عن المسار السابق الذي تحكم فيه مسار أوسلو، وآخرها الانتخابات الملهاة، وأهم ركائز هذا المشروع عنصري الصمود والمقاومة بعيداً عن مسارات التسوية الفاشلة، وأن يكون مركزه غزة المقاومة باعتبارها مقر سلطة الشعب الوطنية المقاتلة المستقلة بعيداً عن المراكز التي يدار فيها التنسيق الأمني، وأن تكون القدس قبلة

مشروع التحرير لكل الشعب الفلسطيني بما فيه الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة عام **1948** باعتبارهم جزءاً أصيلاً صامداً فوق أرضه بعدما استثناهم فريق أوسلو من مشروعهم، وأن تكون القدس بوصلة محور المقاومة الفلسطينية والعربية والإسلامية وكل أحرار العالم، وأن يعيد مشروع التحرير الاعتبار لوحدة فلسطين : الأرض والشعب والقضية، وأهدافه: تحرير فلسطين، وعودة اللاجئين، والاستقلال الوطني، ووسيلته: الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية، وطبيعة المرحلة هي مرحلة كفاح وطني لتحرير فلسطين وإزالة الكيان الصهيوني من الوجود.

سيف القدس تَبدد الوهم المسمى عرب إسرائيل

كتــب بتاريــخ:

22 مايو 2021م

احتلت انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة عام النكبة المدافعة عن القدس والمسجد الأقصى والمتضامنة مع غزة ضد العدوان الإسرائيلي مساحة كبيرة في وسائل الإعلام الإسرائيلية، ومن خلال متابعة ما قاله المسئولون الرسميون والمحللون السياسيون في الكيان الصهيوني عبر تلك الوسائل الإعلامية الناطقة باللغة العبرية يتضح مدى القلق الذي يسكنهم من هذه الانتفاضة، واعتبرها بعضهم اخطر من صواريخ المقاومة على الكيان الصهيوني، وبعضهم الآخر عبر عن أسفه لضياع جهود عشرات السنوات من التخطيط والعمل والإنفاق على محاولة صياغة هوية عربية إسرائيلية منفصلة عن الهوية الوطنية الفلسطينية. وقد ركزت تلك الوسائل الإعلامية العبرية على بعض المشاهد المقلقة من وجهة نظرها، مثل: ردود فعل سكان مدينة الطيبة المبتهجة بسقوط صاروخ للمقاومة في محيط مدينتهم، ورفض سكان اللد إدانة صاروخ المقاومة الذي قتل أب وابنته من مدينتهم، وحوادث اعتداء العرب على الجنود بزيهم العسكري في المدن المختلطة.... وكأن الكيان الصهيوني قد استيقظ على أصوات انفجارات صواريخ سيف القدس من بعض أوهامه فبددتها شظايا الصواريخ، لا سيما الوهم المسمى (عرب إسرائيل).

(عرب إسرائيل) هو الاسم الذي أطلقته دولة (إسرائيل) على الشعب الفلسطيني الذي ظلّ صامداً في أرضه المحتلة عام 1984م، ولم يهاجر كمعظم الشعب الفلسطيني ، وعددهم عام النكبة كان (150) ألف فلسطيني، وهم الذين نجوا من تطبيق إستراتيجية الحركة الصهيونية ومنظماتها العسكرية أثناء حرب النكبة المعروفة بالخطة دالت، ومضمونها السيطرة على أكبر مساحة من الأرض مع أل عدد من العرب ، ولأن الأرض مزروعة بأهلها الفلسطينيين عمدت تلك المنظمات الصهيونية على تفريغها منهم قسرا بالإرهاب العسكري والنفسي ، وأهم وسائلها المذابح والقتل والتدمير، وأشهرها مذبحة دير ياسين التي نفذتها منظمة (الأرجون) الإرهابية بزعامة مناحم بيجين، الذي اعترف بتلك الإستراتيجية الإرهابية عندما قال فيما بعد " لولا دير ياسين لما قامت دولة إسرائيل"، وكان لبقاء هذا الجزء من الشعب الفلسطيني صامداً فوق أرضه ومتمسكاً بوطنه فلسطيني دور في وضع الكيان

الصهيوني في مأزق لا زال يعاني منه حتى اليوم بعد أن تضاعف عددهم أكثر من عشرة أضعاف شاهدين بوجودهم وصمودهم بأن فلسطين أرض لها شعب بخلاف أكذوبة الرواية الصهيونية بأنها آرض بلا شعب.

فرضت دولة (إسرائيل) الحكم العسكري على هذا الجزء الصامد من الشعب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة عام **1984**م، واستمر الحكم العسكري حتى عام **1966**م، مارست ضدهم كل أنواع القمع والتضييق من قتل واعتقال وتهجير، ومصادرة للأرض، كان أبرزها مذبحة كفر قاسم عام **1956**م أثناء العدوان الثلاثي على مصر. وبعد انتهاء الحكم العسكري بدأت معهم سياسية (الآسرلة)، وأهم ملامحها: فرض الجنسية الإسرائيلية عليهم، ودمجهم في الدولة اليهودية العبرية، دون أن تَعطيهم حقوقاً متساوية مع المستوطنين اليهود القادمين من شتى بقاع الأرض، وقد اعتمدت القيادة اليسارية المتصدرة للمشهد السياسي الفلسطيني داخل الكيان الصهيوني آنذاك على النضال الشعبي والسياسي لانتزاع حقوق المواطنة المدنية والسياسية في إطار القوانين الإسرائيلية، لتحسين حياة الناس ودعم وجودهم وصمودهم في وطنهم. فيم استمرت القيادة الإسرائيلية في تعزيز مفهوم (عرب إسرائيل)، لعزلهم عن امتدادهم الفلسطيني والعربي من جهة، إضافة إلى التعامل معهم كأجزاء منفصلة عن بعضها البعض، بمساعدة بعض قياداتهم المرتبطة بالسلطة، فنجحت في فصل الدروز عنهم وفرضت عليهم التجنيد الإجباري في الجيش الإسرائيلي، وحاولت فصل بدو النقب عنهم، وحاولت التفرقة بين المسلمين والمسيحيين.

طوال مرحلة عزل الفلسطينيين عن شعبهم وأمتهم وعن بعضهم البعض ومحاولات ترسيخ هوية جديدة تحت مفهوم (عرب إسرائيل)، ظل الكيان الصهيوني يسعى إلى تحقيق هدفه بالسيطرة على الأرض بعد انتزاع ملكيتها من أصحابها المتمسكون بها، وأمام هذا الهدف الذي يمثل جوهر المشروع الصهيوني وصراعه مع الشعب الفلسطيني، كانت أكذوبة المواطنة الإسرائيلية تتهاوى، ووهم الأسرلة بمفهوم (عرب إسرائيل) يتساقط، واختراع القوانين المدنية والعسكرية المفصلّة لانتزاع الأرض الفلسطينية تتوالى، وآخرها قانون (تطوير الجليل والنقب)، الذي تم بموجبه مصادرة (**21**) ألف دونم من أراضي قرى عرابة وسخنين ودير حنا وعرب السواعدة، فكان ذلك بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، فأشعلت فتيل انتفاضة يوم الأرض في الثلاثين من مارس آذار عام **1976**م، فارتوت الأرض

بدم الشهداء والجرحى، ليكون يوم الأرض نقطة تحول في الصراع على الأرض، خاصة بعد إعادة التواصل والالتحام مع جذورهم وامتدادهم الشعبي والوطني في الضفة والقطاع، لا سيما بعد بدء الانتفاضة الأولى عام **1987**م، والانتفاضة الثانية عام **2000**، والمشاركة فيها، ثم في هبة القدس عام **2015**م، وصولا إلى تصدر مشهد الدفاع عن المسجد الأقصى مع أهل القدس في رمضان السابق، وتضامنهم مع أهل غزة في حرب (سيف القدس).

حرب (سيف القدس) كأعلى تجلّي للمقاومة في شكلها الكفاحي المسلّح، هي أفضل المراحل التي تبرز فيها الهوية الوطنية الفلسطينية، وتتحقق فيها الوحدة الوطنية الفلسطينية، فعلى الدوام كانت المقاومة توحد الشعب الفلسطيني وتعمق هويته الوطنية، وهذا ينطبق على مجموع الشعب الفلسطيني في فلسطين وخارجها، لا سيما داخل فلسطين المحتلة عام **1948**م، وهذا ما أزالت عنه الغبار حرب (سيف القدس)، التي بددت وهم الكيان الصهيوني بوجود شعب اسمه (عرب إسرائيل) اخترعوه من أوهامهم المريضة، ليجعلوه جزء من أكذوبة (المجتمع الإسرائيلي) المركب من جيتوهات المدن الأوروبية، لتتجمع في جيتو واحد كبير اسمه (إسرائيل)... هذا الوهم الذي بددته صواريخ المقاومة من غزة، وأصوات جماهير الشعب الفلسطيني من مدن وقرى الأرض المحتلة عام النكبة التي تهتف للقدس وغزة معلنة صوت عرب فلسطين، مبددة وهم (عرب إسرائيل).

حارس الآسوار غفا في وقت الحراسة

كتــب بتاريــخ:

3 يونيو 2021م

قبل حرب اكتوبر المعلومات الاستخبارية المنذرة بقرب هجوم الجيشين المصري والسوري على الكيان الصهيوني كانت تتدفق على قادته، ولكن انتصاراتهم العسكرية الثلاثة السابقة لحرب اكتوبر عام **1973** م على الدول العربية، كانت كافية لأن تمدهم بالغرور الذي أعمى بصرهم، وأن تزودهم بالغطرسة التي طمست بصيرتهم، فصدقوا ما كذبوا على أنفسهم بأن جيشهم لا يقهر، وأن العرب لن يجرأوا على مهاجمتهم، فلم يصدقوا تلك المعلومات الاستخبارية وتجاهلوها، فكان هذا هو خطأهم الاستراتيجي الذي دفعوا ثمنه في الحرب، وبما أن الله تعالى قد وصفهم في القرآن الكريم بأنهم قوم لا يعقلون ولا يفقهون، فقد كرروا خطأهم الاستراتيجي بعد أن طال عليهم الآمد وصولاً إلى معركة (سيف القدس)، فلم يصدقوا جدية المقاومة في تحذيرهم من مواصلة انتهاك حرمة المسجد الأقصى والدم الفلسطيني، وأن المقاومة قد تبدأ المعركة وتبادر بالهجوم؛ ذلك بأنهم بادروا بالهجوم في كل معاركهم السابقة مع المقاومة في فلسطين ولبنان، لا سيما وأن قطاع غزة غارق في الحصار والفقر. فتفاجأ الكيان الصهيوني بالهجوم وفتحت معركة (سيف القدس) فكان اسماً على مسمى ومنسجماً مع أهدافها ونتائجها.

معركة (سيف القدس) كانت اسماً على مسمى، بتطابق الاسم مع أهدافها ونتائجها، بخلاف الاسم الذي اختاره قادة الكيان الصهيوني لمعركتهم، وهو (شومير هحوموت)، وترجمته العربية (حارس الآسوار)، فقد كان اسماً على غير مسمى؛ بتناقض الاسم مع أهدافها ونتائجها، فاسم حارس الآسوار هو اسم لأغنية عبرية قديمة، كُتبت على لسان جندي إسرائيلي واصفاً ذكرياته وأحلامه وطموحاته، حارساً لآسوار مدينة القدس العتيقة، متذكّراً حلمه طفلاً بأن يصبح جندياً ليحرس (أورشليم)، ومزهواً بتحقق حلمه شاباً وقد أصبح جندياً يحرس (أورشليم)، ومتوهماً بإمكانية مجيء السلام المستحيل بالمفهوم الإسرائيلي كي لا يحتاجوا إلى حرّاس أسوار جدد... هذا الحلم الفردي الذي تحقق يخفي في باطنه حلماً جمعياً لليهود الصهاينة لم يتحقق بعد، وهو إعادة بناء (هار هبيت)، المعروف عربياً بجبل المعبد أو هيكل سليمان، للمرة الثالثة مكان المسجد الآقصى بعد هدمه، وحتى تحقيق هذا الحلم

الصهيوني هم بحاجة إلى حارس الآسوار (الجيش الإسرائيلي) ليحمي مدينتهم (أورشليم)، ودولتهم (إسرائيل)، ولكن حارس الآسوار في معركة (سيف القدس) فشل في إنجاز مهمته فانطبق عليه المثل العبري الذي يطلق على كل شخص يفشل في أداء مهمته (هشومير نردام بزمان هشميراه)، بمعنى: الحارس غفا في وقت الحراسة.

حارس الآسوار غفا في وقت الحراسة، وبعد آن فشل في إنجاز مهمته في ميدان المعركة، وآخفق في تحقيق النصر في ساحة القتال، حاول إنجاز مهمته في ميدان الإعلام، وأراد تحقيق النصر في ساحة الصور، فاختراع ما يسميه بالعبرية (تمونات نيتسحون) بمعنى (صورة النصر)، وهي شيء وهمي اخترعته قيادة الكيان الصهيوني في زمن العجز عن تحقيق النصر الفعلي في حروبها مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية، بعد أن ولّى زمن هزائمنا، وزمن انتصارات العدو العسكرية الواضحة والحاسمة، عندما كانت صورة الحروب النهائية تتطابق مع نتائجها، كصورة الجنود العرب وهم قتلى غارقين بدمهم، أو أسرى غارقين بذلّهم، أو صورة الجنود الإسرائيليين وهم يغرسون علم دولتهم على قبة الصخرة بالقدس، أو قمة جبل الشيخ بالجولان، أو شاطئ قناة السويس بسيناء، أو صورة الدبابات الإسرائيلية على مداخل بيروت الغربية.

وعندما آفل نجم انتصارات (إسرائيل) آصبح التقاط صورة النصر مهمة شبه مستحيلة، لعدم وجودها في معاركها مع المقاومة، وآخرها معركة (سيف القدس)، أو (حارس الآسوار) بالتسمية الإسرائيلية، وعبثاً حاول الجيش الإسرائيلي قتل قائد كبير - بالمعايير الإسرائيلية- في المقاومة، وأصبح تصوير بعض مجاهدي المقاومة مستسلمين بعيد المنال، واستمرار تدمير الأبراج توقف جبرياً بعد تهديد المقاومة... والعكس هو الذي حدث، فقد كسبت المقاومة صورة النصر في اللحظات الأولى للحرب عندما قصفت القدس فصورت الكاميرا ذُعر وهروب المستوطنين المحتشدين في (مسيرة الأعلام) وعندما قصفت تل أبيب فصورت الكاميرا المستوطنين يهرعون إلى ملاجئهم مرعوبين، وهذا ما شهد به المراسل العسكري الإسرائيلي للقناة (13) آور هيلر، بقوله: " إن الصراع على صورة النصر كسبتها المقاومة فور إطلاق الصواريخ باتجاه القدس، والحصول على حاضنة شعبية في القدس والضفة وعند العرب في (إسرائيل)، بينما غابت أي مشاهد انتصار أو إنجازات حقيقية على الساحة الإسرائيلية".

حارس الأسوار غفا في وقت الحراسة، ففشل في أداء مهمته، وأخفق في انتزاع النصر في الميدان أو الصورة، ولذلك عجز عن تصدير وعي وهمي بالنصر الإسرائيلي، وبناء على استطلاعات الرأي الإسرائيلية غالبية المستوطنين لم يصدقوا مزاعم قيادتهم بتحقيق النصر على المقاومة، ولم يتكون لديهم وعي بالنصر المزعوم، وهو إدراك عقلي وشعور قلبي بالنصر، وهذا يعني أن لديهم وعي بالهزيمة على المستوى الفكري والشعوري، وهذا ما أكده طاقم التحرير في جريدة (هآرتس) الإسرائيلية بعد المعركة: "يجب قول الحقيقة، وهي أن الرأي العام الإسرائيلي يرى أن إسرائيل هزمت في هذه المعركة"، وعلّق عضو الكنيست (بن غبير) عن شعور الخيبة عند مستوطني غلاف غزة فور وقف إطلاق النار، بقوله: "إن وقف إطلاق النار هو بصقة في وجوه سكان جنوب إسرائيل".

وبالمقابل الشعب الفلسطيني تملّكه وعي النصر، وإدراك الظفر، ووصل إليه إحساس الإنجاز وشعور الثقة، فعبر عن كل ذلك بخروجه محتفلاً إلى الشوارع فور دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، في كل أماكن تواجده داخل فلسطين وخارجها، فكان ذلك أصدق تعبير عن وعيهم بالنصر في معركة (سيف القدس) التي أعادت لهم ثقتهم بأنفسهم ومقاومتهم، وإحساسهم بعزتهم وكرامتهم، وأملهم في التحرير والعودة.

حارس الأسوار غفا في وقت الحراسة، ففشلت معركة (حارس الأسوار) في تحقيق أهدافها العسكرية، وأهم مظاهر هذا الفشل هو عدم قدرة الجيش الإسرائيلي حارس أسوار دولة الجيش (إسرائيل) على وقف إطلاق رشقات الصواريخ وقذائف الهاون من قطاع غزة، وهو سلاح المقاومة الأساسي في المعركة، والخطر الأول على أمن المستوطنين في الجبهة الداخلية للكيان، وتأكيداً لهذا الفشل لحارس الأسوار كتب الميجر جنرال احتياط (إسحق بريك) في جريدة (هآرتس) "مئات الغارات، مئات الطائرات، آلاف الذخائر الموجهة الدقيقة التي تبلغ تكلفتها مليارات الشواقل على قطعة أرض صغيرة جداً، وعلى الرغم من ذلك لم تنجح في وقف إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون حتى موعد دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ... ويبدو أنه كان باستطاعتهم الاستمرار بذلك لفترة طويلة جداً".

صواريخ المقاومة الفلسطينية التي استمرت بالانهمار على المستوطنة الصهيونية الكَبرى عمقت المأزق الإسرائيلي الأمني، وتجاوزته لتعمق مأزقه الوجودي؛ فالمشروع الصهيوني قام على أساس إقناع يهود العالم بأن (إسرائيل) هي الوطن القومي اليهودي والمكان الأكثر أمناً وأماناً لليهود في

العالم (أرض الميعاد)، والمكان الأكثر فائدة اقتصادية لليهود في العالم (أرض السمن والعسل). وحروب المقاومة وآخرها (سيف القدس) حولت (إسرائيل) إلى المكان الأكثر خطراً وخوفاً على اليهود في العالم، وإذا استمر ذلك الخطر والخوف فسيكون المكان الأكثر خسارة اقتصادية لليهود في العالم، وستبخر حرارة الصواريخ ما تبقى من سمن وعسل، وهذا المأزق الوجودي يعني وضع إمكانية زوال الكيان في حيز الإمكان تحدث عنه جنرال إسرائيلي تحدث عن سيناريو سقوط آلاف الصواريخ الدقيقة من محور المقاومة في الحرب الشاملة وتنبأ بأن" هذه الحرب ستشكل تهديداً وجودياً علينا وعلى حياتنا في دولة إسرائيل". وهي الحرب الإقليمية التي تحدث عنها السيد حسن نصر الله في خطابه الأخير التي ستكون نتيجتها زوال إسرائيل حتماً بإذن الله.

وخَلاصة الأمر عندما غفا حارس الأسوار في وقت الحراسة، ثم استيقظ متأخراً بعد فوات الآوان، فوجد أن زمن انتصاراته قد أدبر بدون رجعة، وأن زمن هزائمه قد أقبل بدون توقف، واكتشف أن هزائمه الاستراتيجية أمام محور المقاومة في لبنان وفلسطين قد زادت هزيمة في سيف القدس، وأدرك أن مأزقه الأمني قد ازداد عمقاً في الحضيض، وأن مأزقه الوجودي قد أسرع صعوداً إلى الهاوية، وانتبه إلى أن الخط البياني لزوال دولته في هبوط، والخط البياني للتحرير والعودة في صعود، وعندما يتقاطع الخطان: الصهيوني الهابط والفلسطيني الصاعد، سيتوقف الزمن برهة، ليتحقق قدر الله، في انتصار تمام الحق والخير على تمام الباطل والشر، فينزع الخنجر المغروس في قلب الأمة (فلسطين)، وقلب فلسطين (القدس)، وقلب القدس (المسجد الأقصى) فيفرح المؤمنون بنصر الله، ويفرح الفلسطينيون بالتحرير والعودة.

بايدن والآرمن.. الثعلب واعظاً

كتــب بتاريــخ:

12 يونيو 2021م

قصيدة "الثعلب والديك" لأمير الشعراء أحمد شوقي هي حكاية شعرية قصيرة وبسيطة ورمزية، مطلعها خدعة من الثعلب لاستدراج الديك وافتراسه:

بــرز الثعلــب يـــوماً .. في ثيـــاب الـــواعظينا
فمشى في الأرضِ يهدي .. ويســـــب الـمـاكرينـا

وختامها حكمة ذهبت مثلاً:

مخطئ من ظن يومــــاً .. أن للثعلـــــبِ دينـــــاً

يرمز الثعلب في القصيدة إلى الاستعمار، بينما يرمز الديك إلى الشعوبِ المعرضة للاستعمار، والهدف منها تحذير الشعوب من مكر الاستعمار، وعدم الانخداع بما يلبسه من أقنعةٍ جميلة تَخفي وراءها وجوهاً قبيحة، والحكمة :مخطئ من ظن يوماً أن للاستعمارِ قيماً أخلاقية ومبادئ إنسانية، سواء الاستعمار الأوروبي القديم أو الاستعمار الأميركي الجديد.

ومن أمثلة ذلك، تباكي الاستعمار الغربي على الضحايا اليهود في الحرب العالمية الثانية، والضحايا الآرمن في الحرب العالمية الأولى، في الوقت الذي يتجاهل الضحايا العرب والمسلمين في كفاحهم ضد الاستعمار. آخر هذا المسلسل تبرير الاستعمار الأميركي على لسان الرئيس جو بايدن، وعدم إدانته مذابح الكيان الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني في معركة "سيف القدس."

صورة الثعلب و اعظاً تجسدت في بيان الرئيس الأميركي جو بايدن الخاص بالآرمن، الذي اعتبر أن الأحداث التي وقعت معهم أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها في الدولة العثمانية، والتي تسببت في تهجير وموت مئات الآلاف منهم، بمثابة إبادة جماعية نفذتها الدولة التركية العثمانية، فقال : " الأميركيون يكرمون جميع الآرمن الّذين لقوا حتفهم في الإبادة التي وقعت قبل **106** أعوام."

وبذلك، انضمت الولايات المتحدة الأميركية إلى حوالي **30** دولة أخرى في العالم تعترف بالإبادة الجماعية للأرمن، ولكلّ منها أسبابه الخاصة، آخرها التمسك بالحقيقة، منها أرمينيا، واليونان، وقبرص، وروسيا، وفرنسا، وألمانيا، ولبنان، وسوريا، فيما أمسكت "إسرائيل" العصا من النصف، حفاظاً على علاقتها بأرمينيا وتركيا معاً، فوصفت مأساة الأرمن بـ"المأساة الرهيبة"، من دون أن تصل إلى درجة تسميتها بـ"الإبادة الجماعية."

بين تسمية معاناة ا لأرمن بالمأساة الرهيبة أو الإبادة الجماعية، غابت الرواية المحايدة لمعاناتهم، وحضرت روايتان مختلفتان. الرواية التركية تقول إن عدد الضحايا **300** ألف أرميني، قتلوا وماتوا بسبب الحرب والصراع والأوبئة والمجاعات، كما قتل ومات غيرهم من مواطني الدولة من كل الأديان والأعراق، وهي تعترف بعمليات التهجير القسري للأرمن من إقليم الأناضول، ولكنها تبرره بتمردهم وتعاونهم مع العدو الروسي الغازي، وقيام عصاباتهم المسلّحة بقتل سكان الأناضول المسلمين وتهجيرهم، وتعترف بوقوع عمليات القتل، ولكنها تعتبرها نتيجة للصراع، ومن دون أوامر حكومية أو خطة للدولة.

والرواية الأرمينية تقول إن عدد الضحايا يبلغ **1,5** مليون أرميني، قتلوا وماتوا بسبب خطة وأوامر من حكومة تركيا الفتاة. وقد تواصلت مع الحكومة الكمالية، في إطار مشروع التتريك ذي المسارين؛ تتريك المسلمين غير الأتراك، وإبادة المسيحيين غير الأتراك (الأرمن). وبذلك، يكون ما حدث هو عملية تطهير عرقي وإبادة جماعية وفق معايير الأمم المتحدة.

إن الاختلاف بين الروايتين التركية والأرمينية حول مأساة الأرمن يقتضي البحث في تعريف الإبادة الجماعية، وفق مرجعية الأمم المتحدة التي وضعت معايير محددة للمفهوم، عندما اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام **1948** اتفاقية منع عمليات الإبادة الجماعية وتجريمها، واعتبرتها جزءاً من القانون الدولي الملزم لجميع الدول؛ ففي المادة الثانية للاتفاقية، اعتبرت الإبادة الجماعية أياً من الأفعال المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، وحددت **5** معايير لذلك، هي: قتل أعضاء من الجماعة، وإلحاق أذى جسدي أو روحي خطر

بأعضائها، وإخضاعها عمداً لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً، وفرض تدابير تستهدف المسؤول دون إنجاب أطفال داخلها، ونقل أطفال منها عنوةً إلى جماعة آخرى.

الإبادة الجماعية، وفق هذا المفهوم الدولي، تنطبق على الجرائم التي ارتكبتها الولايات المتحدة الأميركية في سياستها تجاه كثير من شعوب الأرض، بدءاً بإبادة السكان الآصليين للبلاد التي احتلّوها واستوطنوها وسموها "آميركا"، وأطلقوا على سكانها اسم "الهنود الحمر."

وبحسب الباحث منير العكش في كتابه "أميركا والإبادة الجماعية"، إن الفكرة التي أدت إلى إبادة أكثر من 100 مليون إنسان بمختلف الطرق الوحشية على يد الغزاة الأوروبيين المسيحيين، هي حق شعب الله المختار في التضحية بالآخر، وحق استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة، وهي الفكرة نفسها التي دفعت الغزاة الأوروبيين اليهود إلى اغتصاب فلسطين، نظراً إلى ارتوائهم من حضارة عنصرية استعلائية استعمارية واحدة. أيضاً جريمة استعباد ملايين الأفارقة بعد أسرهم وانتزاعهم من بلادهم على مدار عشرات السنين، في جريمة أدت إلى إبادة 50 مليون أفريقي أثناء اصطيادهم في أدغال أفريقيا أو نقلهم بالسفن في ظروف بغاية القسوة عبر المحيط الأطلنطي.

وقد صور أليكس هايلي تلك المأساة في كتابه "الجذور"، فوصف معاناة أجداده منذ اصطيادهم من بلادهم، مروراً بمعاناة نقلهم بالسفن، وصولاً إلى حياة العبودية القاسية... تلك المعاناة التي استمرت حتى بعد تحرير العبيد في العام 1863م، بسبب قوانين التمييز العنصري التي ظلّت تجلد الأفارقة 100 سنة أخرى.

جريمتا إبادة سكان أميركا الأصليين واستعباد الأفارقة استمرتا مئات السنين، ولكن جريمة إبادة ربع مليون إنسان ياباني في نهاية الحرب العالمية الثانية حدثت بضربة واحدة على مرحلتين، بفاصل 3 أيام، بين إلقاء القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما، والقنبلة الذرية الثانية على مدينة ناغازاكي، وهي الجريمة الحصرية لأميركا، التي لم يسبقها فيها أحد من العالمين، لما أحدثته من إزهاق للأرواح، ومعاناة للأحياء، وتدمير للبيئة، وخراب للعمران .

وقد تواصلت جرائم الإبادة الجماعية الأميركية بوسائل شتى، منها الحروب العدوانية على دول العالم، مثل الفيليبين وفيتنام وأفغانستان وغيرها، والحصار الاقتصادي لدول أخرى، مثل كوبا وكوريا وإيران وغيرها، ودعم الأنظمة الديكتاتورية الفاسدة في دول "العالم الثالث"، وإطلاق يد حركات تكفيرية متوحشة في دول معينة، مثل سوريا والعراق، ودعم الكيان الصهيوني في جميع حروبه العدوانية.

بعد كلّ جرائم الإبادة الجماعية الأميركية ضد سكّان أميركا الأصليين، والأفارقة، والشعب الياباني، والشعوب التي غزتها أو حاصرتها أو دعمت جلاديها أو ساندت مستوطنيها المحتلين... لا يحق للولايات المتحدة الأميركية أن تعطي نصائح في الأخلاق والإنسانية، كما لا يحق للثعلب أن يعظ غيره .

وقد صدق أمير الشعراء أحمد شوقي عندما ختم قصيدته "الثعلب والديك" قائلاً :

بلّـــــغ الثعـلـــــب عنـــــي	عـــن جــــدودي الصالحينـــا
إنهــــم قالـوا خيــر القــولِ	قـــــــــول العارفينـــــــا
مخطـــئ مــن ظـــن يومــــاً	أن للثعــلـــــب دينـــــــاً

محمد آل خاجة.. "جوييم" بدرجة سفير

كتــب بتاريــخ:

18 يونيو 2021م

زار محمد محمود آل خاجة، سفير الإمارات العربية المتحدة في "إسرائيل"، بيت زعيم حزب "شاس" الديني الصهيوني، ورئيس مجلس حاخامات التوراة شالوم كوهين، في بيته المغتصب في مدينة القدس المَحتلة، وجلس أمامه يَقدّم قرابين الولاء بذلة وانكسار، وأحنى رأسه له ليضع يده عليها، ليمنحه البركة اليهودية.

وقد عبر السفير عن دهشته مما شاهده من "حياة اليهود الدافئين الطيبين"، ولم يَخف ذهوله من تسامح اليهود عندما رأى مسجداً إسلامياً وسط تل أبيب، وأعرب عن استهجانه لقيام بَعض العرب الأشرار في القنوات التلفزيونية والجماعات السياسية بتشويه صورة الواقع الإسرائيلي الحقيقي المَشرِق، ومحاولة إظهار واقع مَختلف غير حقيقي مَظلم لـ"دولة إسرائيل" لأبناء المنطقة، من العرب والمسلمين الذين تم تضليلهم بفعل "الدعاية المسَمومة المشوهة لواقع المجتمع الإسرائيلي الوديع المسالم"!

هذا الواقع السلبي المَختلف لـ"دولة" اليهود، والّذي يتحدّث عنه سيادة السفير الإماراتي مستنكراً، هو الواقع الحقيقي الذي عرفه الفلسطينيون والعرب والمسلمون عن الكيان الصهيوني، فاليهود الذَين وصفهم السفير بأنهم دافئون وطيبون بلباسهم المدني، هم أنفسهم اليهود العدوانيون الدمويون بلباسهم العسكري، مختبئين داخل طائراتهم ودباباتهم ومواقعهم، والذين يرسلون قذائفهم لزراعة الموت والدمار في فلسطين والمنطقة، وهم أنفسهم اليهود المستوطنون العنصريون بجرائمهم الإرهابية، الذين يعربدون في مدن فلسطين، من حيفا إلى الخليل، ومن اللد إلى نابلس، ويوزعون الحقد والدم في ربوع فلسطين.

المسجد الّذي لم يتوقع سعادة السفير رؤيته في قلب "تل أبيب اليهودية المَتسامحة"، هو أحد المساجد الناجية من التدمير والتدنيس في مدينة يافا العربية الصامدة، التي بنيت َعلى أنقاضها،

وإلى جانبها، مستوطنة "تل أبيب" الكبرى. وقد خاض الفلسطينيون في يافا نضالاً مريراً لإعادة افتتاحه. وبناء على هذه الحقائق الغائبة عنه، يحتاج السفير إلى دروسٍ في التاريخ والجغرافيا والآدب، لتصويب فهمه للواقع غير المختلف في فلسطين.

الواقع غير المختلف الّذي لم يعرفه سعادة السفير محمد آل خاجة، هو أنّه مجرد "جوييم" بدرجة سفير بالنسبة إلى الحاخام المتطرف شالوم كوهين، وكل اليهود في "الدولة" المعجب بها وبشعبها. ومفهوم "جوييم" عند "اليهود الدافئين الطيبين" - كما يصفهم سعادته - يطلق على جميع الناس من غير اليهود، وهو جمع "جوي"، بمعنى الآخر والغير والغريب، ويتضمن مفهوماً سلبياً، ونظرة استعلائية، وإحساساً عنصرياً، يقودهم إلى تضخيم الذات اليهودية، وتحقير الذات غير اليهودية، مهما كان دينها وقوميتها ولونها.

هذه العقيدة الاستعلائية العنصرية مستوحاة من كتبهم المقدسة المزورة، كالتوراة التي تجعل الذات اليهودية مقدسة، انطلاقاً من فكرة الاختيار الإلهي، ومضمونها أن الله تعالى فضّلهم على شعوب الأرض، وأعطاهم الحق في تسخيرهم واستعبادهم لخدمة اليهود؛ "شعب الله المختار".

وقد عز ز التلمود عقيدة الاختيار الإلهي لهم، فجاء في أحد نصوصه المزورة على لسان موسى - عليه السلام - سائلاً الله تعالى: "لماذا خلقت خلقاً سوى شعبك المختار؟ فأجابه: لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم، وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم"، فزاد التلمود الذي كتبه حاخاماتهم بأيديهم من استعلائهم وعنصريتهم وإرهابهم تجاه كل ما عداهم من أمم وشعوب، وهو ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيس عَلَينَا فِي الأَمِيينَ سَبِيلٌ}، والآميون هم عرب الجاهلية وكل شعوب الأرض مَن غير اليهود، باعتبارهم درِجة أقل من البشر، فاستغلّوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم، إذ إن القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية والشرائع الدينية تَطبق بين اليهود فقط، وهو ما عززته الحركة الصهيونية، كإفراز للمشروع الاستعماري الغربي بفكره الاستعلائي العنصري ضد الشعوب غير الأوروبية.

الشعور بالاستعلاء والإحساس بالتفوق عند اليهود أمام الآخرين من غير اليهود "الجوييم"، ومنهم السفير الإماراتي المعجب بحياتهم والمبهور بتسامحهم، يقابله الشعور بالدونية والإحساس بالنقص

عند السفير وكل العرب المهزومين أمثاله أمام الحاخام شالوم كوهين وكلّ اليهود وامتدادهم في المشروع الاستعماري الغربي.

كان ذلك واضحاً في كلام السفير الذليل وسلوكه المهين أمام الحاخام اللعين. هذا الإحساس والشعور أدى به إلى تحقير ذاته وتعظيم ذات الحاخام على المستوى الفردي، وهو ما ينسحب على النخبة الحاكمة التي أفرزته، وكلّ النخب الحاكمة العربية، التي أدى بها الإحساس بالدونية والشعور بالنقص على المستوى الجماعي إلى مركّب الدونية القومية والحضارية، ما يجعلها تحتقر النخبة قوميتها وحضارتها، بينما تَعظّم قوميات وحضارات الشعوب والأمم الأخرى التي تعتبرها أعلى قوميةً، وأرقى حضارةَ، وأكثر تفوقاَ.

هذا الشعور بالدونية والإحساس بالنقص على المستويين الذاتي والقومي، يؤدي إلى الهزيمة النفسية أمام الآخر الأجنبي المتفوق أو الغالب - حقيقةً أو توهماً - وربما يتعدى ذلك إلى الإحساس بالخجل والعار من ذاته وقوميته، متجاوزاً نظرية عبد الرحمن بن خلدون في أن المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في كل أحواله، إلى نظرية سيغموند فرويد في أن المغلوب يتقمص لا شعورياً شخصية الغالب ويتوحد بها، رغبةً في التخلّص من دونيته ونقصه، ومتجاوزاً حالة التعايش الواقعي مع الاستعمار إلى حالة القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي، بمعنى الاستعداد العقلي والنفسي للخضوع للاستعمار واستدعائه، وإلى حالة الرضا بالاستحمار عند علي شريعتي، بمعنى التمتع بالعبودية الطوعية للحاكم، مستعمراً أم مستبداً... وعند ذلك الحد، يكون الإنسان - فرداً وشعباً – قد وصل إلى ما يعرف بـ"هزيمة الوعيَ".
هزيمة الوعي في سيكولوجية الإنسان المغلوب، هي الصفات النفسية نفسها للعربي المهزوم، سفيراً كان أم غفيراً، وهي حالة من الذلة والمهانة، ناتجة من فقدان الإرادة لتغيير واقع الهزيمة، اعتقاداً بأن الهزيمة قدر لا يمكن تغييره، وأن النصر قدر مضى لا يمكن تحقيقه، فتحتلّ ثقافة الهزيمة مكان ثقافة النصر في الوعي، فيهزم.

والأصل أن تمتلك الأمة وعي النصر، فتدرك أن الهزيمة ليست قدرها الأبدي المستحيل تغييره، وأن النصر هو قدرها اليقيني المحتوم تحقيقه، ووعي النصر يتطلّب السير في طريق طويل يبدأ بالنقد

الذاتي، والإجابة عن سؤالي: لماذا هزمنا؟ وكيف سنتجاوز الهزيمة؟ وينتهي بمراكمة نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف... وصولاً إلى امتلاك ثقافة النصر وإرادة النصر.

هذا ما أدركته المقاومة ومحورها، وما جهله سفير الإمارات ونظامه الحاكم، وكل أنظمة التطبيع العربية الخاضعة للإرادة الصهيو- أميركية، وفريق "أوسلو" الفلسطيني المهزوم... لذلك، ما زالوا في مرحلة هزيمة الوعي. وإلى آن يصل السفير والنخبة الحاكمة في دولته، وكل الدول العربية المنزوعة السيادة والاستقلال والكرامة، إلى درجة الوعي بالنصر، سيظلّ السفير محمد آل خاجة "جوييماً" بدرجة سفير.

مشروع التحرير أهم من منظمة التحرير

كتـب بتاريـخ:

23 يونيو 2021م

بدأتّ منظمة التحريرِ الفلسطينية كمشروعِ تحريرٍ وطني، ومنظمة ثورية مَقاتلة، تتخذُ الحرب الشعبيةَ طويلة الأمد أسلوباً، وتتبنى الكفاحَ المَسلّحَ وسيلة، وتحريرَ كلِ فلسطين هدفاً، فوحدّتْ الشعبَ الفلسطيني، وعبرتّ عن حقوقه وأهدافه، وأبرزتّ بالمقاومة هويتهَ الوطنية، وقادَها شبانٌ مبدعون ثوريون... وانتهتّ منظمة التحرير الفلسطينية مشروعَ سلطة وطنية، ومنظمةً سلّميةً مَهادنة، تتخذُ المفاوضاتِ المباشرةَ طويلة الأمد أسلوباً، وتتبنى العملً السياسّي وسيلة، وإقامة الدولة على جزء من فلسطين هدفاً، ففرقتْ الشعب الفلسطيني، وتخلتْ عن حقوقه وأهدافه، وميعتَ بالمساًومة هويته الوطنية، وانتهت قيادتها إلى شيابٍ هرمين متخاذلين... استبدَلوا التحريَر بالدولة، ثّم قايضوا الدولة بالسلطة، ثّم حولَوا السلطة إلى حوت كبيرٍ ابتلعَ منظمة التحريرِ، فنبذها عاريةً من مشروعِ التحرير، فأصبحتّ في العراء بدونِ مشروعٍ للتحرير... فكيفَ أضحتّ منظمة التحريرِ بدونِ مشروعِ تحرير؟!، وكيفَ نعيد إليها مشروعَ التحرير؟!، وإن تعذّر ذلك فكيفَ نَحرر مشروعَ التحررِ منها؟!.

شكلتّ منظمة التحريرِ الفلسطينية مشروعاً تحررياً وطنياً، وجبهةً وطنيةً واسعةً، وإطاراً وطنياً معبراً عن الهوية الوطنية والقومية والدينية للشعبِ الفلسطيني، ومؤسسةً سياسيةً مَمثلةً للشعبِ الفلسطيني، تحملَ أهدافهَ، وتَطالب بحَقوقه، وتوّحدَ صفوفهَ، وتَنظمَ كفاحَهَ... عندما كانتّ المنظمة كلّ ذ لكَ اكتسبتّ من شرعيتها الثورية الشرعَية الشعبيةَ، وانتزعتّ بشرعيتها الشعبية الشرعية العربيةَ فالدوليةَ، فاعترفَ العالم بهاَ ممثلاً شَرعياً وحيداً للشعبِ الفلسطيني... فكمن في باطنِ هذا الخيرِ الشر، باعتراف المنظمة بالشرعية الدولية، كثمن باهظ لاعتراف العالم بها، تلكَ الشرعية القائمة على الاعتراف بدولة (إسرائيل) على معظمِ أرضِ فلسطين، مما يعني تحولاً في الفكر السياسي الفلسطيني للقبولِ بفكرة تقاسم فلسطين بين العربِ واليهود، تبعَهَ قبولَ المنظمة بقسمة الأرضِ بين مالكها وسارِقها، قبولاً تدحرج مع الزمنِ العربي الرديء، والتراجعِ الفلسطيني البطيء، إلى الاعتراف بدولة (إسرائيل)، مَقابلَ اعترافِها بالمنظمة مَمثلاً للشعبِ الفلسطيني، وإقامة سلطةٍ تحت الاحتلالِ، ووعداً

وهمياً بتحويل السلطةِ إلى دولة منزوعة السلاحِ والسيادةِ والكرامة. دون الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية على أرضه ووطنه.

كانَ هوَس الاعترافَ بالمنظمة مَمثلاً شرعياً ووحيداً للشعبِ الفلسطيني مستحوِذاً على قيادةَ المنظمة لدرجة التضحية بمشروعِ التحريرِ الكاملِ مقابلَ هذا الاعتراف، وكانَ الفكر السياسي الفلسطيني حاضراً لتبريرِ الانهزامية باسم الواقعية، ولتسويغِ الانتهازية بغطاء العقلانية، ولتمريرِ الانبطاحيةِ بفلسفةِ المرحلية... فكانَ ذلكَ الهوس بالاعترافِ بدايةَ الانحرافَ وأولَ الاعوجاجِ، فبدأ صغيراً في البرنامجِ المرحلي المعروفِ بالنقاطِ العشرِ عام 1974م، وانتهى كبيراً بعدَ عشرين عاماً؛ بإقامة السلطة الفلسطينية عام 1994م، فقد مهّدَ البرنامجُ المرحلي فكرياً وسياسياً لإقامة السلطة الفلسطينية مع فارق التوقيت الزمني والمضمون السياسي، فقد نص البرنامج المرحلي علَى :"إقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها". والسلطة في اتفاقيةِ أوسلو أقيمتْ تحت الاحتلالِ وليستْ على أرضٍ محررة، وأقيمتْ لتكونَ سلطة النخبة غير الشعبيةِ ومنزوعة الدسم الوطني، وبدون استقلال وقتال... علاوة على التنسيق الأمني والشراكَة الاقتصاديةَ مع الاحتلال، إضافة إلى القمع الأمني والإقصاء السياسي للمقاومة.

اعترفتْ المَنظمة بدولة (إسرائيل)، واعترفتْ هي بالمنظمة بدون دولة، ولمْ تَنجزْ المنظمة مشروعَها الوطني بحده الأدنى- دولة مستقلة في الضفة والقطاع – فبعدَ السلطة لم تنقلنا إلى الدولة، ولمْ تعدنا إلى الثورة، فلا هي طالت إنجاز التحرير، ولا نالت الحفاظ على ديمومة الثورة، والأكثر سوءاً من ذلك انفصلتْ تدريجياً عن مشروعِ تحريرِ فلسطين بقيادة فريق أوسلو، الذي سيطر على المنظمة، فلم تعد تمثلَ الشعب الفلسطيني تمثيلاً حقيقياً، خاصةَ وأن قوى فلسطينية وازنة لا زالت خارجها، وأنها بعدَ أوسلو تجاهلتْ فلسطينيي الخارج، واستبعدتْ فلسطينيي الداخل، وبعدَ الانقسامِ فرقتْ بين شطري الشعبِ الفلسطيني في الضفةِ والقطاع... وانتهى الأمر بهذا الفريق أنْ أخرجَ المَنظمةَ من دائرةِ الصراع المَسلحِ مع الاحتلال، دونَ أنْ يفسحَ المجالَ للمنظمة لتَشاركَ فصائلَ المقاومة في غزة قيادة الحركةِ الوطنيةِ الفلسطينيةِ المَسلحة، في جولاتِ قتالٍ مَتتاليةِ آخرها معركة (سيف القدس)، التي فرضتْ تحولاتٍ استراتيجيةٍ لصالحِ مشروعِ التحرير.

مشروعَ التحريرِ بعدَ معركة (سيف القدس) شهد تحولاً مهماً، ولا ينبغي له أن يرهن مشروعَ التحريرِ بمنظمةَ التحريرِ الفلسطينية وجوداً أو عدماً، ولا ينبغي له أن يظلَ رهينةً لفريقٍ رهن نفسهُ والقضيةَ الفلسطينية لفكرٍ سياسي عقيم، ومشروعٍ سياسي فاشل، ومصلحة نخبوية ضيقة... فمشروع التحرير بقيادة المنظمة لا يمكن أن يستأنفَ إلاّ إذا عادتْ المنظمة لتكون بيتاً للكلِ الفلسطيني، ونهجاً للصمود والمقاومة، وطريقاً للتحرير والعودة، وقائدةً للمشروع الوطني بنسخته الآصلية؛ قبلَ أن تفسدَه عواملُ التعرية الثورية، وتشوهَه عوامل التآكل الوطني، ونهجاً للصمود والمقاومة، وطريقاً للتحريرِ والعودةِ والاستقلالِ، وقائدةَ لمشروعِ التحريرِ الوطني بنسخته الأصلية، وقد تعذّر ذلكَ بسبب إصرارِ فريقِ أوسلو على لعبِ دورِ البطولة، بعدَ أن فقدوا لياقتهم الوطنية، وأصروا على إعطاءِ أدوارِ (الكومبارس) لمقاومي شعبهم، وعلى ذلكَ فلا مناص من إعادة إنتاجِ وإخراجِ مشروعِ التحريرِ بإبعادهم عن لعبِ دورِ البطولة، لتحريرِ مشروع التحرير من سجنِ أوسلو، ومسارِ التسوية، وملهاة بناءِ نظام سياسي سقفه الاحتلال.

تحرير مشروعِ التحريرِ من فريق أوسلو المهيمنِ على السلطةِ والمنظمة هو الخلاص من الدورانِ في الدائرةِ المفرغة التي تدور في فلكها الفصائل بطريقة لا نهائية، وهذا يتطلب التحرر من تقديس الأطر والمسميات، والتركيزَ على المضامين والأهداف؛ فلا قيمة ولا تقديس للأطر الوطنية والمسميات السياسية إذا فرغت من مضامينها الثورية وأهدافها التحررية فالأهمية تكمن في التقديس لمضامينها ومسمياتها، خاصة وأنّ الشعب الفلسطيني أفرزَ قبلَ المنظمة العديدَ من الأطرِ الوطنية التي مثلته، أهمها: المؤتمر العربي الفلسطيني بين عامي **1919-1928**م، واللجنة العربية العليا بين عامي **1936- 1946**م، والهيئة العليا بين عامي **1946 - 1948**م، وحكومة عموم فلسطين عام **1948** م، فلم يتوقف الشعب الفلسطيني على الأطرِ والمسميات، بل اهتمَ بالمضمون والأهداف.

والمضمون والأهداف في الحالة الفلسطينية يتم تحقيقها بالاستناد على جبهة وطنية مقاومة، وحركة تحرير وطني، تضم كلّ من يؤمن بمشروعِ التحرير والمقاومة من فصائل المنظمة وغيرها، بما فيهم ثوار حركة فتح وأحرارها، وفصائلَ المقاومة الوطنية ذات المرجعية الإسلامية، وفي مقدمتها حركتا حماس والجهاد، على أساسِ الميثاق الوطني الفلسطيني الأصلي وركيزتي الصمود والمقاومة، ووحدة فلسطين: الأرض والشعب والقضية، وأهداف التحرير والعودة والاستقلال، والعمق العربي

والإسلامي، وفي طليعته محور المقاومة وكل من يدعم مشروع التحرير المقاوم. ورحم الله الشهيد صلاح خلف (أبو إياد) عندما كتب في ختام كتابه (فلسطيني بلا هوية) مستشرقاً المستقبل بعد أن وضع فرضية نجاح القوى الرجعية الجاهلية - حسب تعبيره- في إجهاض الثورة بقيادة المنظمة ". إن شعبنا سيلد ثورةَ جديدة... فإرادة الفلسطينيين التي لا تَرد في مواصلة المعركة كائناً ما كانت الظروف، هي حقيقة لا تأتيها الريبة من بين يديها ولا من خلفها، بل إنها إرادة تَمليها طبيعة الأشياء، ونحن عازمون على البقاء كشعبٍ وسيكون لنا ذات يومٍ وطن".

"الكولوسيوم" الفلسطيني

كتــب بتاريــخ:

30 يونيو 2021م

الكولوسيوم مسرح روماني يتوسطه حلبة مصارعة يحيط بها مدرج كبير من جميع الجهات، موجود في مدينة روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية القديمة قبل الميلاد، كانت تَعقد فيه مباريات المصارعة حتى الموت بين العبيد غير الرومان؛ ولذلك سمي الكولوسيوم حلبة الموت، والعبيد هم أسرى الحرب يسخّرهم الرومان في شتى الأعمال، ومن بينها المصارعة المميتة التي يدربونهم عليها ليزجوا بهم في مباريات مصارعة حتى الموت في مسرح الكولوسيوم، من أجل التسلية الدموية والمتعة القاسية، وتنتهي كل مباراة مصارعة بقاتل ومقتول، والقاتل يصبح مقتولاً في مباراة لاحقة، وهكذا تستمر دورة موت لا نهائية بين العبيد الضحايا خدمة للسادة الجلادين، في لعبة موت أبدية يوزع فيها السادة الأدوار على العبيد، فيلعب بعضهم دور الضحية وبعضهم دور الجلاد.

الكولوسيوم الروماني انتقل إلى العالم بأشكال مختلفة بدون مسرح فيه حلبة ومدرج، فالأرض كلها تَصبح مسرح كبير يختلط فيه الممثلون بالجمهور، عندما يتحول فيه بعض الضحايا جلادين بالوكالة خدمة للسادة، وحين ينقلب فيه بعض المستضعفين مستكبرين بالإنابة تقرباً للطغاة... وفي هذه الحالة يرتدي الضحية عباءة الجلاد، ويضرب المستضعَف بسوط المستكبر، ويقتلَ المستذلَ ببندقية الطاغية... فإذا حدثَ ذلك فاعرق أن المغلوب قد اقتدى بسلوك الغالب، واعلم أن المقهور قد تماهى بصفات القاهر، وأدرِك أن السجين قد حاكى دور السجان، وتأكد أن المعتدى عليه قد توحد بشخصية المعتدي، وتيقن أن المقتولَ قد تقمص روح القاتل.

من أشكال الكولوسيوم الروماني القديم المتجدد على المسرح العالمي الكبير أن بعضَ الأفارقة في غرب أفريقيا كانوا يصيدون بني جلدتهم ويأسرونهم وقد يقتلونهم خدمة لأسيادهم تجار العبيد الأوروبيين المتوحشين؛ فيساهموا في تحويلهم إلى عبيد أذلاء بعد أن كانوا سادة أعزاء. وأن بعضَ الفرنسيين ساعدوا الاحتلال الألماني النازي في احتلال بلادهم في الحرب العالمية الثانية، وأقاموا حكومة فيشي التابعة للاحتلال، التي عقدت اتفاقية مهينة للشعب الفرنسي، وشاركت قواتها

المسلحة في قمع المقاومة الوطنية الفرنسية خدمة للغزاة الألمان. وأن بعض الجزائريين الخونة قد تطوعوا في الجيش الفرنسي الغازي لبلادهم، وشكلوا مجموعات عسكرية عرفت باسم (كتائب الزواف)، فكانوا أشد شراسة ووحشية من الفرنسيين ضد شعبهم، فساعدوا الجيش الفرنسي في احتلال المدن الجزائرية، وقمع الثورة الجزائرية، واستمروا كذلك حتى انتصار الثورة وزوال الاحتلال.

الكولوسيوم الفلسطيني لا يختلف كثيراً عن النماذج الأفريقية والفرنسية والجزائرية، وإن كان أكثر غرابةً وأشد عجباً؛ ذلك بأنّه مغلّف بنظرية ثورية اندثرت، ومغطّى بفلسفة وطنية درست، ومستند إلى بقايا أطلال مشروع وطني بائد، ومرتكز على آثار فلول ثوار انقرضوا... وقام على أساس وجود سلطة وطنية أُريد لها أنْ تكون جسراً يربط بين الثورة والدولة، فانهار الجسر دون الوصول إلى الدولة أ و العودة إلى الثورة، فغرقتْ السلطة في بركةٍ آسنة من المصالح والامتيازات لأولي الأمر فيها، ثم تحولت إلى عجلٍ ذهبي يَقدّس من دون التحرير، وبقرةٍ حلوب تَعظّمَ من دون العودة، وصنمٍ حجري يعبد من دون الاستقلال... فأفرزت السلطة نخبتها الحاكّمة والمحكومة بإرادة الاحتلال، فارتدواً عباءته، وضربوا بسوطه، وقتلوا ببندقيته... فقاموا بدور الجلاد والمستكبر والطاغية دفاعاً عن سلطتهم وامتيازاتهم، ونسوا ثورتهم ووطنهم وشعبهم، بينما كُتب على بقية الشعب خارج النخبة الحاكمة وأعوانهم وأتباعهم أن يقوموا بدور الضحية، فكان هذا هو الكولوسيوم الفلسطيني.

أحد هؤلاء الضحايا في الكولوسيوم الفلسطيني هو الشهيد المظلوم نزار بنات، المقتول ظَلماً بغير حق على يد الجلادين من بني جلدتهم، في مسرحية حلبة الموت التي كتبها الطغاةَ المحتلون، ووزعوا أدوارها على الشعب الفلسطيني، ليكون الصراع فيها ما بين الضحايا والجلادين، وهم جميعاً ضحايا الاحتلال، فالصراع الحقيقي هو صراع بين الضحايا بأقنعة مزيفة بعضها بوجوه الضحايا وبعضها الآخر بوجوه الجلادين، ليكونوا جميعاً ضحايا سواء القاتل أم المقتول... فنزار بنات لم يحمل سوطاً أو سيفاً أو بندقية ضد السلطة، فقط حمل الكلمة ضد النخبة الحاكمة في السلطة على خلفية الانبطاح السياسي، والفساد الاقتصادي، والتنسيق الأمني، فدفع حياته ثمناً لكلمته فاستحق لقب (شهيد الكلمة).

الكلمة التي اَستشهد من أجلها نزار بنات هي الكلمة التي قال عنها شهيد آخر ذهب ضحية الكلمة عندما قال: "إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا ما متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكَتبت

لها الحياة"، فإذا كانت كلمات الشهيد نزار بنات في حياته سياطاً من حجرٍ تلسع ظهور الفاسدين، فإنها ستكون بعد مماته قضباناً من نارٍ تقصم ظهور الفاسدين، وإذا دفن جسد نزار بنات في التراب، فإن كلماته ستظّل كالروح تسري في الآحياء حتى تدفن الفاسدين في التراب.

حلف القدس.. إيران والجهاد الإسلامي نموذجاً

كتب بتاريـخ:

3 يوليو 2021م

ما بين انتصار الثورة الإسلامية في إيران، واشتعال معركة سيف القدس في فلسطين، مروراً بحرب تموز في لبنان، تكون من خلال الصراع ضد الاستعمار الأمريكي والكيان الصهيوني حلف جديد في المنطقة العربية والإسلامية، يضم دولاً ممانعة للاستعمار الصهيوني الأمريكي، وحركات مقاومة للاحتلال الصهيوني الإسرائيلي، هدف الحلف تدمير المشروع الغربي الاستعماري ضد الأمة الإسلامية ممثلاً في الوجود الأمريكي والكيان الصهيوني، ومحور الحلف فلسطين وقبلته القدس، لذلك فهو في مضمونه حلف القدس، وأقدم دول هذا الحلف هي الجمهورية الإسلامية في إيران، كما أن أقدم حركات المقاومة في الحلف هي حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، فكانت كل من إيران والجهاد نموذجاً صادقاً لحلف القدس، حتى قبل نشأة الجمهورية الإسلامية في إيران، وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، عندما كانت الجمهورية ثورة والحركة فكرة.

كانت فلسطين حاضرة في إيران الثورة قبل إنشاء الجمهورية الإسلامية عام **1979**م، من خلال حضورها في فكر مفجر الثورة ومؤسس الجمهورية، الإمام الثائر آية الله الخميني - رحمه الله – حيث اعتبر تحالف النظام الملكي الإيراني مع الكيان الصهيوني ودعمه، وتخليه عن دعم القضية الفلسطينية ومقاومتها، أهم أسباب نزع الشرعية عنه والتحريض على الثورة ضده، وأفتى بتخصيص جزء كاف من الحقوق الشرعية من قبل الزكوات وسائر الصدقات للمجاهدين الفلسطينيين والثورة الفلسطينية لمحاربة الكيان الصهيوني، وحرم التعامل مع الكيان في كافة مجالات الحياة واعتبر مقاطعتها الشاملة واجباً شرعياً على المسلمين، واعتبر فلسطين قضية المسلمين الأولى، ووجود (إسرائيل) خطراً على الأمة الإسلامية، ولذلك اعتبر تحريرها واجب على كل المسلمين، فقال: "نحن نقول أن إسرائيل يجب أن تَمحى من الوجود، وأن بيت المقدس ملك للمسلمين وهي قبلتهم الأولى"... ومن هذه الرؤية انطلقت سياسة الجمهورية في دعم المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

حضور القدس وفلسطين والمقاومة الفلسطينية في فكر الثورة الإسلامية قبل انتصارها وإعلان الجمهورية عام 1979م بواسطة مؤسسها ومرشدها الأول الإمام الثائر آية الله الخميني، قابله حضور الثورة الإسلامية في فكر حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بواسطة مؤسسها وأمينها الأول الشهيد المفكر فتحي الشقاقي قبل الإعلان عن إنشاء الحركة مطلع ثمانينيات القرن العشرين، فقد نشر كتابه (الخميني: الحل الإسلامي والبديل) عام 1979م، الذي كان قد كتبه قُبيل انتصار الثورة، فأشاد بالثورة ودورها المتوقع في نهضة الآمة وتحرير فلسطين، واعتبر الإمام الثائر آية الله الخميني مع الإمام الشهيد حسن البنا أهم رجلين في القرن العشرين تأثيراً في الساحة الإسلامية، وكتب عن الثورة قائلاً: "إن الثورة الإسلامية في إيران ثورة إسلامية بمعناها القرآني الرحب.. إنها ليست ثورة طائفة دون طائفة. إن القواسم المشتركة بين جناحي المسلمين السنة والشيعة لتكاد بل هي فعلاً تشكل جسد هذه الثورة بدءاً من منطلقاتها وأهدافها ووسائلها وبواعثها". ومن هذه الرؤية المتقدمة الاستشرافية للثورة الإسلامية الإيرانية أسس لوجود حلف القدس لتكون حركة الجهاد الإسلامي أحد أهم ركائزه كقاعدة متقدمة في القدس وفلسطين.

حضور فلسطين في فكر الثورة الإسلامية قبل انتصارها، تحول إلى واقع فعلي ونهج ثابت وسياسة دائمة لإيران بعد انتصار الثورة عام 1979م، وإنشاء الجمهورية الإسلامية، ودخلت فلسطين في صلب مشروعية الثورة الإسلامية، ومن مرتكزات شرعية النظام الثوري، وأحد مكونات هوية الجمهورية الإسلامية، وأصبحت محوراً ثابتاً ومحدداً أساسياً في سياسة إيران الخارجية ومشاركتها في المحافل الدولية، فدعمت المقاومة الفلسطينيَة وأمدتها بالمال والسلاح والخبرات، وعملياً بعد أسبوع واحد من النصر أغلقت السفارة الإسرائيلية في طهران وسلمت مفاتيحها لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكان أول ضيف أجنبي زار إيران الزعيم الراحل ياسر عرفات ليلتقي بقائدها وبجماهيرها، التي استقبلته بشعار (اليوم إيران وغداً فلسطين)، وأعلن عن يوم القدس العالمي كيوم للتضامن مع القدس وفلسطين، وتأكيداً للالتزام بقضيتها وتحريرها، وأعلن عن تشكيل فيلق القدس لتكون أول مهماته دعم المقاومة، وظلت إيران تشير إلى هذا النهج في عهد مرشد الثورة والدولة الثاني الإمام السيد علي الخامنئي، وحضور فلسطين والمقاومة في قلب إيران هو سبب غياب الفريق الشهيد قاسم سليماني قائد فيلق القدس بجريمة الاغتيال الصهيوأمريكية.

بعد إنشاء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين كانت الثورة الإسلامية في إيران أكثر حضوراً في فكر الشهيد الشقاقي من خلال رؤيته لعلاقة الحركة مع الآخرين قرباً أو بعداً، تحالفاً أو تنافراً، وهذه العلاقة حدد لها معايير الإسلام وفلسطين والمقاومة، فوضع إيران وفق هذه المعايير في دائرة القرب والتحالف، قائلاً:" نرى في الثورة الإسلامية في إيران حليفاً وصديقاً لقضايانا خاصة في فلسطين، لقد حررت الثورة الإسلامية إيران ونقلتها من الموقع المعاد للعرب والإسلام وصديق للغرب والكيان الصهيوني، إلى الموقع المقابل تماماً، واجبنا أن نحافظ على هذا التطور والانقلاب الخطر متجاوزين بذلك البعد المذهبي والقومي " وعندما سئل عن مساعدة إيران للحركة أجاب:" نتلقى مساعدات من أصدقاء يتفقون معنا في الهدف الاستراتيجي، والمساعدات غير مشروطة إلاّ باتجاه الهدف الاستراتيجي". ورأى في دعم الثورة الإيرانية للجهاد الإسلامي كجزء من مشروع تحرير فلسطين في إطار تنظيم وإمكانيات الأمة في الحرب الشاملة ضد الكيان الصهيوني والمشروع الغربي، يتم فيه توزيع الأدوار وتكاملها ليكون دور المجاهدين في فلسطين وطليعتهم حركة الجهاد الإسلامي هو مشاغلة العدو، واستنزاف قدراته، وإبقاء الصراع حياً حتى إنجاز وحدة الأمة في جبهة إسلامية واحدة وصولاً إلى النصر.

وأكد الأمين العام الثاني لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الدكتور الراحل رمضان عبدالله شلح على هذه الرؤية والتحالف مع إيران وكل العرب والمسلمين من خلال المعايير التي وضعها مؤسس الحركة - الإسلام وفلسطين والمقاومة - فكتب في الوثيقة السياسية للحركة أن فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية، وواجب هذه الأمة كلها تحرير فلسطين، والأمة هي عمق فلسطين؛ والشعب والقضية والمقاومة، وعلاقة فلسطين بالأمة بناء على هذه الأرضية، وبقدر الاقتراب من فلسطين يتوجب على الفلسطينيين الاقتراب منهم، ففلسطين هي محور هذه العلاقة والقدس هي قبلتها، وأكد على توثيق علاقات التعاون والتحالف مع كل القوى العربية والإسلامية الداعمة لفلسطين ومقاومتها، والرافضة للاعتراف بالكيان الصهيوني ولكل الهيمنة الأمريكية الصهيونية على المنطقة، وكان حريصاً بعد (ثورات الربيع العربي) على النأي بالقضية الفلسطينية عن الصراعات العربية والإسلامية لا سيما المذهبية منها، فقال في مقابلة تلفزيونية عام **2015** "محور المقاومة هو محور فلسطين والقدس... علينا أن نجعل المقاومة مشروعاً للتحرير، ووضع المقاومة خارج حالة الاصطفاف السياسي والمذهبي والقومي في المنطقة".

وأكد الأمين العام الثالث للحركة الأستاذ المجاهد زياد النخالة على عمق التحالف بين إيران والجهاد في إطار محور المقاومة وحلف القدس، فقال في مقابلة عام 2019م "من الواضح أن المقاومة الفلسطينية محاصرة من الجميع باستثناء الجمهورية الإسلامية... وإيران اليوم هي الدولة الوحيدة التي تدعم الفلسطيني وتدفع ثمن هذا الدعم" وعن الجانب المذهبي المثار في هذا الشأن يرى "أنه زج به في هذا الإطار وهو لا وجود له فالإيرانيون لا يسعون إلى تشيع أهل السنة في فلسطين ولا أهل فلسطين يسعون إلى التشيع... إن دعم إيران لنا وللفصائل الأخرى لم يكن يوماً على أساس مذهبي، ونحن مستمرون في هذه العلاقة الأخوية وأستطيع القول إن كل ما تتمتع به المقاومة من إمكانيات هو بفضل دعم الجمهورية الإسلامية لها".

حلف القدس بكل مكوناته: دول ممانعة، وحركات مقاومة، لا سيما إيران الدولة والثورة، والجهاد الإسلامي الحركة والفكرة، سيظل واضحاً ومتميزاً عن حلف أورشليم الصهيوأمريكي، فحلف القدس يوجه بوصلته نحو القدس وفلسطين، ويصوب بندقيته نحو الكيان الصهيوني الغاصب، ويسعى لأن تكون كل الأرض مُمانعة للاستعمار، ومقاوِمة للاحتلال، وثورة على الطغيان، وتمرداً على العبودية... أما حلف أورشليم الصَهيوأمريكي يوجه بوصلته إلى كل الاتجاهات ما عدا القدس وفلسطين، ويصوب بندقيته نحو كل البلاد ما عدا الكيان الصهيوني، ويسعى لأن تكون كل الأرض مساوِمة للاستعمار، ومستسلمة للاحتلال، وخاضعة للطغيان ومتعايشه مع العبودية... فشتان بين حلف تَعز به الأمة وتعيشَ حياة الحرية والكرامة، وحلفٍ تَذّل به الأمة وتعيشَ حياة العبودية والمهانة.

بيــن حلفيــن

كتــب بتاريــخ:

13 يوليو 2021م

أثناء الحملة الفرنسية على مصر والشام أصدر قائد الحملة نابليون بونابرت عام **1800**م بياناً دعا فيه يهود العالم للهجرة إلى فلسطين لإقامة وطنهم القومي تحت الراية الفرنسية. وبعد أكثر من قرنٍ أصدر وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور عام **1917**م بياناً عرِف باسم وعد بلفور، تعهدت بريطانيا بموجبه بإقامة وطن قومي ليهود العالم في فلسطين. وبعد إعلان الحركة الصهيونية ولادة دولة (إسرائيل) سارعت الولايات المتحدة الأمريكية بالاعتراف بها في نفس يوم الولادة، وتبعها الاتحاد السوفيتي بثلاثة أيام، ووزعت الدولتان القائدتان للغرب بشقيه الرأسمالي والاشتراكي الأدوار بينهما لإمداد (إسرائيل) بشريان الحياة، فأمدتها الأولى بالمال والثانية بالرجال، وكل الغرب أمدها بالسلاح والخبرات، فكانت الدولة الوليدة تتويجاً لحلفٍ استعماري جديد بدوافع دينية ووظيفية واستراتيجية.

الدافع الديني للحلف الاستعماري يعود إلى ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر الميلادي كحركة إصلاح ديني داخل الكنيسة الكاثوليكية، وكانت اليهودية جزء من هذا الاصلاح، فعلى الرغم من عداء مارتن لوثر لليهود كمسيحي، فقد وظّفهم في خدمة عقيدة الخلاص المسيحية، فاعترفت البروتستانتية بالعهد القد يم (التوراة)، وتبنت الرواية التوراتية المزورة بأحقية اليهود في أرض الميعاد (فلسطين)، وضرورة عودة اليهود إلى فلسطين، وسيطرتهم على القدس (أورشليم)، لبناء الهيكل الثالث مكان المسجد الأقصى، كشرط مَسبق لعودة المسيح المنتظر، الذي سيقود (المؤمنين) في معركة (هار مجدون)، فيقتل الأشرار ًوينصر اليهود، ويحكم العالم ألف سنة سعيدة، يهيمن فيها المسيحيون على العالم، فكانت تلك الصهيونية المسيحية، التي أدت إلى نشأة الصهيونية اليهودية، فتحالفتا معاً لإقامة دولة (إسرائيل)، وعاصمتها (أورشليم) مركزاً ورمزاً لهذا الحلف الاستعماري بين الحضارة الغربية المسيحية والحركة الصهيونية اليهودية.

مقابل حلف أورشليم المستند إلى أسطورة دينية كاذبة، ووعد بشري باطل، يوجد حلف القدس المستند إلى نبوءة دينية صادقة، ووعد إلهي حق، أعطاه الله – سبحانه تعالى- لمن يمتلك من الأمة

الإسلامية شرطي الإيمان والقوة "عباداً لَنَا أُولِي بَأسٍ شَدِيد" ، بأَن يَعطيهم شرف القضاء على العلو والإفساد الإسرائيلي الثاني في فلسطين كما قال تعالى في سورة الإسراء: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسوءوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَتبروا مَا عَلَوْا تَتْبِيرا". والوعد الإلهي في القرآن الكريم تعززه السنةَ النبوية، التي أشارت في أحاديث نَبوية كثيرة إلى وجود طائفة من المؤمنين المجاهدين في بيت المقدس (فلسطين)، وأكناف بيت المقدس (حول فلسطين)، يخوضون صراعاً مستمراً مع خَلاصة الشر (حلف أورشليم)، وهم متمسكون بحقوقهم، ومستمرون في جهادهم، وقاهرون لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم وخذلهم من بني جلدتهم، حتى يأتي أمر الله ونصره في وعد الآخرة وهم كذلك، حتى يتم إنهاء علو وإفساد اليهود الصهاينة بدولتهم وحلفهم.

الدافع الديني لحلف أورشليم كان غطاء للدافع الوظيفي للحلف، وهو حاجة الغرب للدولة الوظيفية في قلب الوطن العربي - الإسلامي، وملتقى قارات العالم القديم الثالث؛ ليكون دولة حاجزة بين جناحي الأمة العربية والإسلامية، ورأس حربة ضاربة للمشروع الاستعماري الغربي، وعاملاً معيقاً لأي شكل من الوحدة والاستقلال والنهضة في أطرها الإسلامية والقومية والوطنية. وكما وصف المفكر المصري عبدالوهاب المسيري الدولة اليهودية الوظيفية أنها كانت نتيجة لعقد صامت وتحالف ضمني بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية، تقوم بموجبه الحركة الصهيونية بتهجير يهود الغرب إلى فلسطين؛ بهدف إقامة الدولة اليهودية الوظيفية الموالية للغرب والخادمة لمشروعه الاستعماري، مقابل أن يتكفّل الغرب بإقامة الدولة اليهودية وضمان استمرار وجودها، والحفاظ على أمنها واستقرارها، وإمدادها بكل أسباب الحياة والرفاهة... وبذلك يتم حل المشكلة اليهودية في الغرب، وإيجاد قاعدة متقدمة للمشروع الغربي في الشرق. وفي نفس الوقت تحقق الحركة الصهيونية أهدافها بتجسيد حلم العودة اليهودي إلى أرض الميعاد.

إذا كان الدافع الوظيفي الاستعماري لحلف أورشليم يهدف إلى تبادل المصالح الاستعمارية بين المشروعين الاستعماريين الغربي والصهيوني، فإن الدافع الوظيفي التحرري لحلف القدس يهدف إلى تحقيق المصالح العليا للأمة العربية والإسلامية، ومحورها التقدم نحو الوحدة والاستقلال والنهضة، وهذه المصالح لا تتحقق إلاّ بمقاومة المشروع الاستعماري الغربي، سواء الهيمنة الأمريكية على بلاد العرب والمسلمين، أو الكيان الصهيوني في فلسطين، ولا نجاح لأي مشروع سواء وحدة - إسلامية،

عربية، إقليمية - أو استقلال سياسي أو نهضة اقتصادية بوجود الهيمنة الأمريكية والكيان الصهيوني كرأس حربة للاستعمار في المنطقة. فحلف القدس يحقق للأمة وظائف تنجز مصالحها العليا، المرتكزة على أسس الوحدة والاستقلال والنهضة، والمعتمدة على توجيه بوصلة الأمة نحو القدس لتحريرها من الاحتلال، ونحو الكيان الصهيوني لإزالته من الوجود.

الدافع الوظيفي لحلف أورشليم قام على القوة العسكرية الإسرائيلية المدعومة غربياً، وبعد حرب أكتوبر عام **1973** م، التي كادت (إسرائيل) أن تنهار أثناءها لولا تدخل الغرب وخاصة أمريكا، أدرك الحلف الاستعماري بعدها استحالة بقاء مركزه في العمق العربي- الإسلامي بدون شرعنة وجوده في محيطه البشري، فكانت بناء على ذلك اتفاقيات السلام: كامب ديفيد، وأوسلو، ووادي عربة، ولحقتها بعد زمنٍ اتفاقيات التطبيع، وكان آخرها اتفاقيات أبراهام وباكورتها بين الكيان والإمارات، وهي تتجاوز مفهوم السلام الذي يعني إنهاء حالة الحرب، ومفهوم التطبيع الذي يعني إقامة علاقة تعايش طبيعية، إلى مفهوم التحالف الاستراتيجي بين (إسرائيل) والأنظمة الحاكمة على أساس المصالح المشتركة والعدو المشترك (إيران ومحور المقاومة)، والتعايش السلمي بدون استرداد الحقوق، والسلام مقابل السلام دون الأرض، وتبني الرواية الإسرائيلية للصراع بدل الرواية الفلسطينية، والدعوة للإسلام الأمريكاني المهادن بديلاً عن الإسلام الثوري المقاوم.

حلف أورشليم الاستعماري وصل باتفاقيات أبراهام إلى ذروته الاستراتيجية بتجسيد (إسرائيل الكَبرى) بمفهومها الحضاري الشيطاني، ويقفُ على النقيض منه حلف حضاري إنساني هو حلف القدس التحرري، الهادف إلى تدمير مشروع (إسرائيل الكبرى) كخلاصة للشر في العالم، والمرتكز على مفهوم المقاومة بكافة صورها الثقافية والسياسية والعسكرية، وتجسيدها نظرياً وعملياً، والمتحركة بمسارين متوازيين هما: مقاومة وإنهاء الهيمنة الأمريكية في المنطقة كآخر أشكال المشروع الاستعماري الغربي، ومقاومة وإزالة الكيان الصهيوني من المنطقة كمركز للمشروع الاستعماري الغربي وأخر أشكاله، والعلاقة بين هذين الهدفين تكاملية تبادلية، فتحقيق إنجاز في أحدهما يؤدي إلى تحقيق إنجاز في الآخر. وحتى تحقيق هاتين الغايتين، فإن أمام الحلف التحرري مهمتان، هما: إبقاء الكيان الصهيوني كياناً غير شرعي ومعزول وغير مستقر من جهة، ومواصلة استنزاف الاستعمار

الأمريكي وسحب الأرض من تحت أقدامه لتقليص أماكن نفوذه من جهة أخرى... وقد حقق الحلف إنجازاتٍ مهمة في كلا الاتجاهين.

وأخيراً بالمقارنة بين الحلفين يمكن القول بيقين تام أن حلف القدس لديه من قوة الحق ما يضمن استمرار تقدمه حتى إنجاز هدفه بالقضاء على المشروع الاستعماري الغربي، وتحرير القدس وفلسطين، وطرد الأمريكان والغرب، وقوة الحق تستند إلى وحدة مستضعفي العالم الأحرار، ووحدة الأمة الإسلامية، ووحدة القومية العربية، ووحدة صف المقاومين، ووحدة بوصلة الجهاد نحو القدس. ورحم الله المفكر الشهيد فتحي الشقاقي عندما استشرف برؤيته المنهجية حتمية تقدم حلف القدس قبل أكثر من أربعين عاماً، حين تحدث عن المجموعات الجهادية وهي: " تأتي من تخوم بيت المقدس تبدع مسيرتها وتكبر فوق هذا المحور المقدس – القدس طهران - الذي سيميز الطيب من الخبيث، ويرسم ملامح الصعود الإسلامي العظيم".

هكذا عالج "القرآنيون" الخطأ بالخطيئة!

كتــب بتاريـخ:

27 يوليو 2021م

السنة النبوية مليئة بالأمثلة التي تَخبر بأمور غيبية مستقبلية قبل حدوثها، ثم حدثت فعلاً كما أخبرنا من لا ينطق عن الهوى. ومن هذه الأمثلة، ما رواه أبو عيسى الترمذي في سننه عن المقدام بن معدي كرب، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "ألَا هل عسى رجلَ يبلغَه الحديثَ عنَي وهوَ متكئٌ على أريكته، فيقولَ: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنَا فيه حلالاَ استحللنَاهُ، وما وجدنا فيه حراماً حرمناهُ، وإنّ ما حرمَ رسولَ الله ﷺ كما حرمَ الله". الحديث النَبوي، بالإضافة إلى أنّه يخبرنا بأمرٍ غيبي مستقبلي لم يكن قد حدث بعد، فإنه يجزم بأن السنة النبوية الصحيحة وحي من الله – سبحانه وتعالى – غير متلو، مفسرة وموضحة للوحي المتلو – القرآن الكريم – فليس لأحد أنْ يزعم الاكتفاء بالقرآن الكريم عن السنّة النبوية، فالواجب على المسلم تعظيم السنة واتباعهاً باعتبارها مرجعية ثانية للإسلام بعد القرآن الكريم.

إنكار مرجعية السنة مصدراً ثانياً للإسلام بعد القرآن – كما جاء في الحديث النبوي – لم يحدث بصورة واضحة على مر الزمن إلاّ في الزمن المعاصر. وفي أزمنة سابقة، كانت هناك اتهامات بإنكار السنة، وَجَهت إلى فرقٍ إسلامية بعينها، كالخوارج والشيعة والمعتزلة. لكن، عند البحث والدراسة، لا نجد مصداقاً لذلك. وما نجده أن هذه الفرق الإسلامية وضعت شروطاً خاصة بها لقَبول الحديث النبوي وصحته لديها، منها أن: الخوارج توقفوا عند الأحاديث التي رواها جمهور الصحابة – رضوان الله عليهم – بعد وقوع الفتنة الكبرى. والشيعة لم يقبلوا إلاّ الأحاديث التي رواها آل البيت وأنصارهم من الصحابة. والمعتزلة ردّوا الأحاديث التي اعتقدوا مضمونها مُخالفاً للقرآن والعقل... فهذه الفرق وأضرابها ليسوا من منكري السنة النبوية. أما منكرو السنة النبوَية الحقيقيون فظهروا في القَرن العشرين.

إنكار السنة النبوية ظهر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي لدى مسلمي الهند في أثناء الاحتلال البريطاني لها، واستمرت الفكرة تتناقل في القرن العشرين، واتخذت طابع الدعوة إلى الاعتماد على القرآن الكريم وحده من دون السنة النبوية في التشريع الإسلامي. لذلك، عرفت باسم "الحركة

القرآنية"، وكان أبرز دعاتها في منتصف القرن العشرين غلام أحمد برويز، صاحب كتاب "قرآني فيصلي". ومحور آرائه يقوم على أن القرآن شمل كليات الدين ومجمله، أما التفاصيل فهي متروكة لولي الأمر الحاكم في كل بلد، يجتهد فيها وفقاً لتغيرات الزمان والمكان والمصلحة. وانتقلت الفكرة إلى خارج الهند، ولاسيما في إيران وتركيا ومصر، وأهم رموزها ومنظّريها في مصر الدكتور أحمد صبحي منصور، صاحب كتاب "القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي"، وجوهر أفكاره الاكتفاء بالقرآن من دون السنة مرجعية للدين الإسلامي، فأطلق عليهم خصومهم اسم "القرآنيين"، وارتضوه لأنفسهم اسماً واعتبروه تشريفاً لهم، على الرغم من أنهم يسمون أنفسهم "أهل القرآن"، بسبب اختصاصهم بالقرآن من دون السنة مصدراً للشريعة ومرجعية للإسلام.

تتلخّص فكرة إنكار السنة عند "القرآنيين" في أن القرآن الكريم هو المرجعية الحصرية والوحيدة، والتي يمكن من خلالها فهم الإسلام - عقيدةً وشريعة وأخلاقاً -، وكل المرجعيات المعرفية الأخرى لا أساس لها في الإسلام، بما فيها السنة النبوية التي حصروا مفهومها في عمل النبي ﷺ بما جاء في القرآن الكريم والتزامه مبادئ الإسلام المتمثلة بالوحي الإلهي المنزل عليه، وهو القرآن الكريم، ودوره كنبي هو الأسوة الحسنة لتطبيق القرآن الكريم، أمّا كلامه - صلى الله عليه وسلم - غير القرآن، فليس وحياً ملزماً للمسلمين، وطاعته واجبة بصفته حاكماً للمسلمين... وساقوا بعض المبررات والشبهات لتأييد فكرتهم، منها: أن من قام بتصحيح الأحاديث بشر، جهدهم قابل للصواب والخطأ، ومنهجهم يحتمل الصحة والبطلان. والنقل الشفوي، عبر سلسلة طويلة من الرواة، يعتريه الزيادة والنقصان والتحريف، وأن رسول الله ﷺ أمر بتدوين القرآن ولم يأمر بتدوين السنة، وأن الله - سبحانه وتعالى - تكفّل بحفظ القرآن ولم يتكفّل بحفظ السنة، وأن القرآن نفسه وضّح أنّه تبيان لكل شيء ولم يفرط بأي شيء...

بعض تلك المبررات أو الشبهات حق يراد به إظهار الباطل، وبعضها الآخر باطل يراد به طمس الحق. وفي كلتا الحالتين، تولّى علماء الإسلام والحديث تفنيدها ودحضها، فأظهروا الحق وطمسوا الباطل، فوضّحوا دور السنّة في بيان مجمل القرآن، استناداً إلى قوله تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ"، وأثبتوا أن السنة النبوية وحي ثانٍ من الله إلى جانب القرآن الكريم، استناداً إلى قوله تعالى: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى". وبرهنوا أنّ السنّة هي المصدر الثاني للتشريع

الإسلامي بعد القرآن، تطبيقاً لقوله تعالى: "وما آتَاكُم الرسولَ فَخُذوه وما نَهاكَم عنه فَانتهوا...". وغير ذلك من الردود القاطعة كثير.

وأجمل الدكتور محمد عمارة العلاقة بين القرآن والسنة في كتاب "حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشكّكين"، وقال: "إن العلاقة الطبيعية بين البلاغ الإلهي - القرآن الكريم - وبين التطبيق النبوي لهذا البلاغ الإلهي - السنة النبوية - هي أشبه ما تكون بين الدستور والقانون، فالدستور هو مرجع القانون، والقانون هو تفصيل وتطبيق للدستور، ولا حجة ولا دستورية لقانون يخالف أو يناقض الدستور، ولا غناء ولا اكتفاء بالدستور عن القانون".

تجاهل "القرآنيون" دحض العلماء لشبهاتهم، كما تجاهلوا شروط علماء الحديث الصارمة في جمع الأحاديث وتصحيحها، مثل: اتصال السند، وعدالة الرواة وضبطهم في السند، والسلامة من العلة والشذوذ في المتن. وضخّموا عناصر الضعف فيها، مثل: إشكاليات التناقل الشفوي عبر سلسلة رواة طويلة، والفاصل الزمني الطويل بين عصري النقل والتدوين، والتعارض في الروايات المنقولة بالمعنى، وزيادة ظاهرة الوضع في الحديث. واستغلّوا الخطأ الذي وقع فيه غلاة المتعصبين للحديث، بتقديسهم بعض كتب الأحاديث وإضفاء العصمة على أصحابها، وهي وعاء للنصوص النبوية، فخلطوا بين الوعاء ومحتواه، فقدسوا الوعاء، وهو جهد بشري بذل في جمع الأحاديث النبوية وتصحيحها، يقبل الصواب والخطأ، ويحتمل الحفظ والنسيان، ومعرض للزيادة والنقصان، فجعلوا قداسته قريبة من قداسة النص النبوي، الذي هو وحي مقدس إذا ثبتت صحته سنداً بصحة روايته، أو متناً بصحة مضمونه. وعظّموا الرواة على حساب صدق المروي عنه، وأصبحوا أسرى للأسماء البشرية. فكان ذلك الخطأ من غلاة المتعصبين مدخلاً للخطيئة من كل " القرآنيين". فبدلاً من تصويب الخطأ سقطوا في خطيئة إنكار السنة.

إذا كان خطأ المتعصبين غير المقصود دافعه التعصب للحق والهدى، وفيه شطط في اتجاه الصواب والرشاد، فإن خطيئة "القرآنيين" المقصودة دافعها التعصب للباطل والضلال، وفيها شطط في اتجاه الإثم والغواية.

وإذا كان خطأ المتعصبين ركب على ظهره نخبةٌ حاكمة أمسكت بسبحة الشيخ وعصا الطاغية، وزاوجت بين التطرف الديني والاستبداد السياسي، فإن خطيئة "القرآنيين" ركب على ظهرها نخبةٌ فكرية أمسكت بقلم المجدد وعصا الساحر، وزاوجت بين التفريط الديني والتغريب السياسي... ومثل الفريقين كمثل الذين وصفهم الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه - بقوله: "لَيس من طَلَب الحَق فَأخْطَأه كَمَنْ طَلَب البَاطِلَ فَأدْرَكَه".

اتفاقات أبراهام: سلام إسرائيلي وإسلام أمريكاني

كتـب بتاريـخ:
31 يوليو 2021م

أثناء حفل توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني عام **1978**م قال الرئيس الأمريكي جيمي كارتر "دعونا نترك الحرب جانباً، دعونا لأن نكافئ كل أبناء إبراهيم المتعطشين إلى اتفاق سلام شامل في الشرق الأوسط". وأثناء حفل توقيع اتفاقية أوسلو بين المنظمة والكيان الصهيوني عام **1993** م قال الرئيس الأمريكي بيل كلينتون "إن أبناء إبراهيم أي نسل إسحق وإسماعيل انخرطوا في رحلة جريئة، واليوم حقاً بكل قلوبنا وأرواحنا نقدم لهم السلام". وأثناء حفل توقيع اتفاقية وادي عربة بين الأردن والكيان الصهيوني عام **1994**م قال الملك الأردني حسين "سوف نتذكر هذا اليوم طيلة حياتنا لأجل أجيال المستقبل من الأردنيين والإسرائيليين والفلسطينيين وكل أبناء إبراهيم". هذا الاستدعاء لاسم إبراهيم – عليه السلام - كان أكثر وضوحاً في اتفاقية التطبيع بين الكيان الصهيوني وكل من الإمارات والبحرين في سبتمبر عام **2020** عندما أطلق عليها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب اسم (اتفاق ابراهام).

أصل الفكرة الإبراهيمية التي رافقت كل اتفاقيات السلام والتطبيع السابقة برزت بعد وصول (إسرائيل) إلى ذروة قوتها العسكرية والدعم الغربي لها، وإدراك قادة الغرب والصهيونية أن ذلك غير كاف لإبقائها على قيد الحياة واستمرار وجودها، وهذا يحتاج إلى تغيير عميق في ثقافة النخبة الحاكمة والشعوب المحكومة يكون الدين أحد مكوناته، فجاء التطبيع الثقافي لترسيخ وجود (إسرائيل) في عقول وقلوب العرب بعد ترسيخ وجودها على أرض الواقع، وكانت الفكرة الإبراهيمية تطويراً للتطبيع الثقافي ليأخذ بعداً دينياً اتخذ منحاً عملياً منذ مطلع الألفية الثالثة عندما أرسلت جامعة هارفارد الأمريكية فريقاً من الباحثين المتخصصين لمنطقة الشرق الأوسط بإيعاز وتمويل من الأوساط الصهيونية والإدارة الأمريكية، محاولين اختبار فرضية وضع (إبراهيم) كأداة لحل الصراع العربي - الإسرائيلي لصالح (إسرائيل)، وإمكانية البحث عن المشترك الديني وتوظيفه لقبول فكرة التعايش معها كدولة طبيعية في المنطقة العربية والإسلامية، وتوظيفه للسيطرة على دول المنطقة وثرواتها، وبذلك تكون الفكرة

الإبراهيمية بوتقة لصهر الأديان السماوية الثلاثة لينتج منها ثقافة جديدة تسمح بالتعايش مع (إسرائيل) كدولة مركزية في المنطقة، وتسمح بالتعايش مع أمريكا كدولة مهيمنة على المنطقة، وفق مفهومي السلام الإسرائيلي والإسلامي الآمريكاني.

السلام الإسرائيلي الذي جاءت (اتفاقات إبراهام) لترسيخه هدفه تثبيت وجود (إسرائيل) كدولة طبيعية ومركزية في الوطن العربي - الإسلامي، وهذا ما أكده (رون بونداك) المؤرخ الإسرائيلي وأحد مفاوضي اتفاقية أوسلو في كتابه (قناة التفاوض السرية.. أوسلو القصة الكاملة)، بقوله: " العملية السياسية والسلام بحد ذاته مجرد أهداف مرحلية فالغاية النهائية كانت وما تزال هي استكمال مسار إنشاء إسرائيل الذي بدأ بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم **181**".

والسلام الإسرائيلي هو سلام من منطلق القوة وفق مفهوم (الجدار الحديدي) الذي وضعه الزعيم الصهيوني زئيف جابوتنسكي ومضمونه: "أن السلام يتحقق بعد أن يشج الفلسطينيون رؤوسهم بلا جدوى في الجدار الحديدي حينها سيقرون بوجود إسرائيل ويتفاوضون معها على آساس الواقع الموجود"، وحل القضية الفلسطينية وفق هذين المفهومين بالتسليم بالأمر الواقع الإسرائيلي والتعايش مع الاحتلال بدون استرجاع الحقوق الوطنية الفلسطينية أو جزء منها بالحد الأدنى.

والسلام الإسرائيلي هو سلام مقابل السلام الذي طرحه نتنياهو بخلاف رؤية المبادرة العربية للسلام التي طرحت شعار الأرض مقابل السلام، ولذلك قال نتنياهو بعد اتفاقية التطبيع مع الإمارات مؤكداً على هذا المفهوم الإسرائيلي للسلام "إن ا تفاقية التطبيع مع الإمارات ينهي مبدأ الأرض مقابل السلام التي تعتمد عليه عملية التسوية السياسية في المنطقة"، ووضح هذه الرؤية للسلام الإسرائيلي رئيس الكنيست السابق ياريف ليفين بقوله: "إن السلام لا يتحقق من منطلق بيع أرض الوطن ولكن فقط من خلال المصلحة المشتركة والمتبادلة في السلام". والسلام الاقتصادي هو مفهوم إسرائيلي آخر للسلام كما جاء في خطة شمعون بيريز للشرق الأوسط الجديد، وكما جاء في عنوان صفقة القرن (سلام من أجل الازدهار)، ومجملها رشوة اقتصادية للفلسطينيين مضمونها الغذاء مقابل الوطن، والتسهيلات الحياتية مقابل الدولة وهدفها التعايش مع الاحتلال عن طريق تحسين ظروف الحياة تحت الاحتلال. أما الخطة بالنسبة للعرب فهي طريق للسيطرة الاقتصادية الإسرائيلية على الاقتصاد

العربي، وإيجاد شرق أوسط مزدهر اقتصادياً يكون الاقتصاد الإسرائيلي هو المركز فيه، ومشروع مدينة (نيوم) للأمير محمد بن سلمان أحد نماذجه.

والإسلام الأمريكاني الذي جاءت (اتفاقية أبراهام) لترسيخه له وجهان متناقضان شكلياً ومتوافقان جوهرياً، الوجه الأول تحدث عنه سيد قطب في كتابه (دراسات إسلامية) عام **1952**م تحت عنوان (إسلام أمريكاني)، بقوله: " الإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان" وأضاف بأنه ليس هو الإسلام الذي " يعلّم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن طرد المستعمر فريضة". إذن هو نمط جديد للإسلام تريده أمريكا بدون ثورة على الاستبداد والطغيان، وبدون مقاومة للاحتلال والاستعمار، وبدون تصدي للظلم والفساد.. إسلام يخضع معتنقيه للهيمنة الأمريكية طواعية، ويتعايش أهله مع الاحتلال بمحض إرادتهم، إسلام يزرع في النفوس القابلية للاستعمار، ويغرس في العقول الرضى بالاستحمار، ويروض السلوك على الخضوع للاستكبار، إسلام يتخذ من الفكرة الإبراهيمية المحرفة مدخلاً للاعتراف بإسرائيل كدولة طبيعية تستمد شرعيتها من الدين وانتمائها زوراً لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

الإسلام الأمريكاني بوجهه الآخر هو الإسلام التكفيري المتوحش، الذي أشار إليه سيد قطب بأن الإسلام الذي تريده أمريكا هو :" الإسلام الذي يقاوم الشيوعية"، بمعنى الإسلام الذي توظفه أمريكا في صراعاتها مع الآخرين لخدمة أهدافها الاستعمارية، وهو الإسلام المتوحش الذي يكون حاضراً أينما تحضر مصالح أمريكا، كما حضر سابقاً في أفغانستان لقتال الجيش السوفيتي أثناء الحرب الباردة، لاستنزاف الاتحاد السوفيتي وإضعافه، وكما حضر لاحقاً في سوريا أثناء (ثورات الربيع العربي) لاستنزاف الدولة السورية وإضعاف محور المقاومة لصالح الكيان الصهيوني، وهو الإسلام الذي يحول الصراع بين الأمة وأعدائها المركزيين (أمريكا وإسرائيل)، إلى صراع داخل الأمة بعناوين مذهبية وقومية وسياسية، وهو الإسلام الذي يلتقي فيه التطرف الديني والتعصب المذهبي والجمود الفكري والاستبداد السياسي في بوتقةٍ واحدة.

السلام الإسرائيلي أخطر من الحرب وأسوأ من القتل.. سلام يؤبد الخلل في موازين القوى الإقليمية، ويخلّد الصدع في معايير العدالة الدولية، ويثبت الظلم في انتهاك الحقوق الوطنية.. سلام مفروض بقوةِ العدو وغطرسة أمريكا، وبلغةِ الإجبار ومنطق الاستكبار... والإسلام الأمريكاني أخطر من الإلحاد

وأسواً من الشرك.. إسلام يؤبد الخلل في فهم الإسلام الحقيقي، ويخلّد الصدع في روح الأمة الإسلامية، ويثبت الظلم لتاريخ الإسلام المشرق... إسلام مفروض بهيمنة الغرب وعنجهية أمريكا، وبلغةِ التسامح ومنطق التصالح.

ومقابل السلام الإسرائيلي لابد من السلام الفلسطيني، القائم على عودة الحق كاملاً لأصحابه، بعودة أرض فلسطين إلى شعبها، وعودة شعب فلسطين إلى أرضه.. السلام القائم على إزالة وجود الكيان الصهيوني، وتفكيك المشروع الاستيطاني الصهيوني، وعودة الغزاة المستوطنين إلى البلاد التي هاجروا منها... ومقابل الإسلام الآمريكاني بوجهيه: الاستسلامي التطبيعي والدموي التكفيري. لابد من الإسلام الحضاري القائم على الوسطية والاعتدال، بجوهره الإنساني، وطبيعته الثورية، ليعود الإسلام من جديد روحاً للأمة، وجوهر هويتها، ومحرك تاريخها، وصانع مجدها، ومصدر حيويتها، ومجدد فكرها، ومفجر ثوراتها.

مأزق تونس بين روايتين

كتــب بتاريــــخ:

3 أغسطس 2021م

بعد انتخاب قيس سعيد رئيساً لتونس قبل عامين كتبت مقالاً بعنوان: عودة الروح والوعي للثورة التونسية، تفاؤلاً بالمستقبل بعد سبع سنوات من التيه في صحراء الفوضى غير الخلاّقة، وقصدتَ بالروح الطاقة التي تشعل نار الثورة وتضيءً نور الإيمان في قلوب الشعب والثوار، وأردت بالوعي البوصلة التي تحدد مسار الثورة، وترسم اتجاه الهدف في عقول الجمهور والأحرار. واليوم بعد عامين من ذلك المقال المتفائل، لم يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الثورة، ويبدو أن الواقع التونسي التعيس لا يبشّر بعودة الروح، وأن حال السلطة البئيس لا يشير إلى عودة الوعي، فالروح لا زالت مسجونةً في واقعٍ مأزوم، والوعي لا زال محبوساً في حالٍ مذؤوم، ولم تعد الروح ولا الوعي للثورة التونسية، والذي عاد إليها بعد قرارات الرئيس قيس سعيد بإقالة رئيس الحكومة وتجميد البرلمان وغيرهما شيء آخر غير الروح والوعي، اختلفَ الناس فيه أشتاتاً، وافترقَ البشر فيه أقواماً.

من ألوان هذا الاختلاف وصف ما حدث بأنه: تطبيق للدستور أم تعطيل له، وتصحيح مسار الثورة أم حرف مسارها، وثورة جديدة أم ثورة مضادة، وإنقاذ لتونس أم تدمير لها، وتنفيذ لإرادة الشعب أم معاكستها، وميلاد جديد للديمقراطية أم وفاة لها... ومن أشكال هذا الافتراق تشخيص ما حدث بأنّه: مؤامرة لتصفية أول وآخر ثورات (الربيع العربي) أم إجهاض لمؤامرة ضد الثورة، وانقلاب نصف الشرعية على نصفها الآخر أم حسم ثوري داخل قوى الثورة، وحرب على أعداء الوطنية والوطن أم حرب على الإسلام والمسلمين...هذا التشخيص الأخير من المفيد التوقف عنده نظراً لانتشاره في أوساط التيارين: العلماني والإسلامي، كنوعٍ من الإقصاء المتبادل ونفي الآخر، لا سيما توصيف ما حدث بأنّه حرب على الإسلام والمسلمين نظراً لتبني هذا التوصيف من بعض كتاب الحركة الإسلامية.

تبرير البعض لقرارات الرئيس التونسي قيس سعيد بأنها تستهدف حماية الوطن من أعدائه غير المؤمنين بالجماعة الوطنية في إشارة إلى حركة النهضة الإسلامية المحسوبة على تيار الإخوان المسلمين، لا يختلف كثيراً عن توصيف ما حدث بأنّه حرب على الإسلام والمسلمين، وهو توصيف بني على فرضية خطأ أسست الحركة الإسلامية التقليدية منظومتها الفكرية عليها في علاقتها بالآخر،

وهي احتكار تمثيل الدين الإسلامي، والاستحواذ على تمثيل الجماعة الإسلامية، باعتبارها الإسلام والأمة، والآخر خارج دائرة الإسلام والأمة، والحركات الإسلامية التي آمنت بهذه الفرضية بشكلٍ واضحٍ معلن أو غامضٍ مضمر عاشت أزمات عميقة وممتدة في تعاملها مع الآخر خارج دائرتها، لا سيما إذا كان الآخر نظام حكم يمارس الاستبداد السياسي، والإقصاء السلطوي، والإرهاب الدموي، أو كان الآخر تيار أيديولوجي يمارس عليها الاستبداد بالرأي، والإقصاء الثقافي، والإرهاب الفكري. فأصبحت هذه الفرضية جزءاً من أزمة الحركة الإسلامية التقليدية وإشكالية الوصول إلى السلطة وممارستها والحفاظ عليها، وجزءاً من الإقصاء المتبادل بين تيارات الحركة الإسلامية نفسها، بعد أن كانت بينها وبين الحركات العلمانية واليسارية فقط.

أساس فرضية أن الحركة الإسلامية هي الممثلة الحصرية للإسلام والمسلمين يعود إلى مفهومي الحاكمية والجاهلية بصيغهما المختلفة في أدبيات الحركة الإسلامية، ووفقاً لهما تكون مهمة الدعوة الإسلامية نقل الناس من حاكمية البشر (الجاهلية). إلى حاكمية الله (الإسلام)، بإدخالهم في إطار الحركة الإسلامية أو الدولة الإسلامية، وبذلك يصبحون جزءاً من الجماعة الإسلامية في مرحلة الحركة، وجزءاً من المجتمع المسلم في مرحلة الدولة، كما فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة - رضوان الله عليهم - في صدر الإسلام بإخراج العرب من الجاهلية إلى الإسلام، وبذلك تكون الحركة الإسلامية هي (جماعة المسلمين) وليست (جماعة من المسلمين)، وإلى ذلك أشار سيد قطب في كتاب (معالم في الطريق) عندما تحدث عن بناء الجماعة الإسلامية والمجتمع المسلم، وهذا المفهوم هو الذي جعل فتحي يكن يكتب (المتساقطون على طريق الدعوة) مشابهاً بين الخارجين على الجماعة الإسلامية حديثاً (المتساقطون)، والخارجين على الجماعة الإسلامية في عهد النبوة (المرتدون والمنافقون).

أما فرضيتي خروج أنصار الحركة الإسلامية عن الجماعة الوطنية، وخروج خصوم الحركة الإسلامية عن الجماعة الإسلامية، فقد كَتبت روايتين تاريخيتين متحيزتين في كثير من الدول العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار، ومن أمثلة ذلك الصراع ما حدث بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين في مصر بعد ثورة يوليو 1952م، فقد اعتبرته رواية النظام الناصري الحاكم آنذاك مؤامرة ضد الوطن والوطنيين ومكيدة للاستيلاء على نظام الحكم بالقوة، واعتبرته رواية الإخوان المسلمين مؤامرة ضد الإسلام

والمسلمين ومكيدة لإقصاء الإخوان المسلمين عن المشهد السياسي بالقوة. وبعيداً عن الروايتين فإن بطش النظام الناصري الحاكم قد طال كل معارضي النظام من الإسلاميين والشيوعيين على حد سواء، كما لم يترك النظام الحاكم للإخوان المسلمين احتكار تمثيل الإسلام، فقد كان لرأس النظامً الزعيم جمال عبد الناصر مفهومه الخاص للإسلام تم تسجيله في وثائق الثورة والدولة، مثل: كتاب فلسفة الثورة، والميثاق الوطني، وبيان مارس... وكان للنظام مؤسساته المعبرة عن رؤيته للإسلام كمؤسستي الأزهر والأوقاف.

إن ّعدم تكرار تجربة الصراع بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين في تونس، يتطلب التخلّي عن الفرضيات الإقصائية في الاتجاهين، والتحلّي بالفرضيات التشاركية لكل أركان السلطة وأطراف الصراع، لتمهيد الطريق للخروج من المأزق التونسي وتجاوز أزمة السلطة والشعب، والعودة إلى المسار الديمقراطي، بالرجوع إلى العقد الاجتماعي الذي قام عليه النظام السياسي التونسي بعد الثورة، وتحقيق الشراكة السياسية بين أركان السلطة حسب الدستور، والارتكاز على القواسم المشتركة الجامعة - الإسلام والعروبة والوطن - الموّحدة للشعب التونسي، واستمداد القوة من إرادة الحياة التي تسري في أرواح الشعب التونسي العظَيم كما عبر عنها شاعرها الكبير أبو القاسم الشابي "إذا الشعب يوماً أراد الحياة... فلا بد أن يستجيب القدر"، وبذلك فقط تعود الروح ويعود الوعي للثورة التونسية.

الحرية في فكر الجهاد الإسلامي

كتـــب بتاريـــخ:

10 أغسطس 2021م

كتب العالمِ والمصلحِ الجزائري عبد الحميد بن باديس عن الحرية مقالاً بعنوان (عيد الحرية)، جاء فيه: "حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية، المتعدّي عليه في شيء من حريته كالمتَعدّي عليه في شيء من حياته... وما أرسل الله الرسل، وما شرع من شرعٍ إلاّ ليعرفً بنو آدم كيف يحيون أحراراً...". هذهً الفقرة تلّخص فلسفة فكر الحرية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، فالحرية عنده جوهر الحياة ورسالة الإسلام، وبفقدانها يفقد الإنسان معنى حياته ومغزى إسلامه. وهذه الرؤية المستنيرة للحرية هي رؤية تيار الجامعة الإسلامية الذي يمثله الإمام المَجدد ابن باديس، كما يمثلها الشيخان المَجددان: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده. وفكر تيار الجامعة الإسلامية التنويري هو أحد روافد فكر حركَة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ورؤيتها للحرية هو الينبوع الذي استقت منه الحركة رؤيتها، ولا غرابة في ذلك؛ فقد بدأت الحركة رؤية فكرية تجديدية، انبثق عنها مشروع سياسي نهضوي، تبلور في حركة ثورية تحررية، تسعى إلى تجديد الفكر، وتحرير الإنسان والأرض.

الحرية في الفكر الديني للجهاد الإسلامي أساسها حرية العقيدة، فمبدأ الحرية تقرر في الإسلام ابتداء من حرية العقيدة بترك الناس يختارون عقيدتهم بإرادتهم الحرة بعد إرشادهم إلى خير النجدين، وهدايتهم إلى أحسن الطريقين"، وبعد ذلك " فَمَن شَاءَ فَلْيؤْمن وَمَن شَاءَ فَلْيكْفُر "، وفق قاعدة الآية "لا إكْراهَ في الدَينِ"، هذه الرؤية سجلّت في الوثيقة الفكرية للحركة تحت نفس العنوان (لا إكْراهَ في الدينِ)، ونَصه: "من الثابت في العقيدة الإسلامية عدم إكراه غير المسلمين من أهل الكتاب ومن فَي حكمهم على اعتناق الإسلام، وتمكينهم في دار الإسلام ممارسة عبادتهم وتنظيم أحوالهم الشخصية، وشؤونهم الدينية وفق تعاليم دينهم". أما الجهاد بالسيف فقد شرع في الإسلام ليس لإكراه الناس على اعتناق الإسلام؛ بل لإزالة العوائق المادية التي تحول بين الناس ودعوة الإسلام ليترك الناس أحراراً في عقيدتهم، ولإزالة الأنظمة السياسية المستبدة التي تمنع الناس من حقوقهم

الطبيعية وأهمها حقهم في الحرية... وفَرض الجهاد في الإسلام كذلك لتحرير الأرض، وصد العدوان، ودفع الظلم، وحماية المستضعفين... وغيرها من الأسباب بعيداً عن الإكراه في الدين، وبذلك يتحقق مبدأ حرية العقيدة الذي يعتبر أحد ركائز الفكر الديني للجهاد الإسلامي.

الحرية كركيزة أساسية في الفكر الديني للجهاد الإسلامي تنسحب على فكر الحركة الوطني، ولعل أهم الأمثلة على ذلك موقف الحركة من الآخر الوطني، سواء في الإطار الديني أو الإطار الفصائلي، فالآخر المختلف دينياً ممثلاً في الموقف من المسيحيين الفلسطينيين، فقد أجاب المفكر الشهيد فتحي الشقاقي- مؤسس حركة الجهاد الإسلامي - عندما سئل عنهم وموقعهم من الثورة، فقال: "المسيحيون الفلسطينيون شركاء لنا في الوطن والتاريخ والمصير، ولقد عاشوا معنا نفس الحضارة، وعندما نَعطي النضال وجهته الإسلامية، فهذا برنامج عمل وليس عقيدة مفروضة على أحد، فنحن نؤمن بما قاله القرآن (لا إكْراهَ في الدِينِ)... إننا نقبل في حركتنا مشاركة إخواننا المسيحيين لنا في الحركة والنضال دون أن يغيروا في معتقداتهم الدينية شيئاً". والآخر المختلف فصائلياً ممثلاً في الموقف من الحركات الوطنية والقومية بمضامينها العلمانية والماركسية، فقد كان المفكر الشهيد فتحي الشقاقي يبحث عن القواسم المشتركة معها على أرضية تعدد الرؤى الفكرية والسياسية، وهذا ما أكدته الوثيقة السياسية للحركة في جدلية تجمع بين التعدد والوحدة، ونصها:" العمل على تحقيق الوحدة لا يلغي الاختلاف في الرؤى، والتباين في الأهداف والوسائل، فيما بين القوى والفصائل الفلسطينية"، وفي أطروحة تجمع بين الاختلاف والاتفاق، ونصها:" إرساء العمل الوطني على اللقاء في القواسم المشتركة على قاعدة تعزيز ما اتفقنا عليه، والتحاور حول ما اختلفنا فيه".

والحرية في الفكر الاجتماعي للجهاد الإسلامي ينسجم مع فكرها الديني والوطني، والموقف من حرية المرأة خير مثال على ذلك، فالحركة اعتبرت إنجاز حرية المرأة في صلب مشروعي التحرير: تحرير الفكر، وتحرير الأرض، ولذلك ربطت الوثيقة السياسية بين تحرير المرأة ومشروع المقاومة والتحرير، ورأت في تحرير المرأة تعزيزاً لدورها النضالي ومشاركتها في المقاومة والعمل الوطني والإسلامي، ورفع مكانتها في المجتمع، كأحد أسباب قوة مشروع المقاومة والتحرير، والوثيقة الفكرية للحركة أكدت على حرية المرأة في ضوء مبدأ التوازن بين واجبات المرأة وحقوقها، وفي حدود الضوابط والآداب الإسلامية. ولكاتب هذه السطور إسهامات عديدة في موضوع حرية المرأة بالمنظور الإسلامي

الحضاري الوسطي الذي تؤمن به الحركة منها مقال (صمت المرأة عورة)، الذي قدم رؤية لتحرير المرأة بعيداً عن التطرفين: الغربي الذي يحررها من الإسلام والفطرة، والديني الذي يقيدها بالإسلام والشرع، والنموذج الإسلامي لحرية المرأة وفق هذه الرؤية يعمل على تحرير المرأة بالإسلام وليس من الإسلام، وتخليص المرأة من الظلم وليس من الفطرة، ويرى في صمت المرأة عن حقوقها عورة، أما صوتها المدافع عن حقوقها وحقوق شعبها وأمتها ثورة.

والحرية في الفكر السياسي للجهاد الإسلامي منسجم مع فكرها الديني والوطني والاجتماعي، ولعل الموقف من (الديمقراطية) خير دليل على ذلك، ففي الوقت الذي وجدت الحركة الإسلامية التقليدية في الديمقراطية نقيضاً للإسلام، وجدت حركة الجهاد الإسلامي في الديمقراطية انسجاماً مع مبادئ الإسلام، فلا يوجد مشكلة لديها في الديمقراطية مفهوماً ومضموناً، فجوهر الديمقراطية يتفق مع مبادئ الحكم في الإسلام لا سيما مبدأ الشورى، ومبدأ مشاركة الجماهير في القرار السياسي بآليات محددة، ولذلك كتب الشقاقي عن الديمقراطية" ليس لأحد مصلحة في حضور الديمقراطية مثلما للإسلاميين، وسيبقى من مصلحتنا الحفاظ عليها، وعلى مبدأ التعددية وتداول السلطة في إطار احترام إرادة الأمة، واحترام الدستور التي ترتضيه الأمة بحرية". وتحت عنوان (الديمقراطية) اعتبرت الوثيقة الفكرية للحركة أن "الآلية الديمقراطية في اختيار الشعب لحكامه بالانتخاب الحر والمباشر، والتداول السلمي للسلطة، في إطار المرجعية الإسلامية، لا تتنافى وتعاليم الإسلام ومقاصده، بل هي لون من ألوان تنفيذ الشورى في هذا العصر".

وانطلاقاً من الفكر السياسي للحركة المؤمن بالحرية والديمقراطية ربطت الوثيقة السياسية للحركة بين قدرة الأمة على تجاوز أزماتها الداخلية وتحدياتها الخارجية وبين مقدار الحرية الموجود لديها، ولذلك رأت "ضرورة تعميق ثقافة الحوار والشورى والديمقراطية واحترام التعددية السياسية وحقوق الإنسان المادية والمعنوية، وإطلاق الحريات العامة" كشرط أساسي لدعم عوامل القوة في الأمة. كما ربطت بين حرية الإرادة الوطنية ومشروع التحرير الوطني، فأكدت على "أهمية تحرير الإرادة الفلسطينية، واستقلال القرار الوطني الفلسطيني بعيداً عن الارتهان لجهات خارجية أو الانصياع للإملاءات الأمريكية والصهيونية" كشرط أساسي لإنجاز مشروع التحرير الوطني، وفي إطار الأمة فقد ربط فكر الحركة بين إرادة الأمة وتخلصها من التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية، وتخلصها من

القابلية للاستعمار في نفوس أبنائها من جهة، كشرط لإنجاز مشروع نهضة الأمة ومشروع تحرير فلسطين من جهةٍ أخرى.

الخَلاصة ممـا سبق أن الحرية في فكر الجهاد الإسلامي ينسجم مع الاتجاه التحرري في الإسلام القائم على فكرة (العدل الإلهي)، فالله – سبحانه وتعالى- هو الذي خلق في الإنسان حرية الإرادة والفعل؛ ليتحمل مسؤولية أعماله ثواباً أو عقاباً، وهذا معيار إنسانية الإنسان وكرامته، ولذلك كان مبدأ (لا إِكَراه فِي الدَينِ) هو أساس فلسفة الحرية في الفكر الديني والوطني والاجتماعي والسياسي، لمشروع تحَرير الفكر والانسان والأرض، وجوهر مشروع الجهاد الإسلامي الثوري، الذي يعتبر الفكرة قبل الطلقة. والرؤية قبل الحركة، كي لا تزيغ الطلقة أو تنحرف الحركة... وهذا يتطلب ديمومة الثورة، واستمرار المقاومة، ليصبح الإنسان حراً بروحه وإرادته قبل جسده وفعله. وصدق الأديب اليوناني الكبير (نيكوس كازانتزاكيس) في روايته (الحرية أو الموت) عندما قال على لسان أحد أبطال روايته: " عندما أقاتل في سبيل الحرية طوال حياتي فإنني سأموت إذن رجلاً حراً".

سيد قطب والوهابية.. ليسا سواء

كتــــب بتاريـــــخ:

18 أغسطس 2021م

على مدارِ عام كامل، صباح كل يوم جمعة، كنّا أربعة خامسهم المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، نلتقي أسبوعياً في بيته في رفح جنوب غزة وفلسطين، على شكل أسرة حركية أميرها الشقاقي. نفتتح اللقاء بتلاوة كلّ أخ بَضع آياتٍ من القرآن الكريم، ونَنهي اللقاء بحوارٍ فكري تكون المشاركة فيه إجباريّة كتلاوة القرآن، ويتوسطُ اللقاء شرح بضع صفحاتٍ من كتاب "معالم في الطريق" للمفكر الإسلامي سيد قطب.

كان قطب بالنسبة إلى الشقاقي أحد أقطاب مثلّث الفكر الإسلامي الحديث مع المفكرين مالك بن نبي وعلي شريعتي، وأحد أعمدة نظريته الثورية مع الإمامين حسن البنا وآية الله الخميني، وكان كتاب "المعالم" بالنسبة إلى الشقاقي دستوراً لبناء الذات الثورية في الطليعة المؤمنة المجاهدة، وأداة لتحقيق معادلة الإيمان والوعي والثورة في جيل التحرير والعودة، ومدخلاً لاكتشاف كلمة السر التي تجمع بين الإسلام وفلسطين والجهاد. كان الشقاقي يشرح لنا كتاب "المعالم" بنقاء ثوري لا يعرف الوسط بين الحق والباطل، وصفاء منهجي لا يعرف الوسط بين الصواب والخطأ.

وبعد مرور ما يقارب 4 عقود على قراءة كتاب "معالم في الطريق" برؤية الشقاقي الثورية، ومن ثم دراسة كاتب هذه السطور لفكر سيد قطب في مرحلة حياته الثانية بعد انتقاله من الأدب العربي إلى الفكر الإسلامي، دراسة شملت حوالى 20 كتاباً، بدأها بكتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، وأنهاها بكتاب "معالم في الطريق"، وتوسطها كتابه في تفسير القرآن الكريم "في ظلال القرآن"، الذي تمت قراءته في السجن كما كتبه قطب في السجن... بعد هذه الرحلة الطويلة من السفر في فكر سيد قطب، كان لا بد من توضيح بعض النقاط حول فكره وسط السيل الجارف من الكتابات التي لا ترى فيه سوى التطرف والتكفير، ولا تقرأ غير الحاكمية والجاهلية، وتضع القطبية والوهابية في بوتقةٍ واحدة.

هذا الربط بين القطبية (فكر سيد قطب) والوهابية (فكر محمد بن عبد الوهاب) له ما يبرره، لتشابه المفاهيم بينهما في: الحاكمية والجاهلية، والبراء والولاء، ودار الحرب ودار الإسلام، وتشابه النتائج التي أفرزت الجماعات الإسلامية المتطرفة في المدرستين: المصرية القطبية، والسعودية الوهابية.

هذا التشابه أدى إلى تلاقح المدرستين في أفغانستان، فولد تنظيم "القاعدة" وفروعه، مثل "داعش" و"النصرة" وأخواتهما. وفيما عدا ذلك، ليس للربط بين القطبية والوهابية أي مبرر، فهما ليسا سواء.

هما ليسا سواء في الموقف من الحرية، فسيد قطب يؤمن بحرية العقيدة للإنسان، ويفسر قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَينَ الرشْدَ من الغَي}، بطريقة ترى "أن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي تثبت له بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء"، ويرى مبدأ حرية الاعتقاد تجلّياً لتكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره. ولذلك، يقرر أن الجهاد فرض لإزالة العقبات التي تحول بين المرء وحرية العقيدة. هذا الموقف الإنساني التحرري غير موجود في التراث الفكري الوهابي، بل يوجد نقيضه في التراث التاريخي الدموي ضد الآخر المختلف مع الوهابية دينياً ومذهبياً وفكرياً وسياسياً.

وهما أيضاً ليسا سواء في الموقف من الديمقراطية، فسيد قطب، وإن كان متحفظاً عن الديمقراطية كمصطلح، إلا أنه يؤمن بها كمضمون، فيرى مثلاً "أن اختيار المسلمين المطلق هو المؤهل الوحيد للحكم"، فالشورى بين أهل الحل والعقد (الترشيح) والبيعة الإرادية بين الأمة والحاكم (الانتخاب) هما الطريق الوحيد لشرعية تولّي الحكم. ولذلك، رفض شرعية الخلافة الأموية، واعتبرها من وحي الجاهلية. هذا الموقف الديمقراطي يناقض فتاوى علماء الوهابية الذين يفتون بشرعية إمارة المتغلب بالقوة وولاية العهد بالتوريث، لإعطاء غطاء شرعي لاستيلاء آل سعود على الحكم بالقوة، وتوريث الحكم فيهم خلافاً لإرادة الشعب.

كما أنهما ليسا سواء في الموقف من المرأة، فسيد قطب يقرر المساواة بين الرجل والمرأة، فالإسلام، من وجهة نظره، "كفل للمرأة مساواة تامة مع الرجل من حيث الجنس والحقوق الإنسانية، ولم يقرر التفاضل إلا في بعض الملابسات المتعلقة بالاستعداد"، ويرى أن "الإسلام حين منح المرأة حقوقها الروحية والمادية كان ينظر إلى صفتها الإنسانية ويسير مع نظرية إلى وحدة الإنسان".

هذا الموقف التقدمي يقابله الخطاب الوهابي الصحراوي المتشدد تجاه المرأة، حتى مقارنة بالخطاب السلفي التقليدي، فيركز على تأكيد دونية المرأة بالنسبة إلى الرجل، ويذهب باتجاه شيطنتها كمصدرٍ للغواية، ويروج لثقافة ترى فيها عورة كلّها حتى اسمها، ويحصر وظيفتها في خدمة الرجل أو إمتاعه.

القطبية والوهابية ليسا سواء في الموقف من الثورة ضد الطغيان والاستعمار، فسيد قطب يرى "أن الإسلام في صميمه حركة تحريرية... وما يعمر الإسلام قلباً، ثم يدعه صابراً ساكناً على الظلم في

صوره جميعاً، سواء وقع هذا الظلم على شخصه أو وقع على الجماعة الإنسانية في أية أرض وفي ظل أي سلطان"، وأن "الإسلام الذي يريده الآمريكان وحلفاؤهم في الشرق الآوسط ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار... والطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية...".

هذه الرؤية الثورية للإسلام يوجد نقيضها في "الإسلام الآمريكاني"، كما وصفه سيد قطب، أو "الإسلام الوهابي"، كما هو في الواقع، نظرياً بالفتاوى التي تخدم مصلحة الآميركيين والعربان، وعملياً بأفواج "المجاهدين" السائرين كالثيران المعصوبي الآعين في الساقية الآميركية.

هما ليسا سواء في الموقف من دراسة التاريخ، فسيد قطب انطلق في دراسته من منهجية ترى في التاريخ أحداثاً فعلها البشر غير المعصومين من الخطأ، وإن كانت الآحداث وقعت في عصر الصحابة - رضوان الله عليهم – وبالتحديد في عصر الخلفاء الراشدين، فبحث في أسباب الفتنة الكبرى، وانتقد سياسة المال وسياسة الحكم في عهد الخليفة الراشد الرابع عثمان بن عفان - رضي الله عنه - واعتبرها سبباً في ظهور التفاوت الطبقي بين المسلمين، وتمكّن بني أمية من الخلافة، ومن ثم انحرافهم عن روح الإ سلام. هذه الرؤية النقدية وجدت انتقاداً كبيراً من علماء الوهابية الذين اتهموه بسب الصحابة، ففسقوه وكادوا يكفرونه، لخروجه عن موقفهم في التوقف عندها وعدم فتح النقاش في آسبابها.

ليسا سواء في الموقف من الشيعة، فسيد قطب، كعلماء الأزهر الآشاعرة، يعتبرهم مسلمين، ويجوز الآخذ من مذهبهم الفقهي، فكتب "في الظلال" مفسراً آيات الجهاد في سورة النساء، و"يخلص إلينا منها مدى عمق عنصر الجهاد وأصالته في العقيدة الإسلامية وفي النظام الإسلامي... وقد عدته الشيعة ركناً من أركان الإسلام، ولهم من قوة النصوص ومن قوة الواقع ما يفسر اتجاههم هذا".

هذا الموقف الواضح من الشيعة يقابله موقف علماء الوهابية في اعتبارهم كفاراً، كما ورد على لسان أئمتهم، ومن ذلك ما كَتب في موقع "الدرر السنية" الوهابي: "الحكم العام على الشيعة أنهم ضلال وفساق خارجون عن الحق وهالكون مع الفرق... ولا شك في خروجهم عن الملة الإسلامية".

خلاصة الآمر، من الواجب إنصاف المفكر سيد قطب بعدم حصره في دائرة الفكر الوهابي، وأن موضوع "الحاكمية" هو نقطة الالتقاء بينهما، على اختلافهم في التأصيل والتفصيل، فقطب وصف المجتمع بـ"الجاهلية"، وتلامذته اختلفوا في مضمونها بين الانحراف عن الإسلام والخروج من الإسلام، ومحمد بن عبد الوهاب وصف المجتمع بـ"الشرك"، وتلامذته اختلفوا في مضمونه بين الشرك الآصغر غير المخرِج من الملة والشرك الآكبر المخرِج من الملة.

وما عدا هذا التشابه ليسا سواء، فسيد قطب ينتمي إلى التيار الوسطي في العقيدة والفقه، والاتجاه الإنساني في الحرية، والتوجه الديمقراطي في الحكم، والمدرسة التقدمية تجاه المرأة، والنزعة الثورية في التغيير، والرؤية النقدية لدراسة التاريخ، والاتجاه الوحدوي الذي يجمع بين السنة والشيعة في بوتقة واحدة... ففكر سيد قطب وفكر الوهابية ليسا سواء، والمسافة بينهما بعيدة بعد المشرق عن المغرِّب، وبعد الثريا عن الثرى.

أفغانستان و"طالبان" بين الجبرتي والشقاقي

كتــــب بتاريـــــخ:

25 أغسطس 2021م

وصف المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي حال الجيش المملوكي في مصر معللاً هزيمته أمام الحملة الفرنسية في معركة الأهرام في تموز/يوليو 1798م، فكتب في الجزء الرابع من كتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار "هذه الفقرة: "ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر، وصل الفرنسيون إلى الجسر الأسود، وأصبح يوم السبت، فوصلوا دينار، وعندما اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر... ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم، منحلة عزائمهم، مختلفة آراؤهم، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم... مرتبكون في رؤيتهم، مغمورون في غفلتهم، هذا كلّه من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم."

بهذا الوصف الدقيق لفقدان إرادة القتال، أبدع الجبرتي صورة تفسر سبب هزيمة جيش المماليك الفاقد لإرادة القتال، وكلّ جيش مشابه فقد إرادة القتال التي تنفث روح الثبات والشجاعة في جنود الجيش في ميدان القتال، وتقذف حياة الصمود والرجولة في المقاتلين في ساحة النزال، فيصبح الجيش جسداً بلا روح وجسماً بلا حياة .

ومن دون إرادة القتال، يصبح المال الذي أنفق على الجيش تسليحاً وتدريباً وترويضاً مثل الحرث في الماء أو الزرع في الهواء، ويمسي الجيش بعدده وعديده مجردَ حشد من الرجال يرتدي زياً موحّداً يسمى زوراً بالزي العسكري، تماماً كالجيش الأفغاني المتبخر بفعل حرارة إرادة القتال وروح النصر لدى مقاتلي حركة "طالبان."

وقد تبخّر مع الجيش البائد دولته ونظامه، وبقيت لأميركا الحسرة على عشرات المليارات من الدولارات التي أنفقتها على جيش ليس بجيش، ودولة دون الدولة، ونظام فاقد للنظام؛ مليارات لم تجد نفعاً أمام فقدان إرادة القتال دفاعاً عن دولة وهمية خاوية، ونظام حكم هش، ونخبة حاكمة فاسدة،

وصفوة مثقفة معزولة، وطبقة غنية مترفة، وفلول مجاهدين مستأنسين... وقد صدق الرئيس الأميركي جو بايدن فيهم عندما علّق على سقوطهم السريع قائلاً" :لقد منحناهم كلّ فرصة لتقرير مصيرهم. ما لم نتمكّن من توفيره لهم هو الرغبة في القتال من أجل هذا المستقبل ."

مشهد سقوط كابول السريع الذي أحزن الرئيس الأميركي مستغرباً فقدان النظام وجيشه ونخبته الرغبة في القتال هو كلاكيت ثاني مرة. المرة الأولى كانت في العام **1992**م عندما انهار الجيش الأفغاني المصنوع على عين الاتحاد السوفياتي، ومعه انهار النظام الشيوعي ودولته المصطنعة، بعد أن خسر الاتحاد السوفياتي الحرب الباردة أمام الولايات المتحدة الأميركية، وولّى الجيش الأحمر الأدبار مهزوماً مدحوراً من أفغانستان أمام مقاومة المجاهدين الأفغان .

المشهد الأفغاني أعاد التاريخ تصويره عشرات المرات كلّما حلّ الاستعمار ورحل تاركاً خلفه جيشاً صنعه على عينه، وأرضعه حليب التبعية والذلة، وأعطاه كل شيء ما عدا إرادة القتال، ذلك أنها أشياء لا تعطى و لا تشترى، وكيف تعطى وهي مصنوعة من كرامة تراب الوطن الممزوج بدماء أبطاله الشهداء وعرق عماله الكادحين، وكيف تشترى وهي مجبولة من كبرياء أديم الأرض المعبق برائحة أجساد الآباء والأجداد... فكان مشهد سقوط كابول اختزالاً لكل مشاهد سقوط جيوش مخلّفات الاستعمار عبر التاريخ... وما سقوط سايغون في فيتنام وجيش لحد في لبنان عنا ببعيد .

سر السقوط السريع لجيوش مخلّفات الاستعمار في أفغانستان وغيرها هو في عدم امتلاك إرادة القتال، وتبعية الجيش والنخبة الحاكمة للاستعمار هو السر في فقدانها، والتبعية للاستعمار ناتجة بدورها من القابلية للاستعمار والاستحمار والعبودية لدى النخبة الحاكمة وحلفائها المثقّفين المتغربين والاقتصاديين الانتهازيين، الناتجة من الهزيمة النفسية والاستلاب الثقافي أمام الاستعمار الغربي .

في المقابل، امتلاك إرادة القتال هو سر النصر الذي حقّقته حركة "طالبان" الإسلامية، وكل الثوار المقاومين للاستعمار عبر التاريخ، كثوار فيتنام وكوبا والجزائر ولبنان... الّذين امتلكوا إرادة قتال عنيدة تستند إلى عقيدة قتالية صلبة، منبثقة من عقيدة دينية تحريرية، أو أيديولوجية فكرية ثورية، أو تراث

ثقافي مقاوم... فشكّل ذلك مخزوناً روحياً لا ينضب، ينهل منه الثوار، فيعطيهم القوة والثبات في المعارك، ويمدهم بالقدرة والاستعداد للتضحية في الملاحم حتى تحقيق إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

بعقيدة النصر أو الشهادة، امتلكت حركة "طالبان" الأفغانية إرادة القتال وروح النصر على مدار **20** عاماً من الثورة والجهاد، فقدمت نفسها كحركة تحرير وطني هدفها تحرير أفغانستان من الاحتلال الأميركي ووكلائه في أفغانستان، واعتبرت أن مرجعيتها الدينية والثقافية مستقلّة تأبى التبعية للاستعمار، ونابعة من عقيدة الشعب الأفغاني المسلم، واعتمدت على حاضنة شعبية واسعة ببعديها القبلي والديني، منحتها نوعاً من الشرعية الشعبية والثورية .

وتستطيع حركة "طالبان" أن تحافظ على هذا النصر الحاسم بتحقيق الوحدة الوطنية الأفغانية، لتصبح قبيلة الشعب كله وحركة الوطن بأسره، وبإنجاز الوحدة الإسلامية في أفغانستان، لتستوعب كل المذاهب في بوتقة الأمة الإسلامية الواحدة، وبإمكانها تطوير النصر بانتقالها من فقه الجماعة إلى فقه الدولة، ومن الرؤية الأحادية إلى الرؤية التعددية، ومن الجمود الديني إلى التجديد الديني، ومن التصلب الفكري إلى الإبداع الفكري، وهذا يتطلب ثورة جذرية في المفاهيم التي بنت عليها حركة "طالبان" منظومتها الفقهية والفكرية.

وتستطيع حركة "طالبان" أن تحافظ على النصر وتطوره إذا انتبهت إلى مؤامرات الولايات المتحدة الأميركية ووكلائها العرب وأساليب الجيل الرابع من الحروب الاستعمارية، ولا تسقط في الفخ الذي سقط فيه المجاهدون البائدون وأمراء الحرب المندثرون، عندما لم ينتبهوا إلى ما كتبه المفكّر الفلسطيني فتحي الشقاقي في العام **1992**م تحت عنوان "اللهم انصرنا في أفغانستان، وارزقنا الشهادة في فلسطين"، محَذراً من المؤامرات الأميركية قائلاً" :وأخيراً، دخل المجاهدون الأفغان كابول بعد سنوات من المقاومة والجهاد المستمر... إن هذا الشعب وطلائعه وفصائله يعون أن أميركا ستبقى رأس الطاغوت وزعيمه الاستكبار العالمي. إن الذين يحاربون الإسلام الحقيقي في بلدانهم لن يقبلوا انتصار المجاهدين الحاسم في أفغانستان، وسيعملون جهدهم لتمييع الموقف."

طالبان ومأزق الحاكمية

كتب بتاريـــــخ:

2 سبتمبر 2021م

أصرت حركة طالبان في الاتفاق الذي عقدته في الدوحة مع الولايات المتحدة الأمريكية في فبراير العام الماضي على أن تعرف نفسها باسم "إمارة أفغانستان الإسلامية"، وأصرت الولايات المتحدة الأمريكية على أن تتبعها بعبارة "التي لا تعترف بها الولايات المتحدة كدولة والمعروفة باسم طالبان"، وقد تكرر ذلك **15** مرة في الاتفاقية. وإصرار حركة طالبان على ذلك يدل على تمسكها بأيديولوجيتها الإسلامية القائمة على منظومة فكرية أصولية تعطي للمصطلح ومفهومه قيمة في الشكل والمضمون، فمصطلح الإمارة بدل الدولة، والشريعة بدل القانون، وأمير المؤمنين بدل الرئيس، وأهل الحل والعقد بدل مجلس الشعب، والشورى بدل الديمقراطية، والبيعة بدل الانتخاب... وربما أهم المصطلحات في تلك المنظومة الفكرية هو (الحاكمية)، الذي أدى غموض مفهومه وتشابك مدلولاته، إلى مأزق في النظرية والتطبيق للجماعات الإسلامية في مرحلتي الحركة والدولة؛ ولذلك من المفيد إلقاء بعض الضوء عليه في إطار فهمنا لحركة طالبان وإمارتها الإسلامية.

أول من اقترب من مفهوم (الحاكمية) هم الخوارج، عندما رفعوا شعار "لا حكم إلاّ لله"، اقتباساً من الآية الكريمة: "إِنِ الحُكْمُ إِلَا لله" في معركة "صفين" بين جيشي دولة الخلافة وولاية الشام، مطالبين بتحكيم شرع الله في الصراع بين الخليفة الراشد ووالي الشام، فرد عليهم الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب- رضي الله عنه – بقوله: "كلمة حق يراد بها باطل"، دلالة على صوابية الحاكمية مصطلحاً وشعاراً، وخطأ الحاكمية مفهوماً وتطبيقاً عند الخوارج. وفي العصر الحديث تعتبر (جماعة المسلمين) المعروفة باسم (التكفير والهجرة) امتداداً لفهم الخوارج للحاكمية، المقتصر على حاكمية الشريعة، ووجوب التحاكم إلى الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – دون تمييز بين الحكم الإلهي الثابت في نصه، والاجتهاد البشري المتغير في تطبيقه، فحكموا بكفر من يخرج عن حاكمية الله وفقاً لمفهومهم الخاص للحاكمية.

بعد الخوارج كان للإمام أحمد بن تيمية مفهومه الخاص للحاكمية من خلال رؤيته لعقيدة التوحيد، التي يقسمها إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الذات والصفات، وتوحيد الألوهية كمدخل إلى توحيد الحاكمية، التي تعني عند إفراد الله تعالى بالتعبد في جميع أنواع العبادات بمفهومها الواسع - شعائر وشرائع- واعتبر أي خروج عن ذلك كالتوسل بغير الله، وطلب الشفاعة من دون الله، وغيرها خروج عن التوحيد والحاكمية يؤدي إلى الشرك، ويعتبر التيار الوهابي امتداداً لمدرسة ابن تيمية السلفية، وفهمه لعقيدة التوحيد، فحكم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشرك عرب الجزيرة في زمنه؛ لأنهم يمارسون التقرب والتوسل والشفاعة من الأنبياء والأولياء والقبور، تماماً كما كان عرب الجاهلية في زمن الرسالة يعبدون الأصنام تقرباً إلى الله زلفى.

وبعد السلفية الوهابية كان الإمام أبو علي المودودي مؤسس (الجماعة الإسلامية) في باكستان قد وضع مفهومه الخاص للحاكمية المرادف لمفهوم الألوهية فعنده "لفظ إله واصطلاح الحاكمية هما اسمان لحقيقة واحدة، فالحاكمية والألوهية لله وحده، وإذا كان لا يجوز للبشر منازعة الله في الألوهية، كذلك لا يجوز منازعته في الحاكمية"، وقد اقتبس هذا المفهوم المفكر سيد قطب وعرف الحاكمية بـ "كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية من أصول العقيدة... والحكم... والأخلاق.. والمعرفة"، فالحاكمية وفق مفهوم قطب أوسع من الشريعة لأنها تتضمن: التصور الاعتقادي، والشعائر التعبدية، والشرائع الحياتية... واعتبر كل من يخرج عن الحاكمية ينطبق عليه مفهوم (الجاهلية)، التي تعني رفض ألوهية الله، ورفض حاكمية الله، فالحاكمية عنده هي الإسلام، والخروج عنها جاهلية فإما حاكمية الله والإسلام، أو حاكمية البشر والجاهلية.

وبذلك يكون مفهوم (الحاكمية) هو الجامع المشترك بين الخوارج والوهابية والقطبية وغيرهم داخل الحركة الإسلامية، الذي أدى إلى الحكم على الخارجين عن "حاكمية الله" بالكفر أو الشرك أو الجاهلية، بدرجاتهم المختلفة غير المخرجة من الإسلام والملّة، والمخرجة من الإسلام والملّة، وقد وضّح الدكتور يوسف القرضاوي مفهوم الحاكمية بعيداً عن الفهم المتطرف لها، بقوله: "حاكمية الله لا تنفي أن يكون للبشر قدر من التشريع أذن به الله لهم، إنما هي تمنع أن يكون لهم استقلال بالتشريع غير مأذون به من الله، وذلك مثل التشريع الذي يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله... أما التشريع فيما لا نص فيه، أو في المصالح المرسلة، وفيما للاجتهاد فيه نصيب، فهذا من حق المسلمين". فحاكمية

الله وفق هذه الرؤية لا تصادر حق الأمة في الاجتهاد في تطبيق حاكمية الله، ولا تصادر حق الحاكم في ممارسة السلطة وفق حاكمية الله وسيادة الأمة، والتشابك بين مفاهيم حاكمية الله، وسيادة الأمة، وسلطة الحاكم، في الفكر السياسي الإسلامي مسؤول عن مأزق الحاكمية النظري والتطبيقي.

اللبس والضبابية في مفهوم الحاكمية في الفكر السياسي الإسلامي، ووجود تفسيرات متطرفة لها، ساهم في تقديم نماذج إسلا مية مشوهة سواء في الحركات الإسلامية أو الدول الإسلامية ، وقد كانت طالبان كحركة ودولة في مرحلتها الأولى إحدى هذه النماذج التي قدمت نموذجاً متطرفاً للإسلام، رغم أنها في الأصل تنتمي إلى مدرسة إسلامية وسطية تعرف بمدرسة (الديوباندية)، نسبةً إلى جامعة (ديوباند) في الهند، التي تتبنى مذهباً وسطياً في العقيدة هو مذهب (الماتريدية) القريب من الأشاعرة، المعتمد على النقل والعقل، وفي الفقه هو المذهب الحنفي المبني على النص والرأي، وفي التربية هي الطريقة الصوفية السمحة الروحية.

ولكن تأثرت الحركة بالتيار السلفي الوهابي فمالت نحو التطرف في العقيدة باتجاه المذهب السلفي الوهابي، وفي الفقه باتجاه المذهب الحنبلي، وفي التربية باتجاه التعصب البعيد عن التسامح؛ وهذا ما يفسر تطرف حركة طالبان في مرحلتها الأولى حركة ودولة تجاه المرأة والشيعة والمخالفين والمختلفين.

حركة طالبان في مرحلتها الثانية بعد انتصارها على الاحتلال الأمريكي وعملائهم الأفغان أمامها فرصة للتخلّص من المفهوم المتطرف للحاكمية المؤدية إلى نفي الآخر تحت اتهامات الكفر والشرك والجاهلية، والأخذ بالمفهوم المعتدل للحاكمية المؤدي إلى قبول الآخر المختلف دينياً ومذهبياً وفكرياً وسياسياً وحتى قبلياً، والذهاب نحو التعايش السلمي مع الآخر في إطار التنوع والتكامل في الدائرتين الإسلامية والوطنية، كمنهج إنساني وإسلامي وسطي باعتباره ضرورة حياتية، وفريضة شرعية، وحاجة وطنية، تضمن أن يعيش الأفغان على اختلافاتهم القبلية والعرقية وتنوعاتهم الدينية والمذهبية، وفصائلهم السياسية والفكرية بأمن واستقرار وتطور.

الهروب إلى الحرية

كتب بتاريـــــخ:
9 سبتمبر 2021م

هروبي إلى الحرية، عنوان كتاب لرئيس البوسنة والهرسك الأسبق، علي عزت بيجوبيتش، كتبه في سجن فوتشا إبان الحكم الشيوعي في يوغسلافيا، الكتاب جاء - كما يقول صاحبه - وليد تفكير بالحرية الجسدية والمعنوية، وتفكير في الحياة والمصير والناس والأحداث، وتفكير في كل ما يخطر على بال سجين خلال ألفي يوم وليلة، ومما كتب موضحاً فكرة الحرية: "هذا الذي سيقرؤه القارئ كان هروبي إلى الحرية، ومن الطبيعي ومع أسفي، لم يكن ذلك هروباً حقيقياً، وكنت أود لو كان كذلك، الأمر هنا يتعلّق بهروب معين، كان ممكناً في سجن فوتشا ذي الجدران العالية، والقضبان الفولاذية، وهو هروب الروح والفكر، ولو أتيح لي فعلاً الهرب لأعطيت الأولوية للهروب الجسدي قبل هذا الثاني".

الهروب إلى الحرية بطريقة علي عزت بيجوفيتش بالروح والفكر لجأ إليه ثائر آخر يحمل عبق الشهداء: فرحان السعدي، وعزالدين القسام، وعبدالقادر الحسيني، هو الشيخ المجاهد رائد السعدي، الصامد في سجن جلبوع المحصن، ومن نفس الزنزانة رقم (5) التي شهدت ملحمة انتزاع الحرية للأسرى الستة الأبطال، وكان قدره المكتوب أن يستبدل بثائرٍ آخر ليلة الهروب الكبير، وكان لكاتب هذه السطور شرف تقديم كتاب رائد السعدي الأخير في احتفالية بغزة، الذي يحمل عنوان (أمي مريم الفلسطينية)، قبل أسبوعٍ واحد من ملحمة انتزاع الحرية، ومما جاء في التقديم: "الكتابة عن الأسرى شيء، ومن الأسرى شيء أخر، فشتان بين الشعور بالبرد وتوهمه، وشتان بين الإحساس بالآلم وتخيلّه... فالكتابة من الآسرى ولدت من رحم المعاناة، وبزغ نورها من عتمة السجن، فكَتبت بماء الحياة، على أوراقٍ سقطت من شجرةِ العمر، وكتاب السعدي (أمي مريم الفلسطينية) ينتمي لهذا النوع من الكتابة".

كان هروب علي عزت بيجوبيتش ورائد السعدي من السجن هروباً بالروح من قيد المكان وكآبة الجدران، وهروباً بالفكر من رتابة الزمان وملل الآيام، وهذا ما لا يملكه السجان، كما ذكر محمد محفوظ في كتابه (الذين ظلموا)، مستحضراً محنة كل سجين رأي، أو مطالب بحق مخاطباً الطغاة،

بقوله: "العقدة أنك لا تستطيع أن تسجن مفكراً، فأنت تحدد إقامته فقط، أما عقله فيندفع أشد عنفاً وانعتاقاً، وأيضاً لا تستطيع أن تقتل مفكراً؛ فدمه يروي ويخصب بذور أفكاره فتنمو وتتسع وترتفع" ولكن هذا التحرر المعنوي من قيد المكان والزمان بالروح والفكر، يدعمه الأمل بالتحرر الجسدي منه، وهذا الأمل بالتحرر من قضبان السجن يسكن قلوب كل المغيبين خلف الأسوار، يحتضنه الأسرى عند نومهم ليلاً، فيضفي على أحلامهم قدراً من السكينة والأمان، ويوقظهم صباحاً فيرسم على وجوههم ملامح البشرى والبهجة، وهذا ما سجلّه كاتب هذه السطور في يوميات السجن عن الأسرى عندما كان واحداً منهم، بقوله: "كل سجين يعيش على أمل أنه سيتحرر من السجن قبل ميعاده، وإذا لم يكن هناك أمل موجود، فإنه سيخلقه من فراغٍ مفقود".

فكرة الحرية بالمعنى المادي تحرراً فعلياً من السجن ناقشها المناضل الفلسطيني حمزة يونس ابن قرية عارة بالمثلث الفلسطيني المحتل عام **1948**م، في كتابه (الهروب من سجن الرملة). وهو الذي انتزع حريته من غول السجون الإسرائيلية ثلاث مرات متتالية، كان أولها عام **1964**م، وبعد كل مرة كان يفكر في الهروب من السجن بدون خيار آخر بعد كل اعتقال، وسجل ذلك في كتابه متحدثاً عن سيطرة فكرة الحرية بالمعنى الفعلي بانتزاعها عنوةً من فك السجان، مؤمناً بأن لا شيء يخسره سوى القيد جبراً والموت قهراً، فقال: "... وماذا أفعل إذن؟، هل أتراجع وأستسلم لأقبع في السجن مدة مجهولة؟، وما الفرق بين السجن والقبر؟!".

فكرة الحرية على درب حمزة يونس سار عليها الأسرى الفلسطينيون الستة الذين هربوا من سجن جلبوع، وانتزعوا حريتهم بإرادتهم وأيديهم بعد فضل الله ومدده، الذي جعل من بين أيدي السجانين سداً، ومن خلفهم سداً، فأغشاهم الله تعالى، فهم لا يبصرون، فانطلق الأبطال الستة: محمود العارضة، وزكريا الزبيدي، ومحمد العارضة، ويعقوب قدري، وأيهم كممجي، ومناضل انفيعات، تماماً كأسرى الشعب الفلسطيني من حركة الجهاد الإسلامي في عملية الهروب الكبير من سجن غزة المركزي عام **1987**م، بقيادة الشيخ الشهيد مصباح الصوري، الذين كسروا قضبان الزنزانة، فانتزعوا حريتهم من أنياب السجان الإسرائيلي، فكانت الحرية في عقيدتهم اسماً آخر للجهاد والمقاومة، ومدخلاً يوصلهم إلى منزلة الشهود والشهادة... فكان دمهم المسفوح في السادس من اكتوبر تشرين الأول على تراب الوطن هو الشرارة التي أشعلت فتيل الانتفاضة الأولى آخر عام **1987**م.

واليوم يتكرر المشهد الوطني الجميل مع ستة أسرى أبطال في تواصل لأجيال النضال والتحرير، ستة أبطال خرجوا من بطن الحوت المَحاط بظلمات السجن؛ ليرسموا للوطن صورةِ عزٍ وفخار، ترمز إلى انتصار الحياة على الموت، واستعلاء الحرية على القيد، وتقدم الأمل على اليأَس، وغلبة الإرادة على العجز... ستة أبطال لا خيار لهم سوى انتزاع حريتهم خارج سجن المكان أحراراً، أو انتزاع حريتهم خارج سجن الجسد شهداء... ولسان حالهم يقول ومعهم كل الأسرى الذين لا زالوا مغيبين في عمق ظلام سجون الاحتلال خلف شمس الحرية، كما قال الشاعر المصري الثائر عبدالرحمن الأبنودي معبِراً عن فكرة الحرية بمفهومها الكلي، في قصيدته يا قبضتي دقي على الجدار: "يا قبضتي دقي على الجدار لحد ليلنا ما يتولد له نهار... يا قبضتي دقي على الحجر لحد ما يصحي جميع البشر... يا قلوب بتنزف دم في العتمة... يا قلوب بتنزف دم وتغني... سجنونا قاصدين يسجنوا الكلمة... والكلمة غصب عنها وعني... طلعت من القضبان والأسوار".

المعبر بين التعايش مع الاحتلال ومقاومته

كـــتب بتاريـــــخ:

16 سبتمبر 2021م

نهاية شهر آب أغسطس الماضي عقد لقاء بين رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، ووزير الحرب الإسرائيلي بيني غانتس، اللقاء حسب مصادر إسرائيلية بحث في الأوضاع الأمنية والاقتصادية في الضفة والقطاع، ومخرجاته ذهبت باتجاه تحسين أمن الاحتلال، وتسهيلات تؤدي إلى تحسين مستوى المعيشة للمحتلين، وكلا الجانبين يساهمان في التعايش مع الاحتلال. وبعد هذا اللقاء بأيام حدثت عملية هروب الأسرى الستة الأبطال من سجن جلبوع الإسرائيلي المحصن، قبل أن يعاد اعتقال أربعة منهم، وعملية انتزاع الحرية من فك السجان أدت إلى اشتعال موجة المظاهرات الشعبية المَساندة للأسرى الستة وكل الأسرى الفلسطينيين في إطار مقاومة الاحتلال. وما بين مشهد التعايشَ مع الاحتلال الأول (اللقاء)، ومشهد مقاومة الاحتلال الثاني (المظاهرات)، كان موضوع فيلم (المعبر) للمخرج الفلسطيني الشاب بسام جرباوي، الذي يناقش معضلة التعامل مع الاحتلال ما بين التعايش والمقاومة.

فيلم (المعبر) القصير عبارة عن مجموعة قصص إنسانية تتمحور حول المعبر المقام على أراضي قرية نعلين على الجدار الفاصل بين الضفة الغربية والأرض المحتلة عام **1948**م، والقصة المحورية في الفيلم تدور حول دكان بجانب المعبر تخدم العمال الفلسطينيين المارين باتجاه المعبر للعمل داخل (إسرائيل)، والمعبر يدخل منه المستوطنون اليهود باتجاه القرية لشراء السلع وإصلاح سياراتهم للاستفادة من فرق سعر السلع والخدمات في الضفة، ومشهد العمال والمستوطنين المارين من المعبر بالاتجاهين يقدمان نموذجاً آخر هو مقاومة الاحتلال من خلال مشاهد المظاهرات الأسبوعية في قرية نعلين ضد الاحتلال والاستيطان، مع صور الشهداء والجرحى والأسرى الذين يسقطون في المواجهات مع الجيش والمستوطنين. وما بين المشهدين تكثر صور شجر الصبار في خلفية كل المشاهد، في إشارة إلى صبر الشعب الفلسطيني أمام معضلة تتطلب التوفيق بين ضغط الحصول على الخبز، وضغط الحصول على الحرية.

ضغط الحصول على الخبز ومتطلبات الحياة استغلها الكيان الصهيوني لدفع الشعب الفلسطيني نحو التعايش مع الاحتلال بعد النكبة في فلسطين المحتلة عام **1948**م. بعد أن استنفذ استراتيجية تفريغ الأرض من سكانها بموجب الخطة (دالت)، فطبق سياسة (الأسرلة) على من بقي صامداً في وطنه متشبثاً بتراب أرضه، ومن أهم ملامح تلك السياسة: فرض الجنسية الإسرائيلية على الفلسطينيين، وعزلهم عن عمقهم الفلسطيني والعربي والإسلامي، ومحاولة اصطناع هوية خاصة بهم تحت مسمى (عرب إسرائيل)، ودمجهم في المجتمع الإسرائيلي كمواطنين من درجات أدنى بدون المساواة في الحقوق، وتوظيف الأحزاب السياسية المشتركة في عملية الدمج والتعايش، وحرف نضالهم الوطني باتجاه المطالبة بالحقوق المدنية المطالبة بالمساواة والعدالة... ولكن سياسة الأسرلة لفرض التعايش مع الاحتلال لم تفلح في تغييب مشاهد مقاومة الاحتلال بشتى الطرق النضالية خاصة المظاهرات الشعبية لا سيما في يوم الأرض عام **1976**م، والانتفاضة الأولى عام **1987**م، والانتفاضة الثانية عام **2000** م، وانتفاضة سيف القدس التي أنهت وهم الأسرلة المجسد في مصطلح (عرب إسرائيل).

وبعد احتلال بقية فلسطين عام **1967**م، سعى الكيان الصهيوني إلى فرض التعايش مع الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكان النموذج الأهم في جهود الاحتلال تجربة (روابط القرى)، فبعد رفض قيادة الشعب الفلسطيني الوطنية في الأرض المحتلة خطة الحكم الذاتي المنصوص عليها في اتفاقية كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني، عام **1978**م، حاول الاحتلال إيجاد قيادة بديلة للشعب الفلسطيني غير مرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية، تقبل بالحكم الذاتي كنموذج للتعايش مع الاحتلال والاستيطان، ووجد ضالته في وزير أردني سابق هو مصطفى دودين، الذي أنشأ رابطة قرى الخليل عام **1978**م بإيعاز من الاحتلال، وامتدت روابط القرى إلى معظم المدن الفلسطينية في الضفة الغربية ، ثم جمعهم الاحتلال في إطار موحد باسم (اتحاد روابط القرى) برئاسة كبيرهم مصطفى دودين، لتكون موازية للجنة التوجيه الوطني المشكلة من رؤساء البلديات الوطنيين المنتخبين ... ولكن مشهد المقاومة كان حاضراً لإسقاط تجربة روابط القرى التي تراجعت نتيجة لرفض المنظمة ومقاومة الشعب، ثم تبخرت مع حرارة المقاومة الشعبية في الانتفاضة الأولى عام **1987**م فتلاشت واندثرت ولذلك حاول إعطاء غطاء سياسي لروابط القرى بتشكيل حزب سياسي برئاسة محمد نصر باسم (الحركة الفلسطينية للديمقراطية والسلام).

اندثرت تجربة روابط القرى كإطار جماعي منظّم، ولكنها لم تندثر كفكرة وسياسة استراتيجية للاحتلال، وإذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد ساهمت في إسقاط تجربة روابط القرى للتعايش مع الاحتلال، فإنها نفسها قد استدرجت لتطبيق نفس الفكرة والسياسة، فبدأت بقبول فكرة تقاسم فلسطين مع محتليها الغاصبين لها من بوابة الشرعية الدولية، وانتهت بالتفاوض مع الاحتلال لتقاسم الضفة الغربية بين الفلسطينيين ومستوطنيها اليهود من بوابة الواقعية السياسية، تحت تأثير عوامل التعرية الوطنية والتآكل الثوري، وتطبيقاً لنظرية ثوار منتصف الطريق (البندقية تزرع والسياسة تحصد)، فزرع الفدائيون دمهم وعرقهم، وحصد السياسيون خيبتهم وفشلهم، حصدوا سلطة وطنية منزوعة السلطة والوطنية، لينتهي بها المطاف إلى نموذجٍ آخر للتعايش مع الاحتلال بجيشه ومستوطنيه... ولكن النموذج الأصل في التعامل مع الاحتلال، وهو المقاومة ظّل حافراً بقوة بعد سلطة أوسلو، في العمليات الفدائية، وفي الانتفاضات الشعبية، وفي المعارك العسكرية... وكل مشاهد المقاومة المشرفة في كل فلسطين.

المشاهد في فيلم المعبر والواقع الفلسطيني أصبحت واضحة: كيان صهيوني محتل يحاول فرض التعايش مع كيانه واحتلاله، على الشعب الفلسطيني الحر الصامد المقاوم، ويحاول إعطائها غطاء سياسياً بواسطة اتفاقية كامب ديفيد، وحزب روابط القرى، واتفاقية أوسلو، وتحت مسميات جذابة مثل: السلام الاقتصادي الذي ابتكره شمعون بيريز، ودعا له بنيامين نتنياهو، وسلام من أجل الازدهار في صفقة القرن لدونالد ترامب. وفي الجانب الآخر شعب فلسطيني حر وصامد ومقاوم يرفض التعايش مع الاحتلال بمختلف صوره - الأسرلة والتهويد والاستيطان والحصار- ويدرك أن الخلاص يكون بالعمل على تحرير فلسطين وليس تقاسمها مع الغاصبين، والسعي إلى حياة بدون احتلال وليس تحسين الحياة تحت الاحتلال، والاستمرار في مقاومة الاحتلال وليس التعايش مع الاحتلال.

الحركة الإسلامية ومُعضِلة أطروحة الحكم

كــــتب بتاريـــــخ:

23 سبتمبر 2021م

انتصرت حركة طالبان في أفغانستان على الاحتلال الأمريكي وحكومته الأفغانية في شهر آب أغسطس الماضي، فانتقلت بهذا الانتصار من مرحلة الجهاد والحركة إلى التمكين والحكم. وهزِم حزب العدالة والتنمية في المغرب أمام الأحزاب العلمانية واليسارية في شهر أيلول سبتمبر الحالي، فانتقل بهذه الهزيمة من حقبة التمكين والحكم إلى التهميش والإقصاء. وكلاهما – الحركة والحزب - قدم تجربة حكم سابقة مأزومة، ظاهر الأزمة لدى حركة طالبان المنتمية للمدرسة الديوبندية التطرف والإفراط، بينما ظاهر الأزمة لدى حزب العدالة والتنمية المنتمي لمدرسة الإخوان المسلمين التطبيع والتفريط، ولكلٍ من الإفراط والتفريط باطن واحد يكمن فيه معضلة أطروحة الحكم لدى بعض تيارات الحركة الإسلامية بمختلف مدارسها، جوهره الفهم المغلوط والقراءة المحرفة لمصادر أطروحة الحكم وإدارة الدولة، وهي: النص الديني، والتراث الفقهي، والتاريخ الإسلامي.

أساس المعضلة الأول في الفهم المغلوط والقراءة المحرفة للنص الديني- قرآناً وسنة – الخاص بأطروحة الحكم الإسلامية، وليس في النص الديني نفسه إذا كان قطعي الثبوت والدلالة، ومن أنواع ذلك الفهم والقراءة: القراءة الجزئية المبتورة للنص، التي تعزله عن سياقه الحضاري الشامل، وإطاره الإنساني الكلي، ومقاصد الشريعة الإسلامية، فتأخذ ببعض النصوص الدينية وتترك بعضها في الموضوع الواحد، ولا تستوعب معناه كاملاً فتهمل روحه ومقاصده. والقراءة التبريرية الملتوية للنص، التي يتم بواسطتها لي عنق النصوص الدينية لتوافق وتبرر الواقع السياسي المناقض للإسلام؛ إرضاء لهوى ومصالح الحكام، فيصبح النص الديني محكوماً بالواقع وليس حاكماً له، وخاضعاً لإرادة أولي الأمر وليس موجِهاً لهم، ومَتغيراً بتأويلاته ليتأقلم مع أنظمة الحكم وليس مَغيراً لها. والقراءة الآحادية القطعية للنص، التي تعتمد على تفسيرات دوجماتية جامدة للنص الديني، يتم منحها قدسية تضعها في مرتبة النص، وترى فيها اليقين المطلق كالنص الديني القطعي الثبوت والدلالة، وتجهل حقيقة أنها مجرد اجتهاد بشري في فهم النصوص الدينية تحتمل أكثر من تفسير أو تأويل.

وأساس المعضلة الثاني في الفهم المغلوط والقراءة المحرفة للتراث الفقهي الخاص بالسياسة الشرعية، التي يتم بواسطتها استدعاء فقه السياسة الشرعية المتراكم على رفوف أرشيف الزمن الماضي، ومن ثم إسقاطه على عصرنا بغثه وسمينه؛ بدون غربلة للجوهري من الهامشي، وانتقاء للثابت من المتغير، واصطفاء للصواب من الخطأ، واخَتيار للمفيد من الضار... وبدون تمييز بين تراث فقه السياسة الشرعية الذي وظّف النص ليجعل الواقع منسجماً مع الإسلام، وبين الفقه الذي وظّف النص ليجعل الإسلام منسجماً مع الواقع السيء، وإضفاء الغطاء الشرعي عليه، فشرعن الاستبداد السياسي، والاستغلال الاقتصادي، والظلم الاجتماعي، والفساد الآخلاقي... ومن أمثلة ذلك: شرعنة إمارة المتغلّب وتوريث الحكم للأبناء، وأسقط حق الأمة في اختيار حكامهم ونقدهم وعزلهم، وربط الثورة على الاستبداد بالفتنة، وقرن معارضة الظلم بالتمرد، وحصر الشورى بأهل الحل والعقد الموالين للحاكم، وحول الشورى من مَلزِمة إلى مَعلمة.

وأساس المعضلة الثالث في الفهم المغلوط والقراءة المحرفة للتاريخ السياسي الإسلامي، التي يتم فيها أخذ نماذج الحكم التاريخية، لا سيما تجربة دولة الخلفاء الراشدين كقوالب جامدة وأشكال ثابتة يصب فيها كل نموذج جديد للحكم الإسلامي، باعتبارها مصدراً لفقه السياسة الشرعية، دون تمييز للنص الديني الإلهي والتجربة التاريخية البشرية، ودون الانتباه إلى أن التاريخ الإسلامي ليس هو الإسلام، بل هو وعاء الحياة الإسلامية العملية في تطبيقها للإسلام، قد تقترب منه أو تبتعد عنه نصاً وروحاً بدرجات متفاوتة، لأنه فعل بشري قابل للصواب والخطأ، فلا يجوز تقديسه واعتباره مصدراً للأحكام الشرعية في مجال سياسة الحكم وإدارة الدولة، إلاّ بمستوى الاسترشاد به والتعلم منه، واستخلاص العبر والدروس المفيدة من أحداثه، واستلهام روح الشجاعة والعزة والكفاح من أبطاله. هذه المصادر الثلاثة- النص والتراث والتاريخ- بقدر ما ساهمت في إيجاد أطروحة الحكم الإسلامي، بقدر ما ساهمت في انتاج مَعضلة أطروحة الحكم لدى بعض تيارات الحركة الإسلامية، من خلال الفهم المغلوط والقراءة المحرفةَ لهم، تجلّت ذروتها في رؤية النظام السياسي الإسلامي، وأهم مظاهر المعضلة تجاهل جوهر النظام السياسي الإسلامي ومبادئه ومقاصده، والتركيز على شكله وصورته وواجهته، ممثلة في مؤسسة الخلافة الإسلامية، أو الإمامة العظمى، الشكل الذي أبدعه العقل البشري المسلم بعد عصر النبوة ليكون وسيلةً للحياة الإسلامية، وهذا الشكل السياسي للحكم يستمد شرعيته من كفاءته في: استنباط الحلول الإبداعية من النصوص الدينية، وانتقاء

الجوهري المفيد من تراث فقه السياسة الشرعية، واستخلاص العبر والدروس من تجارب التاريخ الإسلامي. ويستقي مصداقيته من فعاليته في تطبيق ما في الإسلام من قيم إنسانية، ومبادئ أخلاقية، ومقاصد شرعية.

فالشورى - على سبيل المثال - مبدأ إسلامي، ومؤسسة أهل الحل والعقد إحدى وسائل وأشكال تطبيقها، يمكن أن تستبدل بمؤسسة البرلمان، والوحدة مبدأ إسلامي، والخلافة إحدى وسائل وأشكال تطبيقها، يمكن أن تستبدل بأي مؤسسة توحد الأمة الإسلامية.

التخلّص من معضلة أطروحة الحكم لدى بعض تيارات الحركة الإسلامية يتطلب التحرر من الفهم المغلوط والقراءة المحرفة للنص الديني السياسي، ويكون ذلك بالتخلّي عن القراءة الجزئية والتبريرية والأحادية للنص؛ والتحلّي بالقراءة الكَلية والثورية والإبداعية للنص. والتحرر من الفهم المغلوط والقراءة المحرفة لتراث فقه السياسة الشرعية والتحلّي بقراءة متجاوزة للهامشي الضار منه نحو الاحتفاظ بالجوهري المفيد منه، وإبداع فقهٍ إنساني وثوري وإيجابي.

والتحرر من الفهم المغلوط والقراءة المحرفة للتاريخ الإسلامي، بالخروج من القالب التاريخي للنظام السياسي الإسلامي، مع الاحتفاظ بقيم ومبادئ ومقاصد الحكم الإسلامي الإنسانية والأخلاقية.

وإذا تحررنا من تلك القيود الفكرية، نستطيع إبداع أطروحة حكم إسلامية تكون نبراساً يضيء طريق الأمة نحو حكمٍ رشيد، وسداً يمنع احتكار النخبة الحاكمة للسلطة والثروة، وسلاحاً بيد الجماهير المستضعفة تنتزع بواسطتها خبزها وحريتها وكرامتها، وبغير ذلك ستظل أطروحة الحكم سلاحاً بين النخبة الحاكمة المترفة تسلب الجماهير المستضعفة الفقيرة خبزها وحريتها وكرامتها.

الباخرة الإيرانية بتتكلم عربي

كـــتب بتاريـــــخ:

30 سبتمبر 2021م

يعد فؤاد حداد من أبرز شعراء العامية في القرن العشرين، أطلق عليه فنان الشعب لارتباط شعره بقضايا الشعب والأمة، عشق مصر رغم أصوله الشامية، وأحب الإسلام رغم ديانته المسيحية، وانتمى للفقراء رغم طبقته الغنية، وآمن بالوحدة العربية رغم تغييبه في سجون القومية الناصرية، وأنشد لفلسطين- قضية الأمة المركزية – عطشاً للتحرير، فقال: "ولا في قلبي ولا عيني إلاّ فلسطين.. وأنا العطشان ماليش مية إلاّ فلسطين"، وغنى للمقاومة شوقاً للحرية، فقال: " ازرع كل الأرض مقاومة.. ترمي في كل الأرض جذور.. إن كان ظلمة تمد النور..

وإن كان سجن تهد السور". ونادى بعد النكسة بعبور بحر الهزيمة إلى بر النصر، فقال: "الأرض بتتكلم عربي وقول الله... إن الفجر لمن صلاّه.. ما تطولش معاك الآه"، وعبر فيها عن روح المقاومة وإرادة النصر، فقال: "الأرض بتتكلم عربي ولا ترتاح.. واصل كالسيل المجتاح.. فتحك يا عبد الفتاح".

قصيدة الشاعر الثائر فؤاد حداد (الأرض بتتكلم عربي) بعد النكسة عام **1967**م، تعبر عن روحٍ ثورية ترفض واقع الهزيمة كأمر جبري لا خلاص منه، وقدر حتمي لا محيد عنه، وتعبر عن إرادة حياة ونصر تأبى التعايش مع حالة الانكسار كحالة دائمة لا خروج منها، ووضع أبدي لا نجاة منه، ولذلك اعتبر الأرض كائناً حياً يتكلم عربي بلهجة المقاومة وصوت الثورة، فلا يوجد في قاموس العروبة عنده غير المقاومة والثورة، فإذا كانت الأرض بتتكلم عربي، فهي لا تلد من رحمها إلاّ الثوار الأحرار، ولا تحتضن في بطنها إلاّ الشهداء الأبرار، فعبر الشاعر بعاطفته القومية وإحساسه الوطني عن هوية كل أرض يأبى شعبها القبول بالاستعمار والرضى والاستحمار، فتثور فيهم روح المقاومة والبطولة، وتسكنهم إرادة النصر والرجولة.

وهذه لغة كل أرض تغرس فيها جذور الثورة، فتنبت أشجار المقاومة، وتخصب ثمار الحرية. ولغة كل أرض حقيقة أو مجازاً، بما فيها الباخرة الإيرانية الأولى وأخواتها المحملة بالنفط الإيراني إلى لبنان وشعبه، فبمجرد إعلان السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله أنها أرض لبنانية، فقد انضمت

إلى أرض المقاومة بمعادلتها المفروضة على العدو الصهيوأمريكي وجوهرها فرض توازن الردع والرعب عليه.

معادلة المقاومة المفروضة على العدو الصهيوأمريكي هي التي ردعت أمريكا و(إسرائيل) عن ضرب الباخرة الإيرانية وأخواتها في عرض البحر، وأتاحت لها ولأخواتها الوصول إلى محطتها الأخيرة، ومن ثم دخول النفط الإيراني إلى لبنان، ليساهم في كسر جدار في حائط الحصار المضروب على لبنان مستهدفاً المقاومة، بقرار أمريكي إسرائيلي، ومشاركة عربان أمريكا في الإقليم، ورضى أو صمت طالبي الحماية الفرنسية في لبنان. وهذا التمرد على عبودية الحصار الطوعية من المقاومة اللبنانية لم يكن ليتم لولا إدراك المقاومة بأن ضريبة الحرية مهما عظُمت ستكون بلا شك أقل من ضريبة ا لعبودية، وشتان بين ضريبة تنتزع الحياة بعزة وكرامة، وضريبة تجلب حياة الذلة والمهانة. ورحم الله سيد قطب القائل عن ضريبة الذل "هؤلاء الأذلَّاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة، إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة، يؤدونها من نفوسهم، ويؤدونها من أقدارهم، ويؤدونها من سمعتهم، ويؤدونها من اطمئنانهم، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون.".

والتاريخ خير شاهد على هذه الحقيقة، فالشعوب والأمم التي ضنت بأرواحها على حريتها عاشت في العبودية دهراً، والتي شحت بدمائها على كرامتها غرقت في المهانة زمناً، والتي أمسكت أموالها عن عزتها حيت في الذلة ردحاً، والتي بخلت بعرقها على مجدها بقت في الخسة حقَباً... وما مثال اليهود من بني إسرائيل في القرآن الكريم عنا ببعيد، عندما ضنوا بأرواحهم، وشحَوا بدمائهم، وأمسكوا أموالهم، وبخلوا بعرقهم على حريتهم وكرامتهم وعزتهم ومجدهم، فقالوا لنبيهم " قَالَوا يا موسى إِن فِيهَا قَوما جبارِين وإِنَّا لَن نَّدخَلَها حتى يخرجوا منْهَا فَإِن يَخرجَوا منْهَا فَإِنَّا دَاخلَونَ"، فدفعوا ضريبة العبودية ذلةً ومهانةً وتيهاً أربعين سنة في صحراء الأرض والفكر.

ومثال آل سعود منا قريب، عندما قدموا قرابين الولاء لأمريكا وقرابين التطبيع لـ (إسرائيل)، دفعوا ضريبة العبودية من أنفسهم وأموال أمتهم: رجولة مفقودة، وإرادة مسلوبة، وأموال منهوبة... طوعاً ورضاً أو كرهاً وقهراً... ومثال جماعة أوسلو منا حاضر، عندما تخلوا عن بندقية المقاومة، وألقوا سلاح الثورة، فاستبدلوا المقاومة بالمساومة، والثورة بالسلطة، والتحرير بالدولة؛ لم يحصلوا على الدولة ولم يعودوا إلى الثورة، وظلوا أسرى لبريق السلطة وقهر الاحتلال.

أما الشعوب والأمم التي جادت بأرواحها، وبذلت دمائها، وأنفقت أموالها، وسخت بعرقها، انتزعت حريتها وكرامتها وعزتها ومجدها، فعاشت في السيادة أبداً، وتربعت على عرش الحضارة دوماً... ولنا في شعوب الجزائر وإيران وفيتنام وكل شعوب الأرض الحرة الأبية أسوة حسنة، عندما دفعت ضريبة الحرية والكرامة، فسارت على نهج المقاومة والثورة، والتي لا تزال تسير على نفس الدرب، خاصة المقاومة الإسلامية والعربية والوطنية في لبنان وفلسطين وكل محور المقاومة، في كل ميادين النزال والقتال، ومواطن المواجهة والتحدي، في البر والبحر، ومثال عملية انتزاع الحرية في سجن جلبوع والاشتباكات المسلحة في الضفة الغربية، ومثال البواخر الإيرانية المحملة بالنفط إلى الشعب اللبناني متحدية الحصار خير شاهد. وخير دليل على أن المقاومة تنتزع حياة الحرية من موت العبودية، لثبت أن المقاومة حياة، وما تركها شعب أو أمة إلاّ ذلوا وعمهم الله بعذاب المهانة وجحيم العبودية، وبدونها يموت الإنسان تحت الأرض جسداً وفوق الأرض روحاً.

كما وصلت الباخرة الإيرانية وأخواتها إلى هدفها بقوة المقاومة وعنفوان الثورة، حاملة معها الحياة، بعد دفع ضريبة الحرية، ستصل حتماً باخرة المقاومة، وعلى ظهرها كل أحرار الأمة وثوارها إلى هدفها ومحطتها الأخيرة في القدس والمسجد الأقصى، بعد أن يهزم جمع الاستعمار الغربي الأمريكي، ويولي مستوطنو الكيان الصهيوني الدّبر، وعندئذ يود الذين استسلموا وطبعوا، ثم أشربوا في قلوبهم القابلية للاستعمار، واستقوا في عقولهم الرضى بالاستحمار، وارتووا في نفوسهم العبودية للاحتلال... أن تسوى بهم الأرض ويصبحوا نسياً منسياً.

وحينئذ يفرح المؤمنون بالله والمقاومة بنصر الله وشموخ المقاومة، مَرددين قصيدة الشاعر الثائر فؤاد حدّاد (الأرض بتتكلم عربي)، وبالتحديد قوله: "الأرض بتتكلم عربي سبل وكروم... تجري اللقمة على المحروم.. ما تثبتش حصون الروم"، لتتحقق نبوءة الشاعر بأن حصون الروم الجدد من الأمريكان والصهاينة لن تثبت ولن تصمد أمام عنفوان الثورة وبأس المقاومة، وستهدم بمجرد أن يدخل المقاومون عليهم الباب؛ فإذا دخلوه فإنهم بمشيئة الله غالبون.

التاريخ ليس قاعة انتظار إلى وعد الآخرة

كتب بتاريـــخ:
7 أكتوبر 2021م

أثناء حفر المسلمين لخندق المدينة المنورة في غزوة الأحزاب في العام الخامس للهجرة، وعندما كان النبي ﷺ يضرب بمعوله صخرة كبيرة استعصى على المسلمين كسرها، قال في الضربات الأولى "الله أكبر أعطيت مفاتيح الشَام"، والثانية " الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس"، والثالثة "الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن". ما بين هذا الوعد الإلهي الحق للنبي وللمسلمين وفتح تلك البلاد مرت سنوات، انهمك المسلمون في التخطيط للفتح، والإعداد للقوة، والتجهيز للجهاد، والعمل للنصر، وانشغل المًسلمون بالأخذ بأسباب النصر والصعود، وسنن التقدم والتطور. وبعد تحقق الوعد الإلهي الصادق بالفعل البشري أبدعوا في إدارة البلاد المفتوحة واستثمار ثرواتها.

وعندما عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الأول في بازل بسويسرا عام 1897م، حددت هدفها المركزي في إقامة وطن لليهود في فلسطين، استناداً إلى وعدٍ إلهي مزعوم بعودة اليهود إلى (أرض إسرائيل)، ثم انتزع الصهاينة (وعد بلفور) من بريطانيا عام 1917م بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين التي كانت تحت الاحتلال البريطاني، وما بين هذا الوعد البريطاني الباطل وإعلان قيام (إسرائيل) مرت سنوات انهمك الصهاينة في التخطيط للاحتلال، والإعداد للاستيطان، والتجهيز للحرب، والعمل للتهجير، وانشغلوا في امتلاك عوامل القوة من الأموال والبنين، فكانوا أكثر نفيراً وقدرة على حشد القوة، وبعد تحقق الوعد البريطاني الظالم بالفعل البشري أبدعوا في السيطرة على أرض فلسطين ونهب ثرواتها.

الوعد الإلهي الحق للمسلمين، والوعد البريطاني الباطل لليهود، تحققا بالفعل البشري - الصالح والطالح - تخطيطاً وإعداداً وتجهيزاً وعملاً، مصحوباً بالأخذ بأسباب النصر والتقدم والتطور والصعود، ومترافقاً مع تسخير سنن التاريخ وليس اعتباره قاعة انتظار على رصيف أحلام الفرقة الناجية. وهذا ما ينبغي أن يكون منهجنا في قراءة (وعد الآخرة) على مستوى الوعي والعمل، بدون إنكار يلغي القدر

الإلهي، أو إيمان يلغي الدور الإنساني، فقدرية مجيء وعد الآخرة لا يعني استكانة المسلم وانتظاره لوقوع القضاء، ولا يعني التعامل مع التاريخ كقاعة انتظار إلى وعد الآخرة، ولا يعني إلغاء الدور الإنساني ومسؤولية الإنسان وحريته في تحقيق قدر الله في الأرض... بل يعني أن التوقيت الزمني لحدوث القدر ووقوع القضاء هي من خصائص الألوهية وفعل الله تعالى.

ووعد الآخرة موجود في سورة الإسراء في أكثر من آية، أهمها قوله تعالى: " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا"، فبعد تجميع اليهود وهجرتهم إلى فلسطين، وعلوهم وإفسادهم فيها، يأتي وعد الآخرة بتدمير علوهم وإفسادهم ودولتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين " يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ". واختلاف مجتهدي المفسرين في زمان وتفاصيل وعد الآخرة لا يلغي حقيقته ووجوده خاصة وأن القرآن الكريم يتوعد اليهود بتدمير علوهم وإفسادهم كلما عادوا إليهما " وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا".

هذه الرؤية لوعد الآخرة كتب في إطارها المفكر السوداني محمد أبو القاسم حاج حمد في كتابه (العالمية الإسلامية الثانية)، وفكرته جوهرها وجود علاقة بين تحقيق وعد الآخرة وبداية العالمية الإسلامية الثانية ، فاعتبر وعد الآخرة نقطة تحول تاريخية تنهي الإفساد والعلو الإسرائيلي ومعه كل المشروع المعادي الاستعماري بوجهته: الغربي والصهيوني، ودورة الحضارة الغربية الاستعلائية، وتبدأ بوعد الآخرة دورة الحضارة الإسلامية الجديدة، ومرحلة العالمية الإسلامية الثانية، ولكن رؤيته لوعد الآخرة كانت من زاوية امتلاك الأمة لقوة التأثير والفعل في تغيير أحداث التاريخ لصالحها في الحضور الإلهي الكامل دون أن يلغي مسؤولية الإنسان الذاتية كفرد وأمة عن تحديد مصيره والتحكم بمسار تاريخه، وفهم القدرة الإلهية كقوة دافعة لفعل الإنسان عندما ينسجم مع منهج الله وسننه في الكون، وهذا الفهم لدور الإنسان وفاعلية الأمة في تحقيق وعد الآخرة يخلّصها من حالة العجز والتواكل، ويطلق طاقاتها لإنجاز وعد الآخرة والوصول إلى العالمية الإسلامية الثانية في إطار الصراع مع الوجود الإسرائيلي وهزيمة المشروع الاستعماري الغربي.

وحتى يأتي وعد الآخرة والشعب الفلسطيني جزء من هذا الوعد الإلهي وفي قلب الفعل الإنساني، لا بد أن يقوم بدوره في إنجاز الوعد، ودوره هو مواصلة مشروع التحرير، وإبقاء جذوة الجهاد والمقاومة مشتعلة، واستمرار استنزاف كيان العلو والإفساد الإسرائيلي، والعمل على منع استقراره وشرعنة

وجوده في قلب الآمة، وهذه الرؤية الإيجابية لدور الشعب الفلسطيني والآمة العربية والإسلامية في الوصول إلى وعد الآخرة امتلكها المفكر الشهيد فتحي الشقاقي قائلاَ: "إن مسألة تحرير فلسطين هي مسألة مشروع ينظّم إمكانيات الآمة، ويرد على حرب العدو الشاملة بحرب شاملة، ويبقي دور المجاهدين في فلسطين هو إحياء فريضة الجهاد ضد العدو ومشاغلته واستنزاف طاقاته وكشف وجهه البشع، وتدمير ما يستطيعون من قدراته، وإدامة الصراع حياَ حتى وحدة الآمة وتحقيق النصر... نحن نرى في جهادنا دعوة لاستنهاض الآمة كي تنهض وتتوحد وتتوجه إلى بيت المقدس"، فرحم الله المفكر الشهيد فتحي الشقاقي الذي لم يرضَ أن يكون التاريخ قاعة انتظار للشعب والآمة إلى وعد الآخرة.

القراءة الواعية والعمل بها يحرر الإبداع الإنساني ويشعل فاعليته التاريخية، ويطلق الفعل البشري ليغير مسار التاريخ، وتؤدي إلى إخراج وعد الآخرة من القدر الإلهي في عالم الغيب إلى القدر الإلهي في عالم الشهادة، وتضمن عدم تحويل اليقين بوعد الآخرة إلى قاعة انتظار على رصيف التاريخ إلى وعد الآخرة، فلا نقف طوابير آدمية مهملة تنتظر دورها للدخول من بوابة التاريخ، ولا نعقد مؤتمرات خطابية موحِشة ينتظر الخطباء فيها دورهم على منصة توزيع الغنائم... فهذا اليقين المبني على الإيمان والوعي والعمل بوعد الآخرة يدفعنا إلى مزيد من وضوح الرؤية، وقوة التخطيط، وفاعلية العمل، كتكليف إلهي، وإلى القيام بدورنا في حرب التّحرير كشعبٍ ومقاومة، ومعنا كل المؤمنين بمشروع المقاومة لتحرير فلسطين من الكيان الصهيوني، وتحرير الآمة من الاستعمار الآمريكي، حتى يأتي وعد الآخرة ونحن كذلك.

تصاريح غزة.. بؤس الصورة وعمق المأزق

كـتب بتاريـــخ:
14 أكتوبر 2021م

كتب فيودور دوستويفسكي رواية الفقراء في منتصف القرنِ التاسع عشر، مَصوراً بؤس حياة فقراء روسيا المَعدَمين، وموضحاً عمقَ مأزقِ المَجتمعِ الروسي البائس، وخلال قراءة الرواية يَمكن التقاط ثلاث صور للفقر: أولها الفقر المادي المعروف لكل الناس، عندما يأكل الفقيرَ الفتاتَ من الطعام، ويلبس البالي من الثياب، وينتعل الممزق من الأحذية، ويسكن الوضيع من البيوت. وثانيها الفقر المعنوي عندما يفقد الفقير كرامته واحترامه واعتزازه ومكانته ودوره، فيشعر بالمذلة والمهانة والوضاعة والدونية والضعة. وثالثها الفقر الأكبر من الإحساس بالفقرين – المادي والمعنوي - عندما يشعر الفقير بديمومة الفقر، ويحس بأبدية العوز، ويدرك أزلية العسر... وعند ذلك الحد من البأساء والضراء يصل الفقير إلى مرحلة الزلزلة التي يفقد فيها الفقراء الآمل بغدٍ أفضل، ويضيع عندهم الرجاء بمستقبلٍ أحسن، ويتوارى عنهم حلم القادم الأجمل.

مرحلة زلزلة الفقر وصل إليها فقراء غزة، عندما أصبح عندهم الغد أردأ، والمستقبل أسوأ، والقادم أقبح، وهذا ما يفسر بؤس الصورة التي ظهر فيها آلاف الفلسطينيين متكدسين كعلب السردين أمام مقرات الغرف التجارية في محافظات غزة الخمس – استجابة لإعلانٍ غامض – لتقديم طلبات الحصول على تصاريح عمل داخل الأرض المحتلة عام 1948م، بعد سنوات عجاف في انتظار فرجٍ لا يأتي، وبؤس الصورة تدل على عمق المأزق الذي وصلت إليه غزة، بوجود أجّيالَ من الشباب والشابات توقف قطار حياتهم عند محطة تاريخية تعيسة، لم يستطع مغادرتها إلى محطة أخرى سعيدة، بعدما اصطدم بصخرة الاحتلال والحصار، وارتطم بحاجز أوسلو والانقسام، وغرقً في بحر لوثه الفساد والحزبية... فانضموا إلى طوابير الخريجين المنتظرين على أرصفة الأحلام، وجيوش العاطلين الهائمين في صحراء الآمال، وحشود المتسولين المتجولين على أبواب جمعيات الأوهام، وخَطى أفواج المهاجرين بعدما طووا كتب أحلامهم ودفاتر ذكرياتهم في حقائب سفرهم ورحلوا...

بؤس صورة عشرات آلاف الفلسطينيين المتجمعين أمام الغرف التجارية المضافة إلى صور جموع الخريجين والعاطلين والمتسولين والمهاجرين، تشكل وثيقة إدانة لكل المسؤولين والسياسيين والقادة في فلسطين في المنظمة والسلطة والفصائل، خاصة وأن هناك وجهاً آخر للصورة لا يقل بؤساً عنها، كما جاء في (نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندما قال: " فَمَا جَاعَ فَقِير إِلاّ بِمَا مَتّعَ بِهِ غَنِي ". وهؤلاء السعداء من الأغنياء تراهم في الزمنين: القديم الغابر، والجديد الحاضر، من أولي القولَ والطول، وصفوة السادة والقادة، ونخبة التجار والثوار، ومن تبعهم بغير إحسان ممن برع في فنون الفهلوة، وحذق أصول الشقلبة، في الزمنين الغابر والحاضر، من الذين حصدوا في بطونهم ما زرعه الشهداء من أرواحهم، وجمعوا في خزائنهم ما غرسه الثوار من دمائهم.

بؤس الصورة تعيدنا إلى عمق المأزق الاقتصادي الفلسطيني الذي كانت صورة الفلسطينيين الباحثين عن لقمة العيش آخر حلقة في مسلسل تراجيديا فلسطينية، أما الحلقة الأولى منه فتصور مشهد دخول الجيش البريطاني بقيادة الجنرال إدموند اللنبي مدينة القدس يوم **11** ديسمبر كانون أول عام **1917** م محتلاً لفلسطين، لتبدأ مرحلة التمكين السياسي والعسكري والاقتصادي للحركة الصهيونية، لتتوج بإقامة دولة (إسرائيل) عام **1948**م، وهي بداية كل مأساة فلسطينية، وأهمها فقدان الأرض مصدر رزق معظم الفلسطينيين، الذي تحول بذلك معظمهم إلى لاجئين مشردين خارج فلسطين وداخلها، وبعد اكتمال حلقات التراجيديا في النكسة عام **1967**م باحتلال ما تبقى من فلسطين المعروفة بالضفة والقطاع، أصبح الاقتصاد الفلسطيني تحت سيطرة الاقتصاد الإسرائيلي وملحقاً به.

ومن مظاهر تلك السيطرة والتبعية ظاهرة العمالة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة عام **1948**م تحت ضغط الحاجة والفاقة في المجتمع الفلسطيني، لحاجة اقتصادية إسرائيلية؛ ولدوافع مرتبطة بتفريغ الحركة الوطنية من مضمونها ورجالها ولم يتغير هذا الوضع كثيراً بعد اتفاقية أوسلو وإنشاء السلطة الفلسطينية عام **1994**م بعدما ربط الاقتصاد الفلسطيني بالإسرائيلي في اتفاقية باريس الاقتصادية. وكانت الحاجة المتبادلة للعمالة الفلسطينية موجودة لا سيما قطاع غزة الذي لا يملك موارد اقتصادية تؤهله للاستقلال الاقتصادي عن محيطه في داخل فلسطين وخارجها.

بعد الانتفاضة الثانية عام 2000م تناقص عدد العمال الفلسطينيين تدريجياً حتى توقف تماماً بعد الانقسام عام 2007م في إطار الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة المقاوم، وساهمت الحروب العدوانية المتتالية على تدمير اقتصاد غزة الهش، وجاءت عقوبات السلطة المالية لتزيد طين الاقتصاد المنهار بلة، ولتضع على ظهر جمل الاقتصاد القشة التي قصمته، وكل تلك الأحمال المتراكمة بفعل الاحتلال وأوسلو والحصار والانقسام والعقوبات أضيفت إلى اقتصاد يَعاني عيوباً من فعل أيدينا منها: سوء التوزيع، وفساد الإدارة، واستحواذ الحزب...

فلا غرابة في بؤس الصورة لآلاف الفلسطينيين الحالم كل واحد منهم بتصريح عمل يخرج من قمقمه الجني الذي سيحل له مشكلة الفقر والعسر، وينهي حالة الحاجة والفاقة، بعد أن عجزت القيادة المتنفذة من كسر مثلث الفلس والتعس والبؤس عندهم.

بؤس الصورة في المشهد الاقتصادي الفلسطيني يتطلب أن نبحث عن المشكلة داخلنا كشعبٍ فلسطيني وحركة وطنية وفصائل مقاومة، وكمؤسسات سياسية كالمنظمة وفصائلها، والسلطة وأجهزتها، لكن قتامة المنظر لا ينبغي أن يجعلنا نفقد بوصلة الاتهام التي تَشير إلى الكيان الصهيوني المسبِب الأول للتراجيديا الفلسطينية، والمنبع الأساس للمأساة الوطنية، ولا ينبغي أن تجعلنا نفقد بوصلة الحل التي تَشير إلى أنّ انتهاء التراجيديا وزوال المأساة لا تتم إلاّ بزوال مَسبِبها ومنبعِها وهو الكيان الصهيوني بجرائمه المختلفة من قتل وتهجير وسجن واحتلال وحصار وحروب... وحتَى ذلك الحين نستطيع أن نجعل فلسطين وطناً أكثر صلاحية للحياة وجدارة بالعيش، ومكاناً أعظم كفاءة للإنجاز وأهلية للإبداع، وبلداً أكبر قابلية لاحتضان أحلام الشباب والشابات، وهذا يقتضي تحمل المسؤولية الإنسانية والأخلاقية والوطنية من الجميع في تقاسم رغيف الخبز بعدالة وتكافل، وبتوحدنا حول مشروع وطني ركيزته الأولى دعم صمود الشعب الفلسطيني فوق أرضه؛ وهذا يبدأ وينتهي بمشروع اقتصادي جوهره ثبات الشباب في وطنهم معززين مكرمين محتضنين أحلامهم الصغيرة وأحلام وطنهم الكبيرة.

الوحدة الإسلامية بين مفهومي الأمّة والجماعة

كـتب بتاريـــخ:

21 أكتوبر 2021م

تحويل التحديات إلى فرص من علامات النجاح، ولذلك فإن تحويل تحدي الاختلاف إلى فرصة للائتلاف من أهم علامات النجاح، وهذا بالضبط ما أبدعه الإمام الثائر آية الله الخميني - رحمه الله - قبل أربعين عاماً، عندما حول الخلاف بين السنة والشيعة في يوم مولد النبي محمد ﷺ إلى فرصة للوفاق بين مكونات الأمة الإسلامية، فأعلن عن أسبوع الوحدة الإسلامية ما بين التاريخين المختلف عليهما من (12) ربيع الأول إلى (17) ربيع الأول، وأهم فعالياته مؤتمر الوحدة الإسلامية، الذي ينظمه سنوياً المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ويعقد هذا العام تحت شعار (السلام وتجنب الفَرقة والصراع في العالم الإسلامي)، والهدف من هذا الأسبوع والمؤتمر هو استثمار ذكرى المولد النبوي المباركة في إيجاد أرضية مشتركة للاتحاد والتضامن في العالم الإسلامي، وتبادل الأفكار بين العلماء والباحثين لتقارب المسلمين الفكري، والالتقاء على أصول الدين الجامعة، وقضايا الأمة المركزية، ومصالح المسلمين المشتركة.

أسبوع الوحدة الإسلامية يقوم على آساس ديني باعتبار الآمة الإسلامية أمة واحدة، لها نبي ودين واحد، وحدة منصوص عليها في القرآن الكريم "إِن هٰذهِ أُمَتكُم أُمَةً واحِدَةً وأَنَا ربكُم فَاعبُدونِ"، وفي السنة النبوية كما ورد في صحيفة المدينة عن المسلَمِين " إنهم أمة واحدة من دون الناس"، وهذه الآمة لها اسم توقيفي من عند الله تعالى كورثة عقيدة التوحيد على لسان إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - في سورة البقرة: "رَبنَا واجْعَلنَا مُسلمَينِ لَكَ ومِن ذُرِيتنَا أُمَةً مُسلمَةً لَكَ"، والتسمية واضحة في سورة الحج "هُوَ سمَاكُم المُسلمين" ، ولذلك اسم (الآمة الإسلامية) هو الآصل الجامع لكل المسلمين منذ تكوين المجتمع الإسَلامي الآول في عهد النبوة والخلافة الراشدة، واستمر شعور المسلمين بأنهم آمة واحدة سواء جمعتهم الخلافة كنظام سياسي موحد للآمة، أم فرقتهم الدول ككيانات سياسية مفرِقة للآمة، وتواصل إحساس المسلمين بهويتهم الجمعية المتميزة كأمة رغم موجات الغزو الخارجي ودوامات الصراع الداخلي.

إحساس المسلمين بهويتهم كأمة واحدة متميزة مغروس في الوجدان الشعبي الإسلامي، وموثق في التراث الثقافي الإسلامي، ولكنه تعرض لتيارات تفكيكية من داخل الآمة وخارجها، ارتدت مفاهيمها ثياباً بألوان الشعوبية والقومية والوطنية والمذهبية، ولكن أكثرها تأثيراً ما ألبس ثوب ديني، فاتخذ طابع القداسة، واحتكر لقب الشرف، وهو مفهوم (أهل السنة والجماعة)، ظاهره فيه الوحدة، وباطنه ممزوج بالفُرقة، ذلك بأنّ المفهوم تبلور تاريخياً في سياقٍ غير مُوّحد للأمة الإسلامية، وفي إطار أقرب للتفكيك منه للتجميع. فالأصل أن الإسلام قد طرح مشروعاً سياسيّاً وحدوياً، يقوم على مفهوم الآمة التي تجمعها رابطة العقيدة، فأقام الإسلام دولة الآمة الواحدة، بقيادة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين من بعده، فكانت الآمة هي كل المسلمين، وهي جماعة المسلمين، حتى إذا ما بدأت الفتنة الكبرى انقسمت الآمة الواحدة إلى جماعات متفرقة ومتصارعة، للفوز بقوة نفوذ السلطة وشرعية تمثيل الإسلام.

وعندما استقر أمر السلطة والإسلام عند الدولة الأموية في (عام الجماعة) أطلق على كل المسلمين الراضين بحكم بني أمية المتغلّب طوعاً أو كرهاً اسم (الجماعة)، وعلى الرافضين لحكم الآمر الواقع سلماً أو حرباً اسم الخارجين على الجماعة، وأشهرهم الشيعة والخوارج، وبعد دهرٍ من الزمان أُضيف اسم (السنة) إلى (الجماعة)؛ لتصبح (أهل السنة والجماعة) تمييزاً لهم عن الفرق والمذاهب الآخرى، في عصرٍ كثرت فيه الصراعات السياسية والفكرية والفقهية بين الفرق والمذاهب، والتبست فيه السنة بالبدعة، والصواب بالخطأ، والاعتدال بالتطرف.

وبالمقدار الذي حمل فيه المصطلح مضمون الحفاظ على نهج الكتاب وهدي السنة. حمل معه سوطاً مرفوعاً على ظهور المجتهدين المبدعين من علماء الآمة الرافضين لاحتكار تفسير الإسلام. وحمل معه سيفاً مسلّطاً على رقاب المخالفين المعارضين للاستحواذ بالسلطة والثروة من نخبة الحكام.

ولأن المفهوم ارتبط بعقيدة الفرقة الناجية فقد تنافست الفرق للفوز باللقب وإخراج غيرها منه، ولا زالت المنافسة قائمة إلى يومنا هذا، وما حدث في مؤتمري جروزني والكويت خير دليل على ذلك. فقد عقد مؤتمر جروزني عاصمة دولة الشيشان في شهر اغسطس عام **2016**م بزعامة علماء الآزهر رواد المدرسة الآشعرية الوسطية تحت عنوان (من هم أهل السنة والجماعة؟) بعد أن كاد التيار

السلفي أن يسرق اللقب منهم، فقرر العلماء المؤتمرون أن أهل السنة والجماعة هم: الأشاعرة والماتريدية، وأهل الحديث المفوضة في الاعتقاد، وأهل المذاهب الأربعة... في الفقه، وأهل التصوف الصافي..." وأجمعوا على إخراج من سموهم "السلفية التكفيرية" بجميع فروعها من دائرة أهل السنة والجماعة، ولكنهم لم يخرجوا أحداً من ملة الإسلام.

وبعد ثلاثة أشهر في نفس العام رد عليهم التيار السلفي بعقد مؤتمر الكويت في شهر نوفمبر، بحضور من أسموهم "علماء أهل السنة والجماعة" تحت عنوان (المفهوم الصحيح لأهل السنة والجماعة)، في محاولة لاسترداد اللقب من المدرسة الأزهرية الأشعرية وتيارها في العالم الإسلامي، فقرروا أن أهل السنة والجماعة هم: "المتبعون للكتاب والسنة... ومن ألقابهم: أهل الحديث، وأهل الأثر، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة... وأهل الحق، والسلفيون..."، وجميعها أسماء لمسمى واحد - عندهم - هم المدرسة الوهابية وتيارها السلفي في العالم الإسلامي، وما عداهم من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والشيعة والصوفية... ليسوا من أهل السنة والجماعة، وبعضهم ليسوا من ملة الإسلام وفق رؤيتهم.

خَلاصة الأمر يجب إعادة قراءة مفهوم (أهل السنة والجماعة)، قراءة توحيدية تحافظ على أصول عقيدة التوحيد ودين الإسلام، وقراءة وحدوية تحافظ على وحدة الأمة الإسلامية وتضامن المسلمين شعوباً وقوميات ومذاهب، وقراءة تنويرية تتجاوز إرث الصراعات الشعوبية والمذهبية نحو البحث عن القواسم المشتركة والكلمة سواء والأصول الموحدة، وقراءة مستقبلية تنظر بعين الأمة الطامحة إلى مواجهة التحدي الغربي الحديث، وتحقيق النهضة والاستقلال وتحرير فلسطين... وإذا تعذّر ذلك كله فلا فائدة من التمسك بلقب تاريخي غير مقدس من وضع البشر، بل يجب التمسك وتعزيز اللقب المقدس من عند الله تعالى وهو (الأمة الإسلامية)، الجامع لكل أهل القبلة المتنافسين على لقب أهل السنة والجماعة، وغيرهم المبعدين عن اللقب.

فلسطين.. جدل الوحدة والتحرير

كـتب بتاريـــخ:

28 أكتوبر 2021م

بعد نكبة فلسطين الأولى عام **1948**م، تأسست حركة القوميين العرب؛ لمواجهة تحدي الهزيمة والنكبة، ورفعت شعار (الوحدة والتحرر والعودة)، واعتبرت أن الوحدة العربية هي الطريق إلى تحرير فلسطين وعودة اللاجئين. وبعد نكبة فلسطين الثانية عام **1967**م، تأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من رحم حركة القوميين العرب؛ لمواجهة تحدي الهزيمة والنكسة، بعد أن أدركت استحالة وحدة الدول العربية بأنظمتها الحاكمة الرجعية المرتبطة بالاستعمار، فطرحت وحدة القوى العربية الثورية كطريق للتحرير والعودة، وأكدت ذلك في مؤتمرها العام في فبراير شباط **1969**م، ونصه: "إن استراتيجية تحرير فلسطين تتطلب استراتيجية فلسطينية متلاحمة مع استراتيجية ثورية عربية... وأن طريق التحرير هو جبهة فلسطينية عربية ثورية تنضج العمل الفدائي وتحميه وتسانده وتمهد الطريق لامتداده حتى يشمل (إسرائيل) من كل جوانبها".

وخلافاً للشعار القومي والجبهوي (الوحدة العربية طريق التحرير والعودة)، طرح التيار الوطني الفلسطيني ممثلاً بحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، شعاراً معكوساً هو (تحرير فلسطين هو الطريق إلى الوحدة العربية)، تحت ضغط اليأس من تحقيق الوحدة العربية، وهو الشعار الذي يعني أن على الشعب الفلسطيني أن يعتمد على نفسه في الأساس لخوض معركة التحرير، دون أن يعني ذلك الانتقاص من أهمية الدور العربي في دعم مشروع التحرير، ولذلك اعتبرت حركة فتح في مبادئها أن الثورة الفلسطينية طليعة الأمة العربية في معركة تحرير فلسطين، والمعركة واجب قومي، تسهم فيه الأمة العربية بكافة إمكاناتها وطاقاتها المادية والمعنوية، إيماناً منها أن معركة تحرير فلسطين سوف تسفر عن حل التناقضات القائمة في الوطن العربي، كما أن حرب التحرير هي وحدها الكفيلة بتوحيد الأمة العربية، ورأب الصدوع في بنائها.

وحلاً لإشكالية الخلاف بين القوميين والوطنيين الفلسطينيين حول جدل الوحدة والتحرير جاء في الميثاق الوطني الفلسطيني أن "الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان، يهيئ الواحد

منهما تحقيق الآخر، فالوحدة العربية تؤدي إلى تحرير فلسطين، وتحرير فلسطين يؤدي إلى الوحدة العربية، والعمل لهما يسير جنباً إلى جنب". وتأكيداً للترابط بين هدفي الوحدة والتحرير في الميثاق اعتبر "مصير الأمة العربية بل الوجود العربي ذاته رهن بمصير القضية الفلسطينية، ومن هذا الترابط ينطلق سعي الأمة العربية وجهدها لتحرير فلسطين، ويقوم شعب فلسطين بدوره الطليعي لتحقيق هذا الهدف القولي المقدس"، وأن تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني وتحرير الوطن العربي من الهيمنة الاستعمارية الغربية معركة واحدة الانتصار في أي معركة منها سيؤدي بالضرورة إلى الانتصار في المعركة الأخرى.

وجدل الوحدة والتحرير كان حاضراً لدى الحركة الإسلامية الفلسطينية، ويمثل مدرسة (الوحدة طريق التحرير) حزب التحرير، فالحزب رغم نشأته الفلسطينية على يد الشيخ تقي الدين النبهاني إلا أنه لم يعتبر فلسطين هي قضية الحزب المركزية، واعتبر إقامة الخلافة الإسلامية هي قضيته المركزية، فيرى أن توحيد المسلمين تحت راية الدولة الإسلامية هي قضيته المركزية، فيرى أن توحيد المسلمين تحت راية الدولة الإسلامية الواحدة وتنصيب خليفة عليها هو الأساس في حل كل مشاكل الأمة، ومشكلة تحرير فلسطين ستكون إحدى مهام دولة الخلافة، ومن خلال جهاد جيشها فقط. والإخوان المسلمين قبل إنشاء حركة المقاومة الإسلامية حماس كانوا يحملون فكرة قريبة من ذلك تتعلق بإقامة دولة إسلامية تكون قاعدة لدولة الخلافة. التي ستتكفل بمهمة تحرير فلسطين في مرحلة التمكين الإسلامي، وأولوية الوحدة على التحرير لدى الإخوان المسلمين تغيرت بعد تشكيل حركة حماس في مطلع الانتفاضة الأولى ليصبح التحرير أولوية على الوحدة كواجب على الشعب الفلسطيني خاصة والأمة العربية والإسلامية عامة.

أما حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين فتبنت العلاقة الجدلية بين الوحدة والتحرير وظهر ذلك جلياً في خطاب الأمين العام للحركة الأستاذ المجاهد زياد النخالة في مؤتمر الوحدة الإسلامية المنعقد في طهران مؤخراً في إطار أسبوع الوحدة الإسلامية، فقال: " إن نهضة الأمة وتحقيق وحدتها سيبقى مرتبطاً ارتباطاً جدلياً بتحرير القدس وفلسطين من الاحتلال الصهيوني، أي لا وحدة بدون القدس وفلسطين، ولا قدس وفلسطين بدون الوحدة"، وهذه الرؤية منسجمة مع رؤية الأمين العام المؤسس للحركة المفكر الشهيد فتحي الشقاقي الذي اعتبر أن السمتين الأساسيتين للمشروع الغربي الاستعماري ضد الأمة هما: التجزئة وإسرائيل، وأن أي مشروع مضاد يجب أن يكون شعاره

وهدفه القضاء على التجزئة وإعلان تكريس وحدة الآمة، كما يكون شعاره وهدفه إعلان الجهاد للقضاء على إسرائيل، وتأكيداً لذلك يقول: "نحن نرى في جهادنا دعوة لاستنهاض الآمة كي تقوم بواجبها، كي تنهض وتتوحد وتتوجه إلى بيت المقدس".

وهو ما جاء في الوثيقة السياسية للحركة تحت عنوان (المشروع الصهيوني) ونصه "قيام الكيان الإسرائيلي هو تجسيد لإرادة القوى الاستعمارية الغربية، ورغبتها بإنشاء كيان بشري وجغرافي حاجز، لفصل مشرق الوطن العربي عن مغربه، وعزل مصر عن بلاد الشام وسلبها مكانتها الاستراتيجية ودورها المركزي في المنطقة، ومنع قيام أي وحدة عربية أو إسلامية، وتكريس التجزئة والتبعية، وخدمة المصالح الاستعمارية الغربية". وبناء على ذ لك فإن أي مشروع للآمة أو أحد مكوناتها هدفه الوحدة والاستقلال والنهضة لن يكتب له النجاح طالما استمرت دولة (إسرائيل) موجودة في فلسطين قلب الآمة، كما أن أي مشروع لتحرير فلسطين لن ينجح بدوره بدون العمل على تكوين وحدة عربية وإسلامية تضم كل الدول والقوى الحية الرافضة لوجود الكيان الصهيوني في فلسطين، والهيمنة الاستعمارية الآمريكية على الآمة، وهذا ما نراه اليوم يتحقق في محور المقاومة الذي يتبنى الوحدة والتحرير طريقاً للنهضة.

فصل المقال في جدل الوحدة والتحرير أن العلاقة بينهما هي علاقة جدلية تبادلية. بمعنى وجود تأثير متبادل بينهما، فالتقدم في إنجاز مشروع الوحدة- الوطنية والقومية والإسلامية – يؤدي إلى التقدم في مشروع تحرير فلسطين كما أن التقدم في إنجاز مشروع تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، وتحرير إرادة الآمة من الاستعمار الآمريكي الجديد، يؤدي إلى التقدم في إنجاز مشروع الوحدة بمستوياتها الوطنية والقومية والإسلامية. والتقدم في مشروعي الوحدة والتحرير معاً يعني وضع فلسطين والآمة في بداية طريق النهضة والعالمية الإسلامية الثانية.

الاستبداد والتطبيع وجهان لبرهان واحد

كـتب بتاريـــخ:

4 نوفمبر 2021م

بعد هزيمة يونيو حزيران عام 1967م عقد الرؤساء والملوك العرب مؤتمر القمة العربية الرابع في الخرطوم عاصمة السودان المعروفة بقمة اللاءات الثلاثة، نسبة إلى ما جاء في البند الثالث من قرارات القمة، ونصها: "لا سلام مع إسرائيل، لا اعتراف بإسرائيل، ولا مفاوضات مع إسرائيل". وبعد أكثر من نصف قرن على هذه اللاءات في يناير كانون الثاني هذا العام وقعت حكومة السودان الانتقالية بتوجيه من الفريق أول عبد الفتاح البرهان- رئيس مجلس السيادة السوداني- على اتفاقية التطبيع مع (إسرائيل) المعروفة باتفاقيات أبراهام في الخرطوم بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية.

رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو، الذي وقعت اتفاقية التطبيع في عهده، لم يترك الحدثين المتناقضين يمران دون سخرية من العرب الجدد المتحولين، فكتب في حسابه على التويتر متهكماً: " في العاصمة السودانية الخرطوم تبنت الجامعة العربية في العام 1967م ثلاثة لاءات: لا سلام مع إسرائيل، لا اعتراف بإسرائيل، ولا مفاوضات مع إسرائيل، ولكن اليوم الخرطوم تقول: نعم للسلام مع إسرائيل، نعم للاعتراف بإسرائيل، نعم للتطبيع مع إسرائيل".

وكأنه أخرج لسانه إستهزاء بعرب قبلوا الاستعمار طوعاً، أو حرك إصبعيه حول أذنيه استخفافاً بحكام رضوا بالاستحمار إذعاناً.

توقيع السودان برئاسة البرهان على اتفاقيات ابرهام سبقه اللقاء الذي تم في العاصمة الأوغندية عنتيبي في فبراير شباط عام 2020م، وتم فيه الاتفاق على تطبيع العلاقات بين البلدين، في قرار اتخذه العسكريون برئاسة عبدالفتاح البرهان، وفَرض على شركائهم المدنيين في الحكم برئاسة رئيس الحكومة عبدالله حمدوك، وبخلاف إرادة الشعب السوداني الرافض بعمومه للتطبيع مع العدو، وقد برر البرهان ذلك بأنه يخدم المصلحة العليا للسودان، ويحمل الخير للسودان"، باعتبار التطبيع هو

مفتاح الرضى الأمريكي وبوابة الدخول إلى الجنة الأمريكية، التي أولى درجاتها رفع العقوبات الأمريكية عن السودان بعد رفع اسمها من الدول الداعمة للإرهاب.

مسار التطبيع كان السمة البارزة لنظام الحكم في السودان بعد ثورة ديسمبر عام **2018**م، بقيادة البرهان كرئيس للمجلس العسكري الانتقالي، ثم رئيس للمجلس السيادي السوداني، وهذا النظام العسكري الذي اضطر لتقاسم السلطة مع قوى الثورة السودانية ممثلة في (ائتلاف قوى الحرية والتغيير) لاكتساب الشرعية الثورية، لم يطق ذرعاً بهذه الشراكة التي تقيد طبيعتهم السلطوية الاستبدادية، فكان لا بد من إخراج المدنيين من السلطة أو تحويلهم إلى مجرد موظفين عند العسكر، وكان لا بد من قطع الطريق على أي مسار سياسي ديمقراطي يعيد العسكر إلى ثكناتهم العسكرية. ليكتمل بذلك مسار الاستبداد مع مسار التطبيع.

كان البرهان قد مهد لاستكمال مسار الاستبداد قبل شهر من إخراج المدنيين من السلطة، عندما اتهم الحكومة المدنية بالفشل في إدارة الدولة والصراع على السلطة، وحسم الأمر نائبه في مجلس السيادة وشريكه في الاستبداد محمد دقلو الشهير بـ (حميدتي)، عندما قال عن شركائهم المدنيين: "ما بنقعد معهم على ترابيزة واحدة". فكان انقلاب البرهان وحميدتي ترجمة لذلك، وكان التبرير حاضراً في بيان الانقلاب وهو: "الحفاظ على مسار ثورة ديسمبر المجيدة، وتصحيح مسار الثورة"، وبذلك تم وأد روح الثورة باسمها، وحرف مسار الثورة بزعم تصحيحها.

وبذلك يكون مسار الاستبداد والتطبيع قد اكتملا في السودان بقيادة العسكر، وكأنهما وجهان لبرهانٍ واحد، يؤكد تلازم المسارين معاً في نظام حكم عبد الفتاح البرهان، وكل الأنظمة العربية الحاكمة التي انضمت إلى نادي التطبيع مع الكيان الصهيوني بأوامر أمريكية، وهذا التلازم بين المسارين مصدره نابع من الطبيعة الاستبدادية للأنظمة العربية الحاكمة وحاجتها إلى الحماية الخارجية من دولة كبرى كالولايات المتحدة الأمريكية، تحميها من شعوبها، ومن الديمقراطية، ومن إيران.

حاجة الأنظمة العربية الحاكمة لحمايتها من شعوبها مصدره طبيعة الأنظمة بنخبتها الحاكمة المستحوذة على السلطة والثروة، التي تجعلها معزولة عن شعوبها، ويسكنها الخوف من ثورات شعبية تطيح بها، وقد رسخت أمريكا في وعي تلك النخبة المستبدة الفاسدة أن مفتاح الرضى وبوابة الحماية

هما الثروة و(إسرائيل)، فنهبت الثروة طوعاً وكرهاً، وفرضت التطبيع سراً وجهراً، فدخل العرب المتحولون في الحقبة الإسرائيلية، وهم فاقدون للإرادة والكرامة، وقد صدق عليهم الشيطان الأكبر الأمريكي ظنه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المقاومين.

وحاجة الأنظمة لحمايتها من الديمقراطية إدراك نخبتها الحاكمة أن التطبيع مع الكيان الصهيوني هو كلمة السر التي تحميهم من الضغوط الغربية الانتقائية لإجراء تحولات ديمقراطية تهدد سلطتهم وثروتهم، وقد تؤدي إلى زوال نعمة السلطة، وأفول بحبوحة الثروة، فعلموا أن تلك الضغوط تَمارس على الدول الرافضة للهيمنة الصهيوأمريكية في المنطقة، التي تسبح ضد تيار المشروع الغربي الاستعماري في العالم العربي والإسلامي، خاصة إذا كانت السباحة ضد رأس حربة المشروع (إسرائيل)، فعندئذ فإن التطبيع يجب ما قبله من طغيان واستبداد، وما بعده من قمع وفساد.

وحاجة الأنظمة لحمايتها من إيران أو أي عدو خارجي آخر منبعه وهم كبير ناتج من جهد هائل عمدت فيه آمريكا وحلفاؤها الغربيين والصهاينة وأتباعها في بلاد العرب إلى شيطنة إيران باعتبارها العدو المركزي للعرب من البوابة القومية أو المذهبية، كجزء من سياسة التخويف الغربية للأنظمة الحاكمة وشعوبها؛ لتحويل الأنظار عن عدو الآمة المركزي (إسرائيل)، كدولة ومشروع وتحدي لوحدة الأمة واستقلالها ونهضتها، وإيجاد عدو بديل يكون بمثابة (البعبع) الذي يخوف به العرب ليظلوا بحاجة إلى حماية الغرب وأمريكا، وبوابة تلك الحماية هي التطبيع مع (إسرائيل)، وصولاً إلى التحالف معها وبقيادتها ضد (العدو الإيراني)، وضد كل محور المقاومة.

فصل المقال، فيما بين الاستبداد والتطبيع من اتصال، أنهما يسيران في مسار واحد دون انفصال، فهما وجهان لنظام حكم واحد في السودان، هو نظام حكم عبدالفتاح البرهان، وكل أنظمة الحكم المستبدة بالحكم وَالمطبِّعة معً الكيان، فالاستبداد يجعل الأنظمة الحاكمة بحاجة إلى أمريكا لتحميها من ثورات شعوبها، واستحقاقات الديمقراطية، وتهديد أعدائها، وبوابة الحماية الأمريكية آمران: نهب ثروات الشعوب، وتطبيع العلاقات مع (إسرائيل)، أحدهما أو كلاهما، وكلاهما- الاستبداد والتطبيع – يخرجان من شجرة خبيثة رويت من ماء آسن ملوث بكثير من الجور والطغيان وشيء من الذل والهوان.

عندما يصاب المهزوم بعقدة المنتصر

كــتب بتاريــخ:

11 نوفمبر 2021م

تَصاب الجماعات البشرية التي حققت انتصارات كَبرى في ميادين الصراع والقتال، وأنجزت اكتشافات عظمى في مجالات العلم والمدنية، بعقدة المنتصر؛ فيسكنها الإحساس بالتفوق والاستعلاء، ويستوطنها الشعور بالعَجب والكِبر، ويحلّ فيها مرض الغطرسة والغرور، فتَمارس أبواقها السياسية والإعلامية المكارثية ضد مخالفيَها وخصومها؛ لتدميرهم معنوياً بالتشويه والتسفيه، وتحطيمهم نفسياً بالتجريم والتأثيم.

إذا حدث ذلك فهو أمر سيء وقبيح، ولكنه متوقع كظاهرة اجتماعية، ومتسقَ مع السلوك البشري، ولكن الأمر الأكثر سوءاَ وقبحاَ، والشيء غير المتوقع وغير المتسق، هو أن تَصاب الجماعات البشرية المهزومة والمهانة والعاجزة بعقدة المنتصر، فتلجأ إلى تعويض الشعور بالنقص بتشرب صفات المنتصر الشرير، فتستبدل الهزيمة بالكبر، والمهانة بالاستعلاء، والعجز بالغرور، ويصب كلَ هذا الشر في ممارسة المكارثية بأبشع صورها، وأَسوأ أشكالها.

هذا ما أصاب النخبة الحاكمة من آل سعود في الجزيرة العربية، وظهر ذلك واضحاَ في الحملة الإعلامية ضد الإعلامي العربي والوزير اللبناني جورج قرداحي، بعد نشر تصريحاته المنتقدة لعدوان النظام السعودي على اليمن بعبارات موضوعية مخالفة لرواية النظام الذي اعتبرها مهينة له كونها جاءت من لبنان، أما إذا جاءت الإهانة من دول كَبرى كأميركا فلابأس، فالنظام السعودي الحاكم طالما تعرض لإهانات مصدرها الغرب لم يجرؤ على الرد عليها، وإهانات الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب لهم ليست منا ببعيد، فهو لم ير فيهم سوى أكياساَ من النقود، فهم في نظره "لا يملكون سوى المال"، وأعلن أنّه سيأخذه منهم مقابل حماية عروشهم، فلم نسمع لهم حساَ ولا ركِزا في الرد على هذه الإهانات، بل فعلوا ما أمرهم به ترامب بتقديم الجزية لأمريكا أضعافاَ مضاعفة عن يدٍ وهم صاغرون.

أمّا الهزيمة فقد كانت عنوان آل سعود الأبرز على مدارِ سنوات طويلة من الخيبات التي لاحقتهم في كل حروبهم بالوكالة أو بالأصالة، فحروبهم بالوكالة، فقد لعبًوا فيها دور البطولة الشريرة، كمصدر لفكر (السلفية الجهادية) المولود من رحم الوهابية السعودية، وكمصدرٍ للتمويل والتسليح القادم من فائض أموال البترودولار السعودية. وأما حروبهم المباشرة بالأصالة، كالعدوان على اليمن، فلا زالت الهزيمة تلاحقهم مع صرخات الضحايا المستضعفين من الرجال والولدان والنساء الذين يؤمنون بوطنهم اليمن حراً عزيزاً سيداً، ومقاوماً عربياً مسلماً. وهي الهزيمة التي رسخت فيهم عقدة المنتصر المهزوم، وطفت إلى السطح بعد نشر تصريحات السيد جورج قرداحي حول حرب اليمن.

جورج قرداحي لم يقل عن حرب اليمن أكثر مما قاله كثير من السياسيين في العالم وأحرار الأمة، ومنهم الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس، عندما وصف الحرب بأنها عبثية وضد مصلحة الشعب اليمني وطالب بوقفها، وهذا التصريح قبل أربع سنوات، فاليوم هي أكثر عبثية، بل هي حرب إجرامية وإرهابية، بعد آلاف الغارات السعودية التي زرعت الموت والدمار في أرض اليمن، وبعد سنوات الحصار التي بذرت البؤس والجوع في شعب اليمن، وبدلاً من الاستفادة من توصيف قرداحي الموضوعي للحرب بإعادة تقييمها وصولاً إلى إيقافها، أمر آل سعود أبواقهم السياسية والإعلامية بشن غزوة جورج قرداحي للبحث عن نصر وهمي في لبنان، بواسطة المكارثية كأسلوب للقهر النفسي والإرهاب الفكري، مدفوعين بعقدة المنتصر المهزوم كآلية للتعويض عن الإهانة والهزيمة والعجز بعد فشل ضغوطهم على لبنان وحروبهم ضد المقاومة.

عقدة المنتصر التي أصابت النخبة السعودية الحاكمة المهانة والمهزومة والعاجزة، ألبستهم ثوب النصر المتوهم والإنجاز المتخيل، فأعمت بصيرتهم عن رؤية شمس الحقيقة، وأصمت آذانهم عن سماع صوت الحق، وأغلقت عقولهم وقلوبهم عن الاعتراف بالآخر المختلف، فذهبوا إلى أقصى درجات المكارثية إرهاباً وقمعاً ضد المخالفين والمختلفين، بوسائل ميكيافيلية غاية في اللاأخلاقية، لإبادة خصومهم قتلاً جسدياً كما حدث سابقاً مع جمال خاشقجي، أو قتلاً معنوياً كما يحدث حاضراً – دون فائدة - مع جورج قرداحي، متبعين الاستراتيجية النازية (اكذب اكذب حتى يصدقك الناس)، بعد تطويرها إلى (اكذب اكذب حتى تصدق نفسك).

ختاماً يمكن القول أن الحملة الإعلامية والسياسية الموجهة من نظام آل سعود ضد السيد جورج قرداحي وكل رجل حر، وضد لبنان المقاوم وكل محور المقاومة، ليس لها مبرر أو تفسير سوى إصابتهم بعقدة المنتصر التي تَصيب الجماعات المهانة والمهزومة كآلية تعويضية لا شعورية، وكان الأفضل لنظام آل سعود الحاكم أن يستفيد من تصريحات قرداحي فيوقف العدوان على اليمن، ويِساهم في إنجاز الوفاق الوطني اليمني على كلمة سواء تجمع اليمنيين حول مصلحة وطنهم وهويتهم العربية الإسلامية، وكان الأفضل لذلك النظاًم الحاكم أن يرفض الإهانة الأمريكية ويحتمي بشعبه العربي الأصيل في الجزيرة العربية، ويحتمي بالتحالف مع الأمة العربية والإسلامية ضد الغزاة الغربيين حفاظاً على ثرواتهم وكرامتهم وإرادتهم.

شجرة الزيتون والصراع على الأرض والرواية

كــتب بتاريــخ:

18 نوفمبر 2021م

يحتل موسم قطف ثمار شجرة الزيتون موقعاً متميزاً في وجدان الشعب الفلسطيني، ومع حلول شهري تشرين الأول والثاني - موسم قطف الزيتون - يحلّ موسم الحرب على شجرة الزيتون الفلسطينية من الاحتلال الإسرائيلي بوجهيه القبيحين كجيشٍ ومستوطنين؛ فتتقاسم شجرة الزيتون مع أصحابها معاناة إرهاب الاحتلال، في محاولات يائسة متكررة لاقتلاعهما معاً من جذورهما الراسخة العميقة في الأرض، وموسم القطاف الحالي ليس بدعاً من المواسم، فقد اكتملت به دائرة الشر الصهيونية منذ بدء المشروع الصهيوني مروراً بالنكبتين الأولى والثانية، وحتى آخر إنسان فلسطيني قُتل، وآخر زيتونة فلسطينية اُقتلعت، وكأن البشر والشجر توأمان يتقاسمان رصاص الحقد الصهيوني وسهام الكراهية الإسرائيلية، ذلك بأن كلاهما ضارب بجذوره في الأرض الفلسطينية والرواية الفلسطينية، مما يجعلهما في أتون الصراع على الأرض والرواية.

والصراع على الأرض هو جوهر الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بكل أبعاده المختلفة، والصراع على الرواية هو أحد وجوه الصراع على الأرض، ومقابل الرواية الفلسطينية الحقيقية كان لا بد من اختراع رواية صهيونية مزيفة، وعمودها الفقري أكذوبة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، ففلسطين بزعمهم أرض خالية من البشر والشجر وإن وجد البشر فهم حشود رحالة غير منتجة وإن وجد الشجر فهي أحراش مَتباعدة غير مثمرة، وأن الحركة الصهيونية قادمةً بمشروعٍ لاستعمار أرض الأجداد والميعاد، بالمستوطنين المنتجين والأشجار المثمرة، ولما كانت الرواية الصحيحة على النقيض من ذلك البهتان العظيم، عمدوا إلى صناعة روايتهم الكاذبة بالنار والدم، فكانت أشجار فلسطين في صلب الصراع على الرواية، وكانت أشجار الزيتون هي العنوان الأبرز لهذا الصراع باعتبارها رمزاً للصمود والمقاومة، وقيمة دينية وتاريخية ووطنية فلسطينية.

القيمة الدينية لشجرة الزيتون راسخة في عقيدة الشعب الفلسطيني المستمدة من القرآن والسنة، فهي بتقرير القرآن الكريم "شَجَرةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتونَةٍ"، وبركتها مرتبطة ببركة أرض فلسطين" الأرضِ الّتي

بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ"، وبركة الشجرة والأرض جزء من البركة التي أنزلها الله تعالى على مهبط الوحي الإلهي في فلسطين وسيناء ومكة المكرمة "وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ، وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ"، وقدّ حلّ في الشجرة قبس من نور النبوة ليلة الإسراء والمعراج، وامتزج نور زيتها الذي يضيئ البصر بنور الله الذي يضيء البصيرة، كما جاء في سورة النور عن شجرة الزيتون "يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ". والقيمة التاريخية لشجرة الزيتون محفورة في ذاكرة الشعب الفلسطيني باعتبارها أكبر شجرة مثمرة معمرة في فلسطين، وأشجارها مزروعة في أرض فلسطين منذ القدم، ويقف بعضها راسخاً منذ آلاف السنين شاهدة على صدق الرواية الفلسطينية بعروبة فلسطين منذ عهد الكنعانيين العرب.

أما القيمة الوطنية لشجرة الزيتون فقد تجذرت في التراث الشعبي الفلسطيني كرمزٍ لعمق جذوره في الأرض، وقوة صموده ومقاومته للاحتلال، كجذورها الصامدة في الأرض وجذعها المقاوم للاقتلاع من تربتها، وتعبيراً عن هذه القيمة اتخذ منها الشعراء الفلسطينيون رمزاً لديمومة الصمود والمقاومة، ودلالة لاستمرارية البقاء والحياة، فأنشدوا "إنا باقون ما بقي الزعتر والزيتون". واتخذها شاعر فلسطين الكبير محمود درويش رمزاً لديمومة الحياة الفلسطينية رغم الموت الذي يزرعه الاحتلال في قصيدته (شجرة الزيتون الثانية) عندما جعل أرواح الشهداء تحل في أشجار الزيتون الجديدة لتجدد حياة الفلسطيني بشراً وشجراً. أما الأغاني الشعبية فعبرت عن عشق الفلسطيني لزيتون وطنه كمطلع أغنية "على دلعونا وعلى دلعونا زيتون بلادي أطيب ما يكونا"، وبعد النكبة عبرت عن شوق الفلسطيني للعودة إلى وطنه كمطلع أغنية "الزيتونة اشتاقت للي زرعوها... عودوا بجاه الله عودوا شوفوها... الأرض اصفرت وذبلت لغصونا...".

هذه الرمزية والقيمية لشجرة الزيتون الفلسطينية أدركها الصهاينة، فاعتبرتها الحركة الصهيونية نقيضاً لمشروعها الاستيطاني الإحلالي تماماً كما الإنسان الفلسطيني، فرأت فيها رمزاً لصمود الشعب الفلسطيني ومقاومته، وداحضةً للرواية الصهيونية الإسرائيلية للصراع؛ وتولى حاخامات (إسرائيل) التأصيل والتنظير لهذا التوجه، فأصدروا فتاوى دينية تنسجم مع هذه الرؤية الشريرة، ومنها فتوى الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين سابقاً عوفاديا يوسف التي تَحرض على اقتلاع أشجار الزيتون التي يملكها فلسطينون، وفتوى حاخام الخليل دوف ليئور بجواز تقطيع أشجار الزيتون الفلسطينية

وسرقة ثمارها ومنع أصحابها من قطف ثمارها بالضرب والاعتداء... وخطورة هذه الفتاوى أنها تطبق حرفياً وعملياً من جيش الاحتلال وعصابات الاستيطان في الضفة الغربية كظاهرة متواصلة يومياً خاصة في مواسم قطف الزيتون.

شجرة الزيتون كرمزٍ للصراع على الأرض والرواية بين الشعب الفلسطيني والحركة الصهيونية كمشروعٍ ودولة، هي دلالة على صراع أوسع، يستهدف فيه الصهاينة إحلال شعبٍ دخيل مكان شعبٍ أصيل، وإبدال أرضٍ مصطنعة مكان أرض أصيلة، وهو المضمون الذي سجلته الباحثة في جامعة لديمونت السويسرية كريستين بيرينولي في كتابها (محو فلسطين لبناء إسرائيل)، فوضحت فيه طبيعة الصراع على الأرض بطابعه الآيديولوجي وروايتيه المتناقضتين، ومدى توظيف الحركة الصهيونية للجغرافيا والتاريخ لدعم روايتهم لمحو أي أثر للوجود الفلسطيني في المكان كجغرافيا وفي الزمان كتاريخ، ومن ثم ملئهما بالوجود اليهودي؛ لتحويل فلسطين إلى (إسرائيل)، أو على الأقل تفريغ الوجود الفلسطيني من المعنى لتوطين الوجود الإسرائيلي محتلاً المكان والزمان الفلسطيني.

ختاماً بناء على قيمة شجرة الزيتون كرمزٍ للصراع بين الحق الفلسطيني والباطل الإسرائيلي، فإن الدفاع عن أشجار الزيتون الموجودة وزراعة المزيد من أشجارها ضرب من الصمود والمقاومة وشكل من الدفاع عن الأرض والرواية، حتى تغلب أشجار الزيتون المباركة المثمرة شجيرات الغرقد الشوكية غير المثمرة.

الإرهاب صناعة بريطانية

كــتب بتاريــخ:

25 نوفمبر 2021م

أعلنت وزيرة الداخلية البريطانية بريتي باتيل، الأسبوع الماضي، عزمها على تصنيف حركة حماس منظمة إرهابية، عبر مشروع قانون ينص على ذلك، بكل تبعاته السياسية والقانونية. وبررت هذه الخطوة بمساهمتها في محاربة "معاداة السامية"، وتوفير الحماية لليهود في بريطانيا، وأنّه لا يوجد فرق بين الجناحين العسكري والسياسي لحماس، لارتباطهما بالإرهاب.

ويأتي هذا القرار البريطاني بوضع حركة مقاومة فلسطينية في قائمة الإرهاب استمراراً لمعاداتها لحركات المقاومة ضد "إسرائيل"، كما حدث سابقاً مع حزب الله اللبناني عندما وضعته في قائمة الإرهاب. هذا العداء البريطاني لحركات المقاومة ووصمها بالإرهاب يستحقان الغوص في عمق التاريخ للوصول إلى الجذور التاريخية للقرار البريطاني، لمعرفة مصدر الإرهاب الحقيقي.

الغوص في عمق التاريخ البريطاني المعاصر يمتد بجذوره إلى قبائل الآنجلو ساكسون التي هاجرت من شمال أوروبا إلى بريطانيا، على مدار القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ومع الزمن غلب عرقهم الجرماني ولغتهم الإنجليزية على السكان الآصليين لبريطانيا، واستوعبوا كل موجات الهجرة النورماندية اللاحقة، وبذلك تكونت الهوية البريطانية الآنجلو ساكسونية والثقافية الإنجليزية.

وكانت الديانة الوثنية المتعددة الآلهة هي السائدة في الجزيرة البريطانية، حتى انتشار الديانة المسيحية بينهم في القرنين السابع والثامن الميلاديين على أيدي المبشرين الرومان، واستمرت المسيحية البريطانية تتبع الكنيسة الكاثوليكية برئاسة بابا الفاتيكان في روما حتى عهد الإصلاح الديني وظهور المذهب البروتستانتي على يد الراهب الألماني مارتن لوثر في القرن السادس عشر الميلادي، ولكن بريطانيا الآنجلو ساكسونية، بنزعتها الانفصالية، ابتكرت لنفسها مذهباً خاصاً داخل المدرسة البروتستانتية هو الآنجليكانية، برئاسة آسقف كاتدرائية مدينة كانتربري، بدلاً من بابا روما.

الانتماء إلى العرق الأبيض الأوروبي الأنجلو ساكسوني، والإيمان بالدين المسيحي البروتستانتي الآنجليكاني، هما ركنا الهوية البريطانية والثقافة الإنجليزية، والمعروفة اختصاراً بـ"الواسب" التي تعني الأنجلو ساكسونية البيضاء البروتستانتية، وعمودها الفقري فكرة التفوق المستمدة من اليقين بأفضلية كل من الجنس الأبيض والقيم البروتستانتية، والتي تمتد جذورها العنصرية إلى عهد الوثنية كموروث ثقافي وثني قبل المسيحية، تشترك فيه كل شعوب أوروبا البيضاء، وعبر عنه الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس مخاطباً تلميذه الإمبراطور الإسكندر الأكبر قائلاً: "نحن اليونانيين أمة مختارة، ثقافياً هي الأفضل، حضارتنا هي الأفضل، ورجالنا هم الأفضل، وكل الآخرين برابرة، من واجبنا الأخلاقي أن نهزمهم، نستعبدهم وندمرهم إذا لزم الأمر".

الفقرة الآنفة تلخص عقيدة التفوق العرقي للأوروبيين، التي عبرت عن نفسها في العصر الحديث في النازية الألمانية، والفاشية الإيطالية، واليمينية الفرنسية، والعنصرية الأنجلو ساكسونية... وعبر عنها الإرهابي الأسترالي الذي قتل خمسين مسلماً في نيوزيلندا بالبث المباشر على الإنترنت، معرفاً عن نفسه بأنه "رجل أبيض" وهدفه الحفاظ على الجنس الأبيض المتفوق.

عقيدة التفوق العرقي الوثنية الأوروبية رسخها المذهب البروتستانتي عندما جعلت مؤسسة مارتن لوثر الإيمان بالعهد القديم (التوراة) جزءاً من الإيمان بالعهد الجديد (الإنجيل)، باعتبارهما كتاباً مقدساً واحد اً، فأصبحت الرواية التوراتية جزءاً من العقيدة المسيحية، بما فيها عقيدة "شعب الله المختار" بالطريقة البروتستانتية، التي تجعل اليهود - شعب الله المختار - جِسراً يمر عليه شعب الله المختار الحقيقي المسيحي، أو تجسيداً لفكرة التفوق الأبيض البروتستانتي، بعد عودة المسيح وبدء الألفية المسيحية السعيدة، وهذا لن يتحقق في عقيدتهم إلا بعودة اليهود إلى أرض الميعاد وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثالث.

إضافة الى الأصول العرقية الوثنية والدينية والتوراتية لعقيدة التفوق الأبيض البروتستانتي، وجدت الفكرة تأصيلاً علمياً لها، خاصة عند العلماء البريطانيين، ومنهم عالم الطبيعة تشارلز داروين في نظريته (الانتخاب الطبيعي)، المعروفة بالدارونية الطبيعية، وعالم الاجتماع هربرت سبنسر في نظريته (البقاء للأصلح) المعروفة بالدارونية الاجتماعية، وعالم الاقتصاد آدم سميث في نظريته (الرأسمالية) التي تعتمد على البقاء للأقوى والأفضل والأغنى.

الإيمان البريطاني بالتفوق العرقي والحضاري، وأفضلية الجنس الأنجلو ساكسوني الأبيض البروتستانتي، قادها إلى الإحساس بالتميز والشعور بالاستعلاء أمام الشعوب الأخرى، خاصة التي احتلت أراضيها، وأعطت لنفسها الحق في التضحية بسكانها الأصليين لتحقيق مجدها الإمبراطوري، فمارست الإرهاب ضد الإنسانية قتلاً وتهجيراً واستعباداً ونهباً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وما زال هذا الإرهاب البريطاني يحرق البشر بناره التي أوقدتها بريطانيا بدورها المركزي في نشأة كل من الولايات المتحدة الأميركية ودولة "إسرائيل"، وهما الدولتان اللتان قامتا على الفكرة الاستعمارية نفسها، المنبثقة من عقيدة التفوق الاستعلائية وفرضية "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، أو بمعنى آخر "أرض بشعب متخلّف لا يستحقها لشعبٍ مختار متفوق يستحقها". هكذا حدث عندما غزا الأوروبيون المسيحيون (المتفوقون) البلاد التي أسموها زوراً أميركا، وهكذا حدث عندما غزا الأوروبيون اليهود (المتفوقون) فلسطين التي سموها زوراً "إسرائيل"، وكلتاهما - أميركا و"إسرائيل" - هما مصدر الإرهاب العالمي الذي صنعته بريطانيا.

بناء على تلك الحقائق، يعتبر الإرهاب صناعة بريطانية بامتياز، مدخلاتها عقيدة التفوق الأنجلو ساكسونية البيضاء البروتستانتية، بمضامينها الاستعلائية والعنصرية، ومخرجاتها الإرهاب الذي مارسته بريطانيا الإمبراطورية مباشرة في مستعمراتها السابقة ضد شعوبها، والإرهاب الذي ما زالت تمارسه بريطانيا بطريقة غير مباشرة بواسطة المستوطنين الذين كانت سبباً في إرسالهم لممارسة الإرهاب ضد شعوب الأرض، وفي طليعتهم مستوطنو أميركا و"إسرائيل". وبعد كل ذلك، تتهم بريطانيا حركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية بالإرهاب، تطبيقاً للمثل المعروف "رمتني بدائها وانسلت".

الحقبة الإسرائيلية والتطبيع المغربي

كـــتب بتاريـــخ:

1 ديسمبر 2021م

في لقاء جمعني والدكتور فتحي الشقاقي مطلع ثمانينيات القرن العشرين، وفي رد نوعي للمفكر الشهيد فتحي الشقاقي على سؤال هل الحركة الإسلامية تعيش مرحلة الاستضعاف المكية التي تقتضي الإعداد والتربية، أم مرحلة التمكين المدنية التي تقتضي الجهاد والثورة؟"، أجاب "لسنا نعيش المرحلة المكية ولا المرحلة المدنية؛ نحن نعيش في الحقبة الإسرائيلية". كان ذلك السؤال آنذاك معبراً عن أزمة الحركة الإسلامية التقليدية بخطابها ومفاهيمها المقتبسة من كَتب التراث القديمة، وحيرتها وعجزها عن الإجابة على السؤال الفلسطيني إسلامياً، وكانت تلك الإجابة معبرة عن محاولة تجاوز الأمة بالتجديد في خطاب الحركة الإسلامية ومفاهيمها، والإبداع في الإجابة على السؤال الفلسطيني إسلامياً، فأثمر ذلك ثورة في الفكر والواقع، من تجلياته تجاوز مرحلتي الاستضعاف والتمكين بمرحلة (الحقبة الإسرائيلية).

الحقبة الإسرائيلية التي ذكرها المفكر الشهيد فتحي الشقاقي في اللقاء المذكور، وضحها في لقاءات وكتابات لاحقة، وأراد بها حالة الإفساد والعلو الإسرائيلي في الوطن العربي والإسلامي، كما جاءت في مطلع سورة الإسراء " وَقَضَينَا إِلَى بَني إِسرائيل فِي الكِتَابِ لَتفْسِدُنَ فِي الأَرضِ مَرتَين وَلَتَعْلن عَلَوّا كَبِيرا "، فيرى أننا نعيش مرحلة الإفسادَ والعلوَ الثانَي لبنَي إسرائيلَ، الذَي بدأ بقيام دولة (إسرائيل) بعد النكبة الأولى، والعدوان الثلاثي، والنكبة الثانية المعروفة بالنكسة، لتصل (إسرائيل) بذلك إلى ذروة الإفساد والعلو، الذي كاد أن يتوقف في حرب أكتوبر تشرين الأول، لولا اتفاقية كامب ديفيد بافتتاحها مساراً جديداً للإفساد والعلو الإسرائيلي بالسلام والتطبيع، ويؤسس لمفهوم (إسرائيل الكبرى) بالمعنى السياسي والاقتصادي والثقافي، ذلك المسار الذي كاد أن يتوقف أيضاً بعد حرب لبنان الأولى عام 1982م، بفعل المقاومة الإسلامية اللبنانية والانتفاضة الفلسطينية الأولى، لولا اتفاقية أوسلو التي أعطت الكيان الصهيوني تأشيرة مرور فلسطينية إلى (الحقبة الإسرائيلية) الجديدة.

الحقبة الإسرائيلية الجديدة بعد اتفاقية أوسلو، بعنوانها البارز (التطبيع)، استشرف ملامحها المفكر الشهيد فتحي الشقاقي فور توقيع المنظمة مع الكيان على اتفاقية أوسلو عام **1993**م، فكتب في ذلك الحين: "اليوم وعبر غزة أريحا يتدفق اليهود الصهاينة إلى العواصم العربية والإسلامية لنظام شرق أوسطي جديد حيث هم مركزه وسيده، وهذا يعني أن تبقى الأمة تحت نعالهم، إن خطر التطبيع القادم مذهل لو تخيلناه، لذا على الشعوب الصابرة المؤمنة أن تستعد لهذا الغزو الصهيوني الجديد."

خطر التطبيع مع العدو الذي تنبأ به الشقاقي برؤيته المستقبلية كخيال مرعب، أصبح بعد أكثر من ربع قرن واقعاً أكثر رعباً من الخيال، فما يحدث اليوم تجاوز مرحلة التطبيع إلى التحالف بواسطة اتفاقيات أبراهام، الذي أصبحت (إسرائيل الكَبرى) محوره، والأمن الإسرائيلي جوهره، والحقبة الإسرائيلية عنوانه. والاتفاق الأمني الإسرائيلي المغربي نموذجه. الاتفاق الأمني العسكري الإسرائَيلي المغربي في إطار اتفاقية أبراهام للتطبيع الشامل بين الكيان الصهيوني والمملكة المغربية، هو العنوان الأبرز لمفهوم (الحقبة الإسرائيلية)، وهو ينسجم مع تاريخ النظام الملكي في المغرب بعلاقته المميزة مع ذلك الكيان منذ نشأته، والمساهمة في تقويته بضخ مئات آلاف المستوطنين من يهود المغرب في فلسطين، والسماح لهم بالاحتفاظ بالجنسية المغربية وزيارة المغرب، ودور النظام الملكي الأساسي في الوساطة والتحضير لاتفاقية كامب ديفيد التي أخرجت أكبر دولة عربية من الصراع ضد (إسرائيل)، ومبادرته لتكون المغرب أول دولة عربية تدخل من بوابة أوسلو نحو ممر التطبيع الذي تَوج بتوقيع اتفاقية أبراهام نهاية عام **2020**م، بغطاء إسلامي من الملك محمد السادس بن الحسن بصفته (أمير المؤمنين)، وبنكهة إسلامية من رئيس الوزراء سعد الدين بن العثماني بصفته الأمين العام لحزب إسلامي إخواني، والتي تطورت إلى اتفاق أمني عسكري غير مسبوق.

ذهاب النظام الملكي الحاكم في المغرب إلى التطبيع الأمني والعسكري مع الكيان الصهيوني مناقضاً لإرادة الشعب المغربي العربي المسلم، لا يمكن تفسيره إلاّ في إطار الحلف العسكري المشترك ضد عدو مشترك للكيان والنظام، هذا العدو المشترك لم يتركه وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لبيد للتخمين السياسي، فقد كشف النقاب عنه في تصريحه الشهير في الرباط وبجانبه وزير الخارجية المغربي بعد حفل التوقيع على اتفاقية التطبيع، فقال: "نحن نتشارك مع بعض القلق بشأن الجزائر في المنطقة التي باتت أكثر قرباً من إيران، وهي التي تقوم حالياً بشن حملة ضد قبول إسرائيل

في الاتحاد الأفريقي بصفة مراقب". ولم يترك الأمين العام لحزب (جبهة التحرير الوطني) الجزائري الحاكم أبو الفضل بعجي لأحد التشكيك في ذلك عندما قال: " الجزائر تقود محور المقاومة والممانعة للمخطط الإسرائيلي في المنطقة المغاربية والأفريقية"، وآكدت ذلك سياسة الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون المناهضة لاختراق (إسرائيل) للمغرب العربي وأفريقيا عبر البوابة المغربية، واتهام الجزائر بالقرب من إيران في إطار رفض الاستعمار الصهيوأمريكي الجديد وتأييد الحق الفلسطيني لا يدع مجالاً للشك في أنهما المستهدفان من الاتفاق الأمني العسكري بين الكيان والمملكة.

الحقبة الإسرائيلية المظلمة في عصر التطبيع المغربي، كنموذج للتحالف الاستراتيجي بين الأنظمة العربية الحاكمة والكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين والقدس، هو وضع شاذ في السياسة وعابر في التاريخ، فإن كانت هذه الأنظمة في الحقيقة الوجه الآخر المشابه للكيان الصهيوني كإفرازٍ لمشروع استعماري غربي واحد ضد الأمة العربية والإسلامية، فإن هناك حقيقة أخرى هي أن الحقبة الإسرائيلية في مرحلة العد العكسي والأفول، بإيمان ووعي وثورة أحرار الآمة ومقاوميها، الذين يبشرون بحقبة مشرقة قادمة لتضيء سماء الآمة بنورها، لتمحو ظلام الحقبة الإسرائيلية، متقدمة نحو وعد الآخرة وتدمير الإفساد والعلو الإسرائيلي ومعه أنظمة التطبيع بنخبها الذليلة المهانة... حقبة منطلقها الإسلام والعروبة بمضامينها الإنسانية والحضارية والثورية، وقبلتها فلسطين والقدس والأقصى بدورهم الموحد للأمة، ومحورها المقاومة كوسيلة للتحرير، وطريقاً للخلاص، وعنواناً للكرامة.

الصهيونية والداعشية.. وجهان لعملة واحدة

كــتب بتاريـــخ:

9 ديسمبر 2021م

التطرف لا دين له، حقيقة أكَدها التاريخ والواقع، وهو موجود في كل الديانات والمذاهب والآيديولوجيات وغيرها، ويعبر عن منظومة تفكير واحدة، بغض النظر عن مضمونها الفكري. ولذلك تنوعت مضامين التطرف، ف ظهرت منها أنواع التطرف: المسيحي الصليبي، واليهودي الصهيوني، والإسلامي الداعشي، والهندوسي الوثني، والعلماني العنصري، والشيوعي الماركسي، والقومي النازي... وجميعهم تحكمهم منظومة تفكير واحدة، ونموذج الصهيونية والداعشية واضح في تشابه منظومة التفكير رغم اختلاف مضمون الفكر، ومن أهم النقاط المشتركة في منظومة التفكير بينهما ما سوف نتناوله في ما يلي.

فكرة الاختيار الإلهي مشتركة بين الصهيونية والداعشية، فالصهيونية أخذتها من فكرة (شعب الله المختار) الموجودة في التوراة والتلمود المزيفين، ففي التوراة "لأنك شعب مقدس للربِ إلهك وقد اختارك الرب لتكون شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب على وجه الأرض". فاليهود شعب الله المختار المقدس دون كل شعوب الأرض. وفي الداعشية كرمز لكل الجماعات التكفيرية وأصولها الفكرية توجد فكرة الاختيار الإلهي في عقيدة (الفرقة الناجية(، المستمدة من فهم مغلوط لحديث الفرقة الناجية النبوي الذي جاء في إحدى رواياته: "تفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة ." فداعش والقاعدة وأخواتهما، تعتبر كل جماعة نفسها جماعة المسلمين والفرقة الناجية الوحيدة دون كل الناس على وجه الآرض. وفكرة الاختيار الإلهي، سواء بمفهوم شعب الله المختار عند الصهيونية، أم بمفهوم الفرقة الناجية عند الداعشية، تَعطي الإحساس بالتفوق والتميز، ومن ثم الاستعلاء والعنصرية .

فكرة الاختيار الإلهي عند الصهيونية والداعشية، تؤدي حتماً إلى رفض الآخر، كنتيجة للإحساس بالتفوق والتميز وممارسة الاستعلاء والعنصرية، وفكرة رفض الآخر تبدأ بتضخيم الذات الجمعية، انطلاقاً من فكرتَي شعب الله المختار والفرقة الناجية، وتحقير الذوات الجمعية الآخرى أو إنكار الآخر المختلف،

بتجريده من إنسانيته باعتباره أقل درجة من البشر أو في الدرك الأسفل من البشر، وصولاً إلى التخلّص من الآخر معنوياً بتجاهل وجوده الإنساني، ومادياً بإبادته أو تهجيره أو استعباده. والآخر عند الصهيونية يطلق عليه مصطلح (جوييم) بمضمونه السلبي الذي يحمل نظرة دونية إلى الآخر غير اليهودي كأفراد وجماعات وشعوب، استمدت من مصدرين: ديني متعصب، واستعماري عنصري. والآخر عند الداعشية تطلق عليه مصطلحات (كفار، مرتدون، فساق، روافض، مبتدعة)، بمضامين سلبية تنقلهم من التكفير إلى التقتيل .

ومن عناصر منظومة التفكير المشتركة بين الصهيونية والداعشية توظيف الدين لخدمة السياسة؛ فالصهيونية، المسيحية واليهودية، وظّفت الديانة اليهودية في خدمة أهدافها السياسية. فقد وظّفت التراث الديني اليهودي المليء بالأساطير حول أرض الميعاد، وشعب الله المختار، والحق الديني والتاريخي في فلسطين... في جلب يهود العالم للهجرة والاستيطان في فلسطين لإنشاء دولة (إسرائيل)، كركيزة للمشروع الاستعماري الغربي في قلب العالم العربي والإسلامي. والداعشية بمفهومها الوهابي السعودي وظّفت الديانة الإسلامية في خدمة أهدافها السياسية، منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى، عندما تحالف الأمير والشيخ، على أساس أن يحمي الأمير الشيخ ومذهبه، وأن يعطي الشيخ الشرعية الدينية للأمير ودولته، وهذا ما حدث في الدولة السعودية الثالثة المعاصرة، واستمر بعد مرحلة التأسيس توظيف الدين لخدمة السياسة السعودية الدائرة في فلك أميركا بطرائق أخرى مباشرة بمؤسستها الدينية الوهابية، أو غير مباشرة بواسطة الجماعات المنبثقة منها، كالقاعدة وداعش في العراق وسوريا وغيرهما .

استراتيجية الرعب مشتركة كذلك بين الصهيونية والداعشية، فالصهيونية مارست الإرهاب بهدف الرعب القائم على عقيدة دينية عنصرية تقدس إبادة غير اليهودي، مستمدة من كتبها الدينية المزيفة؛ ففي التوراة دعوة إلى الإبادة الجماعية "وحلّلنا لك في كل مدينة قتل جميع الرجال والنساء والأطفال". هذه الدعوة تقوم أيضاً على عقيدة استعمارية استعلائية تسمح بإبادة الشعوب غير الأوروبية واستعبادها وطردها من أرضها، ولذلك كانت استراتيجية الرعب بالمذابح والقتل والإرهاب في صلب فلسفة الحرب الصهيونية، ونظرية الأمن الإسرائيلية. والداعشية استخدمت استراتيجية الرعب بالمذابح والحرق والقتل والإرهاب في إقامة الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، وإقامة

دولة داعش في العراق وسوريا ككيان مشوه مستنسخ من الدولة السعودية الوهابية، وقامت بشرعنة الإرهاب والرعب دينياً بتوظيف نصوص القرآن والسنة بطريقة ملتوية ومحرفة لإباحة دماء المسلمين وغير المسلمين وأموالهم وأعراضهم، لمجرد اختلاف الدين والمذهب والرأي، وعدم موافقتهم على نظريتهم في التوحيد .

فكرة التوسع الجغرافي مشتركة بينهما، فالصهيونية كحركة استيطانية إحلالية أقامت دولتها (إسرائيل) عام **1948**م، ولكنها لم تَسلّم بحدودها السياسية الفعلية على خط الهدنة، كما لم تَسلّم بحدود قرار التقسيم عام **1947** م، كذلك فإن حدودها التوراتية غامضة ما بين النهرين: النيل والفرات، أو ما بين العريش وجبل حرمون (جبل الشيخ)، أو نهر الأردن والبحر المتوسط، ولم تَحدد في قوانينها الأساسية (الدستور) حدود دولة "إسرائيل"، لتسمح لنفسها بالتوسع الجغرافي المتواصل. وفكرة التوسع الجغرافي عند الداعشية كانت موجودة في الدولة السعودية بالجزيرة العربية، ودولة داعش في العراق والشام، من خلال شعارها (باقية وتتمدد)، وسلوكها في التوسع الجغرافي المستمر، وخريطتها المنشورة لدولة الخلافة التي ضمت أجزاء كبيرة من قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، فأينما استطاعت عصاباتها المسلّحة الوحشية أن تصل فهي دولتها .

بوجود عناصر الاتفاق في منظومة التفكير الصهيو- داعشية لا غرابة في وجود عدو مشترك لهما هو محور المقاومة، بحركاته، كحزب الله والجهاد الإسلامي وحركة حماس، وغيرها، ودولها، خاصة الجمهورية الإسلامية في إيران، وتيارها في الأمة العربية والإسلامية؛ فعدو الصهيونية ودولتها (إسرائيل) وحلفائها)الغرب) هو المقاومة، وعدو الداعشية ودولتها البائدة (داعش) والباقية (السعودية) وحلفائها (أميركا) هو المقاومة، هذه الحقيقة أصبحت واضحة كالشمس بمعطياتها الغزيرة نظرياً، من خلال القوانين والتصريحات والدراسات والفتاوى المعادية للمقاومة الصادرة من الغرب والكيان الصهيوني والمصادر الداعشية الوهابية، وعملياً من خلال الحروب والعقوبات والحصار والإرهاب والتحالفات ضد المقاومة، الصادرة من الغرب والكيان الصهيوني والداعشية.

وجود عدو مشترك للصهيو- داعشية ممثلاً في حلف القدس ومحور المقاومة الرافض لكل من الصهيونية ودولتها والداعشية ودولتها، والرافض للهيمنة الاستعمارية الأميركية على الأمة وإسلامها

الآميركي بوجهيه المهادن والمتوحش، من إيران شرقاَ إلى الجزائر غرباَ، ومن حزب الله شمالاَ إلى أنصار الله جنوباَ مروراَ بحركتي حماس والجهاد في القدس وفلسطين، قلب الآمة، يتطلّب وحدة أحرار الآمة ومقاومها في حلف القدس وفلسطين ومحور الجهاد والمقاومة ضد العدو المشترك الصهيو-داعشي حتى إزالته من الوجود .

"الجهاد الإسلامي" و"الإخوان" بين الامتداد والتجاوز

كـــتب بتاريـــخ:

16 ديسمبر 2021م

تلتبس على كثير من الباحثين طبيعة العلاقة بين حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وحركة الإخوان المسلمين، ولا سيما في مرحلة تأسيس الجهاد الإسلامي، وهذا يفسر تعدد الاجتهادات في هذا المجال. ومن أهم هذه الاجتهادات أن الجهاد الإسلامي: إخوان متحمسون لم يحتملوا إرجاء مقاومة المحتل، أو حركة احتجاج تنظيمية قادها شباب انشقوا عن الإخوان، أو نتيجة لحوار فكري وسياسي حول الإسلام وفلسطين استقطب عدداً من شباب الإخوان وغيرهم، أو نتيجة لحراك تجديدي في الفكر والسياسة خرج من عباءة الإخوان، أو محاولة للإجابة عن أسئلة لم تجب عنها حركة الإخوان المسلمين محورها الإجابة عن السؤال الفلسطيني إسلامياً والسؤال الإسلامي فلسطينياً... هذه الاجتهادات وغيرها قد تكون اقتربت من أحد أوجه الحقيقة، ولكنها لم تصب قلبها، لعدم استنادها إلى دراسة التراث الفكري لمؤسس الجهاد الإسلامي، المفكر الشهيد فتحي الشقاقي.

التراث الفكري للشقاقي في مرحلة المخاض والنشأة للجهاد الإسلامي نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين يؤكد أن العلاقة بين الجهاد والإخوان قد اتخذت ثلاث مسارات متوازية زمنياً (ليست متتالية)، ومتداخلة فكرياً (غير منفصلة)، وهي مسارات الامتداد والنقد والتجاوز؛ الامتداد الحركي والفكري، والنقد الفكري المرتبط بالوعي، والتجاوز الإبداعي الجامع بين الأصالة والتجديد.

وهذه المسارات خاصة بالعلاقة بين الجهاد والإخوان في مرحلة التأسيس، ولا تنسحب على العلاقة بين الجهاد وحركة المقاومة الإسلامية - حماس، التي ولدت من رحم الإخوان المسلمين كحركة إسلامية فلسطينية مقاومة تجاوزت في كثير من أفكارها ومفاهيمها الحركة الأم.

مسار الامتداد وضحه المفكر الشهيد فتحي الشقاقي في دراسته "التاريخ لماذا؟". فقد اعتبر حركة الجهاد امتداداً طبيعياً للحركة الإسلامية الحديثة في مواجهة التحدي الغربي الحديث، ويؤرخ لبداية الحركة الإسلامية منذ الحملة الفرنسية عام **1798** م، ويعتبرها حتى تأسيس حركة الإخوان المسلمين

المرحلة الأولى، وأهم رموزها الإمام المجدد جمال الدين الأفغاني، مؤسس تيار الجامعة الإسلامية المنادي بالوحدة والتجديد.

أما المرحلة الثانية للحركة الإسلامية الحديثة فيؤرخ لها بنشأة الإخوان المسلمين عام **1928** م في مصر، وأهم رموزها الإمام الشهيد حسن البنا، مؤسس الحركة وتيار الإخوان المسلمين، وقسمها إلى ثلاثة أجيال، أطلق على المرحلة التي تنحصر بين التأسيس واستشهاد البنا (**1928 - 1949**م) اسم "جيل البعث"، فكتب عنها: "خلال عشرين عاماً استطاع الإمام أن يبعث هذه الأمة من تحت الركام، وأن يطور مفاهيم الحركة خلال هذه الفترة بتسارع ثوري متقدم، مستلهماً القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح"، واعتبر مشاركة الإخوان في حرب فلسطين "تتويجاً لوعي وفهم ذلك الجيل لطبيعة التحدي الغربي الحديث الذي يتجسد في فلسطين".

هذه الرؤية الإيجابية للإخوان المسلمين تحت قيادة مؤسسها البنا أكدها الشقاقي في كتابه "الخميني... الحل الإسلامي والبديل"، عندما اعتبر الإمام الشهيد حسن البنا والإمام الثائر آية الله الخميني أهم رجلين مؤثرين في الأمة الإسلامية خلال القرن العشرين. واعتبر في موضعٍ آخر أن نشأة الإخوان المسلمين كانت رداً على إلغاء الخلافة العثمانية قبلها بأربعة أعوام، وربط بين بداية الحقبة الإسرائيلية عندما أعلنت الحركة الصهيونية قيام دولة "إسرائيل" عام **1948** م، وغياب الإمام البنا عن المشهد عام **1949**م، والامتداد بالمفهوم الفكري واضح من خلال تأثر الشقاقي بفكر ثاني أهم رجل في الإخوان المسلمين بعد البنا، وهو المفكّر سيد قطب، بعيداً عن التأويلات التكفيرية لجماعة "القطبيين"، وكانت دراسته الملخصة لكتاب "معالم في الطريق" خير دليل على ذلك، فقد ركّز فيها على الشرط الذاتي للنهضة، وبناء الذات الإسلامية الثورية - الفردية والجماعية - واعتبر في مقدمة دراسته سيد قطب واحداً من ثلاثة مفكرين يشكلون مثلثاً خيراً في الفكر الإسلامي الحديث، إلى جانب كل من الجزائري مالك بن نبي والإيراني علي شريعتي.

مسار الامتداد الذي يربط بين الجهاد والإخوان أحد أوجه الحقيقة، ووجهها الثاني هو مسار النقد، وقد عبر الشقاقي عن ذلك في دراسة "التاريخ لماذا؟"، عندما سمى الجيل الثاني للإخوان المسلمين بعد استشهاد البنا "جيل التردد والمحنة"، فاعتبر أن الحركة لم تستطع استيعاب وتجاوز محنة غياب

مؤسسها كتحد داخلي، ولم تستطع استيعاب وتجاوز محنة قمع نظام ثورة يوليو الناصري كتحد خارجي، ولم تَستطع صياغة نظرية ثورية متكاملة لمواجهة التحدي الغربي وامتداداته السياسيةً والفكرية، وعجزت عن تقديم البديل أمام الحركات الليبرالية والاشتراكية والوطنية والقومية، وانتقدها لغياب الوعي المنهجي السياسي والتاريخي، ولعدم وضوح الرؤية للواقع السياسي، وعدم تجاوز المفاهيم التقليدية للتربية والوحدة والجهاد وغيرها، ولفوضى المفاهيم والمناهج في التعامل مع الأنظمة الحاكمة... وكان آخر هذه الانتقادات وأهمها حرف بوصلة الجهاد عن فلسطين – ساحة المعركة الأساسية مع المشروع الغربي – بالتماهي مع التيار الوهابي والدعوة إلى الجهاد في أفغانستان في مقال بعنوان "اللهم انصرنا في أفغانستان وارزقنا الشهادة في فلسطين".

فلسطين كانت هي ا لعنوان الأكثر بروزاً لمسار النقد الذي تركز في أربعة عناوين فرعية هي: الغياب والهامشية والضبابية وانحراف البوصلة. فقد رأى مؤسسو "الجهاد" أن فلسطين غابت عن اهتمامات الحركة الإسلامية التقليدية ومحورها الإخوان المسلمين على امتداد أربعة عقود تقريباً، ما بين النكبة الأولى والانتفاضة الأولى، وأن الحركة الإسلامية التقليدية قد اعتبرت فلسطين قضية هامشية فرعية، مثلها مثل قضايا المسلمين الأخرى في الفيلبين وكشمير وغيرهما، التي ستتولى الدولة الإسلامية مهمة تحريرها. والضبابية تجسدت في عدم وضوح الرؤية في العلاقة الطردية بين مشروع تحرير فلسطين ومشروع تحرير الأمة ونهضتها، وأنه من دون حسم الصراع على فلسطين لصالح الأمة ستجهض كل محاولات الأمة للنهضة والوحدة والاستقلال. وانحراف بوصلة الجهاد عن فلسطين إلى كل البلاد ما عدا فلسطين، كنتيجة لعدم إدراك خصوصية الجهاد في فلسطين إسلامياً وتاريخياً وواقعياً، وعدم تجاوز الرؤية التقليدية باعتبارها أرض وقف إسلامي يجب شرعاً تحريرها.

مسارا الامتداد والنقد للعلاقة بين "الجهاد" و"الإخوان" اكتملا بمسار التجاوز، ليكتمل وجه الحقيقة التي عبر عنها الشقاقي بمفهوم "الحل الإسلامي". ولقد كان لدراسة المفكر الإسلامي توفيق الطيب "ما بعد النكبتين" دور في انطلاق مسار التجاوز؛ فقد رأى توفيق الطيب في هزيمة النكبتين (1948م–1967 م)، أبعد من مجرد هزيمة عسكرية لأنظمة حاكمة وجيوشها، فقد رأى فيها هزيمة لفكر ما بين النكبتين المرتبط بالاستعمار تحت عناوين: الليبرالية والاشتراكية والثورية والوطنية والقومية... وأن البديل من هذا الفكر المهزوم هو الإسلام كدين وحضارة كشرط لاستمرار وجود الأمة

في وجه التحدي الغربي الحديث، فتبنى الشقاقي الفكرة وأعاد نشر الدراسة تحت عنوان "الحل الإسلامي ما بعد النكبتين"، لتكون فكرة الحل الإسلامي في عنوان كتاب آخر للشقاقي نهاية السبعينيات، مهد لانطلاقة الجهاد الإسلامي في مطلع الثمانينيات، وهو "الخميني.. الحل الإسلامي والبديل"، معتبراً الحل الإسلامي هو الأصيل للأمة، بينما الحلول الأخرى هي البديلة، مستنداً إلى تجربة الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الثائر آية الله الخميني في إمكان نجاح الحل الإسلامي.

الحل الإسلامي كتعبير عن مسار التجاوز سيقوده "جيل الوعي والثورة" كما سماه الشقاقي، فكتب معبراً عن مسارات الامتداد والنقد والتجاوز: "... وهكذا سيتجاوز جيل الوعي والثورة مرحلة التردد والمحنة، وسيتقدم بعملية البعث إلى نهايتها المنطقية، مستلهماً في المنطقة العربية بالذات تجربة الإمام الشهيد حسن البنا، ويقدم أطروحة الوعي والثورة والشهادة".

وأطروحة التجاوز التي تحدث عنها الشقاقي لم تقتصر على استلهام تجربة الإخوان المسلمين الحركية والفكرية فقط، بل استلهمت تجارب سابقة ولاحقة أخرى، كتجربة تيار الجامعة الإسلامية التنويري، وتجربة حركة الشهيد عزالدين القسام التي تجمع بين الإيمان والوعي والثورة، وتجربة الجماعة الإسلامية في باكستان بفكر مؤسسها أبي الأعلى المودودي، وتجربة الثورة الإسلامية في إيران ودورها في أسلمة الصراع حول فلسطين... وفكرياً كان التجاوز واضحاً في هضم الشقاقي وإخوانه لكتابات معظم مفكري الحركة الإسلامية وغيرها، ومن ثم إبداع منظومة فكرية ونظرية ثورية محورها الإسلام وفلسطين والجهاد، كانت الأساس الذي أقيمت عليه حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين كتجاوز إبداعي لحالة السكون في الساحتين الإسلامية والفلسطينية.

لم يكن مسار التجاوز سهلاً ميسراً، فقد تطلب خوض معركة على جبهتين: مع الأنظمة الحاكمة المرتبطة بالاستعمار سياسياً، والبدائل العلمانية المرتبطة بالاستعمار فكرياً، ومع "الأجنحة المتخلّفة في الحركة الإسلامية نفسها، التي عجزت عن فهم نفسها، وفهم الآخرين، وفهم العصر، والعلاقات القائمة... التي تركّز على جانب من الإسلام وتَهمل الجانب الآخر" كما وصفها الشقاقي، معتبراً مسار التجاوز "تعبيراً عن رؤية حضارية داخل الحركة الإسلامية"، وكذلك "قوة تجديد داخل الفكر الإسلامي... وفهماً متميزاً حول العلاقة بين الإسلام وفلسطين". واكتسبت هذه الأوصاف مصداقية في العديد من الرؤى الفكرية المتقدمة التي تناولت قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي، كمواضيع: الديمقراطية

والشورى، والوحدة والتعدد، والتربية والجهاد، والقومية والعروبة، والوطنية والمواطنة، والتراث والتجديد... ولكن يبقى التجاوز الإبداعي الأهم حل الإشكالية بين الحركة الإسلامية وفلسطين.

عندما انتقدت "الجهاد الإسلامي" غياب فلسطين عن اهتمامات الحركة الإسلامية التقليدية كمصطلح يشير فيه الشقاقي إلى حركة الإخوان المسلمين بالتحديد، كان التجاوز هو حضور فلسطين في قلب اهتمامات الحركة الإسلامية، وحل إشكالية وجود وطنيين من دون إسلام، ووجود إسلاميين من دون فلسطين، وجمع بين الإسلام كمنطلق وفلسطين كهدف والجهاد كوسيلة. وعندما انتقدت حركة الجهاد الإسلامي اعتبار فلسطين قضية هامشية فرعية للحركة الإسلامية التقليدية، كان التجاوز في تبني شعار الجهاد المركزي: فلسطين هي القضية المركزية للحركة الإسلامية والأمة الإسلامية، بناء على رؤية منهجية ترى في الكيان الصهيوني مركز المشروع الاستعماري الغربي ورأس حربته، وفي فلسطين مركز المشروع الإسلامي المعاصر ورأس حربته لتحرير فلسطين والأمة. وعندما انتقدت حركة الجهاد الإسلامي ضبابية رؤية الحركة الإسلامية التقليدية للعلاقة بين مشروعي تحرير فلسطين ونهضة الأمة، كان التجاوز في تأكيد الارتباط الطردي بين المشروعين، وفي تأكيد الارتباط العكسي بين الظاهرة الإسرائيلية والظاهرة الإسلامية صعوداً وهبوطاً كمشروعين متناقضين للغرب والأمة. وعندما انتقدت حركة الجهاد الإسلامي انحراف بوصلة الجهاد للحركة الإسلامية التقليدية عن فلسطين، كان التجاوز في تصويب بوصلة الجهاد نحو فلسطين كأولوية للحركة الإسلامية، وأن إبقاء جذوة الجهاد مشتعلة في فلسطين حتى تحريرها هو طريق خلاص الشعب والأمة.

مسارات الامتداد والنقد والتجاوز كمحددات لطبيعة العلاقة بين حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وحركة الإخوان المسلمين في مرحلة مخاض ونشأة الجهاد الإسلامي، هي مسارات متحركة لا نهاية لها في الجماعات البشرية على اختلاف أحجامها وأشكالها، فليست لها مرحلة معينة يمكن اعتبارها منتهى التقدم وغاية التطور، بحسب نظرية "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" للفيلسوف الأميركي فرانسيس فوكوياما، إلّا إذا أصيبت أمةٌ بداء الجمود والتحجّر، وضَرب شعب بمرض العجز والتقليد، ورزئت جماعة بمصيبة الخور والوهن... فحينَذاك تفقد الأمم والشعوب والجماعات رسالتها وحيويتها، وتموت روحها وهمتها، وتندثر حضارتها وإنجازاتها. ولتجنب هذا المصير المأساوي لا مناص من ديمومة مسارات الامتداد والنقد والتجاوز حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ملحمة الحرافيش وفلسفة الثورة

كـــتب بتاريـــخ:

24 ديسمبر 2021م

ملحمة الحرافيش رواية للأديب الكبير نجيب محفوظ، تمتد لعشرة أجيال زمنياً، وتتسع لعشر حكايات سردياً، تجمع بين الواقعية والرمزية، بنكهة روحية صوفية، وفلسفة ثورية وجودية، وترسم ملامح النفس الإنسانية بنقاط ضعفها وقوتها، وتصور ديناميات الجماعات البشرية بتناقض صراعاتها وتوافقاتها. واسم الرواية (الحرافيش) يكتسب رمزية من دلائل مفهومها؛ فالحرافيش كمفهوم يشير إلى طبقة مسحوقة من فقراء الناس البؤساء والمحرومين، الذين لا يملكون إلّا كدحهم وبالكاد قوت يومهم، كانوا يسكنون أطراف الحارات المصرية القديمة زمن العصر المملوكي وما بعده. والحكاية العاشرة من الرواية عنوانها (التوت والنبوت)، صور فيها الكاتب ثورة الحرافيش على فتوة الحارة المستبد الظالم وعصابته وحلفائه. ومن خلال أحداث الثورة وحوارات الحكاية، قدم رؤيته الخاصة لفلسفة الثورة، التي تعود جذورها إلى أسطورة (عاشور الناجي) في الحكاية الأولى.

الحكاية الأولى من الرواية بعنوان (عاشور الناجي)، فتوة الحارة الصالح العادل، الذي يملك القوتين الجسدية والروحية، وينشر الخير ويقيم العدل في الحارة، ويأخذ (الإتاوة) من أموال أغنياء الوجهاء ليردها إلى فقراء الحرافيش، كرمزٍ للحاكم الصالح أو المستبد العادل. ولكنه يختفي فجأة بطريقة غامضة تبقي للأسطورة إبهامها، فيظل أهل الحارة - كرمزٍ للشعب - متعلقين به شوقاً إلى عودته، أو بظهور فتوة صالح عادل من ذريته يعيد الحارة إلى عهدها السعيد، في إشارة رمزية إلى انتظار المخلّص أو المهدي. فلا يظهر إلّا في الجيل العاشر من ذريته والحكاية العاشرة من الرواية، باسم جده الأول نفسه (عاشور الناجي). وهي فكرة مغروسة في الوجدان الشعبي، ومدفونة في العقل الجمعي، يدل عليها التراث الإنساني الديني والثقافي لمختلف الأمم والشعوب، ينعشها طول أمد الظلم والقهر والإحباط، فتظهر الحاجة إلى المخلّص الفرد - الرجل الكامل والبطل العظيم - كحاجة نفسية للشعوب المقهورة، وكحلم جامع للجماهير المطحونة، يعوضهم بانتظار البطولة الفرديةً (عاشور الناجي) عن المبادرة إلى البطولة الجماعية (الثورة الشعبية)، لتغيير واقعهم السيئ.

عاشور الناجي الثاني رفض فكرة البطولة الفردية الموجودة في انتظار المخلّص جده عاشور الناجي الأول، المهدي المنتظر الخاص بالحارة، واعتبرها سبب العجز والسلبية، المسؤولة عن استمرار حكم الفتوة المستبد الظالم، حسونة السبع، للحارة. ولذلك قام بإقناع الحرافيش بالمبادرة إلى الثورة ضد الفتوة وعصابته، وصحح أفكارهم ومعتقداتهم بأن ما يحتاجون إليه للحياة الحرة الكريمة هو القوة لا رغيف الخبز. وهنا يظهر الفرق بينه وبين جده، متفوقاً عليه، كما كتب نجيب محفوظ: "لقد اعتمد جده على نفسه، على حين خلق هو من الحرافيش قوة لا تُقهر". فنقل عاشور الحرافيش من حالة الضعف والعجز والسكون والخضوع إلى حالة القوة والقدرة والحركة والتمرد، فنقلهم نقلة نوعية من فقه الانتظار إلى فقه الثورة.

فقه الثورة في حكاية (التوت والنبوت) في رواية (الحرافيش) واضح من خلال فكرة القابلية للعبودية والاستعمار والاستحمار والاستخفاف عند الأفراد والجماعات والشعوب التي تشجع المستبد الظالم، بمختلف أشكاله، على استعبادهم. فعندما قام الفتوة الظالم حسونة السبع بصفع حليمة البركة، أم عاشور الناجي، على وجهها قبل ثورة الحرافيش، قال أخو عاشور له: "لولا أننا صرنا حرافيش ما تعرضت أمنا للإهانة"، فقال عاشور له: "حرافيش أم وجهاء لا يهم، ستدرك الإهانة دائماً من يتقبلها". فكرة تقبل الإهانة هي الأساس في حدوث الظلم بأشكاله المختلفة: الاستبداد والاستغلال والاحتلال... وهذا ما أكده مفكرون وفلاسفة سابقون بمفاهيم مختلفة، منها: العبودية الطوعية عند إيتيان دو لابويسي، والقابلية للاستعمار عند مالك بن نبي، والرضى بالاستحمار عند علي شريعتي، والإذعان للاستخفاف عند سيد قطب. وفي المقابل، فإن رفض العبودية والاستعمار والاستحمار والاستحفاف وكل أنواع الإهانة، هو الأساس الذي تَبنى عليه الثورة.

ومن أسس الثورة كذلك كسر حاجز الخوف من الطاغية، وهذا ما قام به عاشور الناجي مع الحرافيش، جمهور الثورة، مبتدئاً بإعادة ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على التغيير، ولم يترك وسيلة لكسر حاجز الخوف لديهم، حتى الأحلام، فقص عليهم حلمه: "لقد رأيت حلماً عجيباً. رأيتكم تحملون النبابيت"، فنجح عاشور الناجي في دفعهم إلى الثورة، كما وصفها نجيب محفوظ؛ "... وإذا بمفاجأة تدهم الحارة كالزلزال، مفاجأة لم يتوقعها أحد. تدفق الحرافيش من الخرابات والأزقة صائحين ملوحين بما صادفته أيديهم من طوب وأخشاب ومقاعد وعصي، وتدفقوا كسيلٍ، فاجتاحوا رجال السبع". فكرة كسر حاجز

الخوف من الطاغية كانت جوهر رواية (شيء من الخوف) للأديب الكبير ثروت أباظة؛ فعندما نجحت (فؤادة) في كسر حاجز الخوف عند أهل القرية من رئيس العصابة الطاغية (عتريس)، نزعوا الخوف الساكن في نفوسهم من الطاغية، فثاروا عليه ونزعوه من واقعهم، فلا وجود للطاغية إلّا في نفوس من يستخفّ بهم ويسخّرهم.

ومن أسس الثورة الهدم والبناء، فإن نجحت ثورة في عملية الهدم وفشلت في عملية البناء، فجمعت بين عبقرية الهدم وعجز البناء، تصبح عملية احتجاج وهياج وانتقام لا ثورة، وهذا ما انتبه إليه نجيب محفوظ في الحكاية الأخيرة للرواية؛ فعندما انتصرت ثورة الحرافيش بقيادة عاشور الناجي على الفتوة حسونة السبع وعصابته وحلفائه الوجهاء المترفين، انتقلت الثورة من هدم النظام القديم إلى بناء النظام الجديد مباشرة؛ "... ولم تقع الفوضى المتوقّعة. التفّ الحرافيش حول فتوتهم في تفانٍ وامتثال، وانتصب بينهم مثل البناء الشامخ، توحي نظرة عينيه بالبناء لا بالهدم والتخريب... سرعان ما ساوى بين الوجهاء والحرافيش... وجدد عاشور الزاوية والسبيل والحوض والكتاب، وأنشأ كَتاباً جديداً ليتسع لأبناء الحرافيش"، وعندما نصحه الوجهاء بإبعاد الحرافيش وتفريقهم لإضعافهم خوفاً من الانقلاب عليه، رد عليهم بقوله: "العدل خير دواء"، ليكتمل معنى البناء عنده: البناء المادي مثل كَتاب الحارة وسبيل الماء، والبناء المعنوي بالعدل والمساواة.

والمغامرة إحدى صفات الثورة وأحد قادتها، فلا يوجد ثورة مضمونة النتائج ومفروشة بالورود والمكاسب، إلاّ عند الانتهازيين الذين يركبون سفينة الثورة بعد تخطّيها أمواج الخطر وقرب وصولها إلى بر الأمان. فالثورة تحمل في رحمها المغامرة، ولكنها المغامرة المشبعة بالإرادة والتحدي والتفاؤل والحماسة والشجاعة، ولا سيما في شخصية قائد الثورة ورفاقه، وهذا كان واضحاً في شخصية عاشور الناجي، كما وصفها بقلمه صاحب الرواية أثناء التخطيط والإعداد لثورة الحرافيش؛ "... بلقاء الحرافيش اشتعلت النار في كيانه كله، تجمعت قواه الحيوية كلها، ودقت جدران قلبه تريد أن تنطلق. لا يمكن أن ينام من تضطرب جوانحه بهذه القوة كلها، إنّه يتحدى المجهول... يواجه المجهول ويصافحه ويرمي نفسه في خضمه، كأنما كَتبت عليه المغامرة والمقامرة وركوب المستحيل. إنّه يحمل سراً عجيباً ينبذ الأمن والسلامة ويعشق الموت وما وراءه". وهي الفكرة التي عبر عنها فلاديمير لينين في مجموعة مقالات تحت عنوان (روح المغامرة الثورية).

فلسفة الثورة عند نجيب محفوظ، المستنبطة من الحكاية العاشرة (التوت والنبوت)، من ملحمة (الحرافيش)، تكتمل بثلاثية الرمزية والصوفية والوجودية؛ فالرمزية الكامنة في أسطورة عاشور الناجي كرمزٍ للبطولة الفردية المنتظرة لإنقاذ الحارة، أبدلها الكاتب بالبطولة الجماعية، إيماناً منه بالبطولة الجماعية، ليكون الحرافيش بالثورة الشعبية هم الأبطال الحقيقيين. والصوفية عنده تجاوزت مفهومها التقليدي بالقرب من الله تعالى، والزهد في الدنيا، والعزلة عن الناس... إلى تحريض المظلومين على الثورة، والأخذ بيد الناس إلى طريق الخلاص والنجاة في الدنيا والآخرة، والرؤية الصالحة كجزءٍ من النبوة المبشرة بالأمل والخير. والوجودية عنده بمفهومها الثوري تعني الإيمان بقيمة الإنسان وقدرته على التحكم في مصيره ومستقبله، من خلال تحكّمه بمعتقداته وأفعاله، كما ظهر عندما غير الحرافيش ما في نفوسهم من أفكار ومعتقدات سلبية، فقاموا بالثورة التي غيرت واقعهم ومصيرهم، وفقاً للقانون القرآني الثابت "إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيِر مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِروا مَا بِأَنْفُسِهِمْ".

من سيزول عام 2022: "إسرائيل" أم النبوءة؟

كــتب بتاريــخ:

30 ديسمبر 2021م

عندما أعلن عن قيام دولة "إسرائيل" عام **1948**م، دخلت عجوز يهودية على آم محمد الراشد، وهي تبكي، فلما سألتها عن سبب بكائها وقد فرح اليهود، قالت: إن قيام هذه الدولة سيكون سبباً في ذبح اليهود، ثم يقول الراشد إنّه سمعها تقول: إن هذه الدولة ستدوم **76** سنة.

هذه الحكاية من بغداد سجلها الباحث الإسلامي الفلسطيني بسام جرار في كتابه (زوال إسرائيل **2022**.. نبوءة قرآنية أم صدف رقمية؟) المنشور مطلع تسعينيات القرن العشرين، نقلاً عن محاضرة مكتوبة للكاتب العراقي محمد أحمد الراشد بعنوان (النظام العالمي الجديد)، فاستنتج الباحث أن الـ**76** سنة المذكورة بالتقويم القمري المستخدم عند اليهود، هي التي توافق **1443** بالتقويم الهجري و**2022** بالتقويم الميلادي، وهذه الحكاية هي بداية قصة الكتاب والنبوءة.

وبناء على الكتاب والنبوءة الموجودة فيه، ومضمونها زوال "إسرائيل" عام **2022**م، آمن بالنبوءة عدد كبير من الناس، وبشّروا بها كأنها وعد إلهي قطعي الثبوت والدلالة، لا مجرد حسابات رياضية ظنية الثبوت والدلالة، وتأويلٍ رقمي تخميني لآيات القرآن الكريم، في خلط واضح بين النّبوءة بمفهومها النبوي أو القرآني ومفهومها البشري؛ فالنبوءة النبوية والقرآنية هي المنقولة من الله تعالى عن طريق الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم - والموجودة في النص النبوي أو القرآني، وتكون يقينية الثبوت والدلالة، مثل نبوءة انتصار الروم على الفرس في بضع سنين ونبوءة فتح مكة. أما النبوءة البشرية فتعني الإخبار عن الغيب الموجود في المستقبل قبل وقته تخميناً وتكهناً، مثل نبوءة الباحث بزوال "إسرائيل" عام **2022** م، وتحقيق وعد الآخرة المذكور في سورة بني إسرائيل، والموثّقة في كتابه (زوال إسرائيل **2022**.. نبوءة قرآنية أم صدف رقمية؟).

الفصل الأول من الكتاب موضوعه تفسير النبوءة القرآنية في سورة الإسراء، المتعلقة بزوال "إسرائيل"، والمعروفة بـ(وعد الآخرة) في آيتين هما: "فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسوؤواْ وُجُوهَكُمْ"، و"فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ

الآخرة جِئْنَا بِكُمْ لَفيفاً"، والكتاب يستنتج أنّ الإفساد والعلوّ الإسرائيليين الأوّلين قد وقعا قبل الإسلام بعدَ عهَدي داوود وَسليمان - عليهما السلام - وأن الإفساد والعلو الإسرائيليين الآخَرين قد بدآ بقيام دولة "إسرائيل" عام **1948** م، وأننا على مشارف مرحلة وعد الآخرة بتدمير الإفساد والعلو الإسرائيليين، ممثلاً في إزالة دولة اليهود الصهاينة. وهذ ه الرؤية العقلانية الملتزمة بضوابط التفسير القرآني، كان أول مجتهد فيها العالم الأزهري عبد المعز عبد الستار في ستينيات القرن العشرين، وسجلها الدكتور محمد سيد طنطاوي في كتابه (بنو إسرائيل في القرآن والسنة).

الفصل الثاني من الكتاب موضوعه التأويل الرقمي لتأكيد مصداقية النبوءة القرآنية، وتحديد موعد تحقيق النبوءة، وكانت البداية بنبوءة العجوز اليهودية حول زوال "إسرائيل" بعد **76** عاماً، ثم الاطلاع على ما كتبه الكيميائي المصري الأميركي رشاد خليفة حول اكتشافه المسمى المعجزة الحسابية في القرآن، المبنية على الرقم (19)، فكانت بداية الإشكالية من الرقمين (76 - 19)، فكتب الباحث دراستين حول إعجاز الرقم (19)، اكتشف خلالهما أن الرقم (19) هو الأساس لمعادلة تاريخية تتعلّق بتاريخ اليهود وزوال دولتهم، فكتب دراسة ثالثة وتوقع من خلال حسابات رقمية ورياضيات عددية، مستقاة من آيات سورة الإسراء، أن زوال "إسرائيل" عام **1443**هـ الموافق لعام **2022**م، باستخدام منهج تحويل الأحرف إلى أرقام وفق نظام الجمل التاريخي القديم بترتيب (أبجد هوز) الرقمي.

منهج التأويل الرقمي والتفسير العددي للقرآن الكريم، الذي بنيت عليها نبوءة زوال "إسرائيل" عام **2022** م، منهج يشوبه الكثير من اللغط والإرباك، ويؤدي إلى نتائج: ظنية دائماً، وأخطاء كثيرة غالباً، ومتناقضة أحياناً؛ ذلك أن هذا المنهج لا يخضع لمعايير علمية محددة أو ضوابط بحثية معينة، ويستخدم بطريقة انتقائية موجهة بإرادة الباحث، وقد يبدأ باكتشاف بعض المصادفات العددية فتحول إلى معجزات وهمية، وربما تبدأ بالنتيجة ثم يؤتى لها بالمقدمات المتكلّفة لإثباتها، ومنها ما يحاول الباحث الربط بين الحروف والكلمات والجمل، وبين الأرقام والأعداد، بطريقة اجتهادية ظنية، يصل بعضها إلى نوع من الشعوذة الحسابية والخدع الرياضية. واستخدام هذا المنهج في عملية استشراف المستقبل والتنبؤ بأحداث الغيب أكثر خللاً وإشكالاً، ولا سيما إذا كان هذا الاستشراف

والتنبؤ يتعلّقان بقضية مركزية كَبرى كفلسطين، وبالذات تحديد زمن وعد الآخرة وزوال كيان العلو والإفساد الإسرائيلي.

هذا المنهج المغلوط مخالف للمنهج القرآني في استشراف المستقبل وتحديد زمن أحداثه الكَبرى، كتحرير فلسطين. فأحداث التاريخ في أي زمن مرتبطة بالسنن والقوانين التي تحكم مسار التاريخ والحضارات المستنبطة من القرآن والسنة، وهي سنن لا تَحابي أو تَجافي أحداً، وقوانين لا تتبدل أو تتحوّل بالأماني، "وَلَن تَجِدَ لسنّة الله تَبديلا وَلَن تَجِدَ لسنّة الله تَحْوِيلا"، وهذا المنهج ينطبق على وعد الآخرة المرتبط بجدلية حضارَية يَتم فَيها التدافع بتبادَل الصَعودَ والهبوط بين الآمة الإسلامية ورسالتها العالمية، ومشروع الشر الغربي الصهيوني، وسيكون بذلك وعد الآخرة نقطة تحول تاريخية يرث فيها المستضعفون التمكين في الأرض بعد أن يدفعوا المستكبرين إلى هامش التاريخ.

بهذا المنهج القرآني الذي يعلي من قيمة الإنسان، مؤكداً دوره في تحقيق وعد الآخرة، لسنا بحاجة إلى التأويل الرقمي أو التفسير العددي لتأكيد مصداقية وعد الآخرة، أو لتحديد زمن زوال "إسرائيل"؛ بل إن ذلك التأكيد والتحديد يؤديان بكثير من الناس إلى الانتظار على رصيف الأحلام الوردية، وإلى البيات الشتوي داخل نفق هامش التاريخ، وقد يؤديان بهم إلى فقدان الإيمان بتحقيق وعد الآخرة إذا مر تاريخه المحدد بالنبوءة الرقمية من دون تحقيقه.

وما نحن بحاجة إليه أكثر كشعب فلسطيني وأمة عربية وإسلامية هو الإيمان والوعي؛ إيمان بوعد الآخرة يضع عجلات الفعل البشري للشعب والأمة على مسار قضبان القدر الإلهي السائر نحو وعد الآخرة، ووعي بوعد الآخرة يؤدي إلى إخراج القدر الإلهي من عالم الغيب كوجود بالقوة، إلى القدر الإلهي في عالم الشهادة كوجود بالفعل، ولا يهم بعد ذلك زمن زوال "إسرائيل". فزوالها حتمية قرآنية بمنطق وعد الآخرة، سيحققه الله تعالى على يد من يمتلك الإيمان والوعي والقوة من الأمة الإسلامية بنص القرآن الكريم "عِباداً لَنَا أولِي بَأسٍ شَدِيدٍ".

انتهى 2021

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

تراجّيديا 2022

الصورة أثناء فرحة مشجع تونسي بفوز منتخب بلاده في احدى مباريات كأس العالم في قطر

هشام أبو هواش .. الحرية بروح الشهادة

كتب بتاريـخ:

5 يناير 2022م

"عندما أقاتل في سبيل الحرية طوال حياتي فإنني سأموت إذن رجلاً حراَ.. إن الرجولة كامنة في الروح وليس في الجسد.. إن الحرية بذرة لا تنمو بالماء، وإنما بالدماء وحدها تنمو وتترعرع، ولذلك نبذل دماءنا.. فالحرية ليست كعكة تهبط من السماء فنبتلعها، ولكن الحرية قلعة لا بد أن نقتحمها بأسيافنا.. إن أنهاراً من الدموع والدماء ستسيل.. ويوماً ما سنرى الحرية". هذا النص جاء على لسان بطل رواية (الحرية أو الموت) للأديب اليوناني الكبير (نيكوس كازانتزاكيس).

نيكوس زار فلسطين ومكث فيها عامي 1926 – 1927م موفداً عن صحيفة يونانية، وكتب في نهاية رحلته كتاباً بعنوان (رحلة إلى فلسطين) اعتبرت أخطر وثيقة ضد الصهيونية كتبها روائي ومفكر عالمي، سجل فيها بحدسه النبوئي المبكّر الكوارث التي ستحل بالشعب الفلسطيني نتيجة لوعد بلفور وما ترتب عليه من هجرة واستيطان يهودي في فلسطين نظمته الحركة الصهيونية بدعم بريطانيا زعيمة الغرب الاستعماري آنذاك التي تولت مسئولية غرس الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي والأمة الإسلامية.

وبالفعل حلّت الكوارث الكبرى بالشعب الفلسطيني كما تنبأ نيكوس، فنهض الفلسطينيون مقاتلين من أجل حريتهم حتى الموت شهادة، مستلهمين فلسفة الجهاد في الإسلام كما لخصها الشيخ عزالدين القسام قبل استشهاده بقوله: "هذا جهاد نصر أو استشهاد"، وبرز من بينهم أبطالاً رموزاً قاتلوا من أجل الحرية بروح الشهادة، منهم من قضى نحبه رجلاً حراً شهيداً، ومنهم من ينتظر رجلاً حراً شاهداً، وهشام أبو هواش من هؤلاء الأبطال الرموز الذين يعيشون الحرية بروح الشهادة.
هشام أبو هواش انتصر على جلاديه وقهر سجانيه، ودك مسماراً في نعش الاعتقال الإداري، ووضع الاحتلال وأساليبه القمعية في قفص الاتهام مجدداً، وسطّر صفحة جديدة ناصعة من صفحات النضال الوطني الفلسطيني، وأضاف نجمة ساطعة في سماء الحركة الوطنية الآسيرة، وقدم نموذجاً مشرقاً لنهج المقاومة، وأعطى مثالاً حياً لخيار الجهاد الذي ينتمي إليه، وأثبت مجدداً أن الجوع

المناضل يقهر بطش السجان، وأن الوجع المكافح يكسر غطرسة الطغيان، وأن الألم المقاوم ينتصر على سوط الجلاد.

هشام أبو هواش أدرك أن الإنسان حر طالما أنه يمتلك إرادة الكدح لانتزاع الحرية، وأن الإضراب عن الطعام نوع من الكدح يقوم به أولو العزم من الأحرار الذين يمتلكون إرادة النصر، وضرب من الجهاد ينهض به أصحاب القوة من الثوار الذين يدركون فلسفة الصمود... فتخرج إرادة النصر وفلسفة الصمود من الإنسان أسرار عظمته، فيصنع من جوعه حريته، ومن وجعه عزته، ومن ألمه كرامته، وهي من حرية وعزة وكرامة شعبه، ومن يفعل ذلك يصبح إنساناً حراً حتى لو غيبه السجن أو القبر.

هشام أبو هواش عبر بإيمانه ووعيه وتمرده عن السر الكامن في فلسفة المواجهة مع الاحتلال الصهيوني، المستندة إلى نهج الجهاد والاستشهاد، وطريق المقاومة والنضال، خيار الأمة الوحيد في هزيمة أعدائها وأعداء الإنسانية، وأن هذا الخيار رغم تكلفته العالية، وثمنه الباهظ، وصعوبته البالغة... أهون من نار الذل، وجحيم الهوان، ولهيب الضيم، الذي يكون مصير الأمة فيما لو تخلّت عن نهج الجهاد وطريق المقاومة، فما تركت أمة الجهاد إلاّ ذلّوا. وما ركن شعب لظالميه إلاّ هانوا. وما خضع قوم للاحتلال إلاّ استعبدوا.

هشام أبو هواش علم أن الحرية صبر ساعة، تحتاج إلى عزيمة الأحرار وصلابة الثوار، وأن إضرابه عن الطعام حتى حافة الشهادة ليس إلقاء بالنفس إلى التهلكة - كما يقول المرجفون - بل ارتقاء بالنفس إلى العلا وسمو بالروح إلى السماء، وأن جوعه جهاد وموته شهادة، ومن ينأى بنفسه عن الجهاد والشهادة هو الذي يلقي بنفسه إلى التهلكة، ويرضى لشعبه أن يلقى في مهاوي الردى.

ألم يأنِ للذين آمنوا بأمريكا ورضوا بأن يكونوا من الخوالف مع الخانعين والمطبعين والقاعدين أن فلسفة الحرية هي التي صنعت انتصاراتنا وحضارتنا ومجدنا، وصعدت بالأمة إلى قمة التطور وذروة التقدم. وأن فلسفة العبودية هي التي صنعت هزائمنا وتخلفنا وهواننا وهوت بالأمة إلى قاع التأخر وحضيض التخلّف، فشتان بين ثرى العبودية وثُريا الحرية.

فتاوى عيد الميلاد بين أزمتي الفتوى والثقافة

كتب بتاريـخ:

6 يناير 2022م

يتجدد نهاية كل سنة ميلادية سيل الفتاوى حول حكم تهنئة المسيحيين بعيد ميلاد الرسول عيسى – عليه السلام – بحسب التقويم المسيحي، وحكم احتفال المسلمين بعيد الميلاد (الكريسمس)، ويتجدد معه الجدل العقيم والسجال الذميم على صفحات التواصل الإلكتروني بين الناشطين وبعض الدهماء والغوغاء. وتتجدد تلك الفتاوى والمجادلات في العديد من المناسبات مثل: الاحتفال بعيد المولد النبوي، وعيد الأم، ويوم المرأة، وغيرها من المناسبات الدينية والاجتماعية. وقد انقسمت تلك الفتاوى بين مدرستين إسلاميتين كبيرتين هما: المدرسة الأزهرية الأشعرية في مصر ومن لحق بها، والمدرسة الوهابية السلفية في السعودية ومن لحق بها، فجاءت فتاوى علمائهما متناقضة، وآراء أتباعهما متضاربة.

يرى علماء الأزهر الأشاعرة تحليل تهنئة المسيحيين بأعيادهم؛ لأنه "يتوافق مع مقاصد الدين الإسلامي ويبرز سماحته ووسطيته"، وجواز الا حتفال بعيد الميلاد (الكريسمس) لأنه "لا حرمة فيه لاشتماله على مقاصد اجتماعية ودينية ووطنية معتد بها شرعاً وعرفاً".

ويرى علماء الوهابية السلفية تحريم تهنئة المسيحيين بعيد الميلاد، فهو "محرم بالاتفاق، لأنه نوع من الموالاة للكفار وتشجيع لهم على الكفر"، وعدم جواز الاحتفال بعيد الميلاد، فإنه "لا يجوز مشاركة النصارى في أعيادهم، بل يجب ترك ذلك، لأنه من تشبه بقوم فهو منهم". وهذا الاختلاف في الفتوى قد يكون دليل مرونة وسعة وحيوية في الفقه الإسلامي، ولكنه قد يكون دليل أزمة إذا ما كانت الفتاوى متناقضة في المسألة الواحدة والزمن الواحد، كما هي الحال في تناقض فتاوى (الكريسمس) بين المدرستين الأشعرية والسلفية.

التناقض في فتاوى المدرستين – الأشعرية والسلفية – سلّط الضوء على أزمتين في الفتوى والثقافة لدى علماء المسلمين وعامتهم، ومن مظاهر أزمة الفتوى تطويع فتاوى وتفصيلها لتبرير الواقع المخالف للإسلام، وتقديم غطاء شرعي للواقع السيئ بدلاً من تغييره، ما يجعل الواقع حاكماً على

النص الديني، بدلاً من أن يكون النص الديني حاكماً على الواقع، إرضاء لهوى كثير من الناس باتجاه الانحراف الأخلاقي والاقتصادي والاجتماعي، وإرضاء لجموح كثير من الحكام نحو الاستبداد السياسي، واحتكار السلطة، وتعطيل الشورى، وتكميم الأفواه. وهذا يختلف عن مبدأ مراعاة الفتوى لواقع الناس، كما يرى الإمام محمد أبو زهرة في ضرورة مراعاة الفتوى لواقع الناس وعرفهم من دون الإخلال بعملية الاستدلال بالقواعد الفقهية والاعتدال في الفتوى من دون تساهل يوهن الأمور الدينية أو تشدد يفتن الناس في دينهم.

وإن كان تطويع الفتوى للواقع السيئ المخالف للإسلام أحد مظاهر أزمة الفتوى، فإن التشدد وعدم مراعاتها للواقع هما مظهرها الآخر، مثل استحضار فتاوى العصور السابقة وإخراجها من إطارها الاجتماعي من دون تمحيص وتطبيقها على عهدنا، واستدعاء فتاوى الأزمنة الغابرة وانتزاعها من سياقها التاريخي من دون تمييز وإسقاطها على واقعنا، واتباع الحرفية النصية الجامدة في الفتوى من دون اعتبار لمقاصد الشريعة وروح الدين، والتوسع الزائد في باب سد الذرائع والأخذ بالأحوط، فيجري التشدد في الفتوى نحو التحريم والتضليل والبدع والتكفير. ولقد انتبه إلى ذلك العلامة ابن القيم الجوزية في كتابه (أعلام الموقعين عن رب العالمين) عندما أفرد فصلاً بعنوان (فصل في تغير الفتوى بحسب تغير الأمكنة والأزمنة والأحوال والعوائد)، واعتبر أن "الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه".

ومن مظاهر الأزمة في الثقافة انتشار (ثقافة التيه)، فينشغل علماء الصحراء بقضايا هامشية ثانوية بدلاً من القضايا الجوهرية والمهمة، فتغرق الأمة في طوفان فتاوى موضوعها: صوت المرأة، وقيادة المرأة للسيارة، وإرضاع الكبير، وأعياد الميلاد، وشكل اللحية... بدلاً من البحث في قضايا: وحدة الأمة، وتحرير فلسطين، وشروط النهضة، وعوامل النصر... ومن مظاهر ثقافة التيه انتشار فتاوى تحريم الاحتفال بعيد الأم وإحياء يوم المرأة، بدلاً من البحث في كيفية تمكين المرأة في المجتمع، وتعزيز مشاركتها في الإنتاج الاقتصادي، وزيادة دورها في النضال الاجتماعي والوطني، وكذلك انتشار فتاوى تحريم الفن بمعظم أشكاله، من تصوير وموسيقى وتمثيل، بدلاً من البحث في كيفية توظيف الفن في الدعوة إلى الإسلام، والتحريض على الثورة، وتهذيب ذوق المجتمع، وترقية أخلاق الفرد، وكذلك

انتشار فتاوى تفرق بين المسلمين وتؤجج الصراع بين مذاهبهم، بدلاً من البحث عن القواسم المشتركة التي توحد الأمة، وطرق التعايش السلمي بين أتباع جميع مذاهب الأمة.

ومن مظاهر الأزمة في الثقافة انتشار (ثقافة الضجيج)، التي نشرت خطاب التحريم والبدع والتكفير، وصراخ الغضب والعويل، وكانت المسؤولة عن هيمنة فتاوى الثرثرة بمواضيعها الثانوية وهيمنة الإعلام المبتذل برسائله الرديئة، والأدب السخيف بأساليبه الركيكة، والأغاني الهابطة بموسيقاها الصاخبة، وهي الثقافة التي مارسها الكفار للتشويش على دعوة الإسلام "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ"، واستخدمها الشيطان لتضليل الناس "وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ". وثقافة الضجيج تصيب الأمم والشعوب في مراحل هزيمتها وهبوطها وأزمنة تراجعها وانحدارها، فتبدل العمل بالقول، والتجديد بالتقليد، والإبداع بالاتباع.

تجاوز أزمتي الفتوى والثقافة يحتاج إلى جهد عظيم من علماء الأمة ومفكريها وقادتها، ويضع الفتوى في مكانها الطبيعي من الواقع، حاكمة للواقع لا محكومة له، ومراعية لواقع الناس لا مبررة له، فتوى معتدلة من دون تساهل يوهن الدين، أو تشدد يبطل الدين، ويضع الثقافة في إطارها الصحيح، بعيداً عن ثقافة التيه بقضاياها الهامشية ومواضيعها الثانوية، وثقافة الضجيج بثرثرتها الكلامية وصراخها الصوتي، وقريباً من ثقافة البصيرة والرشد بقضاياها الجوهرية ومواضيعها المهمة، وثقافة التأمل والتدبر بمنطقها العقلي والعملي.

فلسفة المقاومة في فكر "الجهاد الإسلامي"

كتب بتاريـخ:

13 يناير 2022م

فلسفة أي شيء هي دراسة المبادئ الأولى والأسس النظرية له، وترتيب مفاهيمه ومواضيعه وفق منطق عقلي منظم وتصور ذهني منهجي، وهذا ينطبق على فلسفة المقاومة كمفهوم نظري وممارسة عملية. والمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني رغم تشابه ممارساتها العملية، لكن فصائلها انطلقت من مرجعيات فكرية مختلفة، جعلت لكل فصيل فلسفة مقاومة خاصة. وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، كحركة مقاومة وطنية بمرجعية إسلامية، لديها هذه الفلسفة المتميزة، ولذلك من المفيد إلقاء الضوء على فلسفة المقاومة في فكر "الجهاد الإسلامي"، من خلال وثيقتيها الفكرية والسياسية، والتراث الفكري للأمناء العامين الثلاثة للحركة.

المقاومة في "الجهاد الإسلامي" فكرة قبل أن تكون عمل، فالفكرة أصل وبداية كل عمل إنساني حضاري، وبغياب الفكرة يفقد العمل بوصلته. وفكرة المقاومة لدى "الجهاد الإسلامي" هي الأصل والبداية في نشأة الحركة ومشروع الجهاد. ففي البدء تبلورت فكرة الجهاد والمقاومة في فلسطين، ثم انبثق عنها عمل الجهاد والمقاومة بعد إنشاء الحركة، كما أكد ذلك المفكر الشهيد فتحي الشقاقي - مؤسس الحركة - بقوله: "مع نهاية السبعينيات كان الحوار الفكري يتحول إلى مناخ سياسي تنبثق عنه نواة تنظيمية اندفعت لاحقاً باتجاه فلسطين المحتلة لأجل بناء الحركة الإسلامية الثورية". فالحوار الفكري أسس لمشروع الجهاد الإسلامي بعد تبلور الفكرة التي جمعت بين الإسلام كمرجعية ومنطلق، وفلسطين كقضية وهدف، والجهاد والمقاومة كنهج ووسيلة، وهكذا وجدت المقاومة في العقل والفكر قبل السكين والبندقية، وفي القلب والروح قبل القنبلة والصاروخ.

المقاومة ثقافة قبل أن تكون ممارسة، ففعل المقاومة نتاج لثقافة المقاومة، وثقافة المقاومة هي الإطار الفكري الذي يحافظ على نهج المقاومة حتى في زمن الهزيمة العسكرية والإحجام الثوري، كما أكد المفكر الشهيد فتحي الشقاقي/ موضّحاً دور الثقافة والمثقف "الثقافة يجب أن تصمد حتى لو توالت الهزائم، فانهيار جدار الهوية والثقافة يعني أن الوطن بكامله أصبح مستباحاً، وأن الأمة لم تعد هي الأمة... والمثقف أول من يقاوم وآخر من ينكسر، بل ينبغي له أن لا ينكسر". فثقافة المقاومة

هي المحركة لفعل المقاومة وإرادة النصر وروح التضحية، وهي التي تمنع تسلل ثقافة المساومة ووهن الهزيمة وروح الانكسار إلى المقاوم، وهي التي تحرض ضد الظلم والانحراف بكل صورهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية... وخاصة رفض التعايش مع الاحتلال، والتطبيع مع الكيان، والتسليم بالرواية الإسرائيلية.

المقاومة جهاد في سبيل الله في بعدها الديني كما قال تعالى: " أنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ". فهو في رؤية "الجهاد الإسلامي" "ذروة سنام الإسلام، وقد فرضه الله للدفاع عن حرمة الدين والمقدسات والأوطان وحقوق وكرامة الإنسان، وإذا غزا العدو أو احتل جزءاً أو بلداً من أرض الإسلام، مثلما هو الحال في فلسطين، يصبح الجهاد فرض عين على أهلها، ثم على المسلمين جميعاً، وذلك لدفع العدوان وتحرير فلسطين حتى تعود فلسطين لحوزة المسلمين".

ولذلك فقد اعتبرت الحركة ترك الجهاد قبل تحرير فلسطين، والصلح مع العدو لا يجوز شرعاً لما فيه من تنازل عن الأرض والحق. فالقتال لتحرير الأرض الإسلامية المحتلة التي أخرج منها أهلها عدواناً وظلماً أو بقوا تحت الاحتلال المعتدي الظالم هو جهاد التحرير أو الدفع، ويعتبر فريضة دينية وواجباً شرعياً عبر عنه الأستاذ المجاهد زياد النخالة بقوله: "لنذهب إلى القتال كما نذهب للصلاة... هؤلاء القتلة الصهاينة يجب قتالهم وجوب الصلاة".

المقاومة تحرير للوطن من محتليه في بعدها الوطني، التزاماً بتعريف الحركة لنفسها بأنها "حركة تحرير وطنية إسلامية، وجزء ومكون أصيل من مكونات الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة". وضمن رؤية فكرية منطقية ترى أن فلسطين كلها ما زالت محتلة من البحر إلى النهر، فالسيادة والسلطة للعدو على الأرض والسكان، والمرحلة التي يعيشها الشعب الفلسطيني بناء على هذه الحقيقة هي مرحلة الكفاح الوطني من أجل تحرير الأرض واسترداد الحقوق، وطبيعة المرحلة هي التي تحدد طبيعة المشروع الوطني، فهو مشروع تحرير كل فلسطين، من خلال استراتيجية الجهاد والمقاومة، ولا يجوز التحول عن نهج المقاومة إلى نهج المساومة على الأرض والحقوق، ولا يجوز خلق أولويات بديلة من التحرير، كالصراع على السلطة والتمثيل البرلماني تحت حراب الاحتلال، والتحايل لإيجاد طرق للتعايش مع الاحتلال.

المقاومة حق أقوى من العدو، بل الحق الفلسطيني هو القوة التي يقاوم بها الشعب عدوه المحتل، فقوة الحق الفلسطيني ستهزم باطل القوة الصهيوني، والوثيقة السياسية لـ"الجهاد الإسلامي" تؤكد هذا الحق "حق الشعب الفلسطيني والأمة في الجهاد والمقاومة ضد العدو الصهيوني الغاصب لفلسطين، بكل الوسائل والأساليب... هو حق مشروع كرسته كل الشرائع السماوية، والأعراف والمواثيق الدولية". والمقاومة الفلسطينية اكتسبت شرعيتها وحقها في المقاومة وامتلاك سلاح المقاومة من وجود المحتل نفسه على الأرض الفلسطينية، والحق الطبيعي والإنساني والديني والوضعي في مقاومة المحتل وطرده من الأرض المحتلة، استناداً إلى حق الدفاع عن النفس وحق تقرير المصير، ولذلك جاء في وثيقة الحركة السياسية تأكيد حقها في امتلاك السلاح وتصنيعه وتطويره، وترفض التخلّي عنه أو المساس به أمام كل دعوات نزع سلاح المقاومة.

المقاومة واجب فوق الإمكان؛ فالثورة عمل غير مؤجل وفق رؤية المفكر الشهيد فتحي الشقاقي "فالوجوب فوق الإمكان، وإن مهادنة العدو والهروب من مواجهته حتى يكتمل ما يسمى القدرة المكافئة هما وهم يشلّ الحركة ويقتلها ويسمح للعدو بالنمو والتعاظم، ويجعله دوماً في الوضع الأفضل للانقضاض". فأي تأجيل للمقاومة تحت مبررات مثل: تحقيق التوازن الاستراتيجي، وإنجاز القوة ومراكمتها، وانتظار الخلافة الإسلامية، وعبور مرحلة الاستضعاف، وانتهاء الإعداد والتربية، وإعطاء فرصة للسلام... هي وصفات لإطالة عمر الاحتلال ودولته، ولتأخير مشروع الجهاد والمقاومة لتحرير فلسطين، ولذلك عندما رفعت الحركة شعار (الواجب فوق الإمكان) طبقته عملياً على المقاومة متدرجة من السكين والحجر، إلى القنبلة والبندقية، وصولاً إلى المدفع والصاروخ، كانت تدرك أن مراكمة الإمكانيات والقوة تأتي من خلال الجهاد والمقاومة الفورية والمستمرة.

المقاومة مستمرة من خلال استراتيجية المشاغلة التي تعني إبقاء جذوة الجهاد مشتعلة في فلسطين، فدور المجاهدين والمقاومين في فلسطين هو إحياء فريضة الجهاد وإشعال جذوة المقاومة ضد الكيان الصهيوني ومشاغلته بالنار حتى اكتمال شروط النصر الكامل عليه، فمنهج الحركة هو "استمرار المواجهة مع العدو الصهيوني، واستنزاف طاقاته وقدراته، وزعزعة أمنه واستقراره، لإجباره على الرحيل عن أرضنا، وصولاً إلى التحرير الكامل لفلسطين".

وربط المفكر الشهيد فتحي الشقاقي بين استمرار المقاومة ونهضة الأمة بقوله: "سيبقى جهادنا مستمراً وعملياتنا الاستشهادية مستمرة حتى تبقى هذه القضية حية، وحتى تنهض كل الأمة تجاه قضيتها المقدسة قضية فلسطين". واستمرار المقاومة الشاملة أهم وسائل بناء القوة الشاملة: قوة الشعب الفلسطيني بتعزيز صموده، وقوة المقاومة بمراكمة خبراتها، وقوة الأمة بزيادة فاعليتها باتجاه فلسطين... وهذا كله سيعمق مأزق "إسرائيل" الأمني والوجودي.

المقاومة مسلحة، وهذا نهج حتمي وليس خياراً طوعياً، ناتجاً عن طبيعة الكيان الصهيوني والصراع معه وتحالفاته. فالكيان الصهيوني قائم على إحلال شعب دخيل واستيطانه مكان شعب أصيل، والصراع معه صراع وجود يتعلّق بوجود أو عدم وجود أحد الشعبين على الأرض نفسها، وهو إفراز للمشروع الاستعماري الغربي القائم على العنف وإدامة العنف... وهذا نوع من الاحتلال والصراع وا لتحالف لا يحل أو يحسم إلاّ بالقوة العسكرية والمقاومة المسلحة، ولذلك أكد المفكر الشهيد فتحي الشقاقي ذلك بقوله: "منذ البداية كان الجهاد المسلح ضد العدو الصهيوني هو المبرر الأساسي لنهوض حركة الجهاد الإسلامي. ورغم أهمية الإسهامات الفكرية التي قدمتها الحركة، إلا أن الجهاد المسلح بقي الأهم". وأكد المعنى الدكتور المجاهد رمضان شلّح بقوله: "الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني هو الأساس الرئيس والاستراتيجي في كفاحنا، فلا يجوز التخلّي عنه حتى دفع العدوان وتحرير كامل الأرض واسترداد كل الحقوق"، واعتبر الأستاذ المجاهد زياد النخالة "الكفاح المسلح الطريق الأقرب لردع الاحتلال وتحرير الأرض والمقدسات".

المقاومة شعبية، فالحركة تؤمن بأهمية الجماهير كأداة لإحداث التغيير الثوري وتحرير الأرض، فالثورة والتحرير لا يتمان بجهد تنظيمي نخبوي، بل بجهد جماهيري فلسطيني عربي وإسلامي... ولذلك أكد المفكر الشهيد فتحي الشقاقي دور الشعب في الانتفاضة "إنّها ثورة شعب بأكمله... لأن الخروج الجماهيري الحاشد إلى الشوارع كان حلمنا منذ اليوم الأول".

والوثيقة الفكرية للحركة ترى أن "اعتبار الجهاد المسلح هو الأسلوب الرئيس للمقاومة لا يمنع استخدام أسا ليب وأشكال أخرى للمقاومة، وخصوصاً الانتفاضة الشعبية التي يمكن الجمع فيها على نحو مبدع وخلاّق بين فنون وأدوات مختلفة للمواجهة". والأمين العام الحالي للحركة الأستاذ زياد النخالة يؤكد ذلك بقوله: "حركة الجهاد تؤمن بأن شعبنا هو ركيزة المقاومة وأساسها وهو مفجر الثورة

على مدار تاريخه"، ولذلك لم تختر الحركة إحياء انطلاقتها الجهادية يوم نشأتها، بل يوم تحول مقاومتها الحركية المسلحة إلى حالة مقاومة شعبية شاملة في السادس من تشرين الأول عام 1987م بداية الانتفاضة الأولى، عندما التحمت الحركة بجماهيرها.

المقاومة شهادة في سبيل الله دفاعاً عن الأقصى والقدس وفلسطين، وتحريراً للأرض والإنسان، والعمل الاستشهادي بكل أشكاله أرقى درجات الدفاع المشروع عن النفس أمام إرهاب عدو صهيوني، في ظل تقاعس العالم عن ردع المحتل الظالم، أو توفير الحماية لشعبنا المظلوم. أما رؤية المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، فإن نهج العمليات الاستشهادية هو "الرد الإسلامي الفذّ والمعجز على تكنولوجيا المستعمر وآلته الجهنمية"، وإن الشهداء هم الذين "يعيدون تشكيل الحياة بزخم أكبر وبإبداع أعظم لتبقى الشهادة هي المعادل الموضوعي للحياة، فلا حياة ولا تاريخ لنا بدون الشهداء". وفلسفة الشهادة عند الأمين العام الثاني للحركة الدكتور المجاهد رمضان شلّح مرتبطة بالمقاومة والحياة: "نحن نريد أن نحقق الانتصار، ونريد أن يكون الجهاد طريقاً للحياة لا بوابة للموت فقط... لكننا في ظل اختلال موازين القوة، وإصرار العدو على سحق خيار الجهاد والمقاومة، يصبح حمل الراية ومواصلة الجهاد عملاً استشهادياً".

المقاومة جبهة فلسطينية وعربية وإسلامية؛ فعلى المستوى الفلسطيني، الجهاد الإسلامي من خلال أدبياته الفكرية يؤمن بضرورة إقامة التحالفات مع أي طرف يريد مقاتلة العدو، والحركة ليس لديها مانع من التعاون والتنسيق مع القوى كافة، المعادية للإمبريالية والصهيونية والساعية لتحرير فلسطين، سواء كانت قومية أم وطنية أم ماركسية، ويشارك في التحرير كل فلسطيني، مسلماً كان أو مسيحياً، دفاعاً عن الوطن والمقدسات.

أما على المستوى العربي والإسلامي، فالحركة تؤمن بأن المقاومة التي ستؤدي إلى تحرير فلسطين جهد عربي وإسلامي يضم كل أحرار الأمة المؤمنين بمركزية قضية فلسطين كقضية أولى للأمة، وترى أن مشروع تحرير فلسطين لن ينجح من دون تكوين جبهة مقاومة عربية إسلامية ضد الكيان الصهيوني والاستعمار الأميركي، وهذا ما تبلور اليوم من خلال (محور المقاومة)، الذي أكد وجوده الدكتور المجاهد رمضان شلّح بقوله: "نحن ننظر إلى الجميع بمنظور الحاجة إلى من يحتضن قضية

فلسطين... وقد تصدى لهذا الدور سوريا وإيران ومعهما حزب الله، فسموا، ومعهم حماس والجهاد وفصائل أخرى، محور المقاومة والممانعة".

فلسفة المقاومة في فكر "الجهاد الإسلامي" تبدأ بفكرة المقاومة، وتحافظ على نهجها بثقافة المقاومة، وتَعتبر في عمقها الديني جهاداً في سبيل الله، وفي بعدها الوطني تحريراً للوطن والشعب، والمقاومة حق للمظلومين فوق القوة، وواجب المستضعفين فوق الإمكان، والمقاومة مستمرة من دون هوادة... جهاد شعلته لا تنطفئ، وثورة نارها لا تخمد، مقاومة عمودها الفقري الشعب بصموده ونضاله، وذروة سنامها الكفاح المسلّح، وأرقى درجاتها العمل الاستشهادي، وتزداد قوتها وفاعليتها بوجود جبهة فلسطينية موحدة بمشروع تحرير وطني واستراتيجيته الجهاد والمقاومة، وبوجود جبهة عربية إسلامية بوصلتها القدس وهدفها فلسطين ومحورها المقاومة... وهي بعد ذلك وقبله مقاومة منتصرة لا محالة بوعد الله الصادق، وعد الآخرة "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا".

فلسطينيو النقب وديمومة النكبة والمقاومة

كتب بتاريـخ:

20 يناير 2022م

بعد نشأة الكيان الصهيوني، قال ديفيد بن غوريون معبراً عن مأزق الكيان السكاني والآمني في النقب: "صحراء النقب هي المساحة الأوسع والأكثر فراغاً في البلاد، وعليه فإن من الخطر جداً أن تتسامح إسرائيل مع وجود صحراء بداخلها، فإذا لم تَلغِ الدولة تلك الصحراء، فستلغي الصحراء الدولة".

تجاهل وجود فلسطينيي النقب المهجرين والصامدين هو الجزء الأول من الرواية الصهيونية المزيفة (أرض بلا شعب)، والاستيطان اليهودي في النقب هو جزؤها الثاني (لشعبٍ بلا أرض). والرواية بجزءيها - التهجير والاستيطان - اسمها (حلم بن غوريون). الحلم الذي قدم بن غوريون نفسه قدوة عملية لتحقيقه، فترك بيته في المستوطنة الكَبرى تل أبيب وسط الكيان، ليسكن في كوخٍ صغير في مستوطنة (سديه بوكر) الصغيرة جنوب الكيان في النقب عام 1953م، بعد انتهاء مرحلة رئاسته الأولى للوزراء، واستمر مقيماً فيه حتى وفاته عام 1973م، ليتحول كوخه إلى متحف يزوره الصهاينة - مستوطنين وسياحاً - وليكون معلماً استيطانياً محرضاً اليهود على الاستيطانً في النقب وكل فلسطين.

لم ينس الصهاينة (حلم بن غوريون) رغم مرور سبعة عقود عليه، فكتبت إيليت شاكيد - وزيرة داخلية الكيان الصهيوني - على منصة (تويتر) في صفحتها الرسمية مبتهجة بإعلان حكومتها إقامة مستوطنة (حنون) الجديدة في النقب: "حلم بن غوريون يتجسد أمام أعيننا بشكل عملي بإقامة مستوطنات جديدة وتحقيق الحلم الصهيوني في إعمار النقب".

مستوطنة حنون كانت آخر حلقات الاستيطان اليهودي في النقب، فهي عملية مستمرة في النقب وكل فلسطين في مشهد يجسد ديمومة النكبة الفلسطينية، وزرع النقب بالمستوطنات اليهودية تسبقه عملية زرع النقب بالأشجار التي كانت فكرة ديفيد بن غوريون - أحد أهم مؤسسي الكيان - قائلاً: "علينا غرس النقب بمئات الآلاف من الأشجار"، وأوكل تنفيذ هذه المهمة الاستيطانية إلى ما يعرف بالصندوق القومي اليهودي (كيرن كيميت ليسرائيل) المعروف اختصاراً بـ(كاكال)، المسؤول

عن تمويل الاستيطان اليهودي في فلسطين مطلع القرن العشرين، والمسؤول حالياً عن عملية تشجير النقب، كمدخل لنزع ملكيتها من فلسطينيي النقب، تمهيداً لإقامة المستوطنات عليها تحت شعار: إن لم نصمد في الصحراء فستسقط تل أبيب.

مشروع التشجير في النقب هو زراعة أرض النقب المملوكة للفلسطينيين بالأشجار باعتبارها أراضي دولة، بهدف إبعاد أصحاب الأرض الفلسطينيين عن أرضهم ومنعهم من رعي أغنامهم فيها واستخدامها في الزراعة الموسمية، وهذا يعني اقتلاعهم من أرضهم التي عاشوا عليها رعاة ومزارعين منذ فجر التاريخ، وتحويلهم من منتجين إلى مستهلكين يضطرون إلى العمل بالأجر في خدمة المستوطنات اليهودية والمؤسسات الإسرائيلية.

آخر هذه المشاريع الاستيطانية ما يحدث الآن في منطقة (النقع) في النقب، التي تضم (6) قرى بدوية غير معترف بها من حكومة الاحتلال، ومنها قرية (سعوة الأطرش) التي بدأت عملية التجريف والتشجير منها، فكانت هبة النقب التي توحد فلسطينيو النقب فيها للدفاع عن أرضهم، وخلفهم كل الشعب الفلسطيني في فلسطين التاريخية من البحر إلى النهر، وفي الشتات، في مشهد يعبر عن الوجه الآخر لديمومة النكبة، وهو ديمومة المقاومة التي توحد الشعب الفلسطيني دفاعاً عن الأرض والقدس والأسرى والكرامة، كما ظهر ذلك جلياً في معركة وانتفاضة "سيف القدس" العام الماضي.

مقاومة التشجير الاستيطاني هي أحد أشكال الصراع على الأرض في فلسطين بين الصهيونية - حركة ودولة - والشعب الفلسطيني، وهي جوهر الصراع بين العرب واليهود بأبعاده الجغرافية والتاريخية والحضارية والدينية... ولذلك كانت (الخطة دالت) للحركة الصهيونية ومنظماتها العسكرية الإرهابية في حرب النكبة عام 1948م، التي تتلخص بالاستيلاء على أكبر مساحة من الأرض الفلسطينية مع أقل عدد ممكن من السكان الفلسطينيين، وهذا يتطلب تهجير الشعب الفلسطيني من أرضه قسراً بالعنف الدموي والإرهاب النفسي، فكانت النتيجة الاستيلاء على (78%) من فلسطين وطرد (800) ألف فلسطيني منها، وبقاء (150) ألف فلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني، عدد فلسطينيي النقب منهم (13) ألفاً من أصل (90) ألف فلسطيني يعيشون في النقب قبل النكبة، وقد تضاعف عددهم بعد عشرات السنين بفعل الزيادة الطبيعية المرتفعة إلى نحو (300) ألف فلسطيني، يعيش أكثر من

ثلثهم في قرى غير معترف بها إسرائيلياً، وتطاردهم (الدوريات الخضراء) يومياً، فتقوم بمصادرة أغنامهم، وتدمير محاصيلهم، وهدم بيوتهم، وتخريب قراهم.

الدوريات الخضراء التي أنشأها الإرهابي شارون عام 1976م عندما كان وزيراً للزراعة في الكيان الصهيوني، كانت إحدى وسائل انتزاع الأرض في النقب من أيدي أصحابها الفلسطينيين البدو؛ فالقوانين أداة بأيدي حكومات الكيان للاستيلاء على الأرض في كل فلسطين المحتلة بعد النكبة، ومنها: قانون أملاك الغائبين، وقانون شراء الأراضي، وقانون التخطيط والبناء، وقانون تطوير النقب... ولكن أهم وسيلة للاستيلاء على أراضي النقب هي عدم الاعتراف بالملكية العرفية العشائرية للأرض، وطردهم منها لحصرهم في مثلث بئر السبع وعراد وديمونا، في مساحة (5%) من النقب، واتباع سياسة التوطين القسري في قرى سكنية محدودة المساحة الجغرافية ومعدومة إمكانيات العمل والإنتاج عبر مشاريع متعددة، كمشروع (مخطط برافر) عام 2013م لتجميع فلسطينيي النقب في (7) مراكز سكنية، وتدمير (38) قرية بدوية غير معترف بها، والاستيلاء على (800) ألف دونم، ولكن المقاومة الفلسطينية الشعبية أسقطت المخطط، ليستمر تطبيقه تدريجياً بوسائل أخرى، تم فيها الاستيلاء على مساحات واسعة من الأرض، لإقامة مصانع الأسلحة ومناجم الفوسفات ومعسكرات تدريب عليها، وفتح طرق للسيارات والقطارات عليها.

مشهد انتزاع الأرض من أصحابها في فلسطين عامة والنقب خاصة يدل على ديمومة النكبة كحدث دائم شاهد على المأساة الفلسطينية المتجددة، والمشهد الآخر هو دفاع الشعب الفلسطيني عن أرضه، وآخر صوره في النقب المحتل الصامد، كدليل على ديمومة المقاومة الفلسطينية كحدث دائم يتجسد بالوجود على الأرض الفلسطينية وعدم الهجرة منها، والصمود تمسكاً بها رغم بطش الاحتلال، والدفاع عنها بالعرق والدم والروح... فالأرض عند الفلسطيني ليست مجرد تراب... الأرض دم الشهداء والجرحى، ودمع المكلومين والمعذبين، وعرق الفلاحين والكادحين، وألم الأسرى والثكلى، وشوق اللاجئين والمنفيين، ورائحة الآباء والأجداد، وعنفوان الثوار والأحرار... الأرض روح تسري في عروق الشعب، كما تسري روح الشعب في عروق الأرض.

الثورة الفلسطينية والصراعات العربية.. اليمن نموذجاً

كتب بتاريـخ:

28 يناير 2022م

منذ نشأة منظمة التحرير الفلسطينية كإطار وطني للشعب الفلسطيني يقود ثورته المعاصرة نحو التحرير والعودة والاستقلال، كان السؤال العربي حاضراً في الفكر السياسي لفصائل الثورة الفلسطينية، وكان السؤال يدور حول علاقة الثورة الفلسطينية بمحيطها العربي وما يحدث فيه من صراعات داخل الدولة الواحدة وبين الدول المختلفة، وبالتحديد تركّز السؤال في خيارين: هل من مصلحة الثورة الفلسطينية اتخاذ موقف الانحياز لصالح طرف معين بحسب قربه من فلسطين وبعده عنها؟ أو اتخاذ موقف الحياد أمام كل الأطراف مهما كان موقفهم قريباً من فلسطين أو بعيداً عنها؟ وكان الجدل خاصاً بفصائل المنظمة؛ وعندما نشأت حركتا الجهاد الإسلامي وحماس، أصبحتا جزءاً من هذا الجدل المتواصل بشأن علاقة الثورة الفلسطينية بالصراعات العربية، وآخرها الصراع اليمني الداخلي والصراع اليمني - السعودي الإماراتي.

الميثاق الوطني الفلسطيني تناول ذلك الجدل في المادة (27)، فنص على: "تتعاون منظمة التحرير الفلسطينية مع جميع الدول العربية كل حسب إمكانياتها، وتلتزم الحياد فيما بينها في ضوء مستلزمات معركة التحرير، وعلى أساس ذلك لا تتدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة عربية". وتبنت حركة فتح في نظامها الداخلي موقف الحياد نفسه في المادة (26)، فنصت على أن: "حركة فتح لا تتدخل في الشؤون المحلية للدول العربية، ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها أو بعرقلة كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه". وحركات اليسار الفلسطيني اتخذت موقفاً مرناً يربط بين النضال الوطني والقومي والطبقي، واعتبرت المعركة واحدة ضد الصهيونية والإمبريالية والرجعية. أما حركة حماس فنصت وثيقتها السياسية على أنها: "ترفض التدخل في الشؤون الداخلية للدول، كما ترفض الدخول في النزاعات والصراعات بينها"، فكانت بذلك تتبنى موقف الحياد كما المنظمة.

أما حركة الجهاد الإسلامي فكان لها موقف متميز في وثيقتها السياسية. وجاء في الوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين تحت عنوان (الأمة العربية والإسلامية) النص التالي: "تحرص

الحركة على الانفتاح على مختلف بلدان أمتنا العربية والإسلامية، وإقامة علاقات إيجابية مع الجميع، لنصرة وخدمة قضيتنا وشعبنا، ويتحدد موقف الحركة من هذا الطرف أو ذاك بناء على موقفه من قضية فلسطين ومستوى دعمه المادي والمعنوي لها، وأقله دعم وإسناد صمود شعبنا وثباته على أرضه وحقه في المقاومة للدفاع عن نفسه وأرضه ومقدساته في مواجهة العدوان الصهيوني المستمر".

وكانت أخطر مرحلة في تاريخ الحركة أثناء (ثورات الربيع العربي)، وتلخّص موقف الحركة في جزء من خطاب الأمين العام السابق الراحل الدكتور رمضان شلّح في ذكرى الانطلاقة الجهادية عام 2016 بقوله: "لقد كان موقفنا منذ بداية الحريق المشتعل في المنطقة هو عدم الزج بفلسطين وقضيتها في المحاور والصراعات التي تعصف بالأمة، وأن فلسطين التي اعتبرها العرب يوماً القضية المركزية للأمة هي القادرة دوماً على تصويب البوصلة وإخراج الأمة من هذا الطوفان الذي قد لا ينجو منه أحد".

حافظت حركة الجهاد الإسلامي على حيادها أثناء (ثورات الربيع العربي)، واجتهدت بنجاح لئلا يصل الحريق الى فلسطين من بابها، بينما ظلت نصوص الحياد وعدم التدخل والنأي بالنفس في وثائق كثير من فصائل الثورة الفلسطينية حبراً على ورق، أو تم تطبيقها بشكل انتقائي على الصراعات العربية في البلد الواحد وبين البلدان المختلفة، وعلى أساس المصالح الحزبية حيناً والانتماءات الفكرية والتنظيمية أحياناً.

وبعيداً عن التنظير والتبرير، أو الحق والباطل، أو الصواب والخطأ، فقد تورطت الثورة الفلسطينية أو أحد فصائلها في صراعات دموية وخلافات سياسية عديدة في الدول العربية وبينها، ومنها: الصراع الدموي مع النظام الأردني المعروف بأيلول الأسود عام 1970م، والحرب الأهلية اللبنانية عام 1975م، وتأييد الغزو العراقي لدولة الكويت عام 1990م، والانحياز للإخوان المسلمين في مصر عام 2013م، والاصطفاف مع المعارضة السورية المسلحة عام 2012م، وتأييد أحد أطراف الصراع في اليمن تحت مبرر دعم (الشرعية السياسية) المدعومة سعودياً وأميركياً... وغيرها من المواقف التي كانت لها ارتدادات كارثية على الشعب الفلسطيني.

واليمن كآخر هذه النماذج لعلاقة الثورة الفلسطينية بالصراعات العربية، تبنى كثير من الفصائل الفلسطينية الموقف الرسمي العربي بدعم (الشرعية السياسية) ممثلة بالرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي والتحالف اليمني معه، ضد حركة أنصار الله المعروفة في الإعلام العربي بـ (جماعة الحوثي)، نسبة إلى زعيمها السيد عبدالملك الحوثي وعائلته، بينما التزمت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الصمت باعتباره صراعاً يمنياً داخلياً تدعو إلى حله بالحوار الوطني على أساس القواسم اليمنية والعربية والإسلامية المشتركة والمصالح المشتركة للشعب اليمني للخروج من مأزق اليمن... وعندما تحول الصراع اليمني الداخلي إلى صراع إقليمي، بعدما أنشأت السعودية تحالفاً عربياً بدعم أميركي لدعم ما سمته (الشرعية)، تغيرت المعايير الضابطة للموقف من الصراع. فمع الوقت، واستمرار الحصار والقصف والمذابح ضد المدنيين، لم يعد لحرب التحالف السعودي على اليمن سوى اسم العدوان، خاصة بعدما انسحب من التحالف الجميع، ما عدا النظامين السعودي والإماراتي اللذين يقودان في الوقت نفسه عملية التطبيع والتحالف العربي مع "إسرائيل".

عند ذلك الحد من الحرب على اليمن والعدوان العسكري، ولا سيما بعد مذبحتي صعدة والحديدة الأخيرتين، لم يعد للصمت معنى سوى المشاركة في الجريمة المتواصلة ضد الشعب اليمني المظلوم، وكان الوقوف ضد الحرب العبثية المجنونة واجباً أخلاقياً، والانحياز الى المظلومين اليمنيين فريضة دينية، والتضامن مع الطرف الأقرب الى فلسطين مطلوباً وطنياً... فهذه صنعاء التي تخرج عن بكرة أبيها تضامناً مع شعبنا ومظلوميته، وآخرها بعد معركة سيف القدس حين قدم اليمنيون قوت أبنائهم لفلسطين والمقاومة، ووقوفهم إلى جانب المعتقلين الفلسطينيين في السعودية.

وفي هذا السياق جاءت مسيرة اليمن في غزة وشعاراتها المركزية: أوقفوا الحرب على اليمن، لا للحرب على اليمن، نعم لوحدة اليمن واستقرار أرضه وأمن شعبه، اليمن مكون حضاري أصيل وتدميره يخدم الأعداء... واجتهد بعض المشاركين في المسيرة برفع صور رموز محور المقاومة ضد الاستعمار الأميركي والاحتلال الإسرائيلي، لتأكيد أن صراعنا هو مع العدو الصهيوني، العدو الحقيقي للأمة، الذي يقف في مواجهته محور المقاومة وقادته الذين رفعت صورهم؛ فرسالة المسيرة واضحة ضد الحرب على اليمن المتواصلة منذ سبع سنوات من التحالف السعودي الإماراتي، وحفظ الأرواح وحقن الدماء

وتوفير الأموال وتوجيه طاقات العرب من إعلام وسلاح وأموال لخدمة قضايا الأمة الحقيقية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

هذه هي رسالة مسيرة اليمن الداعية إلى وقف الحرب العبثية، وما دون ذلك من رسائل ومضامين مذهبية وحزبية وسياسية حملت للمسيرة، غير موجود إلّا في أوهام فكر مذهبي متعصب، مجرد أداة لإشعال الفتنة لصالح أعداء الأمة، أو ظنون فكر حزبي متطرف، أو ترهات فكر سياسي متحذلق... فالمسيرة والحركة والشعب مع اليمن ضد العدوان والإرهاب؛ ومع اليمن ضد التجزئة والانقسام، ومع اليمن ضد الإهانة والإذلال.

دورة المجلس المركزي الفلسطيني.. نفق في آخر النفق

كتب بتاريـخ:

3 فبراير 2022م

بات من المؤكّد، بعد عدة تأجيلات، أن المجلس المركزي الفلسطيني سيعقد في رام الله يوم الأحد، الموافق في السادس من فبراير/ شباط الحالي، وبات من المؤكّد أيضاً أنّه سيعقد من دون مشاركة ثلاث حركات مقاومة مركزية في الساحة الفلسطينية، هي حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية.

ووفقاً لتصريح السيد سليم الزعنون - رئيس المجلس الوطني الفلسطيني - فإن الملفات التي سيناقشها المجلس المركزي هي: ما تتعرض له القضية الفلسطينية من حرب استعمارية استيطانية مفتوحة على كامل الأرض الفلسطينية، وخاصة في مدينة القدس المحتلة، إضافة إلى جمود "عملية السلام" في الشرق الأوسط، والدعوة إلى عقد مؤتمر دولي للسلام تحت مظلة الأمم المتحدة لتحريكها، وسبل تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية وآليات تطويرها وتفعيلها، وأخيراً كيفية حماية المشروع الوطني الفلسطيني، ممثلاً في تجسيد دولة فلسطين المستقلة ذات السيادة، وفقاً لقرارات الشرعية الدولية.

سليم الزعنون لم يوضح كيف سيناقش المجلس المركزي الفلسطيني هذه الملفات الكبيرة، ويحلّها في يوم واحد أو يومين؟!، وكيف اكتشف الفشل في ملفات مواجهة الاحتلال، والتسوية السلمية، والوحدةَ الوطنية، والمشروع الوطني فجأة؟! وكيف سيرسم المجلس المركزي استراتيجية مواجهة الاحتلال والاستيطان والتهويد تحت حراب الاحتلال؟!، وجدوى عقد مؤتمر دولي للسلام للقضية الفلسطينية، وإمكان تحقيق الوحدة الوطنية عبر منظمة التحرير في دورة للمجلس المركزي بلونٍ واحد تقريباً، وواقعية تجسيد الدولة الفلسطينية المستقلة على أرض زرِعت بالمستوطنات اليهودية وقطّعت بالحواجز العسكرية... وأسئلة عديدة أخرى من دون إجابات، ولكنها تعطينا مؤشرات لمعرفة ماذا ينتظرنا في آخر نفق دورات المجلس المركزي الفلسطيني، وهذا يتطلب العودة إلى بداية النفق السياسي الذي دخله المجلس المركزي الفلسطيني، ومعه منظمة التحرير الفلسطينية.

تقرر تشكيل المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية في الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني عام 1973م، لمعاونة اللجنة التنفيذية للمنظمة في تنفيذ قرارات المجلس الوطني وإصدار التوجيهات المتعلقة بتطورات القضية الفلسطينية بين دورات المجلس الوطني، وبذلك يعتبر هيئة وسطاً بين المجلس الوطني واللجنة التنفيذية. ويتكون من اللجنة التنفيذية وممثلين لفصائل المنظمة والاتحادات النقابية وشخصيات وطنية. وقد بدأ بعدد (32) عضواً في الدورة الأولى عام 1985م، وتضخّم العدد مع توالي الدورات ليصل إلى (143) عضواً في الدورة الثلاثين عام 2018م.

ولقد دخلت دورات المجلس المركزي النفق السياسي منذ بدايتها، مع تحول الفكر السياسي الفلسطيني للمنظمة باتجاه تقاسم فلسطين مع الكيان الصهيوني، بعد طرح مشروع النقاط العشر عام 1974 م، فكان جاهزاً لتبرير التحول من النضال الوطني إلى التسوية السياسية، ومن الحقوق الوطنية إلى الشرعية الدولية، ومن الكفاح المسلح إلى المؤتمر الدولي، ومن التحرير الكامل إلى "السلام العادل"... وصولاً إلى الجانب الإسرائيلي بدلاً من العدو الصهيوني... فكانت دورات المجلس المركزي تجسيداً لتراجع الفكر السياسي الفلسطيني كمحطات على طريق قطار المشروع الوطني الفلسطيني الذي دخل نفقاً طويلاً مظلماً نحو المجهول، كانت الدورة العاشرة للمجلس إحدى محطاته الفاصلة.

أقرت الدورة العاشرة للمجلس المركزي في تونس عام 1991م المشاركة في مؤتمر مدريد للسلام ضمن الوفد الأردني الفلسطيني المشترك، وأقرت الدورة الحادية عشرة عام 1992م مبدأ (الأرض مقابل السلام) على أساس قراري الأمم المتحدة 242 – 338، وأقرت الدورة الثانية عشرة عام 1993م بعد اتفاقية أوسلو إنشاء (السلطة الوطنية الفلسطينية) ... فكان المجلس المركزي بتلك القرارات يقود عملية التحول في المنظمة نحو نهج التسوية السلمية، ويتوغّل بعمق في النفق السياسي الذي دخلته المنظمة وعلقت داخله. وبعد إنشاء السلطة، عقد المجلس دوراته في غزة ثم رام الله، ليشغل نفسه في قرارات بناء سلطة من دون سلطة، وتجسيد دولة من دون سيادة، وترسيخ نهج سلام أشبه بالاستسلام... وبعد أحداث الانقسام عام 2007م كانت دورات المجلس المركزي ترسيخاً للانقسام،

وتركيزاً للقرار الفلسطيني بيد فريق التنسيق الأمني، واحتكاراً لمنظمة التحرير الفلسطينية بيد فئة فرغت المشروع الوطني من مضمون التحرير.

بناء على هذا السياق لدورات المجلس المركزي الفلسطيني، التي وصلت إلى آخر محطات التيه في النفق السياسي الفلسطيني بتعزيز سيطرة فريق التنسيق الأمني على المنظمة والسلطة وفتح، ليدخل المجلس المركزي نفقاً جديداً في آخر النفق السياسي سيكون بدوره مدخلاً جديداً لتكريس الفشل والعجز في الملفات الأربعة التي طرحها السيد سليم الزعنون، لتناقش في الدورة المقبلة للمجلس؛ فمواجهة الاحتلال والاستيطان ستصبح تعاوناً مع الاحتلال وتعايشاً مع الاستيطان، والدعوة إلى المؤتمر الدولي للسلام ستصبح نهجاً للهروب من عجز تحويل السلطة إلى دولة أو عدم الرغبة في العودة إلى الثورة، وحصر الوحدة الوطنية بمنظمة التحرير بوضعها الحالي البائس لن يقود إلى تحقيق الوحدة الوطنية وسيؤدي إلى استمرار نهج الإقصاء لحركات المقاومة الفلسطينية، والمشروع الوطني الفلسطيني بتجسيد الدولة الفلسطينية على جزر سكانية محاطة بالمستوطنات الإسرائيلية هو وهم اختزل المشروع الوطني وقزمه، بعد أن استولى عليه أشباه الرجال وأمثال الثوار.

الدورة المقبلة للمجلس المركزي الفلسطيني لن تكون مختلفة عن الدورات السابقة للمجلس سوى بمزيدٍ من العجز والفشل أمام الاحتلال والاستيطان والتهويد، ومزيدٍ من ترسيخ الانقسام والإقصاء، ومزيدٍ من الهرولة وراء سراب المؤتمر الدولي ووهم الدولة المستحيلة... وستصل الدورة المقبلة بالمجلس المركزي ومنظمة التحرير إلى آخر نفق التنازلات الوطنية لتدخل نفقاً آخر عنوانه التعايش مع الاحتلال والاستيطان، قد لا تخرج منه أبداً، لتفسح في المجال أمام إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية بثوب جديد يحافظ على تراث النضال الوطني الفلسطيني، ويبعثه في إطار جديد، لتكون بيتاً حقيقياً لكل الفلسطينيين المتمسكين بحقوقهم الوطنية الكاملة، وفي مقدمتها حق تحرير فلسطين الكاملة من البحر إلى النهر، وحق عودة كل اللاجئين إلى وطنهم ومدنهم وقراهم، وحق الاستقلال الوطني الكامل، في إطار الانتماء العروبي والإسلامي، وبدعم من كل أحرار الأمة ومقاوميها، المؤمنين بوعد الآخرة وإساءة وجوه بني إسرائيل حتى زوال كيانهم.

محمد صبحي.. يستتاب وإلا قتل

كـــتب بتاريـــخ:

10 فبراير 2022م

"يستتاب فإن تاب وإلّا قتل"، جملة تكررت مئات المرات في فتاوى الإمام أحمد بن تيمية، كثير منها في قضايا هامشية وفرعية مختلف فيها بين العلماء، مثل: النية في الصلاة.. جهرية أم سرية؟ وزيارة القبور.. حلال أم حرام؟ والمسافر في رمضان.. يفطر أم يصوم؟ والقرآن الكريم.. قديم أم مخلوق؟

واعتبرت العبارة أعلاه مؤشراً لتطرف مدرسة ابن تيمية السلفية، التي زادها تلامذته تطرفاً مع توالي القرون، وصولاً إلى القرن الثامن عشر الميلادي، عندما أعاد الشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب إنتاج أفكاره بطبعة صحراوية جافة عنوانها (السلفية الوهابية)، بعد تأسيس الدولة السعودية الوهابية الأولى بعقد بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود – أمير الدرعية - جوهره احتكار تقاسم السلطتين: الدينية والسياسية بينهما، فظل هذا العقد هو الأساس في نشأة الدولة السعودية الوهابية الثانية، ثم الثالثة مطلع القرن العشرين على يد عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، فتلاقح الاستبداد السياسي والتطرف الديني في دولة واحدة نهجها السياسي والديني شعاره (يستتاب وإلا قتل) ضد المخالفين والمختلفين، ليكون مصيرهم - إذا لم يتوبوا – القتل جسدياً بالموت تحت الأرض، أو القتل معنوياً بالموت فوق الأرض.

القتل الجسدي للمخالفين والمختلفين طَبق جماعياً بطريقة (يستتاب وإلا قتل) في مرحلة تأسيس المملكة الثالثة، عبر عشرات المذابح الجماعية في الجزيرة العربية، والتي قُتل فيها عشرات الآلاف، كمذابح تربة والطائف والقصيم وتهامة وعسير ووادي تنومة وغيرها. وطَبق فردياً على عدد لا حصر له طوال عهد المملكة، وفي العقد الأخير فقط هناك العديد من الأمثلة، منها قتل الشيخٍ نمر باقر النمر إعداماً بالسيف بتهمة الخروج على ولي الأمر، في خلط مقصود بين معارضة الحاكم ونقد سياسة الحكم السعودي الوهابي في التفرقة بين مواطني المملكًة بحسب مذهبهم، وبين الخروج المسلح على الحاكم. ومنها قتل الإعلامي السعودي المعارض جمال خاشقجي تقطيعاً بالساطور، فقط لأنه مختلف عن شخصيات النسخ الكربونية المكررة التي يطبعها النظام بالآلاف من المثقفين المترفين المسبحين بحمد أولياء الأمور. ومنها القتل البطيء لأحد رموز تيار الصحوة في المملكة، العالم

الدكتور سلمان العودة، داخل السجن، بالإهمال الطبي والتدمير النفسي، وفق شهادة ابنه الدكتور عبد الله العودة، بسبب دعوته إلى الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، ومحاربة الفساد الإداري والمالي، ومطالبته بتطبيق المساواة والشورى.

القتل المعنوي للمخالفين مع نظام حكم الاستبداد والتطرف طَبق جماعياً بمنهجية (يستتاب وإلا قتل) في المملكة ضد شعوب ومجتمعات وجماعات مخالفة أو مختلَفة عن النهج السياسي والمذهب الديني للمملكة، مثل: تحقير شعوب اليمن، وتكفير مجتمعات الشيعة، وشيطنة جماعة الإخوان المسلمين، وتجريم حركات المقاومة اللبنانية والفلسطينية واتهامها بالإرهاب.

والقتل المعنوي للمَخالفين والمَختلفين طَبق فردياً على عدد لا حصر له طوال عهد المملكة، وفي العقد الأخير فقط يمكن ذكر بعض الأمثلة، منها: القتل المًعنوي لأحد رموز تيار الصحوة العالم الدكتور سفر الحوالي، بسبب معارضته للنظام ودعوته الشجاعة إلى الإصلاح الديني والسياسي، فتعرض لحملة تشويه مكارثية تولّى كبرها (هيئة كبار العلماء)، أعلى سلطة دينية في المملكة، انتهت بتغييبه عن الوعظ والخطابة في البيت، ثم بتغييبه عن الحياة في السجن. ومنها محاولة القتل المعنوي للإعلامي اللبناني جورج قرداحي بسبب معارضته الحرب السعودية على اليمن ووصفها بأنها حرب عبثية، بعد سبع سنوات من استباحة الدم اليمني، فكان ذلك كافياً لقيام النظام ومرتزقته بشن حملة تشويه مكارثية ضده وضد كل من دعمه بطريقة غوغائية استعلائية. وآخرها محاولة القتل المعنوي الفاشلة للفنان المصري الكبير محمد صبحي.

محاولة القتل المعنوي للفنان محمد صبحي جاءت على خلفية النقد الذي وجهه لتقديم الفن في السعودية تحت عنوان (الترفيه)، فانتقد مهرجان (موسم الرياض الترفيهي)، الذي تنظّمه (هيئة الترفيه السعودية)، برئاسة تركي آل الشيخ، الذي يوزع جوائز (صناع الترفيه) على الفنانين والفنانات في المهرجان، فقال محمد صبحي: "أرفض السفر لعمل فني إلى السعودية، لأني كفنان لا أقبل أن أقدم فناً تحت عنوان الترفيه، أنا مش مرفهاتي، الفن جزء من الترفيه والمتعة". وقال إنه رفض عرض الهيئة بقيمة أربعة ملايين دولار لعرض مسرحية (خيبتنا) لهذا السبب، معتبراً أن الثقافة والفن ليسا ترفيهاً فقط. فكان هذا الرأي المخالف لرأي زعيم الترفيه والمختلف عن فلسفة الفن الترفيهي لنظام الحكم السعودي، سبباً لبدء حملة إعلامية مكارثية شرسة ضده، أطلق رصاصتها المرفهاتي الأول تركي آل

الشيخ، مستهزئاً وساخراً بالفنان محمد صبحي، فوصفه بأنه (مشخصاتي)، معتقداً بجهله أنها تحمل مضموناً سلبياً يقلّل من قيمة الممثل، وجاهلاً أنها كانت تَطلق على الممثل في النصف الأول من القرن العشرين باعتباره يجسد ويتقمص دور شخصيات عديدة على المسرح غير شخصيته الأصلية، ولكن آل الشيخ لم يفهمها كما لم يفهم رسالة الفن.

رسالة الفن التي لم يفهمها المرفهاتي الأول في المملكة وأولياء أمره وكل نظام حكم الاستبداد والتطرف، وضحها محمد صبحي من خلال مدرسته المسرحية القائمة على (كوميديا الموقف)، كما ظهرت في مسرحيته (خيبتنا) التي رفض عرضها في المملكة تحت عنوان الترفيه، فقال موضحاً: "إن الكوميديا في الخيال وفي الواقع واحدة، وهي تطرح سؤالاً مهماً: هل عندما تنظر إلى المرآة وترى نفسك مشوهاً، هل ترى العيب في المرآة فتكسرها؟! أم ترى الأصوب أن تبادر إلى إصلاح نفسك؟!"، لذلك فهو يرى البدء بإصلاح الذات الفردية والجماعية، واستعادة ثقتنا بأنفسنا وتاريخنا وتراثنا وقيمنا، والاستفادة من تجارب الآخرين من دون التخلّي عن هويتنا، وأن تغيير ما في النفس هو بداية لتغيير واقعنا ومغادرة خيبتنا، فالفن بهذا المفهوم رسالة ثقافية، وفكرة فلسفية، ومتعة فنية... هذه الرسالة لم يفهمها تركي آل شيخ ونظامه، فطبقا على محمد صبحي منهجية (يستتاب وإلا قتل)، فحاولوا قتله معنوياً بحملة شارك فيها أبواق النظام ومرتزقته من المدافعين عن النهضة الفنية المزيفة، القائمة على فلسفة الترفيه، واستيراد الفنانين بالمال، والعري الجسدي والأخلاقي، والإفلاس الفكري والقيمي.

النهضة الفنية الحقيقية تنبع من الذات والجذور، وتجمع بين الأصالة والإبداع، وتلتزم بقضايا الأمة والوطن، وتنسجم مع التصور الإسلامي الإنساني، وتحقق مقاصد الدين وإرادة الأمة، وترتقي بذوق الشعب وإحساسه، وتلتقي فيها قيمتا الجمال والحق، فيكون الشكل جميلاً والمضمون حقاً، فيولد من الجمال والحق الإبداع في: قصيدة شاعر، ونثر أديب، وقصة راوٍ، ولوحة رسام، وتمثال نحات، ولحن موسيقار، وترنيمة مغنٍ، وأداء ممثل...

والنهضة الفنية الحقيقية لا تولد أو تعيش في ظل نظام يطبق منهج (يستتاب وإلا قتل) مع المخالفين، فلا يحتمل وجود المخالفين، ويضيق ذرعاً بالمختلفين، فيقوم بتغييبهم بالموت تحت

الأرض بالقتل الجسدي، أو بالموت فوق الأرض بالقتل المعنوي، ولكن هيهات له ذلك، وشمس الحرية تشرق بالكرامة والمقاومة صباح كل يوم جديد.

مسادا ستسقط ثانية

كـتب بتـاريـخ:

16 فبراير 2022م

مسادا كلمة عبرية تشير إلى قلعة فوق جبل صخري، تطل على الشاطئ الغربي للبحر الميت، أصلها بالعربية جبل مسعدة، وقصتها بحسب الأسطورة اليهودية وقعت في العهد الروماني بعد التمرد اليهودي في القدس عام 70 للميلاد، عندما هرب نحو ألف يهودي إلى القلعة، وتحصنوا فيها، فلحقهم الجيش الروماني وحاصر القلعة لمدة ثلاثة شهور، حتى تمكن من فتح ثغرة فيها واقتحمها عام 73م، فاتخذ اليهود المتحصنين في القلعة قراراً بالانتحار الجماعي كي لا يقعوا في أسر الرومان، ويكون مصيرهم العبودية والقتل، ففضّلوا الموت على الذلّة، بحسب الرواية اليهودية، المنقولة عن المؤرخ اليهودي يوسفوس فلافيوس، نقلاً عن امرأتين يهوديتين نجتا من القلعة، وسجلها عبد الوهاب المسيري في موسوعته "اليهود واليهودية والصهيونية".

اتخذت الحركة الصهيونية من الرواية اليهودية المشكوك في صحتها علمياً (مأساة مسادا) رمزاً "للبطولة اليهودية"، التي تفضل الموت على حياة العبودية، وحولت أسطورة مسادا إلى عقيدة مقدسة، واتخذتها رمزاً لصمود "الشعب اليهودي"، ودافعاً للتضحية والفداء من أجل الحرية، وتحريضاً على الموت من أجل الأرض. واتخذها جيش الاحتلال الإسرائيلي مكاناً لمراسم حلف اليمين السنوية للجنود الجدد، كرمزٍ وطني مقدس لا يقل أهمية عن "حائط المبكى" وفق تسميتهم (أي "حائط البراق") كرمزٍ ديني مقدس، فيحلف الجنود بأن "مسادا لن تسقط ثانية".
وعندما زار الرئيس الأميركي جورج بوش الابن الكيان الصهيوني، زار قلعة مسادا، وأقسم أمام الكنيست الإسرائيلي "أن مسادا لن تسقط ثانية".

قسم الجنود وبوش أن "مسادا لن تسقط ثانية" هو من باب الأحلام التي لا يوجد لها مصداقية واقعية وتاريخية ودينية، فكل معطيات الواقع، وحقائق التاريخ، ونصوص الدين، تؤكد أن المسادا الكبرى المسماة "إسرائيل" ستسقط كما سقطت المسادا الصغرى، فلعنة "عصاب المصير" التي ساقت اليهود إلى التدمير الذاتي انتحاراً – بحسب الرواية اليهودية – ستتكرر وتسوق اليهود في الكيان

الصهيوني إلى التدمير الذاتي بأيديهم، وتستدعي التدمير الخارجي بأيدي غيرهم، كما حدث ذلك مرات عديدة على مر التاريخ، كما أخبرنا القرآن الكريم "يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ"، فعصاب المصير أو القدر هو المأزق اليهودي الوجودي الذي يتكرر عبر التاريخ، ويؤدي بهم إلى نهايات واحدة مأسوية، صنعوها بأيديهم بسبب إيمانهم بعقيدة عنصرية استعلائية، تحتقر الآخرين (الغوييم)، وتستجلب عداءهم وغضبهم وانتقامهم... ولن تفلت "إسرائيل" من تلك النهاية المأسوية الانتحارية.

عصاب المصير اليهودي والمأزق الوجودي الإسرائيلي عبر عنهما ديفيد بن غوريون، أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني، بقوله: "إن جوهر مشكلتنا الأمنية هو وجودنا بالذات، وهذا هو المعنى الفظيع لمشكلتنا الأمنية"، معبراً عن ارتباط فقدان الأمن بفقدان الوجود كحالة خاصة من بين دول العالم، وحتى بعد انتصار "إسرائيل" في ثلاث حروب متتالية، من النكبة إلى النكسة مروراً بالعدوان الثلاثي، ظلّ المأزق الوجودي الذي يسكنها، وكاد يؤدي إلى انهيارها في حرب أكتوبر عام 1973م لولا الدعم الأميركي والتراجع العربي، ولم تؤد حرب لبنان الأولى عام 1982م - رغم انتصارها العسكري - إلى التخلّص من مأزقها الوجودي بسبب ظهور المقاومة الإسلامية اللبنانية (حزب الله)، ثم بدء الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987م، ثم الانسحاب الإسرائيلي من لبنان عام 2000م، فالانسحاب من قطاع غزة عام 2005م تحت ضربات المقاومة العربية - اللبنانية والفلسطينية - من دون شروط أو قيود، ولتبدأ مرحلة حروب المقاومة التي عمقت المأزق الوجودي للمسادا الكبرى.

هزيمة حرب تموز/ يونيو عام 2006م المؤكدة إسرائيلياً، بحسب تقرير لجنة القاضي إلياهو فينوغراد، ومنها: "إن هذه الحرب شكّلت إخفاقاً كبيراً وخطيراً. لقد اكتشفنا وجود ثغرات خطيرة على أعلى المستويات الهرمية السياسية والعسكرية". وحروب غزة الأربع، وآخرها "سيف القدس" في أيار/ مايو 2021م، التي كانت الهزيمة الإسرائيلية واضحة فيها، أدخلت المسادا الكبرى "إسرائيل" في مرحلة جديدة من عصابها المصيري ومأزقها الوجودي، أصبح فيها المشروع الصهيوني وكيانه الصهيوني مصاباً في قلبه وجوهر وجوده، وهو ثلاثي الأمن والهجرة والاستيطان؛ فالكيان الصهيوني أكثر الدول خطراً على اليهود في العالم، والتهديد الديمغرافي تفاقم بعد تساوي عدد العرب واليهود ما بين البحر والنهر، وتساوي الهجرة المعاكسة مع الهجرة القادمة تقريباً، ولم يعد الجيش الإسرائيلي (الذي لا

يقهر) قادراً على حسم أي معركة والتفاخر بالنصر الحاسم، وأضيف مأزق النصر إلى سلسلة مآزق الكيان الصهيوني المهددة لوجوده.

مأزق النصر الوجودي ربطته لجنة فينوغراد بعد هزيمة تموز 2006م ببقاء الكيان، فجاء في التقرير "إن صحة مقولة لا يوجد حل عسكري تعني أن إسرائيل لن تستطيع البقاء في هذه المنطقة".

وبرز ذلك بعد حروب المقاومة في غزة التي جعلت رئيس هيئة أركان الحرب الإسرائيلي أفيف كوخافي يعقد ورشة عمل من كبار الضباط والخبراء والمفكرين الصهاينة اسمها "ورشة النصر"، مهمتها إيجاد مفهوم جديد للنصر بعد استحالة تحقيقه ضد المقاومة، فخرجوا بتعريفات متواضعة للنصر راوحت بين زيادة المدة الزمنية بين جولات المعارك، وتحسين الوضع الأمني بعد كل جولة حرب. وقد أكد ذلك المأزق رئيس وزراء الكيان نفتالي بينيت قبل تولّيه منصبه الجديد بقوله: "إن الحكومات الإسرائيلية توقفت عن الانتصار، وقد رأيت ذلك منذ حرب لبنان الثانية". وأضاف معللاً ذلك: "ما يقلقني ليس العدو، بل أمر غير جيد يحصل لنا في الداخل".

الأمر غير الجيد الذي يحصل داخل الكيان الصهيوني، بحسب تعبير نفتالي بينيت، وضحه الشاعر الإسرائيلي (ناتان زاخ) بقوله: "إن الصهيونية فشلت في تحقيق مرادها، وإن دولة الحليب والعسل ا لتي وعدت بها تحولت إلى كومة شر وفساد". وكذلك المفكر السياسي الإسرائيلي (أمنون روبنشتاين) بقوله: "إن الكيان الإسرائيلي لا يمكنه البقاء مطلقاً بسبب نوعين من التهديد: خارجي... وداخلي يتمثل في الفساد وتآكل منظومة القيم الصهيونية".

إلى ذلك أضاف المؤرخ الإسرائيلي (بيني موريس) منذراً قومه: "الدولة اليهودية لا يمكن أن تدوم، وستزول في غضون ثلاثين إلى خمسين عاماً". أما رئيس الكنيست ورئيس الوكالة اليهودية في فترات سابقة (أبراهام بورغ)، فقد تحدث معبراً عن حتمية سقوط المسادا الكبرى "إسرائيل فيتو صهيوني يحمل أسباب زواله في ذاته".

وختم عبد الوهاب المسيري، صاحب موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية"، توقعات سقوط المسادا الكبرى بتأكيده أن "إسرائيل" تتفكّك من الداخل بسبب تناقضاتها الداخلية وتآكل قيمها الصهيونية، وعدم يقين سكانها بمستقبلهم، وفشلهم في تهجير كل الفلسطينيين... ودور المقاومة

في تعجيل نهاية "إسرائيل"، التي اعتبرها "جرثومة النهاية لدولة إسرائيل"، وهذا هو الأمر الجيد الذي يحصل لنا، وسيؤدي في نهاية المطاف إلى عدم تحقيق قسم الجنود الصهاينة وجورج بوش المتعلّق بالمسادا ، وفي المقابل تحقيق وعد الآخرة وجوهره (مسادا ستسقط ثانية).

رواية التطبيع.. تزييف الوعي العربي

كتب بتاريـخ:

18 فبراير 2022م

تتعدد روايات الأنظمة العربية للتطبيع مع "إسرائيل" في إطار التبرير السياسي لإقدامها على التطبيع مع عدو الأمة المركزي. ومن هذه الروايات التبريرية، أن التطبيع: قرار سيادي، وينسجم مع المبادرة العربية للسلام، ويخدم القضية الفلسطينية، وأسبقية الفلسطينيين في السلام والتطبيع... وجملة من المبررات الأخرى، لها علاقة بالتعايش السلمي، والعداء للسامية، والواقعية السياسية... وهذا التبرير السياسي يشبه التبرير النفسي، كحيلة دفاعية لاشعورية، يلجأ إليها الفرد عندما يقوم بسلوك خاطئ، أو يتخذ موقفاً مَعيباً، يصعب تفسيره وتبريره لنفسه وللآخرين، ولاسيما إذا كان السلوك والموقف هذان يتعلّقان بِفلسطين، قضية الأمة المركزية.

تبرير التطبيع بأنّه قرار سيادي يخص الدولة ويحقق مصلحتها، ولا يحق لأحد التدخل فيه، يحتاج إلى بحث وتفنيد، فالقرار السيادي يصدر عن السلطة العليا في الدولة - فرداً أو جماعة - ويكون نابعاً من إرادتَي الشعب والأمّة، ومَعبراً عن مزاجهما، ومَنسجماً مع مصالحهما، ومَحقّقاً لأهدافهما... والواضح، من قرارات التطبيع العربية، أنها على الرغم من صدورها عن السلطة العليا في الدول المطبعة، فإنها جاءت استجابةً لضغوط أميركية متواصلة، بالترهيب والترغيب، ضد الأنظمة العربية ونُخَبها الحاكمة، وبخلاف إرادة الشعوب العربية، وضد مصالحها القومية الكبرى، وتَناقض أهدافها الوطنية... وأنّه لا يعبر إلاّ عن مصالح نُخَب حاكمة معزولة عن شعوبها، ومرتبطةً بالاستعمار الصهيوأميركي.

تبرير التطبيع بأنّه ينسجم مع المبادرة العربية للسلام، يحتاج إلى بحث وتفنيد، لأنّه في الواقع يناقض المبادرة. فالمبادرة العربية للسلام، والمقدمة في مؤتمر قمة بيروت عام 2002م، تقوم على مبدأ "الأرض في مقابل السلام والتطبيع"، وتتكون من مرحلتين: الأولى تسبق الثانية زمنياً. فالانسحاب من الأرض المحتلة عام 1967م، بحسب قرار مجلس الأمن (242)، وحل مشكلة اللاجئين، بحسب قرار مجلس الأمن (194)، وإقامة الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع، كلها مرحلة واحدة إذا نفّذتها

"إسرائيل" - بحسب المبادرة - يقوم العرب بالمرحلة الثانية، وهي: عقد اتفاقيات سلام وتطبيع معها. أما ما حدث فهو أن تلك الأنظمة قفزت إلى المرحلة الثانية مباشرة (السلام والتطبيع) من دون تحقيق المرحلة الأولى (عودة الأرض)، وهذا يناقض المبادرة العربية للسلام، شكلاً ومضموناً، ولا ينسجم معها، كما زعم فلاسفة التطبيع.

تبرير التطبيع بأنّه يفيد القضية الفلسطينية يحتاج إلى بحث وتفنيد، فالعكس هو الصحيح، فهو يضر بالقضية الفلسطينية. فالفرضية التي تقول إن إقامة علاقات بـ"إسرائيل" تَعطي هامشاً دبلوماسياً للتأثير فيها لمصلحة القضية الفلسطينية، وإرغامها على قبول ما يسمى الشرعية الدولية، ثبت بطلانها، نظرياً وعملياً. فنظرياً، التطبيع هدف أميركي وهدف إسرائيلي، من أجل شرعنة وجود "دولة" الاحتلال، ودمجها في المنطقتين العربية والإسلامية، ودعم أمنها واستقرارها وازدهارها. وعملياً، لم تَساهم اتفاقيات السلام والتطبيع في إرجاع أي حق فلسطيني. وما حدث هو تمادي "دولة" الاحتلال في انتهاكها الحقوق الوطنية الفلسطينية، وتغولها في الدم العربي والدم الفلسطيني. فمنذ "اتفاقية كامب ديفيد" مع مصر عام 1978م، و"اتفاقية وادي عربة" مع الأردن عام 1994م، و"اتفاقيات أبراهام" للتطبيع، ازدادت "إسرائيل" غطرسة وإرهاباً ضد الحقوق الفلسطينية والدم الفلسطيني.

تبرير التطبيع بأن الفلسطينيين عقدوا اتفاقية سلام وتطبيع مع الاحتلال، والقول: "إننا - المطبعين - لسنا مَلكيين أكثر من الملك، ولسنا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم": على الرغم من أن ذلك يحَمل جزءاً من الحقيقة، فإنّه في حاجة إلى بحث ودراسة. فـ"اتفاقية أوسلو" ألحقت ضرراً كبيراً بالقضية الفلسطينية، وقدمت نموذجاً سيئاً للعرب في التعامل مع "دولة" الاحتلال، وفتحت الباب لها لغزو العواصم العربية... لكن هذا لا ينبغي له أن يكون مبرراً للهرولة نحو السلام والتطبيع والتحالف مع "دولة" الاحتلال، لأن القضية الفلسطينية قضية عربية وإسلامية، وليست مجرد قضية وطنية. ففلسطين أرض عربية إسلامية، وليست مجرد قضية وطنية. وفيها القدس والمسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهو مَلك لكل العرب والمسلمين. ومسؤولية تحرير فلسطين والقدس والأقصى مسؤولية قومية ودينية، وليست وطنية فلسطينية فقط، بالإضافة إلى أن من عقد "اتفاقية أوسلو" يمثَل فريقاً من الفلسطينيين، احتكر تمثيل الشعب الفلسطيني، بخلاف إرادة الشعب الفلسطيني المتمسك بكل حقوقه الوطنية.

تبرير التطبيع بربطه بسياسة التعايش السلمي مع يهود الدول العربية مغالطة تخلط بين التطبيع، المرفوض مع "دولة" احتلال غير شرعية، ومبدأ التعايش السلمي داخل المجتمع الواحد، في كل اختلافاته الدينية وغيرها، بمن فيهم اليهود، كأصحاب ديانة سماوية معترف بها في الدول العربية. وتبرير التطبيع كنوع من التحالف ضد ظاهرة "معاداة السامية"، باعتبار رفض التطبيع معاداة للسامية، مغالطة تخلط بين مفهوم "معاداة السامية" التي تشمل العداء لشعوب متعددة، في مقدمتهم العرب، وبين توظيف المفهوم إسرائيلياً في وصم كل من ينتقد الحركة الصهيونية العنصرية والسياسة الإسرائيلية الإرهابية بمعاداة السامية.

وتبرير التطبيع بالرغبة في المحافظة على الأمن والاستقرار والازدهار في المنطقة، يناقض الهدف الذي أقيمت "إسرائيل" من أجل تحقيقه كرأس حربة للمشروع الاستعماري الغربي، وأهمها إبقاء حالة الحرب والاضطراب والتخلّف في المنطقتين العربية والإسلامية. وتبرير التطبيع بأنّه نوع من الواقعية السياسية فيه مغالطة تخلط بين الواقعية، بمعنى فهم الواقع السيئ من أجل تغييره، والاستسلام للواقع السيئ وتثبيته.

بؤس الرواية العربية للتطبيع نابعة من بؤس الأنظمة العربية الحاكمة المطبعة مع الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين، كأنها وجه آخر للكيان الصهيوني، وامتداد آخر للمشروع الاستعماري الغربي ضد الأمتين العربية والإسلامية. ولو أرادت هذه الأنظمة ونَخَبها الحاكمة الخروج من حالة البؤس، لكان قرارها السيادي الحقيقي نابعاً من إرادة شعوبها وأمتها الرافضة لوجود الكيان الصهيوني، فضلاً عن التطبيع معه، ولكانت كل مواقفها وقراراتها تسير في اتجاه خدمة قضية الآمة المركزية - فلسطين - وتساهم في مشروع تحريرها، أو على الأقل أن تكون مواقفها وقراراتها لا تسير في اتجاه خدمة عدو الأمة المركزي، "إسرائيل"، ولا تَساهم في تعطيل مشروع تحرير فلسطين، فلا تتخذ المقاومة ومحورها عدوين، ولا تَقيم علاقات سلام وتطبيع وتحالف بمحور الشر الصهيوأميركي.

العقوبات الأميركية.. استعمار بروح الكاوبوي

كـتب بتـاريـخ:

24 فبراير 2022م

منذ بداية الأزمة الأوكرانية والولايات المتحدة الأميركية تهدد روسيا بفرض عقوبات عليها لمنعها من غزو أوكرانيا، ومعاقبتها إذا غزتها، وشارك في التهديد الأميركي رأس الدولة جو بايدن قائلاَ: "إن روسيا ستتحمل المسؤولية، وستواجه عواقب وخيمة وسريعة إذا فعلت ذلك".

العقوبات الأميركية على دول العالم سياسة عدوانية ثابتة ونهج استعماري دائم، برز في الحرب العالمية الثانية ضد كل من يرفض الدخول في بيت الطاعة الأميركي، مثل: كوبا بعد الثورة الاشتراكية بقيادة الزعيم فيدل كاسترو، وإيران بعد الثورة الإسلامية بقيادة الإمام آية الله الخميني، وكوريا الشمالية بعد الحكم الشيوعي بقيادة الزعيم كيم إل سونغ، وفنزويلا بعد انتخاب الرئيس الثوري هوغو تشافيز، وسوريا بعد الحرب فيها وعليها في عهد الرئيس بشار الأسد، والكثير من دول العالم الأخرى، فالعقوبات الأميركية على دول العالم وشعوبها هي أهم أذرع الاستعمار الأميركي الجديد الذي تسكنه روح الكاوبوي.

العقوبات الأميركية، كذراع للاستعمار الأميركي الجديد، عبارة عن مجموعة من الإجراءات العقابية ذات الطابع الاقتصادي في معظمها، تَستخدم كطريقة ضغط، أكثر قوة وتأثيراَ من العمل الدبلوماسي، وأقل عنفاَ وتكلفة من الحرب العسكرية، تهدف إلى إحداث تغيير في السلوك السياسي للدول المعاقَبة، وإجبار حكامها وشعوبها على الاستسلام للإرادة الأميركية، وتراوح بين الحظر الاقتصادي الكامل والعقوبات الاقتصادية، وأهم أساليبها: منع تصدير السلع والبضائع، ولا سيما النفط كلياَ أو جزئياَ، وحظر استيراد الأسلحة والآجهزة، وخاصة الدقيقة والتقنية، وتجميد الآرصدة والآصول المالية في البنوك الأميركية والعالمية، وعزل النظام المالي للدولة عن النظام المالي العالمي، ومنع دخول مواطني الدولة المعاقَبة إلى الولايات المتحدة، وغيرها من العقوبات التي تطبقها بنفسها وتفرضها بغطرسة الاستكبار الأميركي المسكون بروح الكاوبوي على من تستطيع من مستضعفي العالم، بمبررات سياسية وهمية وواهية.

المبررات السياسية الوهمية والواهية التي تسوقها أميركا كغطاء لأهدافها الاستعمارية الحقيقية، هي محاربة الإرهاب وتجارة المخدرات، وحماية المدنيين والآقليات، والدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية والحريات، وإسقاط حكم الاستبداد والفساد، وإزالة آسلحة الدمار الشامل، ومنع إنتاج السلاح النووي... وهي أهداف في ظاهرها الخير، وفي باطنها الشر؛ ذلك أنها تستخدم بطريقة انتقائية ومضلّلة، فيها تزوير للحقيقة، لتخفي أهدافها الاستعمارية ضد الدول المتمردة على بيت الطاعة الأميركي، فتسعى من خلال تلك العقوبات إلى: تغيير أنظمة الحكم الثورية واستبدالها بأنظمة حكم موالية لها، وتدمير الاقتصاد الوطني الإنتاجي المستقل واستبداله باقتصاد طفيلي استهلاكي ملحق بها، ووقف تطوير القدرات الاقتصادية والصناعية للدول والشعوب الحرة، ونهب ثروات الأمم وسرقة موادها الخام، ومحاصرة الدول الممانعة للاستعمار الصهيوأميركي وتغيير نهجها المقاوم، وتشجيع النخب المتآمركة على قلب أنظمة الحكم المقاومة، وصبغ العالم بلون الحضارة الأميركية المادية المهيمنة.

الأهداف الاستعمارية للعقوبات الأميركية مسكونة بروح الكاوبوي، والكاوبوي هم رعاة البقر في مرحلة التوسع الاستيطاني الأميركي غرباً، متزامناً مع إبادة السكان الأصليين (الهنود الحمر) بوحشية، وقد نَسجتّ حولهم أساطير تحوّلت إلى أفلام سينمائية عُرفت بالكاوبوي، أصبح أبطالها رموزاً لـ (البطولَة الأميركية الخارقة)، وأضحى نمط حياتهم نموذجاً لـ (التميز الأميركي الفريد)، هذه البطولة والتميز ترسخا في الوجدان الشعبي الأميركي، وتجذّرا في فلسفة الدولة وسياستها الخارجية، فمارست الاستعلاء والاستكبار على الآخرين، وكانت العقوبات إحدى ثمرات روح الكاوبوي المرة، تلك الروح المشبعة بإحساس تفوق الجنس الآوروبي الأبيض، وتميز الثقافة المسيحية البروتستانتية، وسمو مبادئ الثورة الأميركية الديمقراطية، وتشرب عقيدة شعب الله المختار التوراتية، وهيمنة فكرة التفويض الإلهي الإنجيلية لإنقاذ البشرية.

هذه الروح الاستكبارية الشريرة سماها عالم الاجتماع الأميركي سيمور ليبست (الخصوصية الأميركية)، واعتبر "أن القيم والنظام السياسي والتطور التاريخي للولايات المتحدة أمور فريدة من نوعها في تاريخ البشرية، ولذلك يحق لها أن تلعب دوراً قيادياً مميزاً على المسرح العالمي".

الدور القيادي الاستعلائي لأميركا في العالم عند (ليبست) برره المؤرخ الفرنسي المتأمرك ألكسيس توكفيل بأن الولايات المتحدة دولة استثنائية وشعبها متميز، لأن الثورة الأميركية التي ولدت منها الدولة الجديدة الأولى في العالم تحمل مبادئ وأفكار الحرية والمساواة والجمهورية والديمقراطية والاقتصاد الحر... لذلك فهي دولة متفوقة على الدول الأخرى، وتقع على عاتقها مهمة تغيير العالم.

بهذه الروح الاستكبارية فرضت الولايات المتحدة الأميركية العقوبات على كثير من دول العالم، وبهذه الروح الشريرة للكاوبوي الأميركي تمت إبادة ملايين السكان الأصليين في أميركا، وتم استعباد ملايين البشر ذوي البشرة السوداء في أفريقيا، وتم نهب ثروات الشعوب في شتى بقاع الأرض. وبهذه الروح المسكونة بعقدة التفوق ألقى الرئيس هاري ترومان القنبلتين النوويتين على اليابان، وقام جون كيندي بغزو فيتنام، وبدأ جيمي كارتر حصار الجمهورية الإسلامية في إيران، وقصف دونالد ريغان ليبيا، وغزا جورج بوش الابن العراق وأفغانستان، ومارس دونالد ترامب الإرهاب في سوريا، وهدد جو بايدن بفرض العقوبات على تركيا وروسيا... ولهذا اعتبر الإمام الثائر آية الله الخميني أميركا الشيطان الأكبر، واعتبرها الإمام المرشد علي الخامنئي مع الصهيونية العالمية مركز الاستكبار العالمي والإرهاب الدولي ضد الشعوب المستضعفة.

الشعوب المستضعفة العاشقة للحرية ليس لها أمام غطرسة الاستكبار الأميركي المسكونة بروح الكاوبوي الشريرة سوى المقاومة والصمود، فأميركا لن تغير سياستها العقابية العدوانية، ولكن الشعوب الحرة تستطيع إحباط تأثير العقوبات بامتلاكها إرادة الحياة خارج بيت الطاعة الأميركي، ومواصلة النضال بروح التحدي لمواجهة الطغيان الغربي، وتنفّس عزيمة النصر أمام أعاصير العقوبات الظالمة... هذا هو طريق الخلاص للشعوب التي يعانقها شوق الحياة، وتحب صعود الجبال؛ أو يكتب عليها العيش أبد الدهر بين الحفر.

الغرب بين أوكرانيا و"إسرائيل".. القاعدة والاستثناء

كــتب بتاريــخ:

3 مارس 2022م

"ما الدنيا سوى مسرح كبير". عبارة تنسب إلى الأديب الإنكليزي الكبير وليم شكسبير، وقالها المسرحي المصري الرائد يوسف وهبي، تعبيراً عن تلاشي الفواصل بين مسرح الدراما ومسرح الحياة، فما يحدث في الحياة ينقل إلى المسرح، وما يمثل على المسرح ينقل إلى الحياة، وهذا ما حدث في أوكرانيا، عندما تحول مسلسل "خادم الشعب" التلفزيوني من الدراما إلى الواقع، فالمسلسل يصور من خلال الكوميديا شخصية مدرس تاريخ يحارب الفساد السياسي في أوكرانيا بعد استقلالها عن الاتحاد السوفياتي. وقد اكتسب البطل شهرة شعبية أهلته لترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة الأوكرانية، ففاز فيها بأغلبية كبيرة، ليصبح رئيساً لأوكرانيا، في نقلة نوعية مباشرة من مدرس للتاريخ إلى رئيس للدولة.

نقل بطل المسلسل الكوميدي فولوديمير زيلينسيكي الدراما الكوميدية إلى الواقع الحياتي، فأسس حزباً سياسياً يحمل اسم المسلسل "خادم الشعب"، ورشح نفسه لانتخابات الرئاسة في العام 2019م أثناء عرض الجزء الثالث من المسلسل بعد عرض جزئه الأول في العام 2015م، والثاني في العام 2017 م، وكان شعاره الانتخابي متطابقاً مع مضمون المسلسل، وهو تطهير الحياة السياسية من الفساد، إضافة إلى إحلال السلام في شرق أوكرانيا، ففاز بنسبة 73%، في ما كان عمره الزمني يتجاوز الأربعين بسنوات قليلة، ولكن سياسته الخارجية - بتحريض من بريطانيا وأميركا - تجاوزت الحدود المحتملة روسياً، واتجهت نحو الغرب كثيراً، فذهب بعيداً في الولاء والتبعية للغرب، وفي العداء والاستفزاز لروسيا، طالباً الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي (الناتو).

تحريض الغرب أوكرانيا، برئاسة زيلينسكي، على استفزاز روسيا هو استئناف للحرب الباردة بعد النهضة الروسية في عهد فلاديمير بوتين، بهدف محاصرة روسيا، واستنزاف قدراتها، وإضعاف قوتها، في إطار القضاء على مراكز القوى الدولية والإقليمية الرافضة للدخول في بيت الطاعة الأميركي، لترسيخ نظام القطب الغربي الواحد العالمي، وتثبيت استفراد الاستكبار الأميركي بالهيمنة الاستعمارية على العالم تحت عنوان "العولمة" أو بالمعنى الصحيح "الأمركة"، ولكن زيلينسكي لم يقدر الحدود التي يمكن

للغرب أن يقف عندها في تقديم الدعم لأوكرانيا، كمحصلة لعدم تقديره الحدود الفاصلة بين منصب الرئاسة في الخيال الدرامي والواقع السياسي.

وعندما وصل الاستفزاز الأوكراني إلى درجة اعتبرتها روسيا تهديداً لأمنها القومي الوجودي، ذهبت إلى خيار القوة المسلحة بعد التهديد بها، فنفذت عملية عسكرية، ليجد الرئيس الأوكراني نفسه وبلده وحيدين أمام الآلة العسكرية الروسية الضخمة، فقال: "لقد تَركنا وحدنا للدفاع عن بلدنا"، وكأنه يستحضر جملة "المتغطي بأمريكا عريان"، التي أدركتها بعد فوات الأوان أنظمة حاكمة سابقة ربطت مصيرها بأميركا، فتخلّت عنهم عند الخطر والحاجة إلى الدعم الغربي.

هذا السلوك الأميركي والغربي قاعدة ثابتة في التجارب التاريخية المتكررة عشرات المرات، منها في الزمن البعيد إيران، وفي الزمن القريب أفغانستان. وبما أن لكل قاعدة استثناء، فإن "إسرائيل" هي الاستثناء في هذه القاعدة؛ فعندما تعرضت لمأزق وجودي جعلها على وشك الانهيار في المرحلة الأولى من حرب أكتوبر 1973م، أنقذتها الولايات المتحدة الأميركية بجسرٍ جوي سريع ومتواصل، وأغرقتها بالأسلحة التي غيرت مسار الحرب لمصلحتها على الجبهتين.

استثناء "إسرائيل" من قاعدة التخلّي الأميركية الغربية، كما حدث في الجسر الجوي أثناء حرب أكتوبر، سببه العلاقة المميزة بين الغرب على جانبي الأطلسي والكيان الصهيوني في بعديها الديني والسياسي؛ ففي البعد الديني، وفقاً للعقيدة المسيحية البروتستانتية المهيمنة على السياسة الغربية، ولا سيما بريطانيا وأميركا، كرعاة للمشروع الصهيوني و"دولته إسرائيل"، فقد دمجت "التوراة" في الإيمان المسيحي، وأدخلت الرواية اليهودية بأحقية اليهود في أرض فلسطين كعمود فقري في عقيدة الخلاص المسيحية، لتوجِب عودة اليهود كجماعة إلى فلسطين "أرض الميعاد"، تمهيداً لمعركة "الألفية السعيدة". تَرجمت هذه العقيدة إلى سياسة، فتولّت بريطانيا مهمة عودة اليهود وتأسيس "دولتهم"، وتولّت أميركا مهمة ضمان وجودها واستقرارها وقوتها وتفوقها.

في البعد السياسي للعلاقة بين الغرب والكيان، كانت الحاجة إلى الدولة الوظيفية في قلب الوطن العربي والإسلامي حاضرة منذ بداية المشروع الاستعماري الغربي في زمن الحملة الفرنسية على مصر والشام، عندما وجه قائد الحملة نابليون بونابرت نداء لإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين تحت

الراية الفرنسية في العام 1799م، وعندما أحيت بريطانيا الفكرة بإصدار وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين في العام 1917م، وعندما اعترفت الولايات المتحدة بـ"دولة إسرائيل" فور إعلان قيامها في العام 1948م، لتكون حلاً للمشكلة اليهودية في أوروبا، وقاعدة متقدمة للمشروع الاستعماري الغربي ضد الأمة العربية والإسلامية، و"دولة" حاجزة بين جناحي الوطن العربي الشرقي والغربي، وكياناً معوقاً لمشاريع الوحدة والنهضة والاستقلال في المنطقة العربية والإسلامية.

وهكذا، أصبح اليهود كجماعة بالنسبة إلى الغرب المسيحي جماعة استعمالية كجسرٍ للألفية المسيحية السعيدة، وصار اليهود كـ"دولة" بالنسبة إلى الغرب المستعمر دولة وظيفية كرأس حربة للمشروع الاستعماري الغربي.

انطلاقاً من القيمة الاستعمارية للجماعة اليهودية في فلسطين بالنسبة إلى الغرب المسيحي، والقيمة الوظيفية للدولة اليهودية في قلب العالم العربي والإسلامي للغرب المستعمر، من الطبيعي أن يكون الدعم الغربي للكيان الصهيوني مميزاً عن أوكرانيا - رغم أهميتها - وكل دول العالم الآخرى، بسبب الخصوصية الدينية والوظيفية للكيان الصهيوني.
هذه الخصوصية ستتأكل مع الزمن بزيادة العبء الذي يشكّله الكيان الصهيوني على الغرب أخلاقياً واقتصادياً وسياسياً، وهذا الدعم الغربي ليس مفتوحاً إلى ما لا نهاية، ونهايته محتومة بمنطق التاريخ ومعطيات الواقع واستشراف المستقبل، فعندما يخرب اليهود "دولتهم" بأيديهم ويتفكك المجتمع الإسرائيلي من الداخل بفعل تراكم التناقضات الداخلية، وفقدان الروح الصهيونية، وتزايد الهجرة المعاكسة... وعندما يصيب الخراب "دولة" اليهود بأيدي المؤمنين المقاومين، تحقيقاً لوعد الآخرة، فإن الدعم الغربي لن يجدي "إسرائيل" نفعاً، بعد أن تكون قد وصلت إلى قرب نهايتها المحتومة بالزوال.

المرأة الفلسطينية بين الواقع والمأمول

كـتب بتاريـخ:

8 مارس 2022م

المرأة الفلسطينية كالمرأة العربية في الواقع الإسلامي ظَلمت بين تيارين متناقضين: الأول مستورد من الثقافة الأوروبية الغربية، يذهب باتجاه تحرير المرأة وفق نموذج الحضارة الغربية المعاصرة بنزعته العلمانية المتطرفة، هذا التيار يريد تحرير المرأة العربية المسلمة من الإسلام والفطرة، ويتبنى ثقافة أن المرأة مباحة كلها حتى أنوثتها وكرامتها، فتوأد حية فوق التراب والغُبار، ولكنه تُراب الحضارة وغُبار المدنية. والثاني مستورد من عصر الانحطاط العربي، وأعيد إنتاجه في صحراء نجد القاحلة، يذهب باتجاه تقييد المرأة وفق النموذج الصحراوي المتطرف، بعد إلباسه الثوب الإسلامي المتعصب، هذا التيار يريد تقييد المرأة العربية بالإسلام والشرع، وتبني ثقافة أن المرأة عورة كلها حتى اسمها وصوتها، فتوأد حية فوق التراب والركام، تراب الجاهلية الغابرة وركام التراث المزور.

المرأة الفلسطينية كالمرأة ا لعربية في المأمول أن تعيش برؤية النموذج الإسلامي الوسطي الحضاري بعيداً عن التطرفين الغربي والصحراوي، الذي يهدف إلى تحرير المرأة بالإسلام وليس من الإسلام، ويسعى لعتق المرأة من الظلم وليس من الفطرة، وينطلق من مساواة الإسلام بين المرأة والرجل في الخَلق والإنسانية والكرامة والتكليف والجزاء، مع التميز في الأنوثة والذكورة حفظاً لتميز وتكامل النوع والفطرة في إطار التكامل وليس التناقض، لتحقيق سعادة الإنسان على الأرض.

المأمول وفق النموذج الإسلامي الحضاري للمرأة الفلسطينية وضحه الشهيد المفكر فتحي الشقاقي في مقاله (المرأة المسلمة: تيار جديد.. ومهام جديدة)، ذكر فيه رؤيته للمرأة، دعا فيه إلى تحرير المرأة من قيم الجاهلية التي تعبر عن ثقافة الانحطاط العربي والإسلامي ومفاهيم الغرب التي تعبر عن الثقافة الغربية المستوردة، وشرح رؤيته للمساواة بين الرجل والمرأة في إطار ضوابط الشرع والفطرة، التي تحفظ للمرأة أنوثتها وكرامتها، وأكد على دور المرأة في الثورة والعمل الوطني، والفعالية الاجتماعية والمشاركة السياسية، واعتبر أن حجاب المرأة الإسلامي اضافة إلى أنه التزام ديني فهو رمز حضاري وهوية ثقافية ومقاومة للاحتلال والاستلاب.

المرأة الفلسطينية في الواقع الوطني ظَلمت من الاحتلال الصهيوني لفلسطين كما الرجل، فتقاسمت معه العذاب والمعاناة والألم، وشاركته القتل والسجن والتهجير... ولكنها انفردت وحدها في تعرضها للظلم الاجتماعي من الرجل: أباً وأخاً وزوجاً ومديراً، فمنهن من صادر أبوها حقها في اختيار الزوج، ومنهن من استولى أخوها على حقها في الميراث، ومنهن من حرمها زوجها من حقها في العمل، ومنهن من أكل مديرها حقها في الأجر... وحتى حقها في كتابة اسمها في بطاقات الأفراح... حرمت منه أحياناً كإمعانٍ في إنتهاك حقها كذاتٍ مستقلة لها اسم وشخصية وكيان.

والمرأة الفلسطينية في المأمول وفق النموذج الحضاري في إطاره الوطني يرى في المرأة الفلسطينية مبدعة في مختلف المجالات: العلمية والمهنية والنضالية، فهي الأكاديمية والباحثة والعالمة، وهي المهنية والعاملة والمديرة، وهي المناضلة والشهيدة والجريحة والأسيرة، وهي أم وأخت وبنت الشهيد والجريح والأسير.

والنموذج الحضاري الوطني للمرأة الفلسطينية يؤكد على تعزيز الدور النضالي للمرأة، ورفع مستوى مشاركتها في المقاومة ضد الاحتلال والظلم، وزيادة درجة مساهمتها في العمل الاجتماعي والوطني والإسلامي، وتحقيق كرامتها ومكانتها في المجتمع، كركيزة أساسية تمد مشروع المقاومة والتحرير بأسباب القوة والاستمرار.

هذا النموذج وتلك الرؤية تدل على أهمية البعد النضالي للمرأة، من خلال الربط بين تعزيز الدور النضالي والاجتماعي للمرأة ومشاركتها في المقاومة والعمل الوطني، وبين تقدم مشروع المقاومة والتحرير، ومن خلال التأكيد على أهمية أخذ المرأة لحقوقها المشروعة، وتحقيق كرامتها الإنسانية وتعزيز مكانتها الاجتماعية... لإنجاز مشروع التحرير والعودة والاستقلال، في علاقة جدلية تربط بين التحرر الاجتماعي والتحرر الوطني.

وانسجاماً مع رؤية النموذج الإسلامي الوسطي الحضاري من الضروري تغيير فلسفة المطالبة بحقوق المرأة، بالانتقال من مفهوم تسول المرأة لحقوقها من مجتمعها إلى مفهوم تمكين المرأة لتنتزع حقوقها بنفسها بكدحها ونضالها، وأول مراحل تمكين المرأة هو أن تغير المرأة ما بنفسها لتغيير مكانتها في المجتمع، وتغيير ما بنفسها يبدأ باكتساب مفهوم إيجابي لذاتها وتصور حسن لنفسها،

وإيمان راسخ بقدراتها، وثقة كبيرة بإمكانياتها، وتصميم صلب على تحقيق أهدافها... هذا هو جوهر التمكين الذي يبدأ من الذات، وينطلق من النفس فيدفع المرأة للنهوض وكسر حاجز الخوف والخروج من دائرة الصمت، حتى تترسخ حقيقة أن صوت المرأة ثورة عندما تطالب بحقوقها الطبيعية والشرعية والقانونية، وكذلك حقوق شعبها ووطنها، وإذا لم تفعل ذلك وسكتت عن حقوقها وحقوق شعبها، فحينئذٍ يكون صمت المرأة عورة.

لاجئـــون بعيـــون زرق

كـــتب بتاريـخ:

10 مارس 2022م

معاناة الهجرة واللجوء واحدة عند الناس، لا فرق بينهم في ذلك مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم وأديانهم، ولكن الغرب لديه رأي مختلف لا يرى الناس في معاناة الهجرة سواسية كأسنان المشط، ولا يرى أن ذوي العيون الزرق والسود سيان في مقاساة اللجوء، فيصنفهم درجات في المعاناة والمقاساة بمعايير ترتبط بألوان بشرتهم وعيونهم، وأنواع أعراقهم وأصولهم، واختلاف أديانهم ومذاهبهم. وهذا التمييز العنصري ظهر جلياً في أحداث الحرب الروسية - الأوكرانية، وما أنتجته من كارثة الهجرة واللجوء الإنسانية للشعب الأوكراني، فبدت العنصرية من أفواههم في تصريحات السياسيين وتقارير الصحافيين، وفي ممارسات موظفي الحدود، وما تخفي صدورهم أكبر. فأدركنا من خلال أقوالهم وأفعالهم أن ليس كل اللاجئين سواء، فهل يستوي أصحاب البشرة البيضاء مع أصحاب البشرة السوداء؟!، وشتان بين ذوي العيون الزرق وغير الزرق!

التمييز العنصري الغربي بالقول والفعل، كما طفا على السطح عقب مأساة اللاجئين الأوكرانيين على الحدود، ليس طارئاً أو استثناء في الغرب، فهو ضارب بجذوره في عمق التاريخ الأوروبي منذ بدايته، ومنسجم مع سياق الحضارة الغربية منذ نشأتها، بما حملته من فكرة تفوق العرق الأوروبي وسمو الحضارة الغربية، وتعود هذه الجذور إلى الحضارتين اليونانية والرومانية - مهد الحضارة الأوروبية - فالحضارة اليونانية ترى في نفسها الحضارة الوحيدة في العالم، وغيرها من الحضارات البشرية الأخرى مجرد مجتمعات بشرية بدائية وهمجية لا ترقى إلى مستوى الحضارة، وهذا واضح من الفلسفة اليونانية؛ فهذا أرسطو - المعلم الأول - يشرع لليونانيين استعباد غيرهم كأمر طبيعي لافتقار غير اليونانيين إلى التفكير العقلاني، ولذلك أقام أفلاطون (المدينة الفاضلة) على أساس التمييز العنصري، وشكر الآلهة لأنها خلقته يونانياً ولم تخلقه بربرياً. وورثت الحضارة الرومانية بمرحلتيها الوثنية والمسيحية تراث الحضارة اليونانية العنصري، فاعتبرت ما دونها بدائياً متوحشاً.

الحضارتان اليونانية والرومانية هما أصل الحضارة الغربية الأوروبية الحديثة، عندما أعيد إنتاجها مع بدء الثورة العلمية والصناعية والتوسع الاستعماري، بعدما تجاوزت بحر الظلمات في القرون

الوسطى، فحملت معها فكرة التفوق العرقي والحضاري بصبغتها الاستعمارية والصليبية، وبأهدافها السياسية والاقتصادية، وكانت الفلسفة حاضرة دائماً للتأصيل والتبرير والتنظير، فجاءت فلسفة جورج هيغل مؤصلة للتمييز العنصري، لتأكيد سمو الجنس الأبيض الأوروبي المتحضر، وانحطاط الأجناس الأخرى غير الأوروبية، كالزنوج والهنود والصينيين والعرب. وجاءت فلسفة ديفيد هيوم مبررة للتمييز العنصري، باعتبار أن الأفارقة والآسيويين، بالفطرة، هم أدنى منزلةً من مستوى الإنسان الأوروبي الأبيض في القدرات العقلية. وجاءت فلسفة عمانويل كانط منظّرة للتمييز العنصري لإثبات أن أصحاب البشرة البيضاء هم أكثر الأنواع البشرية ذكاء وفاعلية وقدرة على بناء الحضارات، وكان العلم الموجّه بعقولٍ أشرِبت فكرة التفوق حاضراً أيضاً لتركيب نظريات عنصرية، ومنها: الانتخاب الطبيعي لتشارلز داروين، والبقاء للأصلح لهربرت سبنسر، والبقاء للأقوى لفريدريك نيتشه، والبقاء للأغنى لآدم سميث.

الفكر العنصري الأوروبي تجاه غير الأوروبيين تناوله الروائي البريطاني من أصل بولندي جوزيف كونراد في روايته (قلب الظلام) عام 1902م، والرواية تتحدث عن الاستعمار الأوروبي لأفريقيا جنوب الصحراء، من خلال نموذج الاستعمار البلجيكي للكونغو، من وجهة نظر الرواية الأوروبية للاستعمار؛ فقلب الظلام هو وسط أفريقيا، كرمز لكل الأماكن خارج أوروبا، فهي مظلمة لمجرد كونها خارج أوروبا، وشعوبها تعيش في الظلمات لمجرد كونها من غير الأوروبيين، فالأماكن والشعوب خارج أوروبا تحتاج إلى النور ليضيء ظلماتها، وهذا النور لا يوجد إلّا في الغرب الأوروبي فقط بما يملك من تفوق ثقافي ومعرفي، فجاء الاستعمار – كما يدل اسمه - من أجل تعمير الأرض وتنوير الشعب.
رواية (قلب الظلام) عبرت عن مرحلة الاستعمار الأوروبي التقليدي المباشر الذي رافق عصر النهضة والتنوير، وتواصل حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين، ولكن فكرة التفوق الغربي التي نبتت في تربتها شجرة الاستعمار التقليدي، ظلّت تعبر عن نفسها بطرق أخرى بعد انكماش مرحلة الاستعمار التقليدي المباشر وانتهائها، وما رافقها من موجات هجرة جماعية وفردية من الدول الأفريقية والآسيوية المستعمرة، إلى القارة البيضاء، فبدأ من هنا التحريض العنصري ضد المهاجرين غير الأوروبيين بثوبه الجديد، التي بنى حولها الروائي الفرنسي جان راسبيل روايته (معسكر القديسين) عام 1973م، متخيلاً غزواً أفريقياً وآسيوياً لأوروبا، ومعبراً عن مخاوف الأوروبيين من غزو البرابرة المتوحشين لأوروبا وتغيير ثقافتها وهويتها، وهذه الرواية مهدت لنظرية (الاستبدال العظيم).

تأثر الفيلسوف الفرنسي رونو كامي برواية (معسكر القديسين)، وحولها إلى نظرية عنصرية عرفت باسم (الاستبدال العظيم)، نسبة إلى كتاب يحمل الاسم نفسه عام 2011م، ومضمونها أن السكان الفرنسيين وكل الأوروبيين المسيحيين البيض يجري استبدالهم بشكل منتظم بغير الأوروبيين من الأفارقة والآسيويين بواسطة الهجرة والولادة، ما يؤدي إلى نهاية الحضارة الأوروبية المتقدمة، وإحلال حضارات متخلّفة مكانها. وهذه النظرية هي جوهر أيديولوجية النازيين الجدد، القائمة على الخوف من انقراض العرق الأوروبي السامي ذي البشرة البيضاء والعيون الزرق، والقلق من اندثار الحضارة الغربية العظيمة ذات الثقافة الراقية والتقنية المتقدمة، وهم يجمعون بين تطرفين: تطرف عام للعرق الأوروبي الأبيض ضد غير الأوروبيين وغير البيض، وتطرف خاص للقومية ضد كل القوميات الأخرى حتى داخل الدائرة الأوروبية، وهؤلاء هم النازيون الجدد، المسؤولون عن التحريض على التمييز العنصري ضد اللاجئين غير الأوروبيين الفارين من جحيم الحرب في أوكرانيا.

بهذه القراءة لبذرة التفوق العرقي والحضاري الغربية، التي ضربت جذورها في أرض يونانية ورومانية سبخة، فأنبتت شجرة التمييز العنصري الخبيثة، بأغصانها الشوكية الممتدة إلى كل بلدان أوروبا ومستعمراتها البيض، فأنتجت ثمار العنصرية والنازية والفاشية، ووزعت فائض عنصريتها وكراهيتها وعنفها على العالم: دولاً عنصرية، وأنظمةً قمعية، وحروباً استعمارية، وصراعات دموية، واحتلالات إرهابية... لا أمل بأن تغير حضارة الرجل الأبيض نفسها وتبدل جلدها، وكل الأمل بأن تعود الأمم، خارجَ هيمنة الحضارة الغربية وبيت الطاعة الأميركي، إلى ذاتها وتستثمر قدراتها وتفجر طاقاتها، كي تحقق نهضتها وتصنع حضارتها وتبني مستقبلها، فتحترم ذاتها وهويتها وثقافتها؛ ليحترمها الآخرون ممن يميزون بين اللاجئين من ذوي العيون الزرق وغير الزرق.

أردوغان.. الجدار المائل سقط

كــتب بتاريـخ:

17 مارس 2022م

بعد حادثة سفينة مرمرة عام 2010م، تصاعد التوتر بين تركيا برئاسة رجب طيب إردوغان والكيان الصهيوني، فزادت شعبيته في فلسطين على خلفية مهاجمته للكيان الصهيوني. وبعد فوز حزب العدالة والتنمية بزعامة إردوغان بمعظم مجالس البلديات التركية عام 2014م، تفاءل كثير من الفلسطينيين خيراً وبِشراً، واعتبر بعضهم ذلك الفوز نصراً مظفّراً للمشروع الإسلامي والقضية الفلسطينية؛ وخرج بعضهم بمسيرات شعبية مبتهجة ومحتفلة بالفوز في غزة المحاصرة، استناداً إلى قراءة متحيزة لتجربة إردوغان وحزبه في الحكم، بعيداً عن القراءة الموضوعية التي محورها مشروع تحرير فلسطين .

وسط هذا الضجيج كتبت مقالاً في نيسان/ إبريل عام 2014م خلصت فيه إلى "أن الاتكاء على إردوغان كمن يتكئ على جدار مائل، لأن بنية النظام التركي – حتى الآن – قائمة على الدور الوظيفي الذي تقوم به تركيا في إطار التكامل مع الدور الوظيفي للكيان الصهيوني، في خدمة المشروع الغربي المعادي للأمة، الذي تقف على رأسه الولايات المتحدة الأميركية، وإردوغان لم يغير في هذا النظام إلّا في القشور التي تخدم سياسته الخارجية، ولا سيما إزاء المنطقة العربية، المرتبطة بإيجاد دور تركي في إطار الهامش المسموح به أميركياً ."

وبعد عامين من كتابة المقال السابق، وقّعت تركيا برئاسة إردوغان اتفاقاً مع الكيان الصهيوني بعد استجابته لشرطي الاعتذار والتعويض، وتنازل تركيا عن شرط رفع الحصار عن غزة. الاتفاق أنهى حالة التوتر واستأنف تطبيع العلاقات الدبلوماسية بينهما، وأعاد المياه الآسنة بين الطرفين إلى مجاريها، لتصب في مستنقع التطبيع، فعلّقت على ذلك الاتفاق بمقالٍ في حزيران يونيو عام 2016م وصفت الاتفاق بأنّه: "نهاية وهمٍ عاشه البعض من الذين بنوا آمالاً كبيرة على الدولة التركية في ما يتعلق بعدائها للدولة العبرية، من دون إدراك عمق التحالف الاستراتيجي بين الدولتين المرتبط بتوجه تركيا نحو الغرب ودورها الوظيفي في حلف الناتو، ورغبتها في دخول الاتحاد الأوروبي ."

التحالف الاستراتيجي بين تركيا والكيان الصهيوني ضارب بجذوره منذ نشأة الكيان الصهيوني، ومرتبط بطبيعة الدولة التركية الحديثة التي وضع أسسها مصطفى كمال الملَقب بـ (أتاتورك)، على أنقاض دولة الخلافة العثمانية، وتركيا الحديثة الكمالية بهويتها القومية والعلمانية، انفصلت عن امتدادها الجغرافي الشرقي والعربي، وانقطعت عن جذورها التاريخية الإسلامية والعثمانية، وحولت قبلتها الثقافية باتجاه الغرب الأوروبي والأميركي، وانحرفت بوصلتها السياسية نحو تل أبيب وواشنطن. ولذلك انضمت إلى منظمة (مجلس أوروبا) عام 1949م، لتكون - عبثاً - جزءاً من أوروبا، وانضمت إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو) عام 1952 م، لتكون سهماً بيد أميركا والغرب في حربها الباردة ضد الاتحاد السوفياتي وكتلته الشرقية، ودخلت الحلف المركزي (حلف بغداد) عام 1955م، لتكون درعاً بيد الاستعمار الصهيوأميركي ضد مصر الناصرية وتيارها القومي .

وانسجاماً مع هذا الدور الوظيفي التركي في إطار المشروع الاستعماري الغربي، كان لا بد من تعزيز العلاقات مع مركز المشروع ورأس حربته (إسرائيل)، فكانت تركيا أول دولة إسلامية تعترف بالكيان الصهيوني عام 1949م، ثم عقدت معه معاهدة تعاون استراتيجي اقتصادي وعسكري عام 1958م، كما جمعتها مع إيران الملكية والكيان الصهيوني اتفاقية (الرمح الثلاثي) الأمنية عام 1958م.

وشكّلت تركيا مع إيران الشاه وإثيوبيا مثلثاً مركزه الكيان الصهيوني في إطار نظرية (شد الأطراف) لاختراق الحصار العربي للكيان لمحاصرة المحَاصر، وعقدت معاهدة تعاون استراتيجي شاملة مرة أخرى عام 1996م، لتفتح أرضها وبحرها وجوها ساحة تدريب لجيش الاحتلال الإسرائيلي، ولتصبح أكبر مستورد للسلاح الإسرائيلي، وأكبر جاذب للسياح الإسرائيليين... وهكذا دخلت تركيا الكمالية بهذا الإرث الثقيل في علاقتها بالغرب والكيان الصهيوني الألفية الثالثة؛ ليحمله حزب العدالة والتنمية بزعامة إردوغان بعدما تولى الحكم عام 2002م.

حمل حزب العدالة والتنمية إرث علاقة تركيا بالغرب والكيان، وواصل السير به مبقياً على التوجه نحو الغرب والتحالف مع "إسرائيل"؛ وأضاف إليه الانفتاح نحو الشرق والجنوب، وخاصة نحو البر العربي، في إطار نظرية (العمق الاستراتيجي) التي ابتكرها الرجل الثاني في الحزب والنظام - سابقاً - أحمد داوود أوغلو في كتابه (العمق الاستراتيجي) عام 2001م. ورؤية أوغلو تعتمد على إعادة ربط تركيا

بمحيطها العربي والإسلامي والشرقي من بوابة إيجاد دور إقليمي مركزي ينقلها من الدور الهامشي في مرحلة الحرب الباردة إلى دور إقليمي مركزي وبلد محوري مؤثر إقليمياً، من دون التصادم مع النظام العالمي الأحادي القطب برأسه الغربي الأميركي، ومن دون الإضرار بتوجه تركيا نحو الغرب الأوروبي، ومن دون التخلّي عن التحالف مع الكيان الصهيوني، حفاظاً على الارتباط التركي بالغرب الأوروبي والأميركي.

رؤية (العمق الاستراتيجي) بهذا الفهم تعني الحفاظ على العلاقة مع الكيان الصهيوني قوية وعميقة وأولوية، وهذا يفسر استمرار العلاقات الاقتصادية والعسكرية الاستراتيجية بينهما، رغم مرحلة التوتر الإعلامي والسياسي والدبلوماسي السابقة، وتأتي العلاقة مع القضية الفلسطينية في إطار الانفتاح شرقاً وجنوباً على العرب والمسلمين كعمق استراتيجي يخدم مصلحة تركيا الاقتصادية والسياسية، ويخدم التوجه التركي غرباً نحو أوروبا وأميركا، وهذا التوجه يحتاج إلى العلاقة مع "إسرائيل" لا فلسطين، التي يمكن تأجيلها، أو الاقتراب منها إعلامياً ولفظياً في حدود (الشرعية الدولية)، بينما تواصل الحفاظ على العلاقة مع الكيان الصهيوني عملياً، وهي الحقيقة التي عبر عنها إردوغان عملياً بقوله: "إن إسرائيل بحاجة إلى بلد مثل تركيا في المنطقة، وعلينا القبول بحقيقة أننا نحن أيضاً بحاجة إلى إسرائيل"، وهي الحقيقة التي دفعت إردوغان إلى دعوة إسحاق هيرتسوغ، رئيس الكيان الصهيوني، إلى زيارة أنقرة واستقباله بحفاوة مبالغ بها .

إردوغان حسم خياراته مبكّراً منذ البداية بالتوجه غرباً، مفضّلاً المصالح على المبادئ، والمشكلة ليست فيه بل في من قرأه بطريقة أحادية مغلوطة، فأسس أحلامه على شفا جُرفٍ هار فانهار به في قاع الخيبة، واتكأ بآماله على جدارٍ مائل فسقط به في درك الهاوية.

وقد آن الأوان لإعادة القراءة لواقعنا السياسي لتكون فلسطين هي البوصلة لتحالفاتنا الإقليمية وعلاقاتنا الدولية؛ لنعرف من يسير على درب المقاومة والتحرير، ومن يسير على درب المساومة والتفريط، لنميز بين من يتقدم باتجاه إزالة الكيان الصهيوني، ومن يتقدم باتجاه التطبيع معه، ولنفرق بين من ينهض لتحقيق وعد الآخرة، ومن ينهض لتثبيت وعد بلفور .

روسيا والغرب.. صراع بين شبيهين أو نقيضين؟

كــتب بتاريـخ:

24 مارس 2022م

يروي الباحث في العلاقات الدولية الدكتور باسم خفاجي في كتابه "روسيا ومواجهة الغرب" أنه عندما وصل الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسين إلى البيت الأبيض في زيارته الأولى لواشنطن بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في حزيران/يونيو في العام 1991م، وجد في استقباله على المدخل مستشارة الرئيس الأميركي جورج بوش الآب للشؤون السوفياتية، كوندوليزا رايس، فتردد لحظات في النزول، باعتبار أن البروتوكول يقتضي أن يكون نظيره الأميركي في انتظاره.

عندها، طلبت رايس من السائق أن يأخذ يلتسين إلى المطار، معتبرة أن الزيارة انتهت قبل أن تبدأ، فما كان من الرئيس الروسي إلا أن ترجّل ونزل من السيارة. كان هذا المشهد إيذاناً ببدء عقد من الإذلال القومي الغربي لروسيا، بزعامة أميركا، بوسائل عسكرية واقتصادية وسياسية وإعلامية.

مشهد البيت الأبيض ببطولة كوندوليزا رايس الذي فتح عقداً من محاولات الغرب لإهانة روسيا قومياً، تغير بمشهد آخر في عهد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، كانت حبكته تتمثل بخطابه عشية العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، متحدياً الغرب الأوروبي والأميركي بكل جبروته العسكري والاقتصادي، وواضعاً يده على سبب عداء الغرب لروسيا، وهو مجرد وجود دولة مستقلة خارج سيطرة الغرب ومختلفة عنه، فقال: "ذلك فقط لأننا موجودون، ولمحافظتنا على سيادتنا وتقاليدنا وقيمنا"، موضحاً أن هدف الغرب الأساسي هو وقف تطور روسيا ونهضتها المعاصرة.

واكتمل مشهد الخطاب بمشهد العملية الروسية في أوكرانيا، كجزء من حرب أوسع وحلقة من مسلسل ممتد تاريخياً كان الصراع بين روسيا والغرب مضمونه الأساسي، وكان الاختلاف في طبيعة الصراع مضمون سؤاله المركزي: هل الصراع بين روسيا والغرب هو صراع بين شبيهين في حضارة واحدة أو صراع بين نقيضين في حضارتين مختلفتين؟

الصراع بين روسيا والغرب يعتبره بعض المفكرين العرب والمسلمين صراعاً بين شبيهين في الحضارة الأوروبية بشقيها الغربي (الأوروبي والأميركي) والشرقي (الروسي)، استناداً إلى أنّهما فرعان للحضارة المسيحية بكنيستها الغربية (الكاثوليكية والبروتستانتية) وكنيستها الشرقية (الأرثوذكسية)، وأن أصولهما الفلسفية والفكرية واحدة منذ الحضارتين اليونانية والرومانية، وصولاً إلى الفكر الليبرالي الرأسمالي والفكر الماركسي الاشتراكي في عهد الصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية.

لذلك، هو صراع أشبه بحرب أهلية كَبرى داخل البيت الغربي، كما جاء في قراءة الفيلسوف الإسلامي علي عزت بيجوبيتش للحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي والاشتراكي، إذ اعتبرهما حضارة مادية تغفل الجانب الروحي للإنسان.

ينسجم ذلك أيضاً مع قراءة المفكر القومي ميشيل عفلق الذي رفض التبعية للغرب بشقيه الرأسمالي الليبرالي والاشتراكي الشيوعي، وكذلك مع قراءة الإمام الثائر آية الله الخميني، الذي وضع كلاً من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي في خانة الاستكبار العالمي المعادي للمستضعفين والمسلمين، وقراءة المفكر الشهيد الشقاقي الذي لم يفرق بين الغرب الشيوعي والغرب الرأسمالي في محاربتهما للمد الإسلامي.

قراءة الصراع بين روسيا والغرب كصراع بين شبيهين باعتبارهما فرعان لحضارة واحدة لا تعني غياب التناقض بينهما، ولا تلغي القراءة الأخرى له كصراع بين نقيضين حضاريين منذ عهدي الوثنية والمسيحية، وصولاً إلى عهد الرأسمالية والاشتراكية، ثم النهضة الروسية المعاصرة في عهد بوتين، وأن أساس هذا التناقض يعود إلى طبيعة الحضارة الغربية الأوروبية بعقيدتها العنصرية عرقياً وثقافياً، والتي تنفي الآخر المختلف عرقياً وثقافياً، ولا تقبل منه سوى الخضوع لها واللحاق بذيلها، نتيجة لهيمنة فكرة تفوق العرق الأوروبي الأبيض، وأفضلية الحضارة الغربية بأصولها اليونانية والرومانية، وتشرب عقيدة "شعب الله المختار" بنسختها المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية، وتلبس روح الاستكبار الاستعمارية التوسعية ...

هذا كله دفع الغرب الأوروبي إلى النظرة الاستعلائية تجاه كل الشعوب الآخرى، ولو كانت تشبهه، مثل السلاف الروسي، ما لم تلغِ هويتها الحضارية وتذوب بحضارة الغرب. وقد يكون ذلك ما دفع فرنسا

بزعامة نابليون بونابرت إلى غزو روسيا في العام 1812م، ودفع ألمانيا بزعامة أدولف هتلر إلى غزو روسيا في العام 1941م، ودفع أميركا بزعامة الإنجيليين إلى محاولة إخضاع روسيا وإذلالها وهزيمتها بالحرب الباردة، ثم العولمة الأميركية، ثم العقوبات الاقتصادية.

معاداة الغرب الأوروبي والأميركي لروسيا تأتي بسبب رفضها الدخول في بيت الطاعة الغربي كثقافة وحضارة ملحقة بالغرب، وإصرارها على تميزها واستقلالها وخصوصيتها، وأن يكون لها روايتها الروسية الخاصة، وقوميتها السلافية المتميزة، وكنيستها الأرثوذكية المنفصلة، وثورتها البلشفية المختلفة، ومشروعها القومي المستقبلي، وأن يكون لديها من اتساع الجغرافيا، وامتداد التاريخ، وتعدد الثروات، وعمق الفلسفة، وعالمية الأدب، وخصوصية الفن، ما يؤهلها للاستمرارية وتطوير حضارة تتحدى رواية الغرب الأوروبي الأميركي المعتمدة على فكرة تفوق الغرب عرقياً وحضارياً، وتَبطل نظرية "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" للأميركي فرانسيس فوكوياما، والتي توقف مسار التاريخ الإنساني عند حضارة الرجل الأبيض الغربي بنموذجها الأميركي المادي وفكرها الرأسمالي الليبرالي، والتي يراد لها أن تبتلع كل الحضارات البشرية الأخرى وتسحقها بواسطة العولمة أو الأمركة، بما فيها الحضارات الشبيهة لها، كالحضارة الروسية الأرثوذكسية، أو الحضارات النقيضة، كالحضارة العربية الإسلامية.

الصراع بين روسيا والغرب لا يمكن اعتباره صراعاً بين شبيهين أو نقيضين بشكل كامل. هو صراع له أبعاد حضارية واستعمارية ومصلحية، ولم ينته بانتهاء الحرب الباردة التي كان العرب ولا يزالون وقودها. وسواء كان الصراع بين شبيهين أو نقيضَين، فلن تكون نتيجته في كل الأحوال لمصلحة العرب.

صحيح أن نهضة روسيا وغيرها كقوة كَبرى ستحد من عربدة أميركا كزعيمة للغرب الأوروبي، وتكسر روحها الاستعمارية الاستكبارية، وتزيد قوة روسيا وغيرها ونفوذها العالمي وقدرتها على تحقيق مصالحها، ولكنها لن تغير كثيراً في واقع العرب السيئ، فقوة العرب كأمة في تحقيق وحدتهم، وإنجاز نهضتهم، وانتزاع استقلالهم، لن تتحقق إلا بقوتهم الذاتية وإمكانياتهم الخاصة، وقبل كل شيء باستعادة رسالتهم الحضارية للبشرية، وهي رسالة الإسلام كدين وحضارة وثقافة وهوية وروح وثورة.

يوم الأرض بعد "سيف القدس"... المقاومة والتحرير

كــتب بتاريــخ:

31 مارس 2022م

يوم الأرض هذا العام هو الأول بعد معركة "سيف القدس"، ويوم الأرض كرمزٍ للصراع مع الكيان الصهيوني بعد "سيف القدس" - المعركة والانتفاضة - يختلف عما قبله، فقد أحدثت المعركة والانتفاضة تحولاً في الصراع على الأرض عنوانه بداية النهاية للكيان الصهيوني، وما بين بداية مرحلة ما بعد "سيف القدس" ونهايتها، أو ما بين المقاومة والتحرير، تتضح ملامح الصراع بين مشروعي الاحتلال والتحرير، ولا سيما ونحن نعيش وهج النصر على وقع عمليات المقاومة الفدائية في فلسطين المحتلة، من جنوبيها في بئر السبع، إلى شماليها في الخضيرة، مروراً بوسطها في مستوطنة بني براك المقامة على أرض قرية (الخيرية) المهجرة، ونحن تظلّلنا أرواح الشهداء الأربعة: محمد أبو القيعان، وخالد إغبارية، وأيمن إغبارية، وضياء حمارشة، لنحاول من خلال قراءة يوم الأرض بعد "سيف القدس"، واستحضار أرواح الشهداء، استشراف مستقبل الصراع في ظل تقدم مشروع المقاومة والتحرير نحو نهايته المؤكدة بتحقيق وعد الآخرة.

كان يوم الأرض حاضراً في معركة "سيف القدس"، فكلاهما - اليوم والمعركة - يختصر الصراع على الأرض، فلم تكن "سيف القدس" إلاّ تجسيداً لهذا الصراع، كما كان يوم الأرض وكل أيام الصراع في فلسطين بين مشروعي الاحتلال والتحرير، فقد بادرت المقاومة الفلسطينية إلى المعركة دفاعاً عن المسجد الأقصى وحي الشيخ جراح، فدافعت عن المسجد الأقصى كي لا يكون (هارهبيت)، وعن القدس كي لا تكون (أورشليم)، وعن فلسطين كي لا تكون (إسرائيل)، وهذا جوهر يوم الأرض الذي جاء تأكيداً لتمسك الشعب الفلسطيني بأرضه والدفاع عنها، فالأرض عند الفلسطينيين هي دم الشهداء، وأنين الجرحى، ووجع الأسرى، وعرق الكادحين، ودمع المعذّبين، وحنين اللاجئين، ورائحة الآباء، وروح الأجداد، وشموخ الثوار، ولذلك تَعتبر الأرض هي جوهر الصراع في الروايتين الصهيونية والفلسطينية.

الأرض في الرواية الصهيونية قامت على أكذوبة كبرى هي (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، فصورت الأرض الفلسطينية خالية من البشر والشجر، وإن وجِدا فالبشر مجرد حشود بشرية غير منتجة، والشجر مجرد نباتات حرجية غير مثمرة، والمشروع الصهيوني جاء لإعمار (الأرض البور) بالمستوطنين

(المنتجين) والأشجار المثمرة، والأرض في الرواية المزورة تكمل الثالوث المقدس (الأرض والشعب والإله)، وبعودة (الشعب اليهودي) إلى (أرض الميعاد) تحل روح الإله المقدسة في الشعب والأرض، فتضفي عليهما القداسة. ولذلك كانت الأرض هي جوهر المشروع الصهيوني الاستعماري بطبيعته الإحلالية الاستيطانية.

والأرض في الرواية الفلسطينية قامت على حقيقة واضحة تستند إلى الحق الفلسطيني الطبيعي والتاريخي والديني في الأرض الفلسطينية، وهي جوهر المشروع الوطني الفلسطيني منذ بداية المشروع الصهيوني والاحتلال البريطاني قبل النكبة بالحفاظ عليها، وبعد النكسة بمقاومة الاحتلال الصهيوني لتحريرها والعودة إليها، وعندما أنشئت منظمة التحرير الفلسطينية بلورت مشروعها الوطني حول محور الأرض بالتحرير والعودة والاستقلال، وبعد النكسة بدأ التآكل في مشروع تحرير الأرض ليصل إلى فكرة تقاسم الأرض مع سارقها، وبعد اتفاقية أوسلو انتهت فكرة تقاسم الأرض إلى التعايش مع محتل الأرض، حتى جاءت معركة وانتفاضة "سيف القدس" لتعيد تصويب البوصلة باتجاه مشروع المقاومة والتحرير.

جاءت "سيف القدس" في ذروة الضجيج حول الانتخابات لبناء نظام سياسي فلسطيني تحت سقف أوسلو يكرس حالة التعايش مع الاحتلال، ولكنها كانت أيضاً في ذروة الصراع في القدس على الأقصى والأرض، عندما كانت الجماهير الفلسطينية تتصدى بصدورها العارية دفاعاً عن المسجد الأقصى وحي الشيخ جراح، ففصلت معركة "سيف القدس" بين نهجي المقاومة والمساومة وطريقي التحرير والتعايش، فتوحد الشعب الفلسطيني بقيادة المقاومة ومشروعها الوطني التحريري في كل فلسطين المحتلة عامي 1948م – 1967م وخارجها، في معركة "سيف القدس" بغزة، وانتفاضة "سيف القدس" في الضفة الغربية والأرض المحتلة عام النكبة، فكانت نقطة تحول في معارك المقاومة الفلسطينية واللبنانية، استفادت من مراكمة نقاط القوة للشعب والأمة، التي رافقت انسحاب الاحتلال من جنوبي لبنان عام 2000م، وقطاع غزة عام 2005م، وهزيمة تموز - حزيران 2006م، ومعارك غزة، وآخرها "سيف القدس" عام 2021م، فرسمت معالم مستقبل الصراع ما بين المقاومة كبداية والتحرير كنهاية.

في يوم الأرض الأول بعد "سيف القدس" لا يوجد في فلسطين سوى مشروعين: مشروع التعايش مع الاحتلال، تقوده أطلال مشروع وطني غادر ميدان الصراع مع الاحتلال، وخرج من مركز التاريخ الوطني، يبحث أبطاله المهزومون عن تحسين شروط الشراكة الأمنية والاقتصادية مع الاحتلال، وتحسين جودة حياة النخبة وذراريهم وأتباعهم تحت سيوف الاحتلال. ومشروع الاشتباك مع الاحتلال، يقوده عنفوان مشروع وطني لم يغادر ميدان الصراع، وبقي في قلب التاريخ الوطني، يجسد نهجه المنتصر مقاومة تسوء وجه الاحتلال، وتراكم عوامل القوة على طريق تحرير الأرض وتحقيق وعد الآخرة. ولا يوجد سوى حلفين: حلف أورشليم أو محور المساومة والتطبيع، عنوانه الاستسلام للهيمنة الصهيوأميركية والخضوع للاستعمار الأميركي والكيان الصهيوني، وحلف القدس أو محور المقاومة والتحرير، عنوانه الثورة ضد الهيمنة الصهيوأميركية ومقاومة الاستعمار الأميركي والكيان الصهيوني.

في ضوء قراءة لهذين المشروعين والحلفين تتضح معالم مستقبل الصراع على الأرض بعد معركة وانتفاضة "سيف القدس"، المستقبل الذي يسير وفق سنن التاريخ ومعطيات الحاضر وبشائر وعد الآخرة، وهو صعود مشروع التحرير ومحور المقاومة ، وتقدم المشروع الوطني وحلف القدس، وهذا يعني حتمية تشكيل جبهة وطنية فلسطينية لتحرير فلسطين، تضم كل المؤمنين بتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، وتتجاوز قيود الأطر والمسمّيات الموجودة، مدعومة بمحور المقاومة الذي بوصلته القدس وفلسطين، ويضم كل الرافضين للاستعمار الصهيوأميركي على الوطن العربي والإسلامي، وتتجاوز حلف المساومة والتطبيع الموجود في الاتجاه المعاكس لمسار التاريخ والمستقبل السائر نحو وعد الآخرة.

"الجهاد الإسلامي" واستراتيجية المقاومة المستمرة

كـتب بتاريـخ:

8 أبريل 2022م

كان والدي (رحمه الله) في سبعينيات القرن العشرين من عشاق سماع هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، ولا سيما في ساعات المساء، بعد أن يعود من عمله، وكانت تقريباً نافذته الوحيدة لمعرفة أخبار المنطقة والعالم.

وكان أحياناً يستمع إلى إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية (صوت فلسطين - صوت الثورة الفلسطينية) لأخذ جرعة من الحماس الوطني، وكان نادراً ما يستمع إلى إذاعة "صوت العرب" لعدم ثقته بأخبارها بعد نكسة حزيران.

ولذلك، تشكل وعيي السياسي والوطني مبكراً من هاتين النافذتين، وخصوصاً إذاعة "صوت الثورة الفلسطينية"، التي تبدأ بثها بالنشيد الوطني الفلسطيني (فدائي)، ثم افتتاحية الإذاعة اليومية التي تختصر المشروع الوطني الفلسطيني من حيث الهدف والوسيلة والاستراتيجية، فالهدف (تحرير كامل الوطن المحتل... تحرير فلسطين كل فلسطين)، والوسيلة (الكفاح المسلح)، والاستراتيجية (الحرب الثورية الطويلة الأمد).

الحرب الثورية الطويلة الأمد، بمعنى المقاومة الشعبية المستمرة، نص عليها الميثاق الوطني الفلسطيني في بنده العاشر. ومما جاء فيه: "العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية... ضماناً لاستمرار الثورة وتصاعدها وانتصارها".

وفي تراث الثورة الفلسطينية الثقافي، سميت "حرب التحرير الوطنية"، التي تسعى فيها الشعوب الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي إلى تحرير وطنها -الأرض والشعب- من قبضة الاحتلال، وتعتمد على استراتيجية المقاومة المستمرة بكل وسائلها، وذروة سنامها الكفاح المسلح، من أجل استنزاف العدو المحتل مادياً وبشرياً ونفسياً، وصولاً إلى تحطيم إرادته القتالية والسياسية، حتى يقتنع بعدم جدوى الاحتلال، نظراً إلى ارتفاع كلفته البشرية والمادية الباهظة الثمن، فيدفعه ذلك إلى الانسحاب

جزئياً أو كلياً، كما حدث في جنوب لبنان في العام 2000م، وقطاع غزة في العام 2005م، وكل حروب التحرير الوطنية، من الجزائر شرقاً إلى فيتنام غرباً، وعشرات الشعوب الحرة التي طردت الاحتلال وانتزعت حريتها بمقاومتها ونضالها وتضحياتها.

صوت الثورة الفلسطينية -إذاعةً ومنظمةً وفكراً- خفت وضعف بعد حرب لبنان الأولى في العام 1982م، وخروج المنظمة من لبنان، وتشتت قواتها العسكرية في صحاري التيه العربي، وتشتت فكرها السياسي في متاهات الواقعية الثورية والانتهازية السياسية.

في الوقت نفسه، بدأ يعلو ويقوى صوت آخر للثورة الفلسطينية بهويتها الوطنية والقومية والإسلامية، ومزاوجتها بين القرآن والبندقية، وجمعها بين الإسلام كمرجعية ومنطلق، وفلسطين كهدف وقضية، والجهاد كوسيلة ومقاومة. هو صوت المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، الذي بنى نظريته الثورية وأطروحته النضالية من عقيدة الجهاد في سبيل الله، وتاريخ الأمة الإسلامية، ونضال الشعب الفلسطيني، مستلهماً روح الثورة الإسلامية التي انطلقت من غار حراء وحطت رحالها في فلسطين، ليستعيد روحها أبطال الثورة الفلسطينية، أمثال عز الدين القسام، وعبد القادر الحسيني، ومحمد جمجوم، وفؤاد حجازي، وعطا الزير، وغيرهم، فكانت نظريته وأطروحته تصهر الإسلام وفلسطين والجهاد في بوتقة مشروع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

مشروع الجهاد الإسلامي في جوهره هو قتال العدو ومقاومة الاحتلال حتى تحرير فلسطين، وهو مبرر وجود الحركة، كما قال مؤسسها الشقاقي: "إن مبرر وجودنا الأساسي هو الجهاد المسلح ضد الاحتلال الصهيوني. هذا الجهاد سوف يستمر بلا توقف، مهما كان حجم الصعوبات والضربات والتضحيات".
إن استمرار الجهاد بلا توقف حتى تحرير فلسطين هو ببساطة مشروع الجهاد الإسلامي، لأن انتهاء الجهاد والمقاومة قبل التحرير سيؤدي إلى تكريس الوجود الصهيوني على أرض فلسطين، كما أن إبقاء جذوة الصراع والجهاد والمقاومة مشتعلة سيساهم في استنهاض الأمة وتحقيق وحدتها حول فلسطين، واستغلال جزء من طاقاتها في مواجهة الكيان الصهيوني، كإفراز للمشروع الغربي الاستعماري ضد الأمة، أو على الأقل تكوين جبهة فلسطينية عربية إسلامية موحدة ممن يؤمنون بحتمية زوال الكيان الصهيوني وتحرير فلسطين، ويشكلون معاً محوراً للمقاومة بوصلته القدس، وإبقاء المعركة مفتوحة مع الاحتلال يحقق توازن الرعب مع العدو على طريق النصر النهائي عليه.

الجهاد المتواصل والمقاومة المستمرة يعنيان إبقاء جذوة الصراع مشتعلة وراية المقاومة مرفوعة، أي مشاغلة العدو بالعمليات الفدائية والمقاومة الشعبية، لمنعه من الإحساس بالأمن والاستقرار، وتعميق مأزقه الأمني والوجودي، وتقويض أساس المشروع الصهيوني وكيانه ممثلاً بالأمن والهجرة والاستيطان، وإجهاض مشاريع الكيان الصهيوني في التعايش مع الاحتلال، سواء بالأسرلة أو الترويض أو الحصار، وعرقلة مشروع "إسرائيل الكَبرى" بالمفهوم السياسي الذي بدأ بـ"السلام" والتطبيع وانتهى بالتحالف والهيمنة.

إن استراتيجية المشاغلة بالمقاومة هي الطريق إلى مراكمة القوة؛ قوة المقاومة بمراكمة خبراتها ونقاط قوتها وإنجازاتها، وقوة الشعب بتعزيز ثقته بنفسه وعوامل صموده وثباته، وقوة الأمة بزيادة فاعليتها وتصويب بوصلتها نحو فلسطين، وهذا لا يعني بالضرورة عدم وجود فترات هدوء جبرية أو طوعية تحت أي مسمى مستخدم، كالتهدئة والهدنة وغيرهما، نتيجة ظروف ذاتية وموضوعية فرضتها طبيعة الصراع، ولكن من دون أن تخل باستراتيجية المقاومة المستمرة.

وتأكيداً على تلك الاستراتيجية، جاء في الوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي: "النهج الثابت للجهاد والمقاومة هو استمرار المواجهة مع العدو الصهيوني، واستنزاف طاقاته وقدراته، وزعزعة أمنه واستقراره، لإجباره على الرحيل عن أرضنا، وصولاً إلى التحرير الكامل لفلسطين، الذي هو مهمة تاريخية إنسانية كَبرى تحقّقها أجيال الأمة العربية والإسلامية، وفي طليعتها الشعب الفلسطيني، وتتطلب دعم كل أحرار العالم وتأييدهم".

إن استراتيجية المقاومة المستمرة والمحافظة على جذوة الجهاد مشتعلة في فكر الجهاد الإسلامي هما ما يفسر نهجها العملي المقاوم منذ نشأتها في غزة، وحتى آخر طلقاتها وشهدائها في جنين، مروراً بثورة السكاكين، وتفجيرها انتفاضة الحجارة، ومشاركتها في انتفاضة الأقصى، وعملياتها الفدائية والاستشهادية، ودورها في طرد الاحتلال والاستيطان من غزة، وخوضها بعد ذلك عشرات المعارك منفردة أو مجتمعة مع الفصائل الفلسطينية المقاومة، وآخرها "سيف القدس" ومواجهات كتيبة جنين بعدها...

هكذا، سيبقى نهج المقاومة مستمراً، وستبقى جذوة الجهاد مشتعلة، حتى تكتمل دائرة النصر باكتمال دورة الحضارة عند محطة وعد الآخرة، عندما يخرب اليهود الصهاينة كيانهم بأيديهم، ثم يخرب كيانهم بأيدي المؤمنين؛ عباد الله أولي البأس الشديد.

صراع الرواية بين الغالب والمغلوب

كـتب بتاريـخ:

14 آبريل2022م

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري حين أتى على ذكر بناء المسجد النبوي، قال: "كُنا نحملَ لبنةً لبنةً وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي - صلى الله عليه وسلم - فينفضُ التراب عنه، ويقولُ: ويحَ عمارٍ، تقتلهُ الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار."

وبالفعل قتل عمار في واقعة صفين على يد جيش الشام عندما كان يقاتل في جيش الخلافة الراشدة، فأحدث ذلك زلزلة في جيش الشام، فتدارك معاوية بن أبي سفيان - والي الشام - الأمر، فعمد إلى تأويل الحديث النبوي، بقوله: "إنما قتله الذين أخرجوه"، محاولاً بذلك تقديم رواية مضادة لمضمون الحديث الصريح الخاص بتحديد الفئة الباغية على الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب؛ لإضفاء نوع من الشرعية والمصداقية على صراعه ضد الخليفة الشرعي، فكان ذلك نوعاً من صراع الروايات.

هناك أنواع أخرى لصراع الروايات غير نشر الرواية المضادة، هو تغييب رواية الآخر المنافس أو الخصم أو العدو، كما حدث مع اللواء محمد نجيب، في النزاع على السلطة داخل مجلس قيادة الثورة، بعد إطاحة النظام الملكي؛ فقد ورد في كتاب (كنت رئيساً لمصر) لمحمد نجيب، الذي سجل فيه حواراً مع ابنه فاروق عندما كان طفلاً، فكتب "فاروق: أبي، هل صحيح أنّك كنت رئيساً للجمهورية؟ فقلت له: نعم يا بني... ولكن ما الذي جعلك تسأل هذا السؤال... هذا التاريخ مضى وانقضى، ولمحت دموعاً حائرة بين عيني الصبي، وهو يقدم لي كتاباً في المطالعة جاء فيه هذه العبارة: وجمال عبد الناصر هو أول رئيس لجمهورية مصر العربية".

وهذا ما درسته الأجيال على مدار أربعين عاماً، فعرفت رواية الغالب وجهلت رواية المغلوب، حتى أعيد له الاعتبار تقديراً لدوره في ثورة 23 يوليو.
الصراع على الرواية بين الغالب والمغلوب كجزء من الصراع على السلطة لم يكن فقط داخل مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار والنظام الحاكم، بل كان أيضاً بين كل هؤلاء وجماعة الإخوان المسلمين. وبقدر حجم التناقض والقسوة في الصراع بين الطرفين، كان الصراع على الرواية أكثر تناقضاً وأشد

قسوة، وصل إلى اتهام الإخوان المسلمين بالخيانة والتآمر على الدولة المصرية، ووصل إلى اتهام النظام الناصري بالكفر والخروج عن الديانة الإسلامية. ولم تتغير الروايتان جوهرياً بتغير رؤساء مصر ومرشدي الجماعة وتعاقبهم، وصولاً إلى ثورة يناير عام 2011م، والأحداث التي تلتها عامي 2012 – 2013م، التي انتهت بإطاحة الرئيس المصري المنتمي إلى الإخوان المسلمين محمد مرسي، فكان في هذا الصراع، هو والجماعة، الطرف المغلوب في الصراع على السلطة، بينما الجيش المصري وأركان الدولة المصرية هم الطرف الغالب، ولكلٍ منهما روايته الخاصة للصراع قدمها بعدة وسائل، كانت الدراما التلفزيونية حاضرة بقوة فيها مجسدة في مسلسل (الاختيار)، ولا سيما الجزء الثالث منه، الذي يعرض حالياً كرواية السلطة أو الغالب لما حدث في حلقة الصراع الأخيرة.

الصراع على الرواية بين الغالب والمغلوب كان – ولا يزال – رديفاً للصراع على امتلاك قوتي السلطة والثروة، واحتكار تمثيل الدين والحق، والاستحواذ على مفاتيح المعرفة والحقيقة. وسواء أكان الصراع بين الشعوب والأمم المختلفة أم داخل الشعب الواحد والأمة الواحدة، فإن آليات تدعيم رواية الذات ضد الآخر، سواء الغالب أم المغلوب، واحدة، ومنها: شيطنة الآخر، بإعطاء الآخر – المنافس أو الخصم أو العدو – صورة الشيطان والشرير والمجرم، بمعنى تنميط الآخر سلبياً بعدة طرق، هي: التبسيط (نحن الحق وهم الباطل)، والمبالغة (تضخيم عيوب الآخر)، والتحيز (التعصب ضد الآخر)، والتعميم (جميع أفراد الآخر سيئون). وعملية الشيطنة هدفها إيجاد مبرر أخلاقي ومسوغ نفسي لرواية أطراف الصراع، بعضهم ضد بعض، وتهيئة جماهيرهم لتقبل أي ممارسات غير إنسانية ضد الآخر، بما فيها القتل.

ومن آليات تدعيم رواية الذات ضد الآخر إلغاء تاريخه وتغييبه عن الوجود؛ فعدم تداول السلطة بطريقة سلمية وديمقراطية، وانتقالها بالقوة الجبرية، يجعلان الغالب أو المنتصر يشعر بالاستعلاء بقوته وبالخوف من أعدائه، فيذهب مع بطانته ومؤرخيه إلى رواية مزدوجة، تضخّم (إيجابياته وإنجازاته)، وتلغي تاريخ سابقيه بما فيه من إيجابيات وإنجازات، فتغيب روايتهم، أما المغلوب فقد يتبنى رواية المظلومية بطريقة مبالغ فيها بحيث يلغي رواية الآخر.

وكذلك الرواية الأحادية للتاريخ، وخاصة من وجهة نظر المنتصر الغالب، في الصراعات الداخلية وبين الأمم، ومن أمثلة ذلك، رواية الأوروبيين الغزاة خارج أوروبا بأنها عملية حضارية أخلاقية لترقية

الشعوب (المتخلّفة) وتعمير الأرض (البور)، وليس كمحتلّين قساة وناهبي ثروات الأمم من زاوية الشعوب المحتلة أراضيها. وفي التاريخ العربي الإسلامي كَتبت روايتنا للفتوحات العسكرية كرسالة دينية حضارية، وغابت عن المؤرخين العرب روايات الشعوب المغلوبة.

وكذلك إسقاط الآيديولوجيا على أحداث التاريخ من وسائل تدعيم الرواية في الصراع، ولا سيما الغالب والمغلوب، فتجري من خلال هذه الآلية رواية أحداث التاريخ بطريقة انتقائية لاختيار الأحداث المنسجمة مع الأيديولوجيا، وتفسر الوقائع بما يخدم الفكرة، وتؤول الأقوال لتطابق الرواية المعتمدة للصراع، بمعنى أدلجة الأحداث والوقائع والأقوال بطريقة تخدم روايات الذات ضد الآخر، كما حدث في الانقسام الفلسطيني عندما أصبحت لدينا روايتان للأحداث نفسها.

وأخيراً، فإن صراع الرواية بين الغالب والمغلوب هو أمر طبيعي في ظل حتمية الصراع الإنساني، وسيكون النصر والظهور في النهاية للرواية الأكثر صدقاً، والقضية الأكثر عدالةً، والرسالة الأكثر أخلاقية.

المقاومة المسلّحة بين التجريم والتقديس

كـتب بتاريـخ:

21 آبريل 2022م

يتفهم المرء أن تَهاجم المقاومة الفلسطينية المسلحة من أبواق الكيان الصهيوني وحلفائه في الغرب وأنظمة التطبيع، أما أن تَهاجم من فلسطينيين تحت الاحتلال الصهيوني، فمن الصعب تفهم ذلك، وخاصة إذا ما اقترب هذا الهجوم من تجريم المقاومة بالمفهوم السياسي. وفي الجانب الآخر يبالغ بعض أنصار المقاومة المسلحة في الدفاع عنها، إلى درجة تقترب من التقديس، بمعنى العصمة من الخطأ، وما بين تجريم المقاومة المسلحة وتقديسها يوجد النقد كوسط معتدل بين التطرفين. وانطلاقاً من هذا الفهم، تأتي هذه المناقشة لتلقي الضوء على المقاومة المسلحة من حيث الشرعية والمبدأ والممارسة، واستعراض بعض وجهات نظر منتقديها ومناقشتها.

اكتسبت المقاومة الفلسطينية المسلّحة شرعيتها من وجود المحتل الصهيوني على الأرض الفلسطينية، والحق الطبيعي والإنساني والديني والوطني في الدفاع عن النفس ومقاومة المحتل والعمل على طرده من الأرض المحتلة، وهو حق كفلته كل الأعراف الإنسانية، والمواثيق الدولية، والقوانين الأممية، التي أعطت الحق لأصحاب الأرض المحتلة في الثورة على سلطة الاحتلال وقوة الطاغوت ومقاومتها وطردها بالوسائل كافة، بما فيها الكفاح المسلّح، من أجل الحرية والاستقلال، وهذا موثّق في قرارات الأمم المتحدة، ودول عدم الانحياز، والمؤتمر الإسلامي، والوحدة الأفريقية، والجامعة العربية، وكل المؤسسات الدولية القانونية والسياسية.

وحق المقاومة المسلّحة أثبتته كل فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية داخل منظمة التحرير الفلسطينية وخارجها، لدى حركتي الجهاد وحماس، بمختلف مرجعياتها الفكرية والسياسية؛ فالميثاق الوطني الفلسطيني - قبل التشويه - اعتبر "الكفاح المسلّح الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكاً". والوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين اعتبرت أن "الكفاح المسلّح ضد العدو الصهيوني هو الأسلوب الرئيسي الاستراتيجي في كفاحنا... لا يجوز التخلّي عنه قبل دفع العدوان وتحرير فلسطين". والوثيقة السياسية لحركة المقاومة

الإسلامية (حماس) اعتبرت "أن مقاومة الاحتلال بالوسائل والأساليب كافة حق مشروع... وفي القلب منها المقاومة المسلّحة التي تَعد الخيار الاستراتيجي".

بناء على تلك الشرعية الطبيعية والدولية والوطنية، تَعتبر المقاومة المسلّحة من حيث المبدأ حقاً مشروعاً ومقدساً للشعب الفلسطيني المكتوي بنار الاحتلال الصهيوني، وإنكار هذا الحق أو تحريفه يعد انتهاكاً لحق شرعي ومقدس للشعب الفلسطيني وطليعته الثورية، وهو كمن ينكر أو يحرف حقه في تحرير وطنه والعودة إليه، لأنه الطريق الوحيد للتحرير والعودة، وهذا لا ينفي الحق في نقد المقاومة المسلّحة كممارسة بشرية، بل إن حق النقد هو واجب ينبغي تحويله إلى نهج ثابت لضمان استمرار مسيرة المقاومة عن طريق اكتشاف نقاط القوة لتعزيزها ونقاط الضعف لعلاجها، وانطلاقاً من أن المقاومة فعل بشري غير معصوم من الخطأ والزلل، ومعرض للانحراف والاعوجاج.

وإذا كانت المقاومة المسلحة عملاً إنسانياً غير مقدس، فينبغي أن لا تتحول إلى صك غفران يعفي أصحابها من التعرض للنقد، أو يأخذ أهلها امتيازاً خاصاً يضفي على سلوكهم العصمة، أو ينال منظّروها رخصة مفتوحة لاحتكار الصواب... ولضمان عدم حدوث ذلك التقديس، يجب أن يبقى التمييز حاضراً بين المقاومة المسلّحة كمبدأ وحق، والمقاومة المسلّحة كممارسة وسلوك، ويجب أن تبقى المقاومة المسلحة وسيلة وطنية مركزية لمشروع تحرير فلسطين لا (قبيلة) تطبق مبدأ "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" داخلياً. وينبغي أن تظل مشروعاً موحداً للشعب والأمة بعيداً عن مفهوم (الفرقة الناجية) تَطبق حكم التكفير والتخوين على كل ما عداها... وبعيداً عن التجريم والتقديس يمكن مناقشة بعض الانتقادات الموجهة إلى المقاومة المسلحة.

من هذا النقد أن المقاومة المسلّحة تَجهض الانتفاضة الشعبية، وهي فرضية خاطئة وفكرة مغلوطة وقول مخالف للتجربة والواقع. فالمقاومة المسلّحة عندما توقع خسائر بشرية في صفوف العدو - جيشاً ومستوطنين - كان هذا الأمر وما زال يعطي الشعب الفلسطيني الثقة بنفسه وبمقاومته، ويعزز تماسكه الداخلي، عندما يرى جلّاده يتألم ويعاني كما يتألم ويعاني، وهذه الثقة والاتزان يدفعان الجماهير المنتفضة إلى مزيد من الثورة والتضحية وتصعيد الانتفاضة والثورة. ونقد مشابه له مفاده أن المقاومة المسلحة تسببٌ المعاناة للناس من جراء انتقام الاحتلال منهم بالقتل والاعتقال والهدم، فهذا النقد يحمل الضحية (الشعب) جريمة الجلاد (الاحتلال)، وهو نوع من (لوم الضحية)

لنفسها، ونوع مبالغ فيه من (جلد الذات)، وكلاهما شعور سلبي يصيب بعض الناس في زمن الهزائم وتكرار الفشل، فيسبب اليأس والإحباط... الخروج منه يتم بالمقاومة التي تخلق الثقة بالله وبالنفس فردياً وشعبياً.

وكذلك النقد القائل بعدم جدوى المقاومة المسلّحة لعدم وجود التكافؤ العسكري مع العدو، وهذا النقد صواب في حالة الحروب العسكرية التقليدية بين جيشين نظاميين، أما في حالة حروب التحرير الوطنية المعتمدة على حرب العصابات ضد جيش نظامي، كحالة الثورة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي، فإن التكافؤ العسكري غير ضروري وغير مطلوب، ولم يكن موجوداً في تجارب حركات التحرير الوطني في العالم، ومع ذلك حققت النصر لاعتمادها على إرادة القتال والصمود، واستنزاف العدو بإبقاء المقاومة مستمرة، ومراكمة نقاط القوة والإنجازات الصغيرة... وقريب من هذا النقد ما يقال عن أن تكلفة المقاومة المسلّحة البشرية والمادية كبيرة مقارنة بخسائر العدو، وهذا صواب لو كانت حروب التحرير تَحسب بعدد الخسائر وحجمها - رغم أهميتهما - ولكنها تَحسب بالنتيجة النهائية للحرب، وبمقدار التقدم نحو هدف مشروع التحرير، وإلاّ لاعتبرت كل الشعوب التي خاضت حروب التحرير في العالم وانتزعت حريتها واستقلالها قد خسرت الحرب؛ لأن خسائرها فاقت خسائر محتليها أضعافاً مضاعفة، كالشعب الجزائري أمام فرنسا، والشعب الفيتنامي أمام أميركا.

وهناك نقد يشكّك في المقاومة المسلّحة، لأنها مرفوضة من (المجتمع الدولي)، ويدعو إلى المقاومة الشعبية السلمية، لأنها مقبولة من (المجتمع الدولي). ولتفنيد هذا النقد، ينبغي التوضيح أن (المجتمع الدولي) الذي يراهن عليه هؤلاء هو الغرب بوجهيه الأوروبي والأميركي المسؤول عن نشأة دولة (إسرائيل) ومنحها الشرعية الدولية وأسباب الحياة والبقاء، ولا يزال يغطّيها سياسياً واقتصادياً، باعتبارها رأس حربة لمشروعه الاستعماري، وبالتالي لا يراهن عليه... كما أن المقاومة السلمية لا تَصلح مع كيان إحلالي استيطاني قام على العنف وإدامة العنف، ومع صراع وجود لا ينتهي إلّا بزوال الكيان الصهيوني من الوجود.

وآخر نقد سنناقشه ضد المقاومة المسلّحة هو اتهام فصائلها بأنّها مرتبطة بأجندة أجنبية ومصالح غير وطنية، ويشار هنا بالتحديد إلى الجمهورية الإسلامية في إيران، ومعها كل محور المقاومة، ومناقشة هذا النقد تأخذنا إلى قاعدة مهمة فحواها أن أي تحالف هدفه تحرير فلسطين ويدعم

المقاومة الفلسطينية المسلحة كوسيلة لخدمة هدف التحرير هو أجندة وطنية فلسطينية لا أجندة خارجية أجنبية؛ فتحالف المقاومة الفلسطينية مع الدول والحركات والقوى خارج فلسطين يجب أن تحكمه بوصلة القدس وفلسطين قرباً أو بعداً... وهذا ما تلتزم به المقاومة الفلسطينية، وبالتحديد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وعلاقتها بمحور المقاومة وغيره.

بناء على حقيقة أن المقاومة المسلّحة ضد الاحتلال كمبدأ وممارسة تَعتبر حقاً للشعب الفلسطيني وواجباً على طليعته الثائرة، وأن نقد المقاومة المسلّحة بعيداً عن التجريم والتقديس والمساس بالمبدأ حق وواجب للشعب والثورة، فإن ذلك مطلوب وضروري كي لا تنحرف المقاومة عن هدف تحرير فلسطين، وكي لا تنحرف بوصلة بندقيتها عن مقاتلة الكيان الصهيوني، وكي لا تنفصل المقاومة الفلسطينية عن حاضنتها الشعبية ومحورها المقاوم وأخلاقها الإنسانية، والنقد مطلوب كذلك كي لا تتحول المقاومة إلى مجرد حزب يتقمص دور القبيلة في الجاهلية، أو مجرد تنظيم تسكنه روح الفرقة الناجية.

يوم القدس ودائرة النصر

كـتب بتاريـخ:

29 أبريل 2022م

شهد شهر رمضان الحالي والماضي تصاعداً في الهجمة الإسرائيلية على المسجد الأقصى ومدينة القدس من خلال قوات الاحتلال والمستوطنين، في محاولات متكررة للسيطرة عليه دينياً بتقسيمه زمانياً ومكانياً، بعد أن سيطرت عليه "إسرائيل" عسكرياً منذ النكسة أو النكبة الثانية.

في المقابل، كان التصدي الفلسطيني البطولي لهذه الهجمة حاضراً بقوة طوال الشهر المبارك، ما جعل الأقصى في بؤرة الصراع مع الاحتلال، والقدس مركز الصراع مع الكيان الصهيوني، لتختصر القدس والأقصى الصراع على فلسطين، ولتختزل فلسطين الصراع بين الأمة والغرب، وبين المستضعفين والمستكبرين، وبين الحق والباطل...

هذا هو جوهر معنى يوم القدس العالمي الذي أبدعه الإمام الثائر آية الله الخميني - رحمه الله - مفجر الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران، ليضع ملامح النصر القادم للأمة عندما تكتمل - من خلال معنى يوم القدس العالمي - دائرة النصر.

بدأ فكر الإمام الثائر يخط دائرة النصر منذ أن كانت القدس وفلسطين حاضرة في إيران الثورة، من خلال حضورها في فكر قائدها الذي اعتبر تحالف النظام الملكي مع الكيان الصهيوني أهم أسباب نزع الشرعية عن نظام حكم الشاه محمد رضا بهلوي والتحريض على الثورة ضده، واعتبر الإمام أن فلسطين هي قضية المسلمين الأولى، وأن تحريرها من الصهاينة واجب شرعي على الأمة الإسلامية، واعتبر الكيان الصهيوني الخطر الأول على المسلمين، ورأى أنه غدة سرطانية يجب اجتثاثها وإزالتها من الوجود.

هذا الحضور تحول إلى نهج عملي وسياسة ثابتة لإيران الدولة، فدخلت فلسطين في صلب مشروعية الثورة وهوية الجمهورية، ودعم فلسطين شعباً وقضية ومقاومة اعتبر واجباً دينياً وأخلاقياً وإنسانياً، وحولت الجمهورية سفارة "إسرائيل" إلى سفارة فلسطين كرمزٍ للتحرير القادم لا محالة، ورفعت شعار

"اليوم إيرا ن وغداً فلسطين"، وأنشأت داخل حرس الثورة "قوة القدس" لدعم المقاومة الفلسطينية. وقد أتى إعلان مرشد الجمهورية الإمام الخميني "يوم القدس العالمي" في هذا السياق، للتضامن مع الأقصى والقدس وفلسطين وتأكيد الالتزام بتحريرها.

إبداع يوم القدس العالمي في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك كختام لشهر العبادة والتقرب والتطهر، هدفه أن يتذكر كل مسلم في العالم القدس، لتكون قبلته الأولى في الاهتمام والجهاد، كما كانت قبلته الأولى في العبادة والصلاة، ولتكون قضية المسلمين المركزية كمحور للصراع الحضاري بين الأمة والغرب، كما كانت وجهة المسلمين الأولى خارج الجزيرة العربية في عهد الرسول (ص).

هذا الإبداع يعني استمرار معارضة الأمة لوجود الكيان الصهيوني كخنجرٍ مغروس في قلبها (القدس)، ويعني دوام إنكار الأمة لشرعية الكيان والتطبيع معه، ويعني ديمومة مأزق الكيان الوجودي وحتمية زواله من الوجود، ويعني تذكيراً متواصلاً بطبيعة الصراع على الأرض والتاريخ والرواية مع الكيان الصهيوني كرأس حربة للمشروع الاستعماري الغربي المضاد لمشروع نهضة الأمة ووحدتها واستقلالها وحريتها.

يوم القدس العالمي هو كلّ أيام الجهاد والمقاومة التي تكون فيها القدس وفلسطين حاضرةً في مركز الصراع والمواجهة، وحاضرةً في بؤرة الإيمان والوعي والوجدان. وعندما تكون أيام الأمة كلّها أيام القدس، وتقترب الأمة من فلسطين لتصبح أرضها كلها في أكناف بيت المقدس، وعندما يقترب زمان الأمة ومكانها من القدس وفلسطين، وتحافظ على استمرارية يوم القدس، فهذا يعني أن لا يكون المسجد الأقصى "هارهبيت"، وأن لا تصبح القدس "أورشليم"، وأن لا تتحول فلسطين إلى "إسرائيل"، ويعني أن لا تستبدل الأمة بوعد الآخرة وعد بلفور، وبمشروع التحرير مشروع التطبيع، وبمحور المقاومة محور المساومة.

إحياء يوم القدس يعني أن الأمة لن ترفع راية الاستسلام، ولن تَسلّم بالهزيمة أمام عدوها، وأن الحرب لم تضع أوزارها بعد، وأن السجال حتى زوال الاحتلال، وأن خيار الجهاد والمقاومة هو قدر الأمة ودمها الذي يجري في شرايينها ويسري في روحها، ومعه تتجدد حيوية الأمة ونهضتها وثورتها وعزتها وكرامتها.

تكتمل دائرة النصر في يوم القدس العالمي، عندما يلتقي الزمان والمكان والقرآن في ثلاثية الإبداع؛ إبداع يربط قداسة زمان شهر رمضان المبارك بقداسة مكان بيت المقدس وأكناف بيت المقدس (القدس وفلسطين)، وقداسة القرآن الكريم في سورة الإسراء الحاضنة لوعد الآخرة المبشر بتحرير القدس وفلسطين، لتكتمل بتلك الثلاثية المقدسة دائرة النصر الموعود من الله تعالى للأمة الإسلامية.

إن شهر رمضان كزمانٍ مبارك يحمل في معانيه أسباب النصر، من خلال أخلاق النصر وصفات الفلاح المستوحاة منه، وأهمها الإخلاص والصبر والمجاهدة والثورة، والمسجد الأقصى كمكانٍ مبارك يخبئ داخله وحوله الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق حتى يأتي نصر الله، وهي كذلك، والقرآن الكريم ككتاب مقدس تكمن فيه بشرى النصر في سورة الإسراء التي يسكن فيها وعد الآخرة، للانطلاق نحو إنهاء العلو والإفساد الإسرائيلي الثاني.

وكي تكتمل دائرة النصر، يجب الأخذ بأسباب النصر، استلهاماً من يوم القدس العالمي، فيكون ميلاداً سنوياً متجدداً للأمة، يمنحها القوة والقدرة على إعادة توحيدها حول القدس وفلسطين كقضية مركزية لكل الأمة، ولإعادة توجيه بوصلة الأمة نحو قبلتها الأولى المسجد الأقصى والقدس، كهدف للتحرير ومشروع للنهضة، وإعادة تصويب سلاح الأمة نحو عدوها المركزي والأول، الكيان الصهيوني، كمركز للاستكبار العالمي، وإعادة تجديد الأمل وتفعيل العمل لتحقيق شرطي الإيمان والقوة في جيل وعد الآخرة "عِبادًا لَنَا أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍ" طليعة الأمة نحو التحرير والنهضة والعالمية.

يوم القدس العالمي يعني ديمومة الصراع والاشتباك، واستمرارية الجهاد والمقاومة، حتى تكتمل دائرة النصر بالتقاء الزمان والمكان والقرآن في الوعد الإلهي؛ وعد الآخرة، عندما يتقاطع خطّا التاريخ؛ الصاعد للأمة نحو النور، والهابط بالكيان نحو الظلام، إيذاناً بزوال "إسرائيل" وأفول حضارة الاستكبار العالمي الغربية.

خطاب المقاومة بين أماني النصر ومشروع التحرير

كتب بتاريـخ:

6 مايو 2022م

فور انتهاء معركة "سيف القدس" العام الماضي، كتبت مقالاً بعنوان: "هل ستكون سيف القدس المعركة ما قبل الأخيرة؟"، وكانت آخر فقراته: "هذه النتيجة ستعجل الإعداد لحرب وعد الآخرة الفاصلة، فبعد أن صدق الله العظيم وعده بمجيء اليهود جماعات مهاجرة من كل أنحاء العالم إلى فلسطين، وبعد أن بعث الله تعالى جيل النصر ممن يمتلكون شرطي الإيمان والقوة، لم يبق إلا تحقيق وعد الآخرة، حيث المعركة الكبرى الفاصلة، فهل ستكون معركة سيف القدس الحرب ما قبل الأخيرة؟".

وقد اتفق خطاب المقاومة بعد معركة "سيف القدس" مع هذه الرؤية المتفائلة إلى المستقبل، وبرز ذلك واضحاً في خطابات قادة محور المقاومة في يوم القدس العالمي الأخير بعد عام من معركة "سيف القدس".

أذكر أن مرشد الثورة الإسلامية في إيران علي خامنئي صرح في العام 2015م أن "إسرائيل" لن تكون موجودة في ربع القرن القادم، وأكّد ذلك في يوم القدس العالمي العام الماضي بقوله: "إن الخط البياني الانحداري باتجاه زوال الكيان الصهيوني بدأ ولن يتوقّف"، وأكد هذا المعنى في يوم القدس العالمي الأخير بعد معركة "سيف القدس".

واعتبر رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران إبراهيم رئيسي في اليوم نفسه أن "الأمور تسير باتجاه زوال الكيان الصهيوني وحتمية تحرير القدس طبقاً للوعد الإلهي"، وقال الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله: "إن شاء الله، هذا الجيل وهذه الأجيال ستصلّي في القدس... قريباً جداً"، وقال الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الأستاذ المجاهد زياد النخالة: "إن قوى المقاومة تزداد يقيناً بالنصر"، وقال قائد حركة حماس في قطاع غزة الأستاذ المجاهد يحيى السنوار في يوم القدس العالمي تحت عنوان "القدس هي المحور": "على الجميع التهيؤ لمعركة كبرى من أجل الأقصى... معركة زوال إسرائيل".

يتفق خطاب المقاومة المتفائل بقرب زوال "إسرائيل" مع منطق القرآن الكريم في سورة الحشر: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}، في إشارة إلى سببين تاريخيين لتدمير أي كيان يهودي، هما السبب الداخلي والسبب الخارجي، وهو ما كتب عنه صاحب موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" المفكر عبد الوهاب المسيري، موضحاً السبب الداخلي بأن "إسرائيل تتفكك من الداخل بسبب تناقضاتها الداخلية، وتآكل قيمها الصهيونية، وعدم يقين سكانها بمستقبلهم، وفشلهم في تهجير كل الفلسطينيين"، وبأن السبب الخارجي يتمثل بالمقاومة "ودورها في تعجيل نهاية إسرائيل... جرثومة النهاية لدولة إسرائيل".

وأكد ذلك الكثير من نخبة الصهاينة، منهم المفكر أمنون روبنشتاين، بقوله إن "الكيان الإسرائيلي لا يمكنه البقاء مطلقاً بسبب نوعين من التهديد: خارجي... وداخلي، يتمثل بالفساد وتآكل منظومة القيم الصهيونية". ورأى السياسي الإسرائيلي أبرهام بورغ "أن إسرائيل فيتو صهيوني يحمل أسباب زواله في ذاته"، وركز المؤرخ بيني موريس على العامل الديموغرافي لزوال "إسرائيل"، وغيرهم كثير من مؤسسات ومفكرين غربيين لديهم رؤية استشرافية لزوال الكيان الصهيوني.

رغم هذا اليقين بقرب النصر وتحقيق وعد الآخرة، لا ينبغي الركون إلى ذلك وتحويل خطاب المقاومة إلى مجرد أمنيات بالنصر، فنتجاهل سنن التاريخ التي لا تَحابي أحداً، مؤمناً كان أو كافراً، فمن يأخذ بأسباب النصر ينصره الله، ومن يتركها يستبدله الله، فالنصر في الدنيا والفلاح في الآخرة ليس بأماني النفس ورغباتها المجردة من العمل: "لَيس بِأَمَانيكُمْ وَلَا أَمَاني أَهْلِ الْكتَابِ مَن يَعْمَلْ سوءاً يُجْزَ بِه"، والأخذ بالأسباب أو العزيمة قاعدة قرآنية لإنجاز أي هدف قبل التوكل على الله: "فَإِذَا عزمت فَتوكَّل عَلَى اللّه"، وقاعدة نبوية قبل التوكل على الله: "اعقلها وتوكل".
ومن أهم أسباب النصر إعداد القوة: "وَأَعدّوا لَهم مَا استَطَعْتم مَن قوة"... ومن دون ذلك كله، سيكون الأمر تكراراً لتجارب بائسة سابقة، أهمها الخطاب الإعلامي الناصري قبل النكسة في العام 1967م، عندما كان مدير إذاعة صوت العرب أحمد سعيد يكرر جملته الشهيرة: "هنيئاً لك يا سمك البحر"، على أساس أنه سيأكل أجساد الصهاينة الهاربين من فلسطين، في دلالة على قرب تدمير "إسرائيل" وتحرير فلسطين، من دون وجود مشروع حقيقي لتحرير فلسطين.

مفهوما أماني النصر ومشروع التحرير مختلفان، وقد يكونان متناقضين، فأماني النصر هي ركون إلى رغبات النفس وانتظار الوعد، من دون معطيات من الواقع وتراكم من العمل ورصيد من الإنجازات. أما مشروع التحرير، فهو أخذ بالأسباب وإعمال للجهد، بوجود معطيات من الواقع وتراكم من العمل ورصيد من الإنجازات.

أماني النصر تركن إلى إيمان يؤدي إلى التواكل أو التهور، ووعي يؤدي إلى الجمود أو التسرع، وقوة منفصلة عن الإيمان والوعي، وصبر يقود إلى الجزع واليأس أو الوهم والخداع... أما مشروع التحرير، فإيمان مع يقين يضع عجلات الفعل البشري على مسار قضبان قطار القدر الإلهي المسافر نحو محطة وعد الآخرة من دون تواكل أو تهور، ووعي مع بصيرة يخرج العمل الإنساني من قاعة الانتظار على رصيف هامش التاريخ من دون القفز في فراغ التاريخ، وقوة تكمل معادلة الإيمان والوعي كشرط للنصر، بما تحمله من معاني الفاعلية والتأثير، وصبر يحمينا من الجزع، ويقين من الوهم يثبتنا في القتال، ووحدة بوصلتها فلسطين وقبلتها القدس، تجمع كل المؤمنين بمشروع المقاومة والتحرير، متجاوزة كل أنظمة الانبطاح والتطبيع، وتيارات الفتنة والتكفير، وجماعات الإلهاء والترويض.

مشروع المقاومة والتحرير السائر نحو وعد الآخرة يتميز عن الأماني بنهجه الواضح: "كلام أقل وعمل أكثر"، وخصوصاً أنه يواجه المشروع الصهيوني المدجج بالعلم والتكنولوجيا والإمكانيات والسلاح، ويرتكز على مشروع غربي أكبر يحمل كل عوامل القوة والتقدم، وهو ما يحتاج إلى مزيد من وضوح الرؤية والمشروع، وسطوع الهدف والوسيلة، وقوة التخطيط والإعداد، وفاعلية العمل والتنفيذ، كما يحتاج إلى التسلح بالمعرفة والعلم كتكليف إلهي، وهو مهمة تاريخية وضرورة واقعية... ليكون للشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية مشروع النصر والتحرير، بعيداً عن أماني النصر والتحرير... تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، وتحرير الأمة من الاستعمار الأميركي... حتى يأتي نصر الله ووعد الآخرة ونحن نجاهد ونقاوم... نقاوم في فلسطين بجبهة تحرير تكون طليعة للشعب، ونقاوم من خارج فلسطين بجبهة تحرير محورها المقاومة، وبوصلتها فلسطين، وقبلتها القدس، تكون طليعة الأمة.. حتى إنجاز مشروع التحرير وتحقيق وعد الآخرة.

المقاومة بالدراما.. "شارة نصر جلبوع" نموذجاً

كـتب بتاريـخ:

13 مايو 2022م

أحدثت هزيمتا النكبتين زلزالاً أصاب الأمة العربية بالصدمة النفسية والذهول العقلي، ما أفقدها ثقتها بنفسها وإيمانها بذاتها، فأبعد عنها الأمل في تجاوز الهزيمة وتحرير الأرض واستعادة الكرامة، واختل اتزان الوعي العربي حيال الهزيمة بين مستسلم لها أصابه الوهن والعجز، ومنكر لها أصابه البله والحمق، وكلتاهما طريقتان لديمومة الهزيمة واستمرارية الخيبة. وبين هذا وذاك برز رأي وسطي في الأمة رأى أن النجاة تكمن في الاعتراف بالهزيمة من دون استسلام أو إنكار تمهيداً لتجاوز الهزيمة بالمقاومة.

وكانت المقاومة بالفن خير من جسد هذا الطريق، وأدت الأغنية والدراما هذه المهمة بنجاح، فغنى عبد الحليم حافظ قصيدة "عدي النهار" للشاعر عبد الرحمن الأبنودي، وغنى سيد مكاوي أغنية "ازرع كل الأرض مقاومة" للشاعر فؤاد حداد، ورافقت أغاني الثورة الفلسطينية رصاص الثوار وقنابل الفدائيين في كل ميادين النضال، داعية إلى الصمود ومحرضة على المقاومة ومبشرة بالتحرير والعودة، ومنها: "أنا صامد"، و"يا فدائي خلي رصاصك صايب"، و"أنا آتٍ يا وطني"... وكانت المقاومة بالدراما حاضرة بعد النكبتين، ولا سيما بعد النكبة الثانية في هزيمة حزيران 1967م.

وفي إطار المقاومة بالدراما، يجسد فيلم "أغنية على الممر"، الذي كتبه علي سالم كمسرحية مستوحاة من حدث حقيقي في حرب حزيران، وأخرجه علي عبد الخالق فيلماً سينمائياً يجسد طريق الاعتراف بالهزيمة ومحاولة تجاوزها، ويؤكد وجود بطولات مشرقة، رغم غروب شمس الأمة ووجود قصص مضيئة، ورغم ليل الهزيمة المظلم، والأهم وجود إمكانية لعبور جسر الهزيمة نحو بر النصر.
المقاومة بالدراما نهج فني يتجاوز مفهوم تصوير المقاومة بالدراما إلى تحويل الدراما مقاومة ضد الاحتلال والظلم، ويتخطى هدف توثيق أحداث الصراع المأساوية والبطولة إلى المشاركة بالمقاومة تحريضاً على الثورة والكفاح وتمسكاً بالحقوق والأهداف، ويتعدى مجرد نقل الرواية الفلسطينية في حالات الضعف والقوة إلى معالجة أسباب الهزيمة وبعث التفاؤل والأمل بالنصر والتحرير والعودة...

وقد برزت المقاومة الفلسطينية في غزة بالدراما الفلسطينية في السنوات الآخيرة، رغم الحصار وضعف الإمكانيات، ومنها مسلسلات "الفدائي" و"بوابة السماء"، و"ميلاد الفجر"، و"قبضة الآحرار"، وآخرها "شارة نصر جلبوع".

مسلسل "شارة نصر جلبوع" نموذج فلسطيني للمقاومة بالدراما يعيد تدوير المقاومة، فينقلها من الواقع إلى الدراما، من خلال محاكاة عملية "نفق الحرية"، التي هرب فيها 6 أسرى فلسطينيين من سجن جلبوع الإسرائيلي المحصن، فصورت الدراما مأساتهم وبطولتهم كرمزٍ لانتصار الحياة على الموت وعلو الحرية على القيد، وتقدم الأمل على اليأس، وغلبة الإرادة على العجز، وصورت خيارهم إما انتزاع حريتهم خارج سجن المكان أحراراً طلقاء، وإما خارج سجن الجسد أحراراً شَهداء، فنقلت إلى الناس قضية الأسرى الفلسطينيين كقضية وطنية توحد الشعب الفلسطيني وتحثه على المقاومة والثورة لتحرير فلسطين.

المسلسل أبدعته بيئة المقاومة الفلسطينية في غزة بنجاح، رغم عدم توفّر مقومات صناعة الدراما التي تحتاج إلى تمويل كبير وإمكانيات ضخمة، وبنية فنية وبشرية محترفة. لذلك، إن مقارنته فنياً مع الأعمال الدرامية العربية المحترفة غير عادلة، وهذا ينطبق على كل الأعمال الدرامية الفلسطينية في غزة، التي كانت حاضرة بقوة كأعمال تركت أثرها وبصماتها لدى جمهور المشاهدين على مستوى الوطن العربي والإسلامي.
وفي هذا الإطار، يمكن الإضاءة على بعض جوانب المسلسل، فاسم المسلسل ورسالته، كما أوضح الأستاذ زكريا أبو غالي أحد كاتبي المسلسل، يحملان حتمية النصر، ويقول: "ما حدث في جلبوع هو شارة نصر للأسرى ولكل فلسطين. إنه النصر القادم لا محالة".

من الأهداف أيضاً مواجهة دراما تشويه النضال الوطني ودراما التطبيع العربية، ونقل الرواية الفلسطينية إلى صراع الأسرى مع السجان في بعديها المأساوي والبطولي. وشرح تلك الرسالة الفنان علي نسمان، بطل المسلسل الأول، بقوله: "من المهم تحويل محطات نضالية فلسطينية إلى أعمال فنية درامية تواجه مخططات الغزو الفكري الإسرائيلي، وتشويه التاريخ وصورة النضال الوطني... لا يمكن اختزال العمل البطولي لهؤلاء الأسرى الستة بكلمتين: هروب واعتقال".

جانب آخر للمسلسل هو الحبكة والحل، فالمسلسل يحتوي على كل عناصر الحبكة الضرورية لجذب المشاهدين من خط تطور القصة إلى حدث الهروب من السجن، فكل أحداث المسلسل تسير بطريقة تصاعدية لتخدم القصة وحبكتها ورسالتها، وكل الأحداث عقب الهروب تقود إلى إعادة اعتقال الأسرى الستة، كما حدث في الواقع الفعلي بطريقة مشوقة ومثيرة من دون تضخيم أو تهوين.

أيضاً، فيها توثيق للتاريخ مستمد من روايات الأبطال الأصليين للدراما وشهادات الآخرين ومصادر إعلامية. وبما أن الحل والنهاية الحقيقية مأساوية ومحزنة، فقد لجأ المؤلفان إلى الخيال لصناعة نهاية سعيدة، ولكنه خيال لم يأتِ من فراغ مَطلق، بل من تجارب تاريخية واقعية حدثت سابقاً، ويَمكن أن تحدث لاحقاً، وهي تبادل الأَسرى بين المقاومة والعدو، وهذا ينسجم مع النهايات السعيدة للأعمال الدرامية التي يفضلها جمهور المشاهدين، وينسجم مع العقل الباطني الجمعي الفلسطيني المتعطش لإطلاق سراح الأسرى، كما ينسجم مع نهج المقاومة بالفن أو المقاومة بالدراما، الذي يحيي الأمل في الخلاص والنصر والتحرير عبر المقاومة.
من نماذج النهاية السعيدة أو المبشرة في الدراما المصرية مسلسل "جمهورية زفتى"، الذي يروي قصة مركز زفتى في محافظة الغربية عندما شاركت في ثورة 1919م، وأعلنت استقلالها عن الاحتلال الإنكليزي، فرغم النهاية المأساوية باقتحام "جيش" الاحتلال للمركز وقمع الثورة، كما قمعت في كل مصر، فإن المشهد الأخير يصور طيف بطل القرية الشهيد، حين يظهر لقائد الثورة ليدله على طريق الخلاص والتحرير بالسير خلفه واتباع نهجه المقاوم.

ومن نماذج النهاية التي تَحيي الأمل في النفوس في الدراما السورية مسلسل "التغريبة الفلسطينية" الذي يروي قصة النكبة الفلسطينية عام 1948م، بنهايتها المأساوية الحزينة. ورغم ذلك، فالمشهد الأخير يصور أحد أبطال المسلسل وضحايا النكبة يخرج بندقية والده الشهيد من مخبئها ليواصل طريق المقاومة لتحرير فلسطين.

مسلسل "شارة نصر جلبوع" كنموذج للمقاومة بالدراما هو استمرار "الدق على جدار الخزان"، كما طالب الأديب الشهيد غسان كنفاني في روايته "لماذا لم تدقوا جدار الخزان؟"، و"استمرار الدق على الجدار والحجر"، كما طالب الشاعر الثائر عبد الرحمن الأبنودي: "يا قبضتي دقي على الجدار لحد ليلنا ما يتولد له نهار... يا قبضتي دقي على الحجر... لحد ما يصحى جميع البشر".

شيرين وجدل الترحم العقيم

كـتب بتاريـخ:

20 مايو 2022م

فاجعة اغتيال الإعلامية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة على يد قوات الاحتلال الإسرائيلي أحدثت صدمة كبيرة وحزناً عميقاً لدى الفلسطينيين والعرب والعالم؛ فالشهيدة لها دور كبير في نقل الرواية الفلسطينية وتوثيق الجرائم الإسرائيلية، ولها باع طويل في الجمع بين العمل الصحافي المهني والانتماء الوطني الفلسطيني.

وما إن بدأ الإجماع الدولي على استنكار الجريمة وإدانة المجرم يتسع ويتمدد، حتى ظهرت خارج سياق الفاجعة والجريمة صفحات في مواقع التواصل الإلكتروني مشبوهة أمنياً تتحدث عن ديانة الفقيدة المسيحية، وأنّه لا يجوز شرعاً الدعاء لها بالرحمة من الله تعالى (الترحم عليها)، فانطلقت موجة من الجدل العقيم غير المبرر وغير المنطقي من التحريم والتحليل، تدل على أزمة في الفكر الديني الإسلامي بأبعادها الإنسانية والأخلاقية والوطنية.

الحكم على الناس بعد مماتهم بأنهم من أصحاب الجنة، فيجوز الدعاء لهم بالرحمة والترحم على أرواحهم، أو أنهم من أصحاب النار، فلا يجوز الدعاء لهم بالرحمة والترحم على أرواحهم، لن يكون هو الفيصل في دخولهم الجنة أو النار، والمطلوب من المسلمين هو معرفة الأحكام التكليفية الشرعية للتعامل الدنيوي مع الناس، مسلمين وغير مسلمين، مسالمين ومعادين، مهادنين ومعتدين...

والأفضل أن يريح المسلمون أنفسهم من عناء البحث في مصير الناس في الحياة الآخرة، ليجدوا متسعاً من الوقت والجهد للبحث في مصيرهم في الحياة الدنيا، فيبحثوا عن سنن التقدم والتحضر وأسباب القوة والنصر وقوانين تغيير النفس والواقع، ويتركوا الحكم على الناس في الآخرة لله تعالى الذي يفصل بين الناس يوم القيامة بمفهوم العدل الإلهي ورحمة الله التي وسعت كل شيء، {فَاللَّه يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}.

وعندما جاء رجل يسأل النبي (ص): متى الساعة؟ قال له: وماذا أعددت لها؟ فصرفه الرسول عما لا يعنيه ولا يفيده - معرفة وقت قيام الساعة - إلى معرفة ما يعنيه وما يفيده في غاية وجوده ورسالته

في الأرض - العمل الصالح وعمارة الأرض - وهذا ينطبق على السؤال عن مصير الناس يوم الساعة بدلاً من الاستعداد للساعة.

رغم ذلك، ما زال بعض المسلمين من أشباه العلماء متصوراً نفسه واقفاً على أبواب الجنة والنار، ليدخل من يريد في رحمة الله والجنة، ومن يريد في لعنة الله والنار، معتقداً في سريرة نفسه أن الأماكن في الجنة محجوزة باسم "الفرقة الناجية"، كما اعتقد اليهود بأنها محجوزة باسم "شعب الله المختار"، فحرص كلاهما على عدم زيادة ساكنيها خوفاً من ضياع أماكنهم فيها، وصدق الله تعالى فيهم: {قل لَّو أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الإنسان قتورا}، وغاب عنهم هدي النبي (ص) في الثلاثة الذين ستسعر بهم نار جهنم يوم القيامة رغم ظاهر عملهم الصالح - العلم والصدقة والجهاد - بسبب باطن نيتهم السيئة. في المقابل، المرأة التي تتحدر من بني إسرائيل، والتي يبدو ظاهر عملها سيئاً، ولكنها تملك قلباً رحيماً جعلها تسقي كلباً عطشان الماء، دخلت الجنة.

طريقة التفكير الخاطئة بالانشغال بمصير الناس في الحياة الآخرة، وترك الانشغال بمصير الأمة والبشرية في الحياة الدنيا، والسعي لاستعادة الأمة الإسلامية حضارتها ورسالتها، هو نتاج تراث ثقافي متراكم جمع بين التطرف الديني والاستبداد السياسي، بدأ من عصر الخوارج والأمويين، فاحتكر الخوارج الحقيقة المطلقة، وسنوا بدعة تكفير المسلم المخالف، واحتكر الأمويون السلطة المطلقة، وسنوا بدعة قتل المسلم المعارض... فهذه بضاعتنا ردت إلينا بعد مئات السنين، عندما تحالف الأمير والشيخ في صحراء التيه القاحلة فكرياً، فزاوجوا بين التطرف الديني والاستبداد السياسي في دولة خرج منها قرن الشيطان ليوزع التكفير والتقتيل على ما عداهم مسلمين وغير مسلمين تحت مسميات "القاعدة" و"داعش" وأخواتهما.

هذه الثقافة هي التي أنتجت جدل الترحم على روح الصحافية المناضلة شيرين أبو عاقلة التي ما إن تنتشر في مجتمع ما حتى تنزع منه الرحمة والرفق والتسامح، وتزرع مكانهم الغلظة والقسوة والتعصب، وما إن تهيمن على شعب ما حتى تنزع منه الاعتدال والتعايش والحوار، وتغرس التطرف والصراع والإقصاء، وما إن تستحوذ على جماعة ما حتى تَلغي تقبل الآخر والاعتراف بوجوده وحقه في الحياة والاختلاف، ليحل مكانهم تضخيم الذات وإنكار الآخر واحتقاره والرغبة في التخلّص منه.

وإذا كان جدل الترحم على شيرين أبو عاقلة نشأ في سياق غير مبرر دينياً، فإنّه قد نشأ أيضاً في سياقٍ غير مبرر إنسانياً وأخلاقياً، فغياب البعد الإنساني والأخلاقي عن جدل الترحم هو نتاج خطاب ديني متطرف، ونتيجة لتراجع الخطاب الديني الوسطي الحضاري ببعده الإنساني والأخلاقي، وعموده الفقري مفهوم الأخوة الإنسانية التي تحفظ للناس كرامتهم أحياء وأمواتاً، وتحترم مشاعر الحزن عند الناس مسلمين وغير مسلمين، وتعترف بتنوع البشر مختلفين ومخالفين، وتبحث عن كلمة سواء مع أهل الكتاب، وتتحرى القواسم المشتركة مع كل البشرية، وتسعى لتوسيع دائرة التعايش السلمي والتعاون على البر لخير الإنسانية... من دون التفريط في حق الأمة في نشر رسالتها الدينية الحضارية، ومن دون التنازل عن حقها في الجهاد لتحرير إرادتها وأرضها، ومن دون التخلّي عن دورها في الدفاع عن المظلومين والمستضعفين.

وجدل الترحم على شيرين أبو عاقلة نشأ في سياق غير مبرر سياسياً ووطنياً من زاويتين؛ الأولى حرف بوصلة العمل السياسي والوطني في استنكار جريمة الاغتيال وإدانة مرتكب الجريمة (الاحتلال)، وضياع جزء من جهد التضامن والتعاطف مع الفاجعة في جدل عقيم ضار غير منطقي، قد يكون العقل المدبر لشرارته الأولى هو العقل الأمني الإسرائيلي.
أما الزاوية الثانية، فهي أن هذا النقاش السقيم في ديانة شيرين يضر بالوحدة الوطنية الفلسطينية كشعب واحد -مسلمين ومسيحيين- وإخوة في القومية والوطنية، وشركاء في المعاناة والنضال، ورفقاء في التاريخ والحضارة، ويخدم هدف الاحتلال في شرذمة الشعب الفلسطيني وتفريقه دينياً وسياسياً ومناطقياً، لإضعافه وإخضاعه للإسرائيلي المحتل.

شيرين أبو عاقلة اسم جميل رسخ في وجدان الشعب الفلسطيني وقلبه، ومعنى نبيل استقر في ذاكرة الأمة العربية وعقلها، وأضيف إلى رموز الشعب والأمة الأبرار، كرمزٍ للنضال بالكلمة والصورة ضد الاحتلال، وكمثالٍ للكفاح المهني والأخلاقي ضد الشر، وكصورةٍ بديعة يسعى لرسمها الأطفال، وتحرص على تقليدها الأجيال، وكشهيدة للواجب الصحافي والوطني يترّحم على روحها كل ذي قلب وعقل من الشعب والأمة، باستثناء من نزع الله الرحمة من قلوبهم، والحكمة من عقولهم، والفقه من فتاويهم، والبصيرة من علمهم، وران على قلوبهم وعقولهم ما كانوا يكسبون من فكر متطرف عليل وفقه متجمد سقيم، فوقعوا في فتنة جدل الترحم العقيم.

سميح حمودة.. الوعي والثورة

كـتب بتاريـخ:

26 مايو 2022م

قبل 3 سنوات، في مثل هذه الأيام، بتاريخ 25 أيار/مايو، رحل الباحث والمؤرخ الفلسطيني الدكتور سميح حمودة، بعد عمرٍ حافل بالعطاء الفكري والنضالي ما بين العامين 1960 - 2019م، هي سنوات عمره القصيرة والمفعمة بالحيوية والفاعلية. وقد نعته حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ووصفته بالمجاهد الآكاديمي والمفكر الفلسطيني، وأحد رواد الجيل الأول في الحركة، الذين أسهموا في تعميق الوعي بنهج المقاومة والقيم الوطنية.

وقد كان لكاتب هذه السطور فرصة معرفته ولقائه منذ بداية مشواره الفكري والنضالي بحضرة المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، الذي كان بمنزلة قبلة فكرية للشباب الفلسطيني الباحث عن حل لإشكالية الفصام بين الإسلام وفلسطين في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، فكان سميح حمودة أحد هؤلاء الشباب المتميزين، فالتقط من الشقاقي الأطروحة الفكرية التي جمعت بين الإسلام وفلسطين والجهاد، واكتشف معادلة الإيمان والوعي والثورة في تجربة الشيخ الشهيد عز الدين القسام بعيون المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، وترجمها في كتابه عن حياة القسام وجهاده "الوعي والثورة" في العام 1985م.

بعد كتاب "الوعي والثورة"، واصل سميح حمودة مشواره الآكاديمي والنضالي، وكانت الولايات المتحدة الأميركية إحدى محطات هذا المشوار برفقة زميليه الدكتور رمضان شلح والدكتور سامي العريان، وكان يجمعهم الانتماء إلى الإسلام وفلسطين والجهاد، وتربطهم أطروحة الإيمان والوعي والثورة.

وقد ظل القسام فكرة وجهاداً في وعيه عندما أسس مع إخوانه مسجد عز الدين القسام في مدينة تامبا في ولاية فلوريدا الآميركية، ودفع ثمن انتمائه وأطروحته سجناً لأكثر من 4 سنوات في أميركا، وحرماناً من مناقشة رسالة الدكتوراه في جامعات أميركا، وأخيراً إبعاداً من أميركا.

وقد قدم الدكتور سامي العريان شهادته في الثمن الذي دفعه سميح حمودة بعد رحيله في مقال عنوانه "وداعاً لتوأم الروح ورفيق الزنزانة"، كتب فيه: "في أكثر من مناسبة، عرضت الحكومة الأميركية على سميح الحصول على الجنسية ووظيفة وفرصة لإكمال درجته العملية، وأي شيء آخر يطلبه في مقابل الوقوف إلى جانب المحققين والشهادة ضدي.. أخبرهم بشكل قاطع أنّه يفضّل قضاء بقية حياته في السجن على الكذب أو إيذاء شخص آخر لمكاسب شخصية"، فعاد إلى فلسطين مرحلاً في العام 2006م، ليكمل مشواره الأكاديمي والنضالي ومشروعه الثقافي والفكري.

مشروع سميح حمودة الثقافي والفكري بدأ بعد إصدار كتابه "الوعي والثورة" في العام 1985م، مستلهماً ما كتبه المفكر الشهيد فتحي الشقاقي عن ثورة الشيخ عز الدين القسام منذ العام 1980م حول تجربة القسام ، معتبراً أن القسام رمز لأطروحة الإيمان والوعي والثورة التي أعاد الشقاقي إبداعها في مشروع الجهاد الإسلامي الفكري والنضالي، فرأى فتحي الشقاقي أن الحل يكمن في بناء "جيل الوعي والثورة" الذي سيتجاوز مرحلة التردد والمحنة، ويتقدم بعملية البعث إلى نهايتها المنطقية، مستلهماً تجربة القسام والبنا، ويقدم أطروحة الوعي والثورة والشهادة. ورأى سميح حمودة أن القسام والشقاقي يجمعان بين الوعي والثورة، وأن الحل فيهما معاً، فالوعي قاد القسام والشقاقي إلى الثورة، والثورة زادتهما وعياً.

أطروحة الوعي والثورة التي استنبطها سميح حمودة من دراسته لحياة الشيخ الشهيد عز الدين القسام وجهاده تجسدت في نموذج عالم الدين الثوري، فقد ذكر في مدخل دراسته "أن الدراسة بين أيدينا محاولة لاكتشاف كلمة السر - عز الدين القسام - وفك رموزها، إنها محاولة صعبة.. فالقسام ذهب في خوابي الماء.. امتزج بكل طمي فلسطين، فأنى لنا أن نلملمه؟ لكنها محاولة تستحق السفر.. محاولة البحث عن عالم الدين الثوري".

البحث عن عالم الدين المجاهد الثوري هو النموذج الذي بحث عنه سميح حمودة، وأراد استحضاره في الذاكرة والواقع، ليكون مثالاً للقائد القادر على هداية الناس إلى بر الأمان في الدنيا والآخرة، فيقودهم إلى الحياة الكريمة منتصرين بالمعركة أو بالشهادة.

دور عالم الدين المجاهد الثوري في قيادة الجماهير ينبثق من دور الإسلام في ثورة الشعب الفلسطيني، فكتب سميح حمودة في مقدمة الكتاب "أن الرد الثوري للشعب الفلسطيني في تلك المرحلة استند إلى الإسلام، واستمد أصوله من مفاهيم الجهاد والشهادة، لتكون الزاد والحافز على مقارعة البريطانيين والصهيونيين"، فالوعي بدور الإسلام في ثورة القسام وحركة تاريخ الآمة كروح تسري في جسد الشعب والآمة هو الذي جعله يرى في الإسلام عقيدة محركة للجماهير ومفجرة لطاقاتها، وديناً مرتبطاً بالحياة، ونظرية تقود الثورة، وهي الصورة الحضارية التي آمن بها وأراد استحضارها ليكون للإسلام دوره الحضاري وللآمة دورها الرسالي.

وأكد سميح حمودة في أكثر من موضع في كتابه "الوعي والثورة" مبدأ أساسياً في ثورة القسام وكل ثورة، وهو "الواجب فوق الإمكان"، فكتب أن القسام "استطاع أن يكرس الحق كقيمة خالدة في الفكر والممارسة الإسلامية، وهو يتجاوز بالواجب حدود الإمكان... وجوب الثورة في أشد الظروف صعوبة وحرجاً"، فكان القسام بخروجه وثورته يمثل الثلة المؤمنة القليلة في مواجهة جيش الباطل البريطاني الكبير، من دون أمل في انتصار الفئة القليلة، ولكنهم قدموا الواجب المقدس على قلة الإمكانيات، فخرجوا من صراع الواجب والإمكان إلى طمأنينة الخيار والمصير، فكان القسام بذلك رمزاً لتقديم الواجب على الإمكان بقلبه الشجاع وعقله الواعي وروحه الاستشهادية.

الوعي في تجربة القسام موجود في كل تفاصيل الثورة، كما جاء في كتاب "الوعي والثورة"، فالقسام ليس مجرد ثائر مغامر يبحث عن الشهادة، فهو ثائر يملك نظرية واضحة ورؤية استراتيجية محددة الأبعاد والمعالم، أدرك من خلالها أن الثورة ضد الاستعمار معركة واحدة في سوريا وفلسطين وكل بلاد العرب والمسلمين، فانتقل من جهاد الاستعمار الفرنسي في سوريا إلى جهاد الاستعمار البريطاني في فلسطين، وأدرك أن الاحتلال البريطاني أصل الداء، والمشروع الصهيوني نتيجة له ومرتبط به، فلم يفرق بينهما في الجهاد والمقاومة، وأدرك خطر الهجرة اليهودية مبكراً كقاعدة لتأسيس الكيان الصهيوني فقاومها، وركز على دور الجماهير المستضعفة في الثورة، فحرض الفلاحين والعمال على الثورة، وأعطى أولوية لبناء التنظيم الجهادي، ليكون طليعة الكفاح المسلح ورأس حربة المواجهة الشاملة ضد المشروع الاستعماري الغربي بوجهيه البريطاني والصهيوني.

أما الثورة في تجربة القسام فإن سميح حمودة اعتبر القسام الأب الحقيقي للثورة الفلسطينية المسلحة، ونسب الفضل للقساميين الدور الأكبر في تفجير الثورة العربية الكبرى عام 1936م، كما اعتبر "أن ثورية القسام وتشبعه بروح الجهاد جعلته أول ثائر في فلسطين يتحلّى بالوعي ويتحمل مسؤوليته كعالم مسلم في قيادة المجاهدين، فكان أول من أسس تنظيماً مسلّحاً لقتال اليهود والإنجليز"، وأدرك القسام أن الاستعمار الغربي يعتمد على العنف في احتلال الوطن الإسلامي وتدمير بنية المجتمع المسلم؛ ولذلك لا مجال لمواجهته سوى بالعنف، فكان أول بداية للعمل المسلح الثوري المنظم، بينما كان القادة السياسيون للشعب الفلسطيني يذهبون باتجاه الحوار مع بريطانيا والحلول السياسية عبر المؤتمرات والاجتماعات، ووجد سميح حمودة هذا الوعي الثوري القسامي في تجربة الشقاقي الوليدة آنذاك.

رحم الله سميح حمودة، الذي التقط مبكراً جدلية "الوعي والثورة"، عندما اختار هذا العنوان ليكون اسماً لكتابه الرائد، ومحوراً لأطروحته الفكرية، وأساساً لمشروعه الثقافي، ولم يتجاوز عمره 25 عاماً، فاكتشف القسام بعيون الشقاقي فكرة ومقاومة، ووضع يده على كلمات السر في إبداعي القسام والشقاقي، وهي الإيمان والوعي والثورة، وقضى مشوار حياته ونضاله على خَطى الرجلين - القسام والشقاقي - على طريق الإسلام وفلسطين والجهاد، وعاش ليرى بذرة الوعي والثورة تَروى بدم الشهداء والجرحى وعرق المجاهدين والكادحين، فتنمو شجرةَ وارفة الأغصان، لتظلل كل فلسطين، ولتزهر وتنثر ثمار المقاومة والتحرير في مدن الوطن وقراه ومخيماته... من جنين القسام وطوالبة إلى غزة الشقاقي وياسين.

"مسيرة الأعلام" وتصويب خطاب المقاومة

كـتب بتاريـخ:

2 يونيو 2022م

بعد انتهاء "مسيرة الأعلام"، التي نفذها المستوطنون اليهود الصهاينة في القدس المحتلة من دون أن يتكرر مشهد انفضاضها كما حدث في بدء معركة "سيف القدس" العام الماضي، تسلّل نوعَ من الإحساس بالانكسار والقهر إلى نفوس الفلسطينيين وجمهور المقاومة بسبب الإحجام عن الرد، وكان ذلك محلّ جدلٍ ونقاش عميق لدى معظم أبناء الشعب الفلسطيني.

وفي تقديري أن المشكلة لم تكن في عدم رد المقاومة على المسيرة بالصواريخ ليتكرر مشهد انفضاض المسيرة مجدداً، ولكن المشكلة كمنت في خطاب المقاومة السياسي والإعلامي، الذي سبق "مسيرة الأعلام" ونتج منه رفع سقف التوقعات ومستوى القدرات، فأعطى انطباعاً عاماً بأن الرد سيكون سقفه الصواريخ فوق رؤوس المشاركين في المسيرة وقدرته على فضّها.

وكي لا تتكرر هذه المشكلة الناجمة عن الفجوة بين المتوقّع المرغوب فيه وما حدث فعلاً تأتي ضرورة تصويب خطاب المقاومة وتطويره لإزالة غير المفيد منه وحذف غير المنسجم وأداء المقاومة.

تصويب خطاب المقاومة وتطويره كانا موضوع مقالي قبل "مسيرة الأعلام" بثلاثة أسابيع تقريباً وعنوانه "خطاب المقاومة بين أماني النصر ومشروع التحرير". وقد نبهت فيه إلى خطر بناء خطاب المقاومة على أماني النصر المفصولة عن الواقع، وغير المرتبطة بمشروع التحرير، لأن "أماني النصر ترتكز إلى إيمان يؤدي إلى التواكل أو التهور، ووعي يؤدي إلى الجمود أوالتسرع... ومشروع المقاومة والتحرير السائر نحو وعد الآخرة، يتميز من الأماني بنهجه الواضح، كلام أقل وعمل أكثر".

كذلك، كانا موضوع مقال نشرته قبل 4 سنين عقب ارتقاء عشرات الشهداء ومئات الجرحى في يوم واحد لمناسبة ذكرى النكبة في إطار مسيرات العودة وكسر الحصار عنوانه "مسيرة العودة ومذبحةَ النكبة.. وقفة للمراجعة والتأمل"، مضمونه مراجعة الخطاب السياسي والإعلامي للمقاومة الفلسطينية، الذي رفع سقف التوقعات لأهداف مسيرات العودة وكسر الحصار، باتجاه إمكان العودة الفعلية إلى فلسطين المحتلة في عام النكبة، فكان ذلك سبباً في تحريض الشباب الثائر على اقتحام

السلك الفاصل بين قطاع غزة والأرض المحتلة عام 1948، ووقوعهم فريسة سهلة للعدو، من دون ضرورة للتضحية بهم في صراع ممتد وتراكمي طويل الأمد.

وإذا كان خطاب المقاومة آنذاك بحاجة إلى تصويب وتطوير، فالحاجة اليوم إلى ذلك أكثر إلحاحاً، لا سيما بعد "مسيرة الأعلام" وما تبعها من إحساسٍ بالكسر والقهر، بعد ما مرت المسيرة كما خطّط لها المستوطنون الصهاينة، فشكلّت تحدياً إسرائيلياً، لشعبٍ حَر يأبى الظلم والضيم، ولمقاومةٍ أبيه ترفض الهوان والإذعان.

هذا التحدي الاحتلالي تحتاج مواجهته إلى الثقة والاتزان والصلابة، بخطاب مقاوم واعٍ يصدقه العمل المقاوم، ويجمع بين الحماسة الثورية والمعطيات الواقعية، ويعطي سقف توقعات مبنياً على أعمدة قوية من الإنجازات السابقة والطموح اللاحق، ويعتمد على مشروع المقاومة والتحرير لا على أماني النصر وأحلام الفرقة الناجية... وأي طريق آخر هو هروب من التحدي إلى الخلف أو إلى الأمام، إلى الخلف بالتخاذل وهناً وضعفاً، وإلى الأمام بالتهور تسرعاً وتخبطاً، وكلاهما - التخاذل والتهور - خطأ يؤدي إلى الشلل والفشل في مواجهة التحدي.

مواجهة تحدي "مسيرة الأعلام" كانت بحاجة إلى خطاب سياسي وإعلامي مقاوم واعٍ يتجاوز الأخطاء السابقة، يؤدي إلى تصويبه وتطويره بعيداً من التهويل والتهوين، ومن ذلك الحاجة إلى القراءة الموضوعية للمسيرة في اتجاهين: الأول تقديمها الى الشعب الفلسطيني وجمهور المقاومة من دون تهويل وتضخيم - على الرغم من خطرها - كي لا تعد نقطة تحول مصيرية في الصراع على فلسطين مع الكيان الصهيوني، بحيث يصبح نجاح المسيرة أو فشلها نصراً كبيراً أو إخفاقاً خطراً، وكأن القدس المحتلة قد حررت، أو القدس (المحررة) قد احتلت، وهذا الاتجاه فيه تأكيد لطبيعة الصراع الممتد والبعيد المدى، والمعتمد على الحرب الشعبية طويلة الأمد، القائمة على استمرارية الصمود والمقاومة، وإبقاء جذوة الجهاد والنضال مشتعلة، وتواصل إستراتيجية مشاغلة العدو واستنزافه، وتناوب موجات التصعيد المواجهة، وطبيعة الحرب ومعاركها السجال مع العدو.

والحاجة إلى القراءة الموضوعية لـ"مسيرة الأعلام" في الاتجاه الآخر الخاص بأهميتها للكيان الصهيوني من دون تهوين أو تصغير، فقد تجاوزت المسيرة قراءتنا لها كمعركة سيادة على القدس، أو "أورشليم

الموحدة"، إلى معركة على الوجود ومستقبل "إسرائيل" في القدس وكل فلسطين، ومرتبطة بتخفيف الإحساس بالقلق الوجودي الجمعي، الذي تزايد باطّراد بعد عجز الكيان الصهيوني عن تحقيق أي نصر في حروبه المتكررة مع المقاومة في لبنان وفلسطين، ما بين حربي تموز/يوليو 2006 في لبنان وسيف القدس 2021 في فلسطين.

وفي الطريق إلى تأكيد الكيان لوجوده في المسيرة، كان يعاكس عجلة الزمن السائر نحو وعد الآخرة وإزالة وجوده، ويخالف اتجاه عقارب الساعة التي تقرب ساعته، فكان يبحث في "مسيرة الأعلام" عن مفتاح وهمي يفك به الارتباط بين غزة بشعبها ومقاومتها وكلّ فلسطين وقلبها القدس، وكان يفتش عن مخلوط سحري يرمم به صورة جيشه المحطّمة، ولكل ذلك وغيره كانت "مسيرة الأعلام" للكيان الصهيوني غاية في الأهمية وتستحق المغامرة بحربٍ استعد لها جيداً بما يعلم، ولكنه قد يذهب بها إلى ما يجهل.

ختاماً نحن كشعبٍ ومقاومة بعد "مسيرة الأعلام" بحاجة ضرورية إلى تصويب خطاب المقاومة السياسي والإعلامي الواعي لتنقيته من العنترية والغوغائية، وتصفيته من المبالغة والأوهام، وتطويره ليظل خطاباً مقاوماً يجمع بين الثورية والواقعية، ويدمج بين الخطاب التحريضي والعقلاني، وينسجم فيه القول والعمل، ويوازن بين خطابي القوة والمظلومية، ويأتي بعد التقييم فيه التقويم، ويبتعد عن التهويل والتهوين، ويبني على مراكمة نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف... وقبل كل ذلك، لا يبالغ فيما تحقق من إنجازات أو فيما سيأتي من أهداف وتوقعات.

الــوحـــدة.. الاســم الآخــر لـ"رمضــان شلــح"

كتب بتاريـخ:

9 يونيو 2022م

مر عامان على رحيل القائد الوطني الكبير رمضان عبد الله شلح، الأمين العام الثاني لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ولا يزال حضوره يأبى الغياب، لاسيما لمن عرفوه عن قرب ومنهم كاتب هذه السطور، إذ عرفته في محطتين: الأولى بعد عودته من الدراسة في مصر مع رفيق دربه ومعلمه المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكان في هذه المحطة يجوب الوطن من أزقة غزة وحاراتها ومخيماتها إلى باحات المسجد الأقصى المبارك وشوارع القدس العتيقة، مَبشّراً بصوت آخر للإسلام وفلسطين، والمحطة الثانية بعد ما يزيد على عقدين دار فيهما الزمن دورته، فكانً اللقاء في دمشق العروبة والمقاومة أميناً عاماً للجهاد الإسلامي يقود المقاومة من قلب العروبة، ويحتضن فلسطين في قلبه، فكانت محطته الأخيرة قبل أن يغيبه المرض ثم الموت، ولكنه بقي الغائب الحاضر كما كل العظماء الذين يزرعون بذور حياتهم في تربة شعبهم وأمتهم الطيبة، فتثمر أشجارها الطيبة ثمار الحرية والوحدة.

الوحدة في فكر الراحل الكبير رمضان شلح هي وحدة فلسطين: الأرض والشعب والقضية، أرض فلسطين الكاملة كوحدة إقليمية لا تتجزأ، والتأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني بكل مكوناته الدينية والسياسية والثقافية والنضالية، فالشعب الفلسطيني في رؤية رمضان شلح "هو شعب واحد، وقضية واحدة، وهو جزء أصيل وحيوي من الأمة العربية والإسلامية"، بمن فيهم الشعب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة عام 1948م، والشعب الفلسطيني في خارج فلسطين (الشتات)، فجميعهم جزء أصيل من الشعب الفلسطيني ومسيرته الكفاحية.

كما رأى المسيحيين الفلسطينيين "جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية، وشركاء في الوطن، قدموا من أجله تضحيات جسام بجانب إخوانهم المسلمين، برز فيهم القيادات السياسية والكفاحية والرموز والنخب الثقافية والاقتصادية، فكان لهم أثر بالغ وواضح في مسيرة النضال الفلسطيني".

ونادى بالوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة مقاومة الاحتلال، واعتبرها "الضرورة الأكثر إلحاحاً لمواجهة المخطط الصهيوني، الرامي إلى تحويل الصراع من صراع بين الشعب الفلسطيني والمحتل الإسرائيلي، إلى صراع داخلي بين الفلسطينيين أنفسهم"، ولذلك طالب بتوحيد كل البنادق الفلسطينية ضد الاحتلال، وحل المشاكل الداخلية الفلسطينية بالحوار. وأرسى مفهوماً للشراكة الوطنية يقوم على أساس إرساء العمل الوطني على القواسم المشتركة عملاً بقاعدة "تعزيز ما اتفقنا عليه، والتحاور حول ما اختلفنا فيه، من أجل حماية الثوابت ومواجهة مشاريع تصفية القضية". والشراكة على أساس "مساهمة جميع الأطر والتنظيمات والفعاليات الفلسطينية في صنع القرار الوطني، وإعادة تأطير المؤسسات الفلسطينية بما يلائم حركة تحرير وطني تجسد وحدة الأرض والشعب".

بناء على ذلك، كان خطابه السياسي وطنياً محوره رفض نهج التسوية بعيداً عن تخوين المخالفين أو شيطنة المختلفين، فآمن بأن الاختلاف مع إخوة الوطن مهما كان كبيراً أو عميقاً يبقى في دائرة الخلاف السياسي والفكري الذي يمكن أن يحل بالحوار الوطني سياسياً وفكرياً، ليبقى الكل الفلسطيني موحداً في مقاومته للاحتلال.

والوحدة الوطنية في فكر رمضان شلح ليست ترفاً أو خياراً، بل هي واجب وضرورة مصيرية، وشرط وجود للكل الفلسطيني... "الوحدة والحرية وجهان لعملة واحدة"، وهي مرتبطة بمفهوم "الوطنية الفلسطينية" التي حددها بأربعة عناصر، الأول: الهدف، أي ماذا يريد الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية؟ فالاتفاق على هدف تحرير فلسطين الكاملة من البحر إلى النهر هو أحد أعمدة الوحدة الوطنية، أما التنازل عن هذا الهدف فهو نقض لأحد هذه الأعمدة. والثاني: الوسيلة للوصول إلى الهدف... المفاوضات أم المقاومة؟ فالتسوية والمفاوضات تفرق الشعب الفلسطيني، والثورة والمقاومة توحده وتقربه للهدف. والثالث: المؤسسات الوطنية، فمنظمة التحرير الفلسطينية يفترض أنها الإطار الجامع للكل الفلسطيني ووعاء الشراكة في القرار الوطني، لكنها أصبحت هي المشكلة بسبب إقصاء الإسلام المقاوم (حماس والجهاد) من المنظمة، أو محاولة احتواء الإسلام المقاوم، والسلطة كإفراز للمنظمة حرفت المسار من الصراع ضد الاحتلال إلى صراع داخلي على السلطة. والرابع: التهديد الإسرائيلي ممثلاً بالاحتلال والاستيطان والتهويد والأسرلة والحصار والتهجير

والإبادة... إذ يستهدف العدوان الإسرائيلي الأرض والإنسان والمقدسات، حتى بات التهديد عامل توحيد للشعب الفلسطيني وحركته الوطنية إذا ما تم الاتفاق على العناوين الآخرى: الهدف والوسيلة والمؤسسات.

الوحدة عند رمضان شلح مرتبطة بمفهوم "الجماعة الوطنية" في فكر الجهاد الإسلامي، وهو المفهوم الذي أعاد الانسجام إلى مفاهيم: الوطنية والعروبة والإسلام، وصهرها في بوتقة واحدة هي "الجماعة الوطنية" كجزء من "الأمة العربية والإسلامية"، وجزء من محاولة إنهاء التناقضً الوهمي بين دوائر الانتماء الثلاث: الوطنية الفلسطينية، والقومية العربية، والأمة الإسلامية، ولذلك آمن كأمين عام لحركة الجهاد الإسلامي بأن فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى والمركزية، وآمن بالعلاقة الارتباطية بين وحدة الأمة وتحرير فلسطين، وأن الدعوة إلى وحدة الأمة جزء جوهري من مشروع تحرير فلسطين، فاعتبر "الوحدة الإسلامية من الأهداف الكبرى في الإسلام، وأن المسلمين في دين الله أمة واحدة، جميعهم إخوة في الإسلام على اختلاف أعراقهم وألسنتهم وألوانهم وأوطانهم ومذاهبهم، ورفض التجزئة ونبذ الفرقة والتنازع، وتحقيق التآلف والوحدة بينهم فريضة شرعية وضرورة حياتية".

وانسجاماً مع هذه الرؤية الوحدوية للأمة ورفض موجة تكفير المسلمين التي ابتدعها المؤمنون بعقيدة الفرقة الناجية الوحيدة، رأى أنه "لا يحق لأي جماعة أو حركة إسلامية الزعم بأنها جماعة المسلمين، بل هي جزء أو جماعة من المسلمين فيها الصواب والخطأ"، ولذلك لم ينسب إلى نفسه وإلى حركته امتلاك الحقيقة المطلقة، فوضع في مقدمة الوثيقة الفكرية للحركة هذا الوعي الذي يرى في الوثيقة اجتهاداً فكرياً متواضعاً في زمن الصراع على الإسلام.

وتأكيداً لوحدة الأمة في إطار هذا الوعي الرافض لهوس التفريق والتكفير قال "إن الشيعة مسلمون تجمعهم بأهل السنة رابطة الإسلام، وبينهما خلاف تاريخي حول مسألة الخلافة أو الإمامة، امتد إلى بعض مسائل الاعتقاد والفقه ولكنه لا يخرج من الملّة"، وأن "الصوفية لهم نهج خاص للتربية والعبادة... معيار القبول أو الرفض موافقة كتاب الله وسنة نبيه"، وأن "السلفية مدرسة فكرية لفهم الدين وممارسته على قاعدة الانتساب إلى سلف الأمة الصالح"، وغيرهم من التيارات والمذاهب الإسلامية.

رحم الله المجاهد الكبير رمضان عبد الله شلح.. حاول توحيدنا حياً، ووحدنا بعد رحيله حاضراً فينا رغم الغياب، وحدنا رمزاً وطنياً وعربياً وإسلامياً لوحدة الشعب والأمة، كما كل رموز الوطن الصغير والكبير منذ فجر التاريخ وحتى عمر المختار ويوسف العظمة وعبدالقادر الجزائري... وصولاً إلى عزالدين القسام وعبدالقادر الحسيني وأحمد عبدالعزيز... وحتى ياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي... ورمضان شلح من أولئك الرموز الذين جسدوا معاني السمو في الغاية والوسيلة، وترجموا قيم الثبات على المواقف والمبادئ، وأكدوا صفات القيادة المتمسكة بالحقوق والأهداف، وحملوا سمات الزعامة المؤمنة بالشعب والنصر... وإضافة إلى كل ذلك، أصبح رمضان شلح هو الاسم الآخر للوحدة... وحدة الشعب والأمة.

الردع خير وسيلة للدفاع عن سوريا

كـتب بتاريـخ:

16 يونيو 2022م

"تصدت الدفاعات الجوية السورية لعدوان إسرائيلي بالصواريخ"، هذه عبارة افتتاحية لمئات البيانات العسكرية السورية في السنوات الأخيرة، التي تنتهي أحياناً بعبارة "تحتفظ سوريا بحق الرد في الزمان والمكان المناسبين"، ولكن، لا الدفاعات الجوية السورية منعت العدوان، ولا الرد آتى إلى الآن، ووصلت الاعتداءات الإسرائيلية إلى مطار دمشق الدولي وأخرجته من الخدمة، والطريقة الوحيدة لمنع العدوان والدفاع عن سوريا هي الرد على الاعتداءات الإسرائيلية بمثلها، وفق إستراتيجية الردع في إدارة الصراع مع الكيان الصهيوني، فالردع خير وسيلة للدفاع عن سوريا العروبة والمقاومة.

مفهوم الردع كإستراتيجية عسكرية هو أن الطرف الذي يتبعها يهدد بأنه في حال استخدام العدو القوة العسكرية ضده، فإنه قد ينجح في تحقيق أهدافه، ويلحق أضراراً في الطرف المعتدي عليه، ولكنه سيتعرض لخسارة كبيرة لا يحتملها أو هي تفوق المكاسب التي يجنيها من عدوانه. وهو نوع من الردع بالعقاب الشديد الذي سيناله العدو من جراء قيامه بأعمال تهدد الطرف الرادع، وهذا يحتاج إلى تجاوز التهديد بالقول إلى الفعل، ليمتلك الصدقية المطلوبة للردع (تنفيذ التهديد)، وكذلك يحتاج إلى امتلاك القوة العسكرية الملائمة، والقدرة على قرار الردع بوجود الإرادة السياسية لتطبيق إستراتيجية الردع.

وإستراتيجية الردع هذه هي العمود الفقري لنظرية الأمن الإسرائيلية، التي قامت على تخويف العرب من مجرد التفكير في مهاجمة الكيان الصهيوني، حيث رسخت هذه الإستراتيجية بعد الحروب الثلاث الأولى بين "الجيش" الإسرائيلي والجيوش العربية النظامية، وبعد عشرات العمليات العسكرية العدوانية الإسرائيلية على الدول العربية والشعب الفلسطيني، فاستفاد الكيان من ترويج أسطورة "الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر"، ومن التسريب المتعمد لامتلاكه السلاح النووي، ومن حرصه على التفوق العسكري النوعي خصوصاً سلاح الجو، فمارس عملية (كي الوعي) ليزرع في نفوس العرب وقلوبهم الهزيمة النفسية، فيصيبهم الخوف والرعب لتبقى حال الردع لمصلحة الكيان الصهيوني،

حتى بدأ الردع الإسرائيلي يتآكل بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر عام 1973، وبعد تولّي المقاومة العربية في فلسطين ولبنان دفة الصراع مع الكيان الصهيوني بعد "حرب لبنان الأولى" عام 1982.

نجحت المقاومة في تحطيم كثير من مرتكزات نظرية الأمن الإسرائيلية، وتدمير الأصنام الوهمية التي شيدها في قلوب النخبة الحاكمة المهزومة، لا سيما إستراتيجية الردع الإسرائيلية؛ بل تجاوزت ذلك نحو تغيير قواعد الاشتباك وبناء معادلة ردع جديدة فيها قدر من توازن الردع النسبي بين المقاومة والكيان الصهيوني، سواء في لبنان أو في فلسطين وغزة تحديداً، على الرغم من الفرق الهائل في القوة العسكرية الكمية والنوعية لمصلحة الكيان، فتوازن الردع النسبي لا يحتاج إلى تكافؤ عسكري بين الطرفين، ولكنه يحتاج إلى أن يكون توازن إرادة الصمود والقتال والاستعداد للتضحية لمصلحة الشعب ومقاومته، وهذا موجود لدى المقاومة، ويحتاج إلى امتلاك قوة عسكرية يمكنها إيذاء العدو ومعاقبته، مثل العمليا ت الفدائية، والصواريخ الضاربة لجبهة العدو الداخلية، وبهذه المعادلة تتفوق إرادة الصمود والمقاومة على إرادة الاحتلال، وتتقدم إرادة الحياة الحرة الكريمة عند الشعب على أي تضحية بالروح والمال.

هذا المفهوم للردع الذي فرضته المقاومة يمكن أن يطبق في كل جبهات المواجهة العسكرية مع الكيان الصهيوني، دولاً ومقاومة، بما فيها سوريا العروبة والمقاومة، فلا يكفي التصدي للعدوان بأنظمة الدفاع الجوي مهما كانت متقدمة، ولكن المطلوب هو منع العدوان من الأساس، والطريقة الوحيدة لذلك هي اتباع إستراتيجية الردع التي تتحقّق مع الوقت من خلال الرد على العدوان، لأن البديل هو الاستمرار في تلقّي الضربات الإسرائيلية المتزايدة كماً ونوعاً من عدو لا يفهم سوى لغة القوة، وهذا ما أكده العميد المتقاعد في الجيش العربي السوري، هيثم حسون، بعد غارة صاروخية على مطار دمشق الدولي، قبل ثلاثة أعوام، بقوله: "اعتقد أن العدو الإسرائيلي سيرتدع في حال قامت الدولة السورية باستهداف الداخل الإسرائيلي، لأن التجربة مع إسرائيل تؤكّد استحالة أن يكون هناك رادع أخلاقي أو سياسي. والرادع الوحيد الذي يفهمه القادة الإسرائيليون هو الرادع العسكري الذي يسبب الخسارة للكيان الصهيوني".

وضرورة الرد على العدوان الإسرائيلي المتكرر على سوريا العروبة والمقاومة، هي ما يأمله كل محبي سوريا في محور المقاومة وأحرار العرب، لردع الكيان الصهيوني عن استباحة سوريا بهذه الطريقة

المهينة للكرامة العربية. وهذا الأمل قائم على الرغم من إدراك عمق الآثار المدمرة على سوريا الدولة والجيش للحرب الكونية على سوريا في العقد الأخير، وعلى الرغم من إدراك أن العدوان الإسرائيلي المتكرر على سوريا يأتي استكمالاً للحرب عليها من دول كبيرة كأميركا وفرنسا، وآخرى إقليمية كالسعودية وتركيا، في إطار الحرب على محور المقاومة الرافض للهيمنة الصهيوأمريكية على المنطقة... ومع تقديرنا لرؤية الدولة السورية ومحور المقاومة لطبيعة الرد، وتوقيته، وقدرتهم على تقدير الموقف العسكري، فلا خيار لسوريا إلا الرد العسكري المباشر على العدوان في إطار إستراتيجية الردع للدفاع عن سوريا بهويتها العربية، وبوصلتها الفلسطينية وروحها المقاومة.

ولأن سوريا هكذا عند مجيبها، كتبت مقالاً قبل سبع سنوات عنوانه "ماذا لو ردت سوريا على الغارة الإسرائيلية الأولى؟" أجبت عنه في خاتمة المقال بما يلي: "لو ردت سوريا على الغارة الإسرائيلية الأولى؛ لما وصلت ا لأمور إلى هذه الاعتداءات باغتيال سمير القنطار، وبالتأكيد، لما تجرأ العدو على مواصلة هجماته المتكررة على سوريا... فهذا العدو لا يفهم إلاّ لغة القوة، ولا يردعه شيء عن جرائمه إلاّ قوة ردع مضادة، وتوازن رعب متساوٍ... ورحم الله القائل: لو رأى الظالم في يد المظلوم سيفاً لما ظلمه". وبعد تلك السنوات السبع استمرت الغارات الإسرائيلية وبقي السؤال نفسه حاضراً "ماذا لو ردت سوريا على الغارة الإسرائيلية الأولى؟".

العلمانية وخرافة فصل الدين عن السياسة

كـتب بتاريـخ:

23 يونيو 2022م

مفهوم العلمانية من أكثر المفاهيم الإشكالية المثيرة للجدل والخلاف. ورغم ذلك، هناك اتفاق على أن جوهرها هو مبدأ فصل الدين عن السياسة، بمعنى أن لا تتدخل المؤسسة أو السلطة الدينية في السياسة، ولا تتدخل المؤسسة أو السلطة السياسية في الدين.

ظهرت العلمانية كمشروع وحركة فكرية وسياسية في أوروبا مع بداية عصر النهضة الأوروبية، نتيجة أزمة بنيوية في العلاقة بين الكنيسة والدولة، أحدثها طغيان الكنيسة وتحالفها مع الملكية والإقطاع، واستبداد رجال الدين وانحرافهم المالي والأخلاقي، وجمود الكنيسة الديني والفكري، وما تبع ذلك من حركة إصلاح ديني بظهور المذهب البروتستانتي، وقيام الثورة الفرنسية الرافضة لهيمنة الاستبداد الديني والسياسي، وقيام الثورة العلمية المرتكزة على الحس والتجربة بدلاً من المعرفة الدينية المعتمدة على الإيمان الكنسي، فتقدم العلم على الدين، والحرية على الاستبداد، والدينا على الآخرة، والمادية على الروحية، ما رسخ مبادئ العلمانية، وفي جوهرها الفصل بين الدين والسياسية.

مبدأ فصل الدين عن السياسة في أوروبا ساهم في تحريرها من القيود التي فرضها الدين المسيحي الكنسي على العلم والحرية والإبداع، وساهم أيضاً في التخلّص من التخلّف العلمي، وفي تعزيز الحرية السياسية، وعجل في تحقيق التقدم العلمي، والحراك والتوسع التجاري، والكشوفات الجغرافية، والحركة الاستعمارية.

ورغم مبدأ فصل الدين عن السياسة، كان الدين حاضراً في حركة الاستعمار الأوروبي خارج القارة البيضاء، فكان التبشير الديني المسيحي سابقاً وممهداً للاستعمار أو لاحقاً ومثبتاً له أو مرافقاً ومساعداً له.

في كل الأحوال، استحضر الاستعمار الدين في غزواته العسكرية، كما ظهر على لسان قادته العسكريين، ومنه ما قاله الجنرال البريطاني ألنبي يوم سقوط القدس: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وما قاله الجنرال الفرنسي غورو يوم سقوط دمشق: "ها قد عدنا يا صلاح الدين".

ارتباط الدين بالحركة الاستعمارية الأوروبية، رغم علمانية أوروبا التي تفصل الدين عن السياسة، كان واضحاً في حركة الكشوف الجغرافية واستيطان ما يسمى أوروبياً زوراً "العالم الجديد" في الأميركيتين وأستراليا، والاستيطان الأوروبي لأميركا الشمالية مثال واضح على ذلك، فقد آمن المهاجرون الأوروبيون بأنهم "شعب الله المختار"، مشبعين بالروح الدينية التوراتية والإنجيلية العنصرية، وأن الأرض الجديدة (أميركا) هي أرض الميعاد (كنعان الجديدة)، وأنهم ركبوا المحيط وبحثوا عن الخلاص في أرضٍ جديدة، تماماً كما خرج بنو إسرائيل من مصر إلى فلسطين لإقامة "مملكة إسرائيل المقدسة"، وسموا مستوطناتهم الأولى أسماء عبرية، واعتقدوا أن لهم رسالة دينية مسيحية اختلطت بالعقيدة العنصرية العرقية القائمة على فكرة "الجنس الأبيض المتفوق"، والعقيدة العنصرية الدينية القائمة على فكرة "شعب الله المختار".

الارتباط بين الدين والسياسة في علمانية أوروبا ظهر بشكل أكثر وضوحاً في دورهم المركزي في إقامة "مملكة إسرائيل" الحقيقية في فلسطين، بعد أن نشأت في أميركا تقليداً. وكان لظهور المسيحية الصهيونية المنبثقة من المذهب البروتستانتي دور بارز في ذلك، كجزء من عقيدة الخلاص المسيحية، القائمة على الإيمان بعودة اليهود (شعب الله المختار) إلى فلسطين (أرض الميعاد)، وإقامة "مملكة إسرائيل" الجديدة التي ستهدم المسجد الأقصى وتقيم هيكل سليمان الثالث مكانه.
وقد ترجمت عقيدةَ المسيحية الصهيونية في السياسة الأوروبية قرارات وأعمالٌ عديدة، أهمها: وعد بلفور، وصك الانتداب، وقرار التقسيم، وتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتسليح العصابات الصهيونية، والاعتراف بـ"دولة إسرائيل"، ودعمها بالمال والسلاح والرجال منذ قيامها وحتى الآن.

وما زال الدين حاضراً في القرار السياسي الأوروبي، رغم دساتير دولها العلمانية. إن فرنسا، كنموذجٍ للعلمانية المتطرفة، تقدس الحرية الشخصية، بما فيها حرية التدين نظرياً، ولكنها عملياً تَقيد حرية التدين الإسلامي، فتحظر ارتداء الحجاب في مؤسساتها الرسمية، وتتيح أمام المرأة حرية التعري والإباحية، وما زالت توظف الكنيسة الكاثوليكية المرتبطة بها لخدمة أهدافها الاستعمارية في البلاد التي كانت تحتلها، وألمانيا نموذج آخر لارتباط الدين بالسياسة، من خلال الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني الحاكم الذي دمج بين القيم المسيحية والليبرالية في السياستين الداخلية والخارجية.

وقد ظهر البعد الديني في أحزاب سياسية أوروبية أخرى تبنّت القيم المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية اسماً ومضموناً، وعودة الدين إلى الحياة السياسية الأميركية من خلال الكنائس البروتستانتية الإنجيلية كان دليلاً واضحاً على ذلك، وخصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وكتلته الشيوعية، وظهور نظريتي نهاية التاريخ وصراع الحضارات، وهيمنة فكرة العولمة الأميركية المشبعة بالروح الاستعمارية الاقتصادية والدينية.

فصل الدين عن السياسة في الغرب بشكل قطعي هو مجرد خرافة لا أصل لها في الممارسة السياسية الغربية، فالدين ما زال حاضراً، رغم مبدأ فصل الدين عن السياسة العلماني، كما كان حاضراً في الحركة الاستعمارية الاستيطانية الأوروبية فيما يسمى "العالم الجديد"، وهو أكثر حضوراً في المشروع الاستعماري الغربي ضد الأمة العربية والإسلامية، وبالتحديد في مركز المشروع، وهو إنشاء "دولة إسرائيل"، وما زال أحد محددات السياسة الغربية على جانبي الأطلسي تجاه الآخر غير الأبيض وغير المسيحي.
وإذا كان الدين حاضراً ومؤثراً في السياسة لدى الغرب، موطن العلمانية، فلا مبرر ولا معنى لاستمرار تمسكنا، نحن العرب والمسلمين، بمبدأ فصل الدين عن السياسة، إلا إذا كان الدين الذي نريد إبعاده عن السياسة هو الإسلام الآخر بوجهيه المزورين؛ الإسلام الأميركي المهادن للاستبداد والفساد والمتحالف مع الاستعمار الصهيو-أميركي، والإسلام الصحراوي بنسخته التكفيرية المتوحشة وطبيعته الإقصائية الدموية.

والدين المرتبط بالسياسة الذي يجب التمسك به هو الإسلام الثوري المقاوم الذي كان وما زال أساس وجود الأمة الإسلامية ووحدتها ونهضتها؛ الإسلام الذي يفجر طاقات الأمة ويدفعها إلى التفكير والعمل والتحدي والإنتاج والإبداع، الإسلام الذي يدفع الناس إلى التمرد والثورة على الظلم بكلّ صوره، ممثلاً بالاحتلال والاستبداد والاستغلال والفساد والانحراف والتطرف... فلا وجود لإسلام منفصل عن السياسة إلا في أوهام من يريد إبعاد الإسلام عن حركة الحياة وتيار الحضارة ومسار التاريخ، ومن يريد إطفاء جذوة المقاومة وشعلة الثورة ولهيب الكفاح.

المؤتمر القومي الإسلامي.. المعضلة والحل

كـتب بتاريـخ:

30 يونيو 2022م

انعقدت في حزيران/يونيو الحالي الدورة الحادية عشرة للمؤتمر القومي الإسلامي في العاصمة اللبنانية بيروت، بحضور ممثلي التيارين القومي والإسلامي وقادة المقاومتين الفلسطينية واللبنانية، في زمن تحول فيه التطبيع إلى تحالف مع الكيان الصهيوني، وفي مكان مستهدف بمؤامرة مستمرة على العروبة والإسلام والمقاومة، في محاولة لإضفاء لمسة من الجمال على الزمان والمكان. وكانت الدورة الأولى للمؤتمر القومي الإسلامي قد انعقدت في بيروت عام 1994 في بيئة سياسية مشابهة بعد "اتفاقيتي أوسلو ووادي عربة" ومن قبلهما "كامب ديفيد"، وبعد تداعي القوميين والإسلاميين إلى عقد مؤتمر لمناقشة كيفية تجاوز تحدي مشروع (إسرائيل الكبرى).. وعلى الرغم من ضخامة هذا التحدي الخارجي الكبير للأمة العربية، كان على المؤتمرين تجاوز تحد داخلي نابع من العلاقة بين تياري المؤتمر: القومي والإسلامي، وهو تراث متراكم من الرفض المتبادًل بينهما، والتناقض بين العروبة والإسلام، أو كما شبه إلى البعض أنّه تناقض، فكانت المعضلة في التناقض والرفض بين التيارين بحاجة إلى حل.

والمسؤول عن معضلة التناقض والرفض بين التيارين ليس طرفاَ واحداَ منهما؛ بل كلاهما، فالتيار القومي يرى أن رابطة العروبة أقوى من الرابطة الإسلامية، كما يقول أحد أهم مفكري القومية العربية ساطع الحصري: "الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة أمة واحدة"، وأساس المعضلة يكمن في ربط القومية العربية بمضامين آيديولوجية مناقضة للفكرة الأساسية التي قام عليها التيار الإسلامي باعتبار الإسلام ديناَ ودولة، مثل العلمانية بمفهومها اللاديني. وقال قسطنطين زريق، أحد فلاسفة القومية العربية: "القومية والعلمنة مرتبط بعضهما ببعض، إذ إن وجود وقوة أي منهما يعتمد مباشرة على وجود وقوة الآخر". ومثل الماركسية بأيديولوجيتها الرافضة للدين، فقد استدعاها بعض القوميين العرب ليملأ بها وعاء القومية الفارغ، كما فعل مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جورج حبش، عندما تبنت

الجبهة "الماركسية- اللينية" كمحتوى آيديولوجي، ونظرية ثورية لفكرها القومي العربي، وتحولها إلى حزب ماركسي في المؤتمر الوطني الثاني للجبهة الشعبية عام 1969.

والطرف الآخر المسؤول عن المعضلة هو التيار الإسلامي، الذي نظر إلى القومية باعتبارها مناقضةً للإسلام، فقد قرنها بعضهم بالكفر والشرك، كما قال أبو علي المودودي، مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان، والمؤثّر في مفكري الحركة الإسلامية في الوطن العربي: "لو ثمة عدو لدعوة الإسلام بعد الكفر والشرك فهو شيطان القومية والوطنية". وعدها بعضهم مؤامرة على الإسلام والمسلمين لإضعافهم وتحطيم وحدتهم، ونتاجاً للغزو الفكري الغربي لهدم الإسلام وتقويض الوحدة الإسلامية، كما جاء في مجلة "الوعي" التي يصدرها حزب التحرير الإسلامي: "إن الهدف الأساسي في خلق الحركات القومية كان تفتيت الوحدة الإسلامية وإسقاط الوجود السياسي للإسلام. ورآها البعض دعوة جاهلية منكرة، كما قال عبد العزيز بن باز أحد أهم علماء السلفية الوهابية: "من المعلوم في الإسلام أن الدعوة إلى القومية العربية، أو غيرها من القوميات دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية وكيد للإسلام وأهله". ورفض سيد قطب، مفكر الإخوان المسلمين في كتابه "معالم في الطريق" الرابطة القومية كأساس لبناء الدولة والأمة والحضارة، وعدها "دعوة جاهلية نتنة".

المعضلة المشتركة بين القوميين والإسلاميين كانت واضحة في رؤية المفكر الشهيد، فتحي الشقاقي، مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين من زاويته الإسلامية، وقد لخصها في إجابته عن سؤال لصحيفة "الخليج" الإماراتية عام 1989، هذا نصه: "كيف ينظر الجهاد الإسلامي إلى قضية العروبة والإسلام؟"، فكانت إجابته: "نحن لا نرى أي تعارض بين العروبة والإسلام، من يخلق التعارض هم الذين يحملون العروبة مضامين مناقضة للإسلام، فإذا لم تحمل العروبة مفاهيم ومضامين مناقضة لنفسها وللإسلام فلن يكون هناك صراع، ولا أي إشكالية بينهما، بل سيكون الانسجام والتوافق والتوحد، نحن على يقين أن مشكلة الإسلام ليست في العروبة، ولا في أي طرح عروبي، ولكن مشكلة الإسلام في المضامين التي تحاربه وتعاديه وتخالف منطلقاته الأساسية". ونتيجة لهذا الإدراك المتقدم لأساس المعضلة إسلامياً، كان الشقاقي أحد المؤمنين بفكرة المؤتمر القومي الإسلامي ورسالته، ولذلك استبشر خيراً قبل انعقاد الدورة الأولى للمؤتمر في أثناء الإعداد له، فقال:

"إن مؤتمراً كهذا يمكن أن يؤسس لمرجعية للأمة، وأن علينا أن نحوله إلى مؤتمر حقيقي يتوصل إلى مشروع مشترك ولا يكون مجرد مهرجان احتفالي".

وبعد انعقاد الدورة الأولى للمؤتمر القومي الإسلامي ومشاركة الشقاقي فيه قال لصحيفة "المجد" الأردنية في تشرين الأول/أكتوبر عام 1994: "إن المؤتمر خطوة إيجابية في عملية تاريخية مستمرة للبحث عن القواسم المشتركة بين التيارين: القومي والإسلامي بعيداً من محاولة كل تيار نفي التيار الآخر"، ودعا في هذه المقابلة الصحافية إلى إيجاد جبهة عربية إسلامية عريضة لمواجهة أنظمة التجزئة والتبعية، وبناء برنامج عمل يقرر فيه التياران مصير الأمة ويرسمان معالم مستقبلها، وبناء على هذا الفهم والنهج الباحث عن القواسم المشتركة في الأمة العربية والإسلامية وقواها الحية الفاعلة لمواجهة التحدي الغربي الاستعماري، ورأس حربته (إسرائيل)، شاركت الحركة طوال عهد الأمين العام الثاني لها، المجاهد الكبير الراحل، رمضان شلح في دورات المؤتمر، وصولاً إلى الدورة الحادية عشرة للمؤتمر الأخيرة، التي شارك فيها الأمين العام الثالث للحركة، الأستاذ المجاهد، زياد النخالة، ودعا في كلمته أمام المؤتمر إلى وحدة الأمة حول قضيتها المركزية فلسطين، ووحدة طليعتها القومية والإسلامية حول نهج المقاومة.

الانسجام والتوافق بين القوميين والإسلاميين أو بين العروبة والإسلام يتطلبان أيضاً تخلّي الإسلاميين عن النظرة السلبية إلى القومية، خصوصاً العروبة المتصالحة مع نفسها وإسلامها، وتبني رؤية تيار الجامعة الإسلامية التنويرية للقومية، كما حددها أحد مؤسسي التيار جمال الدين الأفغاني، الذي قدم رؤية نفت التناقض بين القومية والإسلام، ورأى الإسلام الإطار الأوسع المستوعب للقوميات، وربط بين الفكر القومي ومقاومة الاستعمار الأجنبي، ورأى عبد الحميد بن باديس، أحد رموز التيار، في العروبة وعاء للإسلام، ولا تناقض بينهما، فالإسلام رسالة ومنهج حياة، والعروبة ثقافة ولغة وتاريخ، ولا تناقض بين الرابطتين الإسلامية والعربية، فرابطة الإخوة الإنسانية تتسع لرابطة الإخوة العربية، ورابطة الإخوة الإنسانية تتسع لكلتيهما، وبهذه الرؤية التنويرية للقومية والعروبة لا يمكن الفصل بين العروبة كثقافة وهوية، والإسلام كدين وحضارة، فالإسلام هو المضمون الفكري للقومية، والتراث الثقافي للعروبة، والرسالة الحضارية للأمة... ومن دون الإسلام تفقد العروبة مضمونها وتراثها ورسالتها، كما قال ميشال عفلق، مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي: "العروبة من غير الإسلام

مفهوم سلبي، ومن دونه تبقى القومية العربية قالباً أجوف فارغاً، فالإسلام هو المضمون الحي الثوري للقومية العربية".

بعد فهم طبيعة المعضلة بين القوميين والإسلاميين، أو بين العروبة والإسلام، يأتي الحل في إنهاء التناقض الوهمي بين التيارين، عن طريق فك الارتباط بين القومية العربية والمضامين الآيديولوجية المناقضة للإسلام، وعن طريق تخلّي التيار الإسلامي عن المضامين المناقضة للعروبة، المنبثقة من الفكر الإقصائي والرؤية الأحادية. وبعد ذلك، والأهم منه هو البحث عن القواسم المشتركة بين التيارين: القومي والإسلامي، وفي مقدمها اللقاء حول القضايا الموّحدة للأمة العربية والإسلامية، وفي مركزها القضية الفلسطينية، والاتفاق على تبني نهج المقاومةَ، ثقافةً وممارسةً، لمواجهة المشروع الاستعماري الصهيوأمريكي ضد الأمة وهزيمته... وبقدر الاقتراب من فلسطين والمقاومة تقترب الأمة من إنجاز مشروع الوحدة والنهضة والتحرير.

الحركة الوطنية والجهاد الإسلامي بين الانسجام والتمايز

كـتب بتاريخ:

7 يوليو 2022م

تبلورت الحركة الوطنية الفلسطينية في سياق الصراع مع المشروع الاستعماري الغربي في فلسطين ومقاومة وجهيه القبيحين: الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني، في القرن العشرين، خاصة في العقود الواقعة بين وعد بلفور عام 1917م وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م. وقد ارتبطت الحركة الوطنية الفلسطينية بتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية في إطار صراعها مع نقيضها الحركة الصهيونية اليهودية، ومشروعها الاستيطاني الإحلالي المُهدِد للوجود الفلسطيني شعباً وهوية.

ومن خلال هذا الصراع تشكَل وعي الفلسطينيين بذاتهم الجمعية كشعبٍ واحد وجماعة وطنية، ووعيهم بالآخر النقيض كعصابة إحلالية وجماعة استيطانية، فأفرز الشعب الفلسطيني، في سياق هذا الصراع والوعي، حركته الوطنية بأبعادها القومية والإسلامية والإنسانية؛ ليتجاوز هذا التحدي الوجودي، مَجسدهَ في كيانات سياسية وأطر وطنية وثورات شعبية، لها أهداف وطنية ومطالب سياسية.

أبرز تلك الكيانات والأطر قبل النكبة عام 1948م، هي: المؤتمر العربي الفلسطيني ما بين عامي 1919م – 1928 م برئاسة عارف الدجاني ثم موسى الحسيني، واللجنة العربية العليا بين عامي 1936 – 1948 م برئاسة الحاج آمين الحسيني، وتجسدت الحركة الوطنية في المقاومة الشعبية عبر ثورات عديدة، أهمها: انتفاضة يافا عام 1921م، وهبة البراق عام 1929م، وحركة الشيخ عزالدين القسام عام 1935م، والثورة الفلسطينية الكبرى بين عامي 1936م – 1939م.

بلورت الحركة الوطنية الفلسطينية، في تلك المرحلة، ما بين وعد بلفور والنكبة، مشروعها الوطني في أهداف وطنية ومطالب سياسية، هي: إلغاء وعد بلفور ورفض إقامة وطن قومي يهودي، وإيقاف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي لليهود، وإقامة حكومة وطنية منتخبة، وتحقيق الاستقلال الوطني في الإطار القومي العربي.

بعد النكبة عام 1948 م، أصيبت الحركة الوطنية الفلسطينية بعجز سياسي ونضالي أفقدها القدرة على إفراز أطر وطنية تَمثّل الشعب الفلسطيني، فتولّت جامعة الدول العربية هذه المهمة، فأنشأت "حكومة عموم فلسطين" برئاسة أحمد عبد الباقي، ولكنها، لأسباب تتعلّق بها وبالنظام العربي، ظلّت حبراً على ورق. وأنشأت بتوجيه من النظام الناصري "منظمة التحرير الفلسطينية" عام 1964م، برئاسة أحمد الشقيري ثم ياسر عرفات بعد النكسة أو النكبة الثانية عام 1967م.

كانت المنظمة الكيان السياسي الأبرز للشعب الفلسطيني بعد النكبة، والإطار الوطني الأقوى للمشروع الوطني الفلسطيني، المتمحور حول هدف التحرير الكامل لفلسطين الانتدابية، وعودة كل اللاجئين إلى وطنهم فلسطين، وتحقيق الاستقلال الوطني الفلسطيني، والمَحدد لوسيلة التحرير في حرب التحرير الشعبية والكفاح المسلّح والعمل الفدائي، والمَحدد لطبيعة المرحِلة في مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين، وحدد العدو في الحركة الصهيونية و"دَولتها إسرائيل" وداعمها الإمبريالية العالمية.

لم تَحافظ الحركة الوطنية الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية على المشروع الوطني كما كَتب في الميثاق الوطني الفلسطيني، فمع تتابع عواصف الأحداث والمكائد، وتعاقب أمواج النوازل والمؤامرات، تعرضت الحركة الوطنية بقيادة المنظمة لعوامل: التعرية الثورية، والنحت النضالي، والتآكل الوطني، فتسللت إليها مفاهيم: الواقعية الثورية، والبراغماتية النضالية، والمرونة الوطنية. وتولّى الأمر أشباه الثوار فأشاعوا نظريات انبطاحية وأفكاراً انهزامية، سمحت لتسرب فكرة تقاسم فلسطين بين صاحب الأرض ومغتصبيها، فأنتج الفكر السياسي الفلسطيني نظرية "مرحلية التحرير" عام 1974م كأساس لبرنامج النقاط العشر، لتكون النهاية في نظرية "مرحلية التسوية" عام 1993م كأساس لاتفاقية أوسلو والسلطة الفلسطينية، وما حدث بعد ذلك على مدار أكثر من ربع قرن مجرد تكريس لهذه النهاية المأساوية للحركة الوطنية الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي قفز على دفة قيادتها فريق أوسلو المهادن للاحتلال.

وبقدر ابتعاد منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة فريق أوسلو عن مضامين الحركة الوطنية الفلسطينية وأهدافها ومشروعها الوطني التحرري، كانت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين تقترب

من فلسطين والحركة الوطنية مضموناً وأهدافاً ومشروعاً، منذ أن كانت الحركة حواراً فكرياً وسياسياً في النصف الثاني في سبعينيات القرن العشرين، ثم حركة مقاومة وطنية إسلامية خلال ثمانينيات القرن العشرين وبعدها، فكانت بذلك الفكر والممارسة امتداداً طبيعياً للحركة الوطنية الفلسطينية، ولكنها ليست الحركة الوطنية برؤية منظمة التحرير وقيادتها التي أوصلت الشعب الفلسطيني إلى مأزق أوسلو والانقسام.

وبناء على ذلك، تجمع حركة "الجهاد الإسلامي" بين مساري الانسجام والتمايز مع الحركة الوطنية الفلسطينية، الانسجام مع الحركة الوطنية المقاومة في التعريف والمشروع والدور، والتمايز مع الحركة الوطنية المساومة في الفكر والسياسة والكفاح.

مسار الانسجام بين "الجهاد الإسلامي" والحركة الوطنية يبرز في تعريف الحركة لنفسها كحركة وطنية في وثيقتها السياسية "حركة تحرير وطنية إسلامية"، وكذلك "حركة مقاومة فلسطينية الإسلام مرجعها"، وتعد نفسها جزءاً من الحركة الوطنية "وهي جزء أصيل من مكونات الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، وامتداد لكفاح الشعب الوطني، وهي حلقة من حلقات جهاد الشعب الفلسطيني والأمة على مدار تاريخنا ضد الغزاة المستعمرين وصولاً إلى الغزو الصهيوني لفلسطين". وانطلاقاً من هذا التعريف الوطني للحركة، فإن التراث الفكري للحركة يعطي الوطنية مفهوماً دينياً مقدساً، فحب الوطن من الإيمان، والدفاع عنه واجب شرعي، والجهاد لتحريره فريضة إسلامية، والانتماء إلى الجماعة الوطنية لا يتعارض مع الانتماء إلى الأمة الإسلامية، ومفهوم الوطنية يتكامل مع مفهومي القومية والإسلامية، فأنهت الحركة بهذه الرؤية الفصام النكد بين الوطنيين والإسلاميين، وجمعت بين الإسلام وفلسطين والجهاد في بوتقة واحدة.

ومسار الانسجام يبرز في مشروع الحركة الوطني المنسجم مع الحركة الوطنية الفلسطينية ومشروعها الوطني بنسخته الأصلية قبل التشويه الذي تعرض له عقب اتفاقية أوسلو، ولكن برؤية الحركة المرتبطة بمرجعيتها الإسلامية، ففلسطين ليست مجرد أرض محتلة يجب تحريرها، أو مجرد أرض وقف إسلامي تحريرها واجب شرعي، ففلسطين تقع في قلب القرآن وآية من الكتاب، وجزء من السنة، ومركز الصراع بين مشروعي الحق والباطل، ولذلك فمشروع الحركة الوطني له بعد ديني

مقدس، ففلسطين أرض مباركة ومقدسة بنص القرآن والسنة، وتحرير أرضها واجب شرعي وفريضة دينية، ومقاومة محتليها جهاد في سبيل الله.

وربطت الحركة بين مشروع تحرير فلسطين ومشروع نهضة الأمة، فلا يتم أحدهما إلاّ بالآخر، ومشروع تحرير فلسطين هو قضية الأمة الإسلامية المركزية ومشروعها ومسؤوليتها، وبهذه الرؤية تنسجم الحركة مع المشروع الوطني لتحرير فلسطين مضموناً وأهدافاً، ولا ترى أهمية للمَسميات والأطر، فمشروع التحرير أهم من "منظمة التحرير"، والحركة الوطنية أهم من أي كيان سياسي.

والانسجام بين "الجهاد الإسلامي" والحركة الوطنية يبرز في قضية الحركة المركزية، فهي قضية وطنية محورها تحرير فلسطين، فجاء دورها الوطني متسقاً مع قضيتها الوطنية ومشروعها الوطني، فمنذ البداية حددت لمجاهديها وشعبها دور إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله داخل فلسطين، ومشاغلة العدو واستنزاف طاقاته المادية والبشرية، وإدامة جذوة الصراع مشتعلة حتى تكتمل شروط النصر ويأتي وعد الآخرة، والتصدي لمؤامرات تصفية القضية الفلسطينية القادمة من الغرب، وإفشال مؤامرات التطبيع والتحالف مع العدو.

وأكدت الوثيقة السياسية للحركة على هذا الدور الوطني: "النهج الثابت للجهاد الإسلامي استمرار المواجهة مع العدو الصهيوني، واستنزاف طاقاته وقدراته وزعزعة أمنه واستقراره؛ لإجباره على الرحيل عن أرضنا وصولاً إلى التحرير الكامل لفلسطين"، وقد عدت الحركة النضال الوطني والكفاح المسلّح عبادة دينية كالصوم والصلاة، كما عبر عن ذلك أمينها العام الأستاذ المجاهد زياد النخالة بقوله موجهاً مجاهدي الحركة: "لنذهب إلى القتال كما نذهب إلى الصلاة".

مسار الانسجام بين "الجهاد الإسلامي" والحركة الوطنية بمضمونها وأهدافها تزامن معه مسار التمايز مع الحركة الوطنية برؤية منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها، وكان لهذا المسار ثلاثة مستويات: فكرية وسياسية وكفاحية، ففي مستوى التمايز الفكري كانت فصائل المقاومة الفلسطينية التي دخلت المنظمة بعد هزيمة حزيران - يونيو عام 1967م متأثرة بتيار التغريب بأهم إفرازاته الفكرية (العلمانية والماركسية)، فشكّلت مرجعيات فكرية وأيديولوجية لنهجها النضالي ونظرياتها الثورية، بمضامينها التي تفصل الإسلام كنهج نضالي ونظرية ثورية، عن النضال الوطني والنظرية الثورية، إما

بتحييده أو معاداته، فتمايزت حركة الجهاد الإسلامي بتبني الإسلام مرجعية فكرية ونظرية ثورية وعقيدة قتالية في مرحلة التحرير الوطني، يستطيع تحريك الجماهير وتثوير الشعب وتوجيه الصراع، فكان هذا التمايز الفكري جوهرياً في مشروع "الجهاد الإسلامي" بعيداً عن التكفير والتخوين والشيطنة، وبعيداً عن عقيدة (الفرقة الناجية) أو (جماعة المسلمين)، وقريباً من الالتقاء مع الكل الفلسطيني على القاسم المشترك فلسطين.

وفي إطار مسار التمايز بين "الجهاد الإسلامي" والحركة الوطنية بقيادة المنظمة، يأتي التمايز السياسي، فقد تميزت الحركة بالثبات على المبادئ والأهداف والحقوق كما جاءت في فكرها ومواقفها، وكما جاءت في الميثاق الوطني قبل التعديل، في حين تراجعت المنظمة عن كل ذلك، مستندة إلى فكر سياسي مبني على فرضيات ثبت خطؤها، تراهن على وهم الضغط الدولي وخدعة الشرعية الدولية، وتعتقد أن العدو سيمنحنا جزءاً من فلسطين إذا تنازلنا عن معظمها، فاختزلت المنظمة خيار الحركة الوطنية في مسار التسوية السياسية السلمية، واختزلت مسار التسوية في طريق أوسلو المسدود، فتحولت عن نهج المقاومة إلى نهج المساومة على الأرض والحقوق، وخلقت أولويات بديلة من التحرير أدت إلى بناء سلطة تحت الاحتلال والصراع ثم الانقسام عليها، وبحثت عن طرق للتعايش مع الاحتلال بدل مقاومته، فكان التمايز السياسي بين "الجهاد الإسلامي" والحركة الوطنية الأوسلوية (المساومة) كبيراً.

التمايز الكفاحي حول السلطة والمقاومة كان ولا يزال واضحاً بين "الجهاد الإسلامي" والحركة الوطنية بقيادة المنظمة التي أنشأت السلطة الفلسطينية، لتكون جسراً لمشروعها الوطني في حده الأدنى (دولة فلسطينية في الضفة والقطاع)، ولكن الاحتلال جعل السلطة مقبرة للمشروع الوطني المعدل، وجسراً لعبور "إسرائيل" إلى العواصم العربية، وفرصة لتكريس الاحتلال والاستيطان والتهويد... والأهم أن السلطة أصبحت عنواناً للتمايز الكفاحي بين نهجي التعايش مع الاحتلال ومقاومته، فالتعايش مع الاحتلال عبر الشراكة الأمنية والاقتصادية بقيادة النخبة المسيطرة على السلطة والمنظمة المحسوبة زوراً على الحركة الوطنية، ومقاومة الاحتلال بالمواجهة المستمرة والاشتباك الدائم ثقافة وممارسة كما تفعل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وكل فصائل المقاومة، وهذا التمايز

الكفاحي أفرز رؤيتين لبناء النظام السياسي الفلسطيني: إحداهما، نظام تحت الاحتلال محكوم بسقف أوسلو، والآخر محرر من الاحتلال محكوم باستحقاقات مرحلة التحرير الوطني.

خَلاصة الموضوع أن الحركة الوطنية الفلسطينية ارتبطت نشأتها بمقاومة المشروع الاستعماري الغربي بشقيه: البريطاني والصهيوني، واستمرارها توقف على تمسكها بالأهداف الوطنية للشعب الفلسطيني، وحيويتها مستمدة من تبنيها لعقيدة شعبها الإسلامية مرجعية فكرية ونضالية ثورية. وأن أي عملية فك للارتباط بين الحركة الوطنية من جهة وبين نهج المقاومة والأهداف الوطنية وعقيدة الشعب كمرجعية نضالية ونظرية ثورية من جهة أخرى، ستؤدي حتماَ إلى فقدان الحركة الوطنية لمشروعها الوطني ومضمونها الثوري وروحها النضالية، حتى لو احتفظت لنفسها باسم التحرير، واحتكرت لنفسها زعم التمثيل الوطني... فمضمون الحركة الوطنية وهدفها وروحها أهم من اسمها وإطارها وشكلها، وهذا ما استوعبته حركة "الجهاد الإسلامي" وتميزت به.

عندما تكون الفتوى خارج السياق

كـتب بتـــاريخ:

14 يوليو 2022م

للفتوى في الإسلام أهمية عظيمة في حياة المسلمين، وقد أفرد ابن قيم الجوزية لها كتاباً عنوانه (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، توضيحاً منه لأهمية الفتوى وخطرها لكون المفتي في بيان حكم الدين في أفعال العباد يبلّغ عن الله تعالى، ولكونه الواسطة بين الله وخلقه في بيان الحلال والحرام لمن استفتاه، خصوصاً في المواضيع التي "يكثر فيها الالتباس والخفاء، وتكثر فيها الأهواء والباطل".

وليس من مواضيع يكثر فيها الالتباس والأهواء أكثر من المواضيع السياسية، التي تتضارب فيها الفتاوى، وتتناقض فيها الآراء، وتتداخل فيها المصالح بالمبادئ، وتتشابك فيها الأهواء بالحكمات، وتتصارع فيها الرخص بالعزائم..

ومن هذه الفتاوى السياسية بيان مجموعة من علماء المسلمين في صورة نصيحة لحركة حماس بالعودة عن قرارها استئناف علاقتها بسوريا.

بيان (علماء المسلمين) الذي جاء على شكل نصيحة أشبه بالفتوى الشرعية، رأى أن عودة تلك العلاقة بين حركة حماس والدولة السورية فيها "مفاسد عظيمة"، وأنها "لا تتفق والقيم والمبادئ والضوابط الشرعية" من دون توضيح مضمون تلك المفاسد العظيمة ولا الضوابط الشرعية.. وما اتضح فقط هو رغبة هؤلاء النخبة من العلماء في منع استئناف العلاقة المتوقفة منذ 10 سنين، وأنهم في انتظار رد قادة حماس على بيانهم أو فتواهم كي يقوموا بما سموه "الواجب الشرعي الملائم للموقف"، الواجب الشرعي الذي كان غائباً في كثير من الأحداث الملتبسة، والعلاقات المشتبه فيها، والمواقف المخزية، الواجب الشرعي الذي يختفي عند الحاجة إليه ويظهر عند الزهد فيه، الواجب الشرعي الذي يصمت أصحابه عند الحاجة إلى الكلام، ويتكلم أصحابه عند الحاجة إلى الصمت.

الواجب الشرعي الذي تحدث عنه السادة العلماء غاب عندما كان حزب العدالة والتنمية-الإسلامي - ممثلاً في رئيس الحكومة المغربية سعد الدين العثماني يمثل دور المحلل للتطبيع المغربي-الإسرائيلي. وغاب عن كل (اتفاقيات أبراهام) العربية - الإسرائيلية برعاية أميركية.
الواجب الشرعي المذكور في فتوى (علماء الأمة) غاب عن كل قرارات تجريم المقاومة اللبنانية والفلسطينية ووصمها بالإرهاب من الأنظمة العربية الحاكمة الدائرة في الفلك الأميركي، وغاب عن كل محاولات تشويه أو ترويض المقاومة عربياً.

الواجب الشرعي العظيم غاب عن مسلسل تعزيز التحالف الأمني والاقتصادي بين تركيا الإردوغانية والكيان الصهيوني، وغاب عما يجري الآن من تشكيل لتحالف عسكري عربي-إسرائيلي برعاية أميركية ضد محور المقاومة.

الواجب الشرعي غاب عندما صوبت بندقية الجهاد في كل اتجاه ما عدا فلسطين، وأعيد استدعاء فتاوى "أولوية قتال المرتدين على الكفار الأصليين" وكذلك "أولية الجهاد في سوريا على فلسطين".

إن ترك هذه الواجبات الشرعية التي تخدم مشروع التحرير بواسطة تقوية جبهة المقاومة، والذهاب إلى (واجب شرعي) في الاتجاه المعاكس لمشروع التحرير بواسطة إضعاف جبهة المقاومة، يجعل هذا الواجب المزعوم فتوى خارج السياق، نظراً إلى كونها تأتي في سياق خدمة المشروع المضاد لمشروع المقاومة والتحرير، خصوصاً في الوقت الذي يأتي فيه الرئيس الأميركي جو بايدن لزيارة المنطقة بهدف أساسي هو إقامة (ناتو عربي إسرائيلي) ضد محور المقاومة أو حلف القدس.

وهي تأتي كذلك في إطار ربط حركات المقاومة الفلسطينية بتحالفات ليس لها علاقة بمشروع تحرير فلسطين، وعزلها عن عمقها العربي والإسلامي ممثلاً في محور المقاومة الداعم الوحيد لمشروع تحرير فلسطين، ويصب في اتجاه ترسيخ مساري (اتفاقيات أبراهام): سلام إسرائيلي، وإسلام أميركي، وهذا يجعل ذلك الواجب الشرعي منسجماً مع الهدف الصهيو-أميركي يتحقق بالبترودولار العربي نحو تشويه المقاومة أو ترويضها، وتشويه الإسلام أو ترويضه؛ وتفكيك الأمة بدلاً من جمعها ولم شملها.

فتوى العلماء المحذرة من عودة العلاقة بين حركة المقاومة الإسلامية حماس والدولة السورية، تكشف عن أزمة سياسية فكرية في العلاقة بين الفتوى والواقع لها وجوه عديدة، خصوصاً لدى ما يعرف إعلامياً بـ(الإسلام السياسي) أو الحركة الإسلامية.

ولعل أحد هذه الوجوه السياسية هو محددات السياسة الشرعية والفتاوى المنبثقة منها، تقاس بعقيدة (الفرقة الناجية)، ومفهوم (جماعة المسلمين)، ورؤية (الحزب الأوحد)، فعندئذ تَصبح مصلحة الفرقة والجماعة والحزب هي مصلحة الإسلام والأمة والوطن، وفي الحال الفلسطينيةً تَصبح مصلحة الفرقة والجماعة والحزب مصلحة الحزب، ومحددات العلاقة بالآخرين هي القَرب أو البعد عن الحزب لا عن فلسطين.

أما الصواب في ذلك فهو أن تقام العلاقات بالآخرين على أساس خدمة مشروع تحرير فلسطين، خصوصاً بعد تمايز المحورين المقاوم والمساوم، وتمايز الحلفين: القدس وأورشليم، وأن توظف الفتاوى في ذلك.

وفتوى هؤلاء العلماء كشفت عن أزمة فكرية، أحد وجوهها توظيف الدين وتطويع النصوص لتنسجم وأهداف سياسية معينة، أو لتبرير واقع سياسي محدد، أو لتسويغ موقف سياسي ما، وهذا يخالف الأصل في العلاقة بين النص والواقع، فيجعل الواقع السيئ حاكماً للنص ويجعل المصلحة مفسرة للنص، بدلاً من أن يكون النص حكماً للواقع السيئ ومغيراً له.
إن هذه المنهجية التبريرية المحكومة بالمصلحة السياسية أنتجت تراثاً فقهياً في السياسة الشرعية حل مكان النص، فأصبح يساويه في القداسة، وربما يزيد عليه، وهذا واضح في استحضار فتاوى الإمام أحمد بن تيمية، وترك النصوص الدينية الأصلية كمثال.

ومن ثمرات هذا المنهج المرة، على سبيل المثال: شرعنة إمارة الحاكم المتغلّب، واستبدال إرادة الأمة بإرادة أهل الحل والعقد، وتحريف الشورى لتكون معلمة غير ملزمة للحاكم، والخلط بين نقد الحاكم والخروج عليه بالسلاح، والمزج بين طاعة أولي الأمر منكم وعليكم.

وكيلا تكون الفتوى خارج السياق يجب أن تكون محكومة بالإسلام: نصاً وروحاً، نصاً كما يفهم من القرآن والسنة، وروحاً كما يفهم من مقاصد الشريعة الإسلامية ويجب أن تكون محكومة:

- بفلسطين قضية ومشروعاً، قضية مركزية للأمة، ومشروعاً لتحرير فلسطين والأمة.
- وبالأمة مصلحة ورسالة، مصلحة الأمة الإسلامية، ورسالتها الإنسانية إلى البشرية.. وعندما يتحقق ذلك في الفتوى يصلح حال علماء الأمة وشعوبها وحكامها، وتضع أقدامها على بداية الطريق الصحيح.. طريق التحرير والنهضة والاستقلال.

مؤتمر جدة بين حلمين..

كـتب بتـاريخ:

21 يوليو 2022م

كتب المؤرخ الأميركي جيمس آدمز معرفاً الحلم الأميركي في كتابه "الملحمة الأميركية" عام 1931: "الحلم الأميركي هو الحلم الخاص بالأرض التي يجب أن تكون بها الحياة أفضل وأكثر ثراء لكل الناس، حيث تَتاح لكل فرد الفرصة طبقاً لقدراته وإنجازاته"، وأكد أن هذه الفرصة لتطور الفرد محررة من أي قيود لا شأن للفرد بها، كالتي فرضتها عليه ظروف ولادته أو طبقته الاجتماعية.

"كل الناس"، وفق تعبير جيمس آدمز، كانوا هم الأوروبيين من العرق الأبيض؛ خصوصاً الأنجلوساكسون البروتستانت، "والفرصة المتاحة" خاصة بهم، فكانت تلك الفرصة حلماً للشعوب الأوروبية، وكابوساً على غيرهم من الشعوب، وأولهم شعب الأرض (الجديدة) التي غزوها واستوطنوها، وسموها زوراً (أميركا)، وسموا شعبها بهتاناً (الهنود الحمر)، فدمر (الحلم الأميركي) أحلامهم بتدمير حضاراتهم وحياتهم.

الحلم الأميركي (الأبيض) دمر أحلام الشعوب الأفريقية من ذوي اللون الأسود، وحولها إلى كابوس رعبٍ يبدأ في غابات أفريقيا بانتزاع الأفارقة عنوةَ من وطنهم وشعبهم، وينتهي باستعبادهم في (الأرض الجديدة)، مروراً بظروف نقلهم القاسية في سفن التجار المتوحشين، وحتى بعد إلغاء العبودية واستبدالها بالتمييز العنصري، ظّل لونهم عائقاً أمام حصولهم على تكافؤ الفرص في (الحلم الأميركي)، كما كتب عنه آدمز وقبله الدستور الأميركي، فأصبح لهم حلمهم الخاص بالمساواة والعدالة، عبر عنه زعيمهم مارتن لوثر كينغ في خَطبته المسماة "لدي حلم" عام 1963، قائلاً "لدي حلم يوماً ما أن أبناء العبيد السابقين، وأبناء ملاّك العبيد السابقين، سيقدرون على الجلوس معاً إلى مائدة الإخوة".

ظل الحكم الأميركي (الأبيض) كابوساً على شعوب أميركا الأصليين (الهنود الحمر)، وكابوساً على شعوب أفريقيا المختطفين من بلادهم، حتى تحول إلى كابوسٍ على كل العالم، بعدما خرجت الولايات المتحدة الأميركية من عزلتها عقب الحربين العالميتين الأولى والثانية، واختصر ذلك الرئيس الأميركي

ثيودير روزفلت مزهواً بالنصر في الحرب العالمية الثانية قائلاً: " قدرنا هو أمركة العالم، بعد أن تسلّمت الولايات المتحدة زعامة العالم الغربي على ضفتي الأطلسي، وباتت قائداً لمشروع الغرب الاستعماري في العالم"، وكان نصيبنا كعرب من الحلم الأميركي بأمركة العالم أو استعماره وإخضاعه للسيطرة الأميركية هو زرع الكيان الصهيوني كرأس حربة للمشروع الاستعماري الغربي في قلب الوطن العربي فلسطين، كمشروع لحلم آخر ولد من رحم المشروع الغربي ضد الأمة العربية والإسلامية، فكانت بذلك "دولة إسرائيل"، وكان ضمان وجودها وأمنها واستقرارها، هو محور سياسة الغرب بزعامة بريطانيا ثم أميركا في العالم العربي.

جاء الرئيس الأميركي جو بايدن إلى "مؤتمر جدة للأمن والتنمية" ممثلاً للحلم الغربي بوجهيه: الأميركي والصهيوني، وليس في برنامجه الأمن القومي العربي، ولا تنمية الاقتصاد العربي -عنوان المؤتمر- بل "أمن دولة إسرائيل" وتنمية وجودها في المنطقة العربية، إضافة إلى استمرار نهب أميركا والغرب لثروات العرب ونفطهم، فهل جاء المؤتمرون العرب ليمثلوا (الحلم العربي)؟ أم كانوا مجرد أدوات بين أميركا لاستكمال إنجاز الحلم الأميركي الصهيوني. والسؤال الأهم هل من حلم عربي يمثلونه في المؤتمر ويعملون لإنجازه؟ وللإجابة عن هذا السؤال من المفيد العودة إلى القرن العشرين الذي تبلور في منتصفه الحلم العربي.

بعد انفراط عقد الخلافة العثمانية على يد الاستعمار الغربي والقوميين الأتراك والعرب؛ تراجع مشروع الجامعة الإسلامية لمصلحة مشروع الجامعة العربية، وفي سياق الصراع ضد الاستعمار الغربي الأوروبي والنخب العربية الحاكمة المرتبطة به تبلور "الحلم العربي"، وجوهره إنشاء دولة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج على أساس الرابطة القومية، وكان لنظام حكم الزعيم جمال عبد الناصر القومي في مصر وتياره العروبي الناصري، دور مركزي في تشكّل هذا الحلم، إضافة إلى أدوار مهمة للحركات القومية العربية، لاسيما حزب البعث العربي الاشتراكي، بشعاره المشهور "أمة عربية واحدة.. ذات رسالة خالدة".

وكان لفشل العدوان الثلاثي على مصر 1956، وقيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا عام 1958 دور مهم في تأجيج الحماسة لتجسيد "الحلم العربي"، التي عبر عنها الفن في كثير من الأعمال مثل: أنشودة (لبيك يا علم العروبة)، وأوبريت (الوطن الأكبر).

تراجع "الحلم العربي" بعد فشل الوحدة بين مصر وسوريا عام 1961، وانتهاء تجربة الجمهورية العربية المتحدة، كنواة للدولة العربية الواحدة، وبعد هزيمة حزيران/يونيو عام 1967، وخبو بريق النظام الناصري ثم زواله بوفاة رأسه جمال عبد الناصر عام 1970 وتفكك حركة القوميين العرب، ليتوارى الحلم العربي وراء غيوم دول التجزئة القَطرية، وأدخل ضباب الاستقلال الوطني المضلل؛ ليختفي الحلم العربي دهراً من الزمن قبل أن يعود مع انتفاضة الأقصى الفلسطينية عام 2000، على صورة آوبريت فني غنائي عنوانه: "الحلم العربي"، ليعيد إحياء الحلم في الذاكرة الجمعية العربية "أجيال ورا أجيال.. هنعيش على حلمنا.. ده حلمنا طول عمرنا.. حضن يضمنا كلنا".

لكن الحلم ازداد ابتعاداً مع ثورات ما يسمى "الربيع العربي".. وحل مكانه "حلم الخلاص الفردي" لكل مواطن عربي، بين فرصة عمل داخل الوطن سقطت سهواً من يد أبناء النخبة الحاكمة ومقربيهم، وفرصة للهجرة إلى خارجه سقطت سهواً من يد الموت غرقاً في ظَلمات البحر.

الحلم العربي.. بجانبيه: القومي (الوحدة العربية)، والشخصي (فرصة الحياة)، لا يمثله المؤتمرون العرب في جدة، وبالتأكيد لا يمثله الرئيس الأميركي المشارك في المؤتمر ممثلاً عن الحلم الأميركي والصهيوني. وإنما تمثله الأمة العربية بشعوبها الحية التي تحلم بالوحدة والحرية والكرامة، كما تحلم بفرصة الحياة والتطور والإنجاز... وهي تدرك أن ذلك الحلم لا يتحقق من دون حلم عربي، لديه مشروع قومي، ركائزه الأساسية: الإسلام، وفلسطين، والمقاومة.

الإسلام الوسطي المعتدل، بمضامينه الإنسانية والحضارية والثورية والتجديدية، البعيد عن الإسلام الأميركاني المهادن، الذي يحول أتباعه إلى عبيد للاستعمار، والبعيد عن الإسلام الداعشي المتوحش الذي يحول اتباعه إلى معاول للتكفير والتقتيل.. الإسلام كدين وثقافة وحضارة هو رسالة العرب إلى البشرية، ومضمون العروبة الحي الثوري، ونظرية الثورة ضد الاستكبار بمختلف أشكاله وصوره.

فلسطين القضية والمشروع، فإذا كانت "إسرائيل" هي قضية الغرب الأولى في الوطن العربي، ومركز المشروع الغربي الاستعماري فيه، وأساس "الحلم الأميركي" في السيطرة الاستعمارية، فلا نجاح لأي حلم عربي بالوحدة والنهضة والاستقلال من دون تبني فلسطين قضيةً مركزية للعرب، ومن دون أن

يكون مشروع تحرير فلسطين في قلب أي مشروع عربي للوحدة والنهضة والاستقلال، ولا ضمان للأمن القومي العربي والتنمية الاقتصادية العربية بوجود "إسرائيل".

المقاومة ثقافة وممارسة، المقاومة كوسيلة لتحقيق الحلم العربي القومي والشخصي، فهي التي تمنح الفرد والأمة: الروح الدافعة إلى الثورة، وإرادة الحياة لمواصلة الكدح نحو الحلم، والبوصلة التي تحافظ على صوابية الطريق، والحاجز الذي يمنع تسلل الهزيمة إلى الروح والنفس. والمقاومة هي الحلم أو عزم الحياة عند الشاعر التونسي الثائر أبي القاسم الشابي الدافع إلى الثورة والنهضة. "لا ينهض الشعب إلآ حين يدفعه *** عزم الحياة إذا ما استيقظت فيه".

والحلم العربي المستند إلى محاور الإسلام وفلسطين والمقاومة سيتقدم حتماً ليسقط الحلم ا لأميركي الصهيوني في الوطن العربي، وستسحقه أقدام الجماهير العربية المسلّحة بالإيمان والوعي والثورة مع أول بشائر وعد الآخرة وانتصار المستضعفين على المستكبرين.

"كيرة والجن".. دقّ على جدران الوعي

كـتب بتـاريخ:

29 يوليو 2022م

قبلَ عامٍ ونيف، كتبتُ مقالاً بعنوان "عندما تكون الدراما مقاومة". كانت فكرته الأساسية هي دراما المقاومةً أو المقاومة بالدراما، واستشهدت بمسلسل "جمهورية زفتى" مثالاً. المسلسل التلفزيوني قصته مستوحاة من أحداث ثورة 1919 في مدينة زفتى في محافظة الغربية في مصر.

بطل القصة هو يوسف الجندي الذي قاد الثورة في المدينة، وأعلن استقلالها عن سلطة الاحتلال البريطاني في مصر والحكومة المصرية المتعاونة معها، وشكّل مجلساً من الثوار لقيادة الثورة وإدارة المدينة، حتى أرسلت سلطة الاحتلال جيشها لقمع الثورة وإعادة المدينة إلى سلطتها.

القصة الحقيقية كانت مصدر إلهام لخيال الفنانين، فأبدعتّ بعض الأعمال الفنية الدرامية، أولها مسرحية "إمبراطورية زفتى" عام 1924 لأمين صدقي مؤلفاً وعلي الكسار ممثلاً، وآخرها مسلسل "جمهورية زفتى" ليسري الجندي مؤلفاً وإسماعيل عبد الحافظ مخرجاً. المسلسل أعاد استحضار رموز المقاومة في الذاكرة الجمعية الوطنية، وأعاد إحياء قيم الثورة في الوجدان الشعبي القومي.

مسلسل "جمهورية زفتى" كان السبب في زيارتي للمدينة قبل أسبوعين في منتصف شهر تموز/يوليو الحالي. ما إن وصلت إلى مكان البيت وسط المدينة، سكنتني روح المكانِ الثائرة، وتنسمت عبق التاريخ المقاوم. كيف لا؟ وهنا كان يسكن أيقونة المقاومة الشعبية، ورمز النضال الوطني، ورئيس "جمهورية زفتى"، المحامي يوسف الجندي.
وتساءلت: ماذا لو لم أشاهد - أنا وغيري - المسلسل؟ ماذا لو لم تَخلّد الأعمال الدرامية هذه الرموز الوطنية؟ ألم يكن من شبه المؤكد أن تنسى وتندثر قصصها في زحمة الأحداث لولا أن خلدتها الدراما.

هذا الآمر ينطبق على رموز آخرين في ثورة 1919، مثل أحمد كيرة وعبد القادر الجن، لولا استحضارهما في رواية "1919 " وفيلم "كيرة والجن" للأديب والسيناريست أحمد مراد. الرواية أعيدت طباعتها 14

مرة منذ عام 2014، رغم تلاشي عصر القراءة الورقية، والفيلم حقق نجاحاً كبيراً، رغم تراجع الإقبال الجماهيري على السينما.

نجاح الرواية والفيلم كان حافزاً مشجعاً لشراء الرواية وقراءتها، وكلاهما - الرواية والفيلم - إبداع أدبي وفني يعبر فيه الكاتب عن نفسه وشعبه كذات فردية وجمعية تعي هويتها وأهدافها، وتخوض صراعاً مع نقيضها المحتل المهدد لوجودها واستقلالها وكرامتها، لتحقق بذاتها وصراعها وجودها الإنساني الحقيقي، المعبر عنه بالأدب والفن، في صورة دراما تاريخية وملحمة وطنية، يعيد فيها الكاتب اكتشاف ذاته وشعبه، ويعيد كتابة التاريخ ليرسم ملامح المستقبل، ويعيد إحياء رموز المقاومة لينفخ فيها من روحه، ويوقظها من سباتها في صفحات الكتب إلى أحداث الحياة في حركة الدراما والواقع.

هذا ما فعله الأديب والسيناريست أحمد مراد عندما نقل قصة ثورة 1919 ورموزها وقيمها من صفحات كتب التاريخ إلى رواية "1919" المفعمة بالحيوية والأحداث، ثم إلى فيلم "كيرة والجن" المترع بالحركة والإثارة.

تبدأ الرواية والفيلم مع بداية الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882، بعد هزيمة الجيش المصري بقيادة أحمد عرابي في معركة التل الكبير، وتنتهي بنهاية الاحتلال مع جلاء آخر جندي بريطاني عن مصر عام 1956 بعد ثورة يوليو 1952، وموضوعهما المقاومة الشعبية المصرية أثناء ثورة 1919، مع التركيز على المقاومة المسلحة في الثورة، وخصوصاً العمليات الفدائية لمنظمة "اليد السوداء"، وأهم مناضليها أحمد عبد الحي كيرة وعبد القادر شحاته الجن، ومعهما دولت فهمي.

قتل والدا كيرة والجن - في ظروف مختلفة – على يد الاحتلال البريطاني، فكان حب الانتقام رافداً لحب الوطن كقيمة تستحق التضحية من أجلها لدى الرجلين الثائرين، فقدم أحمد كيرة حياته كلها شهيداً، فيما قدم عبد القادر الجن سنوات عمره سجيناً، وذهبت دولت فهمي ضحية الجهل فداء للوطن.

قيمة حب الوطن كانت دافعاً للمقاومة من أجل تحريره، ودافعاً للتضحية من أجل استقلاله، وهي القيمة التي تعد جوهر الرواية والفيلم، وتتحكم في الخط المركزي لمسار أحداثهما، وكل القيم والمفاهيم الأخرى تخدم هذه القيمة والفكرة، ومنها مبدأ الوحدة الوطنية الضرورية للثورة.

لقد برزت الوحدة بوجود دولت فهمي كامرأة مسيحية في المجموعة الفدائية، والتي كانت عضواً أساسياً ومشاركاً فيها، وبرزت في الشعارات والهتافات التي رفعتها الجماهير في التظاهرات معبرةً عن وحدة المسلمين والمسيحيين ضد الاحتلال.

ونذكر من القيم أيضاً فكرة تشبيه الاحتلال بالعبودية، كما جاء على لسان الثائر أحمد كيرة، موضحاً مفهوم الاحتلال "بأن تكون مربوطاً في رقبتك في ساقيه معصوب العينين، ويلقي إليك الفتات. أن تجلد لتدور في دائرة مفرغة، لتسقي أرضاً لم تعد تملكها، وتنبت زرعاً لم تعد تأكله".
من القيم كذلك مفهوم قابلية الاستعمار عند النخب الحاكمة والمتغربة كسبب لوجود الاحتلال واستمراره، كما جاء على لسان أحد الثوار: "المحتل مش بيغلبنا بسلاح، بيغلبنا بالرجالة اللي استعمر روحهم".

لم تقتصر القيم الموجودة في الرواية والفيلم على النواحي الإيجابية، فقد امتدت إلى النواحي السلبية كنوعٍ من الواقعية في الأدب والفن، ومن ذلك إبراز دور الجهل والانتهازية والخيانة في الثورة كطبيعة بشرية موجودة في الفرد والمجتمع، فبرز الجهل من خلال قتل دولت فهمي على يد أهلها في الصعيد بتهمة تفريطها في شرفها في القاهرة، لجهلهم بطبيعة عملها في صفوف الثورة والمقاومة.

وبرزت الانتهازية في الثورة في بعض السياسيين الذين ركبوا الثورة، وتولوا المناصب الحكومية بعد تولي سعد زغلول الوزارة عام 1924، وفي تبرير الهروب من عناء المقاومة إلى راحة المفاوضات على لسان مصطفى النحاس: "اللي اختار العنف مش أحسن من اللي اختار الحوار، كلنا بنحاول والكل على طريقته".

وبرزت الخيانة في سقوط أحد الثوار من أفراد المجموعة في التحقيق، هو نجيب الأهواني، ليصبح عميلاً لسلطة الاحتلال ويشي بزملائه، في مقابل الإفراج عنه ونيله حفنة من المال.

حين يكون الأدب مقاوماً كرواية "1919"، والفن مقاوماً كفيلم "كيرة والجن"، تصبح الدراما سلاحاً يقاوم الظلم، وثورة تتمرد على العبودية، ومصباحاً يبدد الظلام... فتزرع في القلب إيماناً، وفي العقل وعياً، وفي النفس استقامة، وفي الواقع ثورة، فتجعل الشعب أكثر ثقةً بنفسه وقدراته، وأكثر إدراكاً لواقعه وحاضره، وأشد تمسكاً بقضيته وحقوقه، وأقوى إصراراً على امتلاك إرادته ومستقبله.

هذا هو ما يفسر الإقبال الشعبي الكبير على قراءة الرواية ومشاهدة الفيلم، في زمنٍ ولّى فيه عصر الروايات الطويلة، وأدبر فيه عصر الأفلام الجادة، ولكن ما زالت الجماهير تحب الأدب والفن عندما يقدما رموز المقاومة وأبطالها، رغم مرور قرنٍ على غيابهم، وما زالت تحترم الأدب والفن عندما يقدما قيم الثورة رغم أجواء الانهزامية والتطبيع.

رواية "1919" وفيلم "كيرة والجن" استمرار للدق على جدران الخزان، واستمرار للدق على جدران الوعي العربي؛ الدق الذي دعا إليه غسان كنفاني في روايته "لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟"، والدق الذي أصر عليه عبد الرحمن الأبنودي في قصيدته: "يا قبضتي دقي على الجدار.. لحد ليلنا ما يتولد له نهار... يا قبضتي دقي على الحجر.. لحد ما يصحى جميع البشر".

كتيبة جنين ونظرية تثوير الجماهير

كـــــتب بتـــاريخ:

4 آغسطس 2022م

وقف الشهيد جميل العموري في أثناء معركة "سيف القدس" خطيباً في تظاهرة مؤيدة للمقاومة في مخيم جنين الثائر، وقال موجهاً كلامه إلى شباب انتفاضة "سيف القدس" المقاومين: "شبابنا الذين تحملون السلاح في الضفة، لا تطلقوا رصاصكم في الهواء، إن هذا السلاح أمانة في أعناقكم، وواجب ديني وشرعي أن يوجه إلى الاحتلال". وخرج على رأس التظاهرة هاتفاً والجماهير تهدر خلفه: "بلّغ بلّغ الشاباك.. جاي جاي الاشتباك".

خرج مصدقاً فعله قوله ليشتبك بالسلاح مع جنود الاحتلال في حاجز الجلمة القريب من جنين. ولإدامة الاشتباك، شرع في تشكيل خلية عسكرية تابعة لـ"سرايا القدس"، الذراع العسكرية المقاومة لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. الخلية العسكرية قامت بعدة عمليات فدائية ضد الاحتلال، جيشاً ومستوطنين، وشاركت في التصدي بالسلاح لاقتحامات جيش الاحتلال لمخيم جنين.

وظّل جميل العموري ومجموعته الفدائية في حالة اشتباك مسلّح دائم مع الاحتلال حتى استشهد مشتبكاً ومقبِلاً فجر يوم الخميس العاشر من حزيران/يونيو عام 2021.

كان دم الشهيد جميل العموري الزيت الذي زاد شعلة المقاومة المسلّحة في الضفة لهيباً، وكانت الرصاصة الموجهة إلى جيش الاحتلال لحظة استشهاده شارة البدء في تشكيل كتيبة جنين، وهذا ما أعطاه لقب "مجدد الاشتباك ومؤسس كتيبة جنين".

إذ لم يمر وقتٌ طويل حتى أعلن عن تشكيل كتيبة جنين في أيلول/سبتمبر عام 2021، بعد نجاح 6 أسرى فلسطينيين، 5 منهم ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، من كسر قيد سجن جلبوع المحصن شمال فلسطين المحتلة والهروب منه.

فكانت عملية "نفق الحرية" بعد انتفاضة "سيف القدس" في آيار/ مايو عام 2021، الحدثين اللذين ساهما في تعزيز البيئة الثورية الشعبية الحاضنة للمقاومة، والتي آفرزت "كتيبة جنين"، بعمودها

الفقري مجاهدي سرايا القدس التابعة للجهاد الإسلامي، لتمتد التجربة إلى مدن نابلس وطولكرم وطوباس شمال الضفة الغربية، مفجرة حالة مقاومة شعبية مسلّحة تَبقي جذوة الجهاد مشتعلة، وحالة الاشتباك مستمرة، وعملية تثوير الجماهير متواصلة، مستعيدة تجربة "الجهاد الإسلامي" قبيل الانتفاضة الأولى في قطاع غزة عام 1987، عندما قامت بعمليات فدائية سبقت ولحقت حدث هروب 6 من أسراها من سجن غزة المركزي، ما شكَل بيئة ثورية شعبية مهدت لانطلاقة شرارة الانتفاضة الأولى في 6 تشرين الأول/أكتوبر عام 1987.

كتيبة جنين وكتائب نابلس وطولكرم وطوباس، والكتائب الجاري تشكيلها، كانت تطوراً طبيعياً لسياق متصل من الأحداث النضالية، التي ساهمت في تثوير الجماهير، وتشكيل بيئة شعبية مقاومة جددت الاشتباك مع الاحتلال، رغم كل محاولات الترويض وجهود التعايش التي تبعت عملية "السور الواقي"، وقمع المقاومة بالتعاون مع سلطة التنسيق الأمني.

وكذلك كانت نتاجاً لنظرية تثوير الجماهير لدى حركة الجهاد الإسلامي التي يشكل مجاهدوها العمود الفقري لتلك الكتائب. النظرية الثورية التي وضحها الشهيد المفكر فتحي الشقاقي بقوله عن الانتفاضة الأولى "إنها ثورة الشعب بأكمله؛ لأن الخروج الجماهيري الحاشد حلمنا منذ اليوم الأول"، وشدد عليها الأمين العام الحالي الأستاذ المجاهد زياد النخالة، بقوله: "حركة الجهاد الإسلامي تؤمن بأن شعبنا هو ركيزة المقاومة وأساسها، وهو مفجر الثورة على مدار تاريخه".

تثوير الجماهير يتطلب استمرارية المقاومة وإدامة الاشتباك كما أكدت الوثيقة السياسية للحركة "النهج الثابت للجهاد والمقاومة هو استمرار المواجهة مع العدو الصهيوني، واستنزاف طاقاته وقدراته وزعزعة أمنه واستقراره لإجباره على الرحيل عن أرضنا، وصولاً إلى التحرير الكامل لفلسطين".

دور حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وفق نظريتها الثورية، هو إبقاء جذوة الجهاد مشتعلة، ومشاغلة العدو بالنار، والقيام بدور الطليعة في تثوير الجماهير وتحريضها على المقاومة من خلال وجودها في مقدمة الجماهير مقاومةً وتضحيةً، وتحويل حالة التعايش مع الاحتلال إلى مقاومة للاحتلال، وتحويل الكفاح المسلح من عمل تنظيمي نخبوي إلى تيار مقاومة جماهيري، وهذا ما حدث في الانتفاضتين الأولى (الحجارة) والثانية (الأقصى).

لقد ساهمت الحركة في تحويل حالة المقاومة التنظيمية إلى تيار مقاومة جماهيري، شعلته الكفاح المسلّح الذي بادرت إليه الحركة كطليعة مجاهدة أمام الجماهير الثائرة، إيماناً منها بدور الجماهير كأداة للتغيير الثوري وتحرير الأرض، وكأساس لمشروع المقاومة والتحرير المدعوم من جماهير الآمة وطليعتها في محور المقاومة.

ولذلك، فقد رأت الحركة أن انطلاقتها الجهادية تبدأ عام انتقال مقاومتها العسكرية التنظيمية إلى حالة مقاومة شعبية شاملة في الانتفاضة الأولى عام 1987، وليس نهاية سبعينيات القرن العشرين عندما كانت حواراً فكرياً وسياسياً، أو مطلع ثمانينيات القرن العشرين عندما كانت خلايا تنظيمية، والقيام بتنفيذ العديد من العمليات العسكرية النوعية ضد الاحتلال.

استمرار المقاومة ومواصلة الاشتباك ومشاغلة العدو، وتحويل المقاومة الحركية المنظمة إلى وقود لتثوير الجماهير وتحريك المقاومة الشعبية، لا يهدف فقط إلى استنزاف الكيان الصهيوني ومنع استقراره حتى هزيمته وزواله بعد اكتمال شروط النصر على الكيان؛ بل يمكن أن تَحقق أهدافاً مرحلية على طريق التحرير الكامل لفلسطين، كهدف تحرير الضفة الغربية بالمقاومة، وهذا ليس مستحيلاً - كما يتصور البعض - فعندما يدرك الكيان الصهيوني أن الاحتفاظ بالضفة أصبح مهدداً لوجوده، بسبب ارتفاع تكلفة الاحتلال والاستيطان المادية والبشرية إلى درجة المأزق الأمني الوجودي، فإنه سيختار الانكماش إلى حدود فلسطين المحتلة عام 1948، بدلاً من الذهاب إلى خيار الزوال من الوجود، وهذه ستكون محطة على طريق الفناء ونهاية المشروع الصهيوني.

أما مزاعم قدسية الأرض اليهودية فستتبخر أمام حب اليهود للحياة وجشع الصهاينة للمال، فالمقدس الوحيد عند اليهود الصهاينة هو الإنسان اليهودي والمال المنهوب من غيرهم (الجوييم)، وقد انسحب الاحتلال بـ "جيشه" ومستوطنيه من غزة تحت ضغط المقاومة بعدما كان يعدها جزءاً من أرض "إسرائيل" المقدسة، وانسحب من جنوب لبنان تحت ضغط المقاومة بعدما كان يعدها عمقاً استراتيجياً للدفاع عن مستوطنات شمال فلسطين.

كتيبة جنين كنموذجٍ للجهاد والمقاومة ومعها كتائب الضفة الأخرى، تقوم بدور الطليعة المجاهدة المشتبكة مع العدو المحتل، هي نتاج لتطور الأحداث النضالية في غزة والضفة وكل فلسطين، ونتاج

للنظرية الثورية لحركة الجهاد الإسلامي المرتكزة على تثوير الجماهير الفلسطينية ومشاركتها في مشروع المقاومة والتحرير، ومعها جماهير الأمة العربية والإسلامية وطليعتها محور المقاومة.

هذه الكتيبة ومعها كل الكتائب المقاتلة تَمثل نبض الجماهير وروحها، ولذلك يقيناً فإن دور كتيبة جنين ومعها كل قوى المقاومة في فلسطين سيثمر عن ثورة جماهيرية واشتباك دائم مع الاحتلال على كل الأرض الفلسطينية. وهي الطريق الأصوب لتحرير فلسطين متجاوزة نموذج التعايش مع الاحتلال، ومتقدمة على نموذج تأجيل الاشتباك مع الاحتلال، ورحم الله قائد معركة جنين في انتفاضة الأقصى، الشهيد القائد محمود طوالبة، عندما رفض الانسحاب من المعركة قائلاً: "هذه معركة كر وكر لا فر فيها".

لماذا الحرب على "الجهاد الإسلامي"؟

كـــــتب بتـــاريخ:
18 آغسطس 2022م

حرص قادة الكيان الصهيوني السياسيون والعسكريون على تأكيد أن حربهم الأخيرة على قطاع غزة موجهة ضد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين فقط، وأن هدفها هو تدمير قوة سرايا القدس الذراع العسكرية للحركة، وقد بدأتها باغتيال قائد المنطقة الشمالية في سرايا القدس الشهيد تيسير الجعبري، واغتالت في أثنائها قائد المنطقة الجنوبية في سرايا القدس الشهيد خالد منصور.

الكيان الصهيوني أطلق على عدوانه اسم (بزوغ الفجر) أملاً في فجرٍ لن يبزغ على دولتهم أبداً حتى زوالها، وحركة الجهاد الإسلامي أطلقت على عملية تصديها للعدوان اسم (وحدة الساحات) تثبيتاً لمبدأ وحدة القضية الفلسطينية على الرغم من تفرق جغرافيا الاحتلال، المعركة انتهت بآلامها وإنجازاتها وتركت سؤالاً كبيراً يستحق المحاولة للإجابة عنه، وهو: لماذا الحرب الإسرائيلية على "الجهاد الإسلامي"؟

الحرب على "الجهاد الإسلامي" لكسر مبدأ (وحدة الساحات) الذي تؤمن به الحركة وتمارسه فعلياً نضالياً على الأرض، والذي أزعج الكيان الصهيوني نظراً إلى كونه يعيد القضية الفلسطينية إلى أصلها، كقضية تحرر وطني، ويعيد الحركة الوطنية إلى هدفها التحرري، ويعيد المشروع الوطني إلى بدايته كمشروع تحرير وعودة واستقلال، ولأن "وحدة الساحات" ينهي مؤامرة العدو بتحييد الساحات أو الفصل بينها، لجعل كل ساحة تواجه مصيرها وحدها بمعزل عن الساحات الأخرى، وجعل كل ساحة تهتم بقضيتها الخاصة: الاستيطان في الضفة، والتهويد في القدس، والحصار في غزة، والعنصرية في الداخل المحتل عام 1948، والعودة في الشتات خارج فلسطين، لتعود فلسطين موحدة أرضاً وشعباً وقضية ومقاومة، ولتعود القضية إلى مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين، وعندما يبدأ التحرير ستحل كل القضايا التي أساسها الاحتلال.

الحرب على "الجهاد الإسلامي" لإجهاض المقاومة في الضفة الغربية، الذي تساهم فيها الحركة مع كل مقاومي الشعب الفلسطيني من خلال مشروعها الجهادي الهادف إلى تثوير الجماهير، وتجديد

حال الاشتباك ضد الاحتلال، المشروع الذي بني على نتائج معركة (سيف القدس)، وعملية (نفق الحرية)، وبدأ باستشهاد البطل جميل العموري، وتأسيس (كتيبة جنين) وأخواتها في مدن الضفة الغربية، ولمنع تكرار سيناريو الانتفاضة الشعبية عام 1987 في قطاع غزة، عندما تحولت حال المقاومة التنظيمية المسلّحة لحركة الجهاد الإسلامي إلى حالة مقاومة جماهيرية شاملة كأساس لمشروع المقاومة والتحرير في فلسطين، فجاءت الحرب على الحركة لضرب النموذج والقاعدة التي يستمد منها مقاومو الضفة القوة المعنوية في ثورتهم على الاحتلال.

الحرب على "الجهاد الإسلامي" لإضعاف (الكفاح المسلّح) الذي تؤمن به الحركة وتمارسه كأسلوب استراتيجي في نضالها الوطني لتحرير فلسطين، بعيداً من محاولات الاستثمار السياسي للكفاح المسلّح بسقف أقل من مشروع التحرير، الذي تعده الحركة واجباً دينياً ووطنياً لا يجوز التخلّي عنه مهما كبرت التضّحيات تحت ضغوط الواقع أو مطامع المستقبل، كما تعده الحركة المبرر الأساسي لنشأتها واستمرار وجودها، فلقد نهضت الحركة لقتال العدو وما دون ذلك مجرد هوامش، كما قال مؤسسها الشهيد المفكر فتحي الشقاقي، والكفاح المسلّح هو الطريق الأقرب لردع الاحتلال وتحرير الأرض والمقدسات، كما قال الأستاذ المجاهد زياد النخالة الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي.

فجاءت الحرب على "الجهاد الإسلامي" لضرب استراتيجية الكفاح المسلّح الأكثر تكلفة على الاحتلال والأكثر تقويضاً لأساس المشروع الصهيوني في فلسطين.
الحرب على "الجهاد الإسلامي" لضرب استراتيجية (مشاغلة العدو) التي تتبعها الحركة، من خلال إبقاء جذوة الجهاد مشتعلة في فلسطين، واستمرار الاشتباك بالنار مع الاحتلال، ومواصلة المقاومة لاستنزاف العدو وزعزعة أمنه واستقراره، لإجباره على الرحيل عن الأرض الفلسطينية وصولاً إلى تحرير فلسطين كاملة بجهاد كل الأمة وفي طليعتها المقاومة، واستراتيجية مشاغلة العدو ستعمق مأزق الكيان الصهيوني الأمني والوجودي، فعندما يتزعزع أمن الكيان الشخصي والقومي يؤثر سلباً في الهجرة والاستيطان وهما جوهر المشروع الصهيوني.. فجاءت الحرب لضرب هذه الاستراتيجية أملاً بتخفيف مأزق الكيان الصهيوني الأمني والوجودي.

الحرب على "الجهاد الإسلامي" لعدم انضمامها إلى النادي الفلسطيني المستعد لتقاسم فلسطين مع الاحتلال، برفضها قرارات (الشرعية الدولية)، التي تعد فلسطين المحتلة عام النكبة "إسرائيل"،

وفلسطين المحتلة عام النكسة فلسطين الجديدة، وفكرة القبول بتقاسم فلسطين هي أساس مشروع التسوية السلمية لمنظمة التحرير الفلسطينية مع العدو، وجعلته أساساً لأي توافق وطني فلسطيني، فكان ذلك التوافق الوطني المشؤوم هو مبرر قبول فكرة تقاسم فلسطين بإقامة "دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس" على جزء من فلسطين التاريخية، فجاءت الحرب على "الجهاد الإسلامي" لترويضه حتى يدخل نادي تقاسم فلسطين، أو لعقابه على عدم دخوله النادي.

الحرب على "الجهاد الإسلامي" لأن الحركة ترفض فكرة التعايش مع الاحتلال ومشروعه المطروح، الاقتصاد في مقابل الأمن من خلال المشاركة في النظام السياسي الفلسطيني المنبثق من اتفاقية أوسلو وعموده الفقري سلطة تحت الاحتلال، وسقفه السياسي منظمة تعطي الشراكة الأمنية والاقتصادية مع الاحتلال غطاء، ولأنها ترفض المشاركة في نظام سياسي ينهمك الفلسطينيون فيه بالتنافس الحزبي والصراع على السلطة، فيما يترسخ الاحتلال والاستيطان والتهويد والحصار في الأرض الفلسطينية، ولذلك ترى الحركة أن لا معنى لأي نظام سياسي فلسطيني يتعايش مع الاحتلال، ولا قيمة لأي مشروع سياسي في مرحلة التحرر الوطني لا يوجه بوصلته لإنهاء الاحتلال، وترى أن الأصل هو مقاومة الاحتلال بدلاً من التعايش معه، فجاءت الحرب لضرب فكرة المقاومة لمصلحة فكرة التعايش.

الحرب على "الجهاد الإسلامي" لأن الحركة ترفض فكرة تأجيل الاشتباك مع الاحتلال إلى مراحل زمنية مقبلة، وترى الجهاد فريضة دينية واجبة التطبيق الفوري، والمقاومة واجباً وطنياً فوق الإمكان، والثورة عملاً مقدساً لا يؤجل، فلا تؤمن الحركة بتأجيل الجهاد والمقاومة والثورة تحت أي مبرر، وبدأت الحركة كفاحها الوطني بشعار (الجهاد الآن)، وواصلته على مدار أربعة عقود رافضة مبررات الانتظار والتأجيل تحت عناوين دينية ووطنية وواقعية، فقاتلت بالحجر والسكين، ثم القنبلة والبندقية، وصولاً إلى المدفع والصاروخ.. وهذه العقيدة القتالية جعلتها في مركز الاستهداف الإسرائيلي العسكري.

الحرب على "الجهاد الإسلامي" في المعركة الأخيرة "وحدة الساحات" دفعت الشهيد القائد خالد منصور إلى أن يكتب في رسالته الأخيرة إلى إخوانه المجاهدين في سرايا القدس قبل ساعات من استشهاده: "بداية نحن نعلم أن الألم كبير وأن الضربة كانت قاسية باستشهاد أخينا العزيز أبو محمود

رحمه الله... وهذا إن دل لا يدل على شيء إلا الاصطفاء من الله لنكون عنوان كرامة هذه الآمة وعنوان المواجهة الحقيقي مع هذا العدو، وهذه ليست المرة الأولى التي نبقى فيها وحدنا في مواجهة هذا العدو.. هذا الاصطفاء يوجب علينا آن نعمل جاهدين في إطالة أمد هذه المواجهة".

هذه المواجهة التي خاضتها حركة الجهاد الإسلامي في معركة "وحدة الساحات" وحدها كطليعة للشعب والآمة استحضرت فيها قصيدة شاعر فلسطين محمود درويش (لماذا تركت الحصان وحيداً؟)، وهي تَدرك حتمية الوحدة شعباً ومقاومةً لتحرير فلسطين، والقصيدة عبارة عن حوار بين أبٍ وابنه بعدما هاجرا من بيتهما في حرب النكبة وتركا خلفها حصانها، فسأل الابن آباه " لماذا تركت الحصان وحيداً؟" فأجابه الآب: " لكي يؤنس البيت يا ولدي.. فالبيوت تموت إذا غاب سكانها". وكذلك الأوطان تموت إذا غاب مقاوموها ودجن ثوارها.

"بزوغ الفجر".. المصطلح والمعركة

كـــــتب بتـــاريخ:

26 آغسطس 2022م

"بزوغ الفجر" هو تعريب لمصطلح "علوت هشاحر" العبري، وهو الاسم الذي اختاره قادة الكيان الصهيوني لحربهم الأخيرة على قطاع غزة، واستهدافهم حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ويترجم أيضاً إلى "انبلاج الفجر"، وهو النور الذي يظهر في الأفق قبل طلوع الشمس ويكون بعده النهار.

هذه المعركة كانت جولة أخرى من الصراع المسلّح بين الكيان الصهيوني والمقاومة الفلسطينية في غزة. وقد وضعها العدو في إطار العودة إلى مبدأ الضربة الاستباقية، وهي إحدى ركائز نظرية الآمن الإسرائيلية الهادفة إلى حفظ وجود الكيان الصهيوني وأمنه.

وانطلاقاً من هذين البعدين (المصطلح والمعركة) لاسم المعركة وإطارها النظري، من المفيد إلقاء الضوء على اسم المعركة كمصطلح توراتي وإطارها النظري كمعركة استباقية، ليكون هذا الفهم ضوءاً ينير لنا طريق مقاومة العدو وهزيمته.

ورد مصطلح "بزوغ الفجر" في التوراة، سفر التكوين، في سياق سرد قصة مصارعة نبي الله يعقوب لرجلٍ في الليل من أتباع أخيه (عيسو)، بعد محاولاته العديدة تجنب الصراع مع أخيه، رغم الهدايا التي أرسلها إليه، واستمر الصراع حتى بزوغ الفجر في نص التوراة، "فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى بزوغ الفجر"، عندما استسلم الرجل وطلب من يعقوب آن يطلقه بقوله: "آطلقني لآن الفجر طلع"، فأطلقه وباركه الله بعد ذلك، وسماه "إسرائيل".

دلالة المصطلح، وفق الرواية التوراتية، بعد إسقاطها على معركة "وحدة الساحات" أو "بزوغ الفجر" بالتسمية الإسرائيلية، أن لا مفر من المواجهة (المصارعة) مع غزة أو الجهاد الإسلامي، رغم التسهيلات (الهدايا) التي تقدمها "إسرائيل" لغزة، وأن هذه المواجهة التي بدأت عصر يوم الجمعة ستكون قصيرة، وستنتهي بالنصر عند طلوع فجر يوم السبت أو يوم الآحد، وسيعقبها ضوء النهار

(الخير) لـ"إسرائيل"، وهي المرحلة التي تنهي الظلام، وتبدأ معها مرحلة جديدة أساسها الوضوح، وكأنها عودة إلى المعارك الخاطفة السريعة ذات الحسم السريع الواضح.

الاسم التوراتي التاريخي لمعركة "بزوغ الفجر" منسجم مع كل أسماء حروب الكيان الصهيوني ومعاركه وعملياته العسكرية السابقة ذات الجذور الدينية التوراتية والتاريخية اليهودية، وخصوصاً ضد المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، ابتداء من "الرصاص المصبوب" عام 2008، وانتهاء بمعركة "بزوغ الفجر" الآخيرة، مروراً بمعركة "عمود السحاب"، و"الجرف الصامد"، و"الحزام الآسود"، و"حارس الآسوار".

وقد فسر الدكتور عبد الوهاب المسيري هذه الظاهرة الإسرائيلية في كتابه "في الخطاب والمصطلح الصهيوني" تحت عنوان "سمات الخطاب الصهيوني المراوغ"، بقوله: "إن استخدام المصطلحات الدينية في سياق زمني يخلق استمرارية تقع خارج إطار التاريخ، فالعبرانيون الذين خرجوا من أرض المنفى في مصر، وصعدوا إلى أرض كنعان، يصبحون نمطاً متكرراً يطبق على تواريخ أعضاء الجماعات اليهودية في كل زمان ومكان، ومن ثم فالاستيطان الصهيوني في أرض فلسطين هو أيضاً خروج من أرض المنفى وصعود إلى فلسطين..."، وهكذا صراع "إسرائيل" ضد عدوها (المقاومة) وانتصارها هو صراع متكرر لنبي الله يعقوب أو إسرائيل ضد عدوه الذي انتصر عليه عند بزوغ الفجر.

دلالة المصطلح الديني والتاريخي اليهودي لمعركة "بزوغ الفجر" أو إسقاطه على واقع الصراع للكيان الصهيوني في الزمن الحاضر ينسجم مع الطبيعة العدوانية للكيان الصهيوني القائمة على العنف وإدامة العدوان، كإفراز للمشروع الاستعماري الغربي المرتكز على العنف والعدوان، ومعركة "بزوغ الفجر" هي آخر حلقات هذا العنف في أعلى تجلياته وفق مفهوم "الضربة الاستباقية"؛ إحدى ركائز نظرية الأمن الإسرائيلية، وهي تأتي في إطار مفهوم "الحسم" كأحد رؤوس مثلث: الردع والإنذار والحسم، ويعني حسم الحرب بسرعة بالضربة الخاطفة المدمرة.

وهدف الضربة الاستباقية هو إحباط الخطر الوشيك واستعادة الردع، وهذا ما حدث - كما زعم قادة العدو - عندما بدأت المعركة بتوجيه ضربة استباقية ضد سرايا القدس، باغتيال القائد الشهيد تيسير

الجعبري، وقصف خلية الدروع المكلّفة بالهجوم، وجميع مراكز الرصد لسرايا القدس في الدقائق الأولى للمعركة.

الضربة الاستباقية في معركة "بزوغ الفجر" الإسرائيلية كان هدفها الأول، كما قال رئيس حكومة الكيان الصهيوني يائير لابيد، هو "إحباط دقيق لتهديد فوري". وأعلن وزير حرب الكيان بيني غانتس تمسكه بنهج الضربة الاستباقية بقوله: "سوف نشن هجمات استباقية إذا دعت الضرورة لحماية مواطني إسرائيل وسيادتها وبنيتها التحتية"، وكل عمليات الاغتيال التي يسميها الكيان الصهيوني "القتل الوقائي"، والتي يمارسها داخل فلسطين وخارجها، مستهدفاً محور المقاومة - قادتها وعلماءها - تصنف كنوع من الضربة الاستباقية، وفي إطار الحرب الوقَائية بمفهوم العدو، والطبيعة الإرهابية للكيان الصهيوني القائمة على العنف وإدامة العدوان، والتي تجعلهم يقتلون عدوهم لمجرد حمل ثقافة المقاومة وتبني مشروع التحرير، حتى من دون الشروع في التخطيط والعمل.

هذا الأمر يفرض على المقاومة الفلسطينية وعمقها العربي والإسلامي وطليعته في محور المقاومة التسلّح بالوعي بعدونا وأنفسنا؛ الوعي بالجذور الدينية التوراتية والتاريخية اليهودية التي يستند إليها الكيان الصهيوني في تثبيت روايته المزورة للواقع، ليشحن مستوطنيه بمزيدٍ من الكراهية والعنف، وليبتز من العالم مزيداً من التعاطف والدعم...

وبالتالي، يجب مواجهة روايته المزورة بالرواية الفلسطينية الصحيحة بعمقها العربي والإسلامي والإنساني، وبجذورها الدينية والتاريخية الصادقة، وإسقاط مفاهيمنا ومصطلحاتنا الأصيلة على مفردات الصراع المتطورة على الأرض، لتَبطل مفاهيم العدو ومصطلحاته، كي لا يطلع الفجر على "دولتهم" حتى زوالها.

ويجب أيضاً الوعي بالنظرية الأمنية للكيان الصهيوني، وفي مركزها الضربة الاستباقية القائمة على العنف وإدامة العدوان والقتل وتكرار القتل... وبالتالي يجب مواجهة نظريته الإرهابية بنظرية أمن فلسطينية هدفها حماية المقاومة الفلسطينية حتى إنجاز المشروع الوطني الفلسطيني بتحرير كل فلسطين، وحماية الشعب الفلسطيني ودعم صموده في أرضه.

في نظرية الأمن هذه، الشعب يحتضن المقاومة، والمقاومة تحمي الشعب... هي نظرية تزاوج بين مراكمة القوة ومشاغلة العدو، وتجمع بين إدامة الاشتباك مع الاحتلال وعدم استنزاف الشعب والحركة الوطنية والمقاومة؛ نظرية أمن تَفعل أساليب الحذر من الضربة الاستباقية لتبطلها وتَحبطها أو تستوعبها لترد الضربة للعدو ضربتين، وترد الصاع صاعين.

حزب الله والجهاد الإسلامي.. الفكر والمقاومة

كــتب بتــاريخ:

2 سبتمبر 2022م

وقف الأمين العام المؤسس لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، الشهيد المفكر فتحي الشقاقي، خطيباً ليرثي الأمين العام لحزب الله، الشهيد عباس الموسوي، بعد اغتياله بأيام قائلاً: "كانت جوقة الأعراب تنحني أمام القدر الأميركي، وتسامر اليهود الجدد في موسكو وتشرب، وكان عباس الموسوي يصرخ في سواد الليل العربي: الموت للشيطان الأكبر.. الموت لـ"إسرائيل".. أميركا ليست قدراً، لن نركع ولن نذل.. من خادم الحرمين إلى أمير المؤمنين.. كانوا يصطفون لبيع القدس، ووحده عباس الموسوي يسقط دفاعاً عنها".

وبعد عام، رثاه بقوله: "رحل السيد الذي قالوا له لا تذهب جنوباً.. كما قالوا لجده العظيم لا تذهب شمالاً.. لَكنه ذهب ليهبنا بموته الحياة، ويزرع في صحرائنا الأمل، فبوركت أيها الفدائي العظيم، بورك حزب يستشهد أمينه العام، إنه حزب لا يموت، إنه حزب ينتصر، ألا إن حزب الله هم الغالبون".

حزب الله رد على رثاء مؤسس الجهاد الإسلامي لأمينه العام، بعد عامين، برثاء صاحب الرثاء، بعد اغتياله والتحاقه بالشهيد عباس الموسوي في قافلة الشهداء، فوقف أمينه العام الثالث، السيد حسن نصر الله، خطيباً قائلاً: "إن حركة يستشهد أمينها العام لن تَهزم، ولن تنكسر، ولن تتراجع، ولن تعود إلى الخلف.. وستظل الحركة التي تحمل نهجك تتقدم وتتقدم إلى القدس.. إلى فلسطين".

وكتب السيد محمد حسين فضل الله عنه بعد استشهاده راثياً: "كان كل فكره الإسلام، وكان كل همه فلسطين.. وهكذا سقط شهيد الإسلام في معنى فلسطين، وشربت فلسطين من دمه لتبقى حيوية الجهاد من أجل التحرير، واحتضن الإسلام الشهيد في المسيرة الكبرى المنطلقة نحو النصر والفتح القريب".

وهكذا رد حزب الله للجهاد الإسلامي التقدير بمثله، ليكون استشهاد الأمينين (الموسوي والشقاقي) أهم دلالات الالتقاء في الفكر والمقاومة، في ذكرى الانطلاقة الأربعين لحزب الله، المتزامنة مع نشأة الجهاد الإسلامي.

مطلع ثمانينيات القرن العشرين، كان قدر لبنان وفلسطين على موعد مع نشأة حزب الله والجهاد الإسلامي؛ استجابة لتحد واحد هو الاحتلال الإسرائيلي لكل من جنوب لبنان وكل فلسطين.

وقد سبق تلك النشأة الحركية وجود فكري جوهره خلاص الشعب والأمة، أسس له في لبنان المفكر السيد محمد حسين فضل الله وإخوانه، وفي فلسطين المفكر الدكتور فتحي الشقاقي وإخوانه.

هذا الوجود الفكري أدى إلى الانتقال من مرحلة الحوار والنقد إلى مرحلة التجاوز للفكر الإسلامي التقليدي - الشيعي والسني - بما يحمل من مفاهيم، فتجاوز حزب الله مفهوم الطائفة، وتجاوز الجهاد الإسلامي مفهوم الجماعة، وتقدم على جماعة الإخوان المسلمين. وكلاهما (حزب الله والجهاد الإسلامي) نهضا ليغطيا عجز التحرير؛ عجز الدولة اللبنانية ونظامها السياسي عن القيام بدور المقاومة والتحرير، وعجز الحركة الوطنية الفلسطينية ونظامها السياسي (منظمة التحرير الفلسطينية) وقواتها عن القيام بدور المقاومة والتحرير.

تشابه مبررات النشأة لكلٍ من حزب الله والجهاد الإسلامي جزء من تشابه محاور عديدة في الفكر والمقاومة بين الحركتين، ومنها المرجعية الإسلامية، فقد جاء في الوثيقة التأسيسية لحزب الله عام 1982 م: "نحن حركة إسلامية... تطرح الإسلام كبرنامج متكامل فكرياً وعملياً"، وجاء في البيان التأسيسي للحزب عام 1985م: "نحن حركة مقاومة إسلامية هدفها إنهاء الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان".

وهذا متطابق مع ما جاء في الوثيقة الفكرية للجهاد الإسلامي عام 2018م: "نحن حركة إسلامية مجاهدة هدفها تحرير فلسطين"، وما جاء في الوثيقة السياسية للحركة عام 2018م عندما عرفت نفسها بأنها "حركة مقاومة فلسطينية الإسلام مرجعها".

وبناء على هذه المرجعية الإسلامية، آمنت الحركتان بالوحدة الإسلامية على أساس مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة، رغم اختلاف المذاهب والقوميات والأوطان، وتأثرت الحركتان بفكر الثورة الإسلامية التي دعا إليها الإمام آية الله الخميني - رحمه الله - القائم على مواجهة الاستكبار العالمي الممثل في أميركا و"إسرائيل"، وتبنت الحركتان فكرة "الدولة الإسلامية"، ولكنها ظلت فكرة لا تستكمل متطلباتها بسبب التركيبة الطائفية والسياسية في لبنان، واستحقاقات مرحلة التحرر الوطني في فلسطين.

المرجعية الإسلامية للحركتين (حزب الله والجهاد الإسلامي) والانتماء إلى الأمة الإسلامية لا يناقضان الانتماء إلى الوطن والجماعة الوطنية والإيمان بالوحدة الوطنية ومفهوم المواطنة عند الحركتين، فقد أكد حزب الله في وثيقته السياسية الصادرة عام 2009م أن "لبنان هو وطننا، وطن الآباء والأجداد كما هو وطن الأبناء والأحفاد... نريده واحداً موحداً"، وشدد على وحدة الشعب بكل طوائفه كجماعة وطنية واحدة، وأكد على الوحدة الوطنية في وثيقته السياسية وخطابه السياسي والإعلامي وسلوكه السياسي والنضالي، وتبني فكرة المواطنة على أساس مبدأ الدولة لكل مواطنيها المتساوين في الحقوق والواجبات.

أما بالنسبة إلى حركة الجهاد الإسلامي، فحملت المبادئ والمفاهيم نفسها في وثائقها وأدبياتها وخطابها، فوحدة الوطن "فلسطين التاريخية وحدة إقليمية واحدة لا تتجزأ"، والجماعة الوطنية "الشعب الفلسطيني بكل أجياله ومكوناته وأماكن وجوده شعب واحد له قضية واحدة"، وشددت على الوحدة الوطنية على أرضية مقاومة الاحتلال، وتبني مفهوم المواطنة في الدولة المسلمة على أساس (وثيقة المدينة) التي يتساوى فيها المسلمون وغير المسلمين على أرضية الولاء للدولة والشراكة في الوطن والنضال الوطني.

والحركتان تواجهان عدواً مشتركاً واحداً هو المشروع الاستعماري الغربي الصهيوني، وقاعدته في فلسطين "دولة" الكيان الصهيوني (إسرائيل)، فحملت الحركتان رؤية واحدة لـ"دولة إسرائيل" وللقضية الفلسطينية، فهناك اتفاق على أنها كيان إحلالي استيطاني تهويدي توسعي قام، ولا زال، على العدوان والإرهاب، ومرتبط عضوياً بالمشروع الاستعماري الغربي الذي تقف على رأسه الآن الولايات المتحدة الأمريكية؛ ليؤدي دوراً وظيفياً يخدم الغرب وأميركا، وخطر الكيان الصهيوني يتعدى

فلسطين إلى كل العرب والمسلمين وحتى العالم، وهو غدة سرطانية تستنزف قدرات الأمة وإمكانياتها وتعوق مشاريع الاستقلال والنهضة والوحدة فيها.

وحملت الحركتان رؤية مشتركة للقضية الفلسطينية باعتبارها قضية العرب والمسلمين الأولى والمركزية، فعند حزب الله "إن تحرير القدس وإزالة إسرائيل من الوجود هي القضية المركزية في تحركاتنا العامة"، وعند الجهاد الإسلامي "قضية فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية جمعاء". ومسؤولية تحرير فلسطين تقع على عاتق كل الأمة وطليعتها المقاومة، وهناك اتفاق على طبيعة الصراع الوجودي مع الكيان الصهيوني ووسيلة المقاومة المسلّحة.

النظر إلى الصراع مع الكيان الصهيوني كصراع وجود لا ينتهي إلاّ بزواله، وسيلته المقاومة المسلّحة، هو خيار وحيد عند الحركتين لمواجهة التهديد الصهيو-أميركي، ولذلك فهو عند حزب الله "حاجة جوهرية وعامل موضوعي لمواجهة الاستكبار الأميركي والتهديد الإسرائيلي كخطر دائم على لبنان – الدولة والكيان – وعلى أرضه ومياهه وثرواته". وعند الجهاد الإسلامي يعد "نهج الجهاد والمقاومة هو النهج الأكثر واقعية والأجدى من أجل التحرير، وقد تأكد ذلك في تحرير المقاومة اللبنانية لجنوب لبنان من الاحتلال الصهيوني، وتحرير المقاومة الفلسطينية لقطاع غزة من جيش الاحتلال ومستوطنيه".

والمقاومة المسلّحة عند الحركتين تستمد فلسفتها من عقيدة الجهاد والشهادة في الإسلام، ومن نماذج مجاهدي الأمة وشهدائها الأبطال في صراعهم ضد الباطل، هذه العقيدة الجهادية والفلسفة الاستشهادية قادت إلى العمليات الاستشهادية في لبنان وفلسطين، وإلى رفض التخلّي عن سلاح المقاومة في لبنان وفلسطين، ورفض كل مشاريع التسوية السلمية، أو تقاسم فلسطين، أو التعايش مع الاحتلال.

في الذكرى الأربعين لتأسيس حزب الله، تزامناً مع نشأة الجهاد الإسلامي، تظل مهمة تسليط الضوء على المشترك الموحد بينهما مهمة مقدسة وسط مساحات العتمة المفرقة التي يحاول أعداء النور والأمة تعميمها لتغطّي كل حياتنا، وتَصبح مهمة البحث والكتابة عن ذلك الضوء الموحد للمقاومة

ومحورها وأمتها مهمة دينية وقومية ووطنية من المرتبة الأولى، وسط ضجيج الأبواق الصهيو-داعشية الداعية إلى الشرذمة والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة والمقاومة الواحدة.

وتبقى مهمة البحث والكتابة عن حركتين يستشهد أمينيهما العامين مفعمة بالجوى والشجن؛ لا سيما أن كاتب هذه السطور خبِر أحدهما عن قرب، وخبِر الآخر عن بعد، وهو يرى دمهما ودمِ كل الشهداء في النهر السائر نحو وعد الآخرة، ليروي شجرة الفكر والمقاومة حتى تنتج ثمار التحرير والحرية والوحدة.

تحرير فلسطين بين الحرب الشعبية والحرب الفاصلة

كـــتب بتـــاريخ:

7 سبتمبر 2022م

أثناء حفر المسلمين الخندق في غزوة "الأحزاب"، استعصت عليهم صخرة، فتولى الرسول (ص) كسرها بمعوله، فقال في الضربة الأولى: "الله أكبر أعطيتَ مفاتيح الشام"، وقال في الضربة الثانية: "الله أكبر أعطيتَ مفاتيح فارس"، وقال في الضربة الثالثة: "الله آكبر أعطيتَ مفاتيح اليمن".

ما بين الوعد الإلهي للرسول بفتح الشام وفارس واليمن وتحقق الوعد، مضت سنوات انهمك خلالها المسلمون في التخطيط للفتح، والإعداد للقوة، والتجهيز للجهاد، وإرسال الجيوش إلى الجبهات... حتى تحقق الوعد وأنجز الفتح.

وعندما سمع المسلمون حديث فتح القسطنطينية: "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها! ولنعم الجيشَ ذلك الجيش!"، حرص الخلفاء والقادة على أن يفوزوا بذلك الشرف، وأرسلوا إليها عشرات الجيوش على مدار 8 قرون لفتحها، حتى فتحت في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح، فتحقق الوعد النبوي الإلهي بالفعل البشري المتواصل.

إن تعامل المسلمين مع الوعد الإلهي بفتح الشام وفارس واليمن، ثم القسطنطينية، بالآخذ بأسباب النصر والتمكين على الأرض ينسجم مع المنهج الإسلامي في قراءة النص الديني؛ المنهج الذي يلتقي فيه القدر الإلهي والفعل الإنساني، من دون إنكار يلغي القدر الإلهي أو إيمان يعطّل الفعل الإنساني.

وهكذا، ينبغي أن تكون قراءتنا لوعد الآخرة ومضمونه الخاص بزوال "دولة إسرائيل" على مستوى الوعي والعمل، لتكون قراءة واعية وعملاً فعالاً، ليتم من خلال تلك القراءة والعمل إخراج وعد الآخرة من القدر الإلهي في عالم الغيب إلى القدر الإلهي في عالم الشهادة.

هذا يعني أن يقوم الشعب الفلسطيني وطليعته المقاومة بدوره في حرب تحرير فلسطين بواسطة الحرب الشعبية الطويلة الأمد، حتى يأتي وعد الآخرة أو الحرب الفاصلة والشعب الفلسطيني ومقاومته جزء من وعد الآخرة والقدر الإلهي بالفعل الإنساني، ما يتطلّب مواصلة مشروع التحرير

باستمرار مشاغلة العدو بالمقاومة، كطريق لمراكمة القوة للشعب والمقاومة والأمة، واستراتيجية لتعميق مأزق "إسرائيل" الآمني والوجودي، وصولاً إلى الهزيمة النهائية وزوالها بالحرب الفاصلة.

إن مواصلة الحرب الشعبية وإبقاء جذوة الجهاد والمقاومة مشتعلة، وعمودها الفقري الكفاح المسلّح، حتى يلتقي القدر الإلهي بالفعل الإنساني في وعد الآخرة، حيث الحرب الفاصلة، هما الأصل المنسجم مع المنهج الإسلامي في التغيير والثورة وقوانين حروب التحرير الوطنية كفيتنام والجزائر، ومعطيات واقع الصراع مع الكيان الصهيوني.

لذلك، أكد الميثاق الوطني الفلسطيني استراتيجية حرب التحرير الشعبية الفلسطينية، واعتبر نواتها العمل الفدائي وأسلوبها الكفاح المسلّح، رغم حضور الحرب الفاصلة في الميثاق وأدبيات الثورة الفلسطينية في تحرير فلسطين كواجب قومي عربي تقوم به الجيوش العسكرية النظامية.

هذه الرؤية للتحرير لم تغب عن الوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، التي أكّدت الحرب الشعبية المتواصِلة والحرب الكبرى الفاصلة، فجاء في الوثيقة: "النهج الثابت للجهاد والمقاومة هو استمرار المواجهة مع العدو الصهيوني، واستنزاف طاقاته وقدراته، وزعزعة أمنه واستقراره، لإجباره على الرحيل عن أرضنا وصولاً إلى التحرير الكامل لفلسطين، الذي يعد مهمة تاريخية وإنسانية كبرى". وما بين "استمرار المواجهة" و"التحرير الكامل لفلسطين" تكمن الرؤية في الجمع والتوفيق بين استراتيجيتي مشاغلة العدو ومراكمة القوة.

الجمع والتوفيق بين استراتيجيتي مشاغلة العدو ومراكمة القوة، جوهره استمرار المقاومة ومشاغلة العدو بالنار لاستنزافه، وهدفه مراكمة قوة المقاومة والشعب والأمة، وصولاً إلى الحرب الفاصلة. وتحديداً إن جوهره وهدفه هما استمرار مشاغلة العدو بالمقاومة وعدم منحه فترات هدوء طويلة كي لا يستقر ويأمن، واستمرار الجهاد والمقاومة حتى التحرير الكامل لفلسطين، للحفاظ على القضية الفلسطينية حية في ضمير الأمة، واستنزاف طاقات العدو المادية والبشرية والنفسية، وزعزعة أمن الكيان الصهيوني واستقراره لتعميق مأزقه الأمني والوجودي، وضرب المشروع الصهيوني في أساسه القائم على الأمن والهجرة والاستيطان...

هذا كله من شأنه أن يؤدي إلى حشد وجمع القوة العسكرية كماً وكيفاً، وتعزيز قوة الشعب بالصمود في وطنه، وقوة المقاومة الفلسطينية بمراكمة الخبرات والإنجازات، وقوة الأمة بالالتفاف حول قضية فلسطين، وقوة محور المقاومة باستكمال جهوزيته للمعركة الفاصلة. في المقابل، سيؤدي إلى إضعاف الكيان الصهيوني وتعميق مأزقه الوجودي، حتى تكتمل دائرة الخراب والزوال الداخلية "يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ"، والخارجية "وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ"، في وعد الآخرة الذي سيتحقق بأيدي "عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ".

إن استراتيجية مشاغلة العدو أو الحرب الشعبية، وصولاً إلى مراكمة القوة تمهيداً للحرب الفاصلة، حقّقت إنجازات على الطريق في مواجهة الكيان الصهيوني، أهمها إنهاء الاحتلال بجيشه ومستوطنيه من قطاع غزة رغم بقاء الحصار، وفرضت نوعاً من توازن الردع مع العدو منعته نسبياً من استباحة غزة بالقتل والتدمير، وزعزعت أمنه واستقراره، ما عمق مأزقه الأمني والوجودي، وحافظت على القضية الفلسطينية حية عند جماهير الأمة، وعززت ثقة محور المقاومة بطليعته في فلسطين وحتمية زوال "إسرائيل".

والحفاظ على هذه الإنجازات التي حققتها الحرب الشعبية وتطويرها للوصول إلى النصر النهائي في الحرب الفاصلة يتطلب من حركات المقاومة الفلسطينية، وخصوصاً حركتي الجهاد وحماس، التوافق على استراتيجية موحدة لإدارة الصراع ضد الكيان الصهيوني ومقاومة الاحتلال في إطار التكامل وتوزيع الأدوار، وفي إطار التناقض مع نهج التعايش مع الاحتلال أو تأجيل الاشتباك معه.

إليزابيث.. الموت في لندن والحِداد في عمّان

كـــتب بتـــاريخ:

16 سبتمبر 2022م

بعد وفاة ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية، سارع الأردن إلى إعلان الحداد 7 أيام، حزناً على موت الملكة، عبر بيانٍ وزعته وكالة الأنباء الأردنية، نقلاً عن الديوان الملكي الهاشمي في عمّان، نصه: "ينعى الديوان الملكي الهاشمي ببالغ الحزن والأسى وعميق التأثر جلالة الملكة إليزابيث الثانية، ملكة بريطانيا، التي وافتها المنية اليوم الخميس. وبأمرٍ من صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني بن الحسين، حفظه الله ورعاه، يَعلن الديوان الملكي الهاشمي الحِداد على الفقيدة في البلاط الملكي الهاشمي لمدة سبعة أيام اعتباراً من اليوم الخميس...".

وقد لحقت بالأردن عدة دول عربية في إعلان الحداد على الملكة، منها البحرين والإمارات ولبنان، وجميعها كان من أملاك الإمبراطورية البريطانيةَ "العظمى"، ما عدا لبنان الذي كان من أملاك الإمبراطورية الفرنسية.

إعلان الحداد قد يكون أمراً طبيعياً لو كان سلوكاً مَتّبعاً من هذه الدول في كل الحالات المماثلة، ولو قامت بهِ كل دول العالم، وخصوصاً شركاء بريطانيا في المشروع الاستعماري الغربي على جانبي الأطلسي، ولكنه غير طبيعي عندما يصدر عن أنظمة حكم سياسية ذاقت شعوبها وبلادها الويلات من الاستعمار البريطاني والفرنسي وغيرها، وعندما يكون مرتبطاً بأحد أهم رموز الاستعمار الغربي: الملكة إليزابيث الثانية، التي تولّت العرش بعد الحرب العالمية الثانية، وشهدت انتقال راية زعامة الاستعمار الغربي من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأميركية، وشهدت أكبر جرائم بريطانيا الاستعمارية ضد العرب والمسلمين، وهي استكمال تسليم فلسطين للحركة الصهيونية، وقيادة العدوان الثلاثي على مصر، ودعم مواصلة العدوان الصهيوني بتوسيع حدود "إسرائيل" في النكبة الثانية (النكسة)، ومعاداة كل حركات التحرر العربية من الاستعمار الأوروبي...

وإعلان الحداد على رمز استعماري كبير من تلك الأنظمة التي تتجاهل ضحايا ذلك الاستعمار في فلسطين وفي بلاد أخرى ليس من الدبلوماسية أو الإنسانية في شيء، ولا سيما من نظام حكم أنشأه الاستعمار البريطاني، مثل الأردن.

الأردن الذي أعلن الحداد في عمان على موت ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية في لندن، يقدم نظامه السياسي نموذجاً واضحاً لصحة نظرية المفكر الجزائري مالك بن نبي في مفهوم "القابلية للاستعمار"، التي تعني في أحد مدلولاتها إحساس النخبة الحاكمة - القبلية العسكرية السياسية - بالدونية أمام المستعمر، وبالتبعية أمام من جاء بها إلى الحكم، وهذا هو حال النخب العربية الحاكمة المرتبطة ببريطانيا - قبل أميركا - وما حدث في الأردن مثال على ذلك، فقد أقيمت "إمارة شرق الأردن" عام 1923 بقرارٍ من وزير المستعمرات البريطاني آنذاك ونستون تشرشل، بالاتفاق مع الأمير عبد الله بن الحسين، ثم تحولت إلى "المملكة الأردنية الهاشمية" عام 1947، تزامناً مع إنشاء بريطانيا "دولة إسرائيل" التي أعلن قيامها عام 1948، ثم توسعها عام 1967، لتترسخ حدودها الشرقية على نهر الأردن ووادي عربة، لتصبح أطول حدود الكيان الصهيوني أكثرها أمناً واستقراراً، وخصوصاً بعد قيام النظام الأردني بإخراج قوات الثورة الفلسطينية عام 1970، وتوقيع اتفاقية "وادي عربة" مع الكيان عام 1994.

قيام الاستعمار البريطاني بإنشاء كلٍ من الكيان الصهيوني غرب الأردن، والمملكة الأردنية شرق الأردن، جاء في سياق المشروع الاستعماري الغربي ضد الأمة العربية والإسلامية؛ ذلك المشروع الذي يعد أهم أركانه تجزئة الوطن العربي والإسلامي وتفتيته إلى عشرات الدول ذات العلم المنفصل والنشيد الوطني والجيش القومي.

ولتصبح حدود "سايكس - بيكو" وأمثالها هي الحدود الشرعية المقدسة التي تدافع عنها كل دولة، ويحميها النظام العالمي المحكوم من الغرب، لدعم التجزئة وترسيخ التفرقة، كان الركن الأهم في المشروع الاستعماري الغربي ومركزه وقاعدته المتقدمة إنشاء "دولة إسرائيل" في قلب العروبة والإسلام، وفي وسط الامتداد الجغرافي لبلاد العرب والمسلمين، لتكريس حالة التجزئة والتخلّف

والتبعية، وإعاقة أي مشروع قومي عربي أو نهضوي إسلامي، محاوره الوحدة والنهضة والاستقلال بين مكونات الأمة...

والمشروع الغربي الاستعماري بزعامة بريطانيا، ثم أميركا، بركنيه "التجزئة وإسرائيل"، ما زال هو الأساس المحرك للسياسة الغربية، انطلاقاً من دوافع جذورها دينية مرتبطة بالصهيونية المسيحية، واقتصادية مرتبطة بنهب ثروات الأمة.

رحم الله الشهيد المفكر فتحي الشقاقي الذي أدرك طبيعة المشروع الغربي الاستعماري بركنيه "التجزئة وإسرائيل"، وربط بين دول التجزئة القطرية والصلح مع "إسرائيل" بواسطة منظومة متتالية من الترابطات، تبدأ بالتجزئة وحتمية إصابة دول التجزئة بالضعف الداخلي، ما يتيح للغرب عملية الإلحاق السياسي والاقتصادي الاستراتيجي لأنظمة التجزئة ودولها، ومن ثم تتولّد الحاجة إلى الحماية الغربية لدى تلك الأنظمة، وأهم شروط الحماية الغربية - بريطانية وفرنسية وأميركية - هي الاعتراف بـ"دولة إسرائيل"، والصلح معها باتفاقيات "سلام" وتطبيع، وصولاً إلى التحالف معها... وهو ما حدث في ما يسمى "اتفاقيات أبراهام".

قدم الشقاقي مقابل مشروع "التجزئة وإسرائيل" الغربي مشروعه المضاد لإنهاء التجزئة وإزالة "إسرائيل"، وركناه: الوحدة والمقاومة، فقال: "... ومن هنا، ونحن مع استمرار جهادنا بلا توقف، نرى أن المشروع الإسلامي المضاد للغرب يجب أن يكون شعاره القضاء على التجزئة، وإعلان تكريس وحدة الأمة، كما يكون شعاره إعلان الجهاد للقضاء على إسرائيل. الجهاد يجب أن يستمر بلا توقف لإضعاف العدو... نحن نرى في جهادنا دعوةً لاستنهاض الأمة... كي تنهض وتتوحد وتتوجه إلى بيت المقدس".
وعندما يتحقق ذلك، وننتمي كشعوبٍ إلى أمة واحدة، سنكون أقوياء بالوحدة والمقاومة. سنكون أقوياء عندما تكون بوصلة الأمة تَشير إلى فلسطين والقدس والأقصى. سنكون أقوياء عندما تتوحد الأمة حول قضيتها المركزية فلسطين، وتتوحد بمقاومتها للكيان الصهيوني والاستعمار الأميركي...
حينئذ، لن تكون بحاجة إلى إعلان الحداد على رموز الاستعمار الغربي المسؤول عن نكبتنا في فلسطِين، وإقامة أنظمة سياسية نخبَها الحاكمة لديها القابلية للاستعمار، وأحياناً لديها القابلية للاستحمار.

المقاومة الفلسطينية ومحددات العلاقة بالأمة

كـــتب بتـــاريخ:

22 سبتمبر 2022م

منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة والجدل دائر حول طبيعة علاقة حركاتها المقاوِمة بالأمة العربية والإسلامية، وحول اتجاهات مواقفها السياسية وسلوكها العملي من صراعات الأمة الداخلية بين الدول وداخلها.

وقد زاد هذا الجدل حدة بعد ثورات "الربيع العربي"، وآخر حلقات مسلسل الجدل قرار حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الَآخير بعودة علاقاتها مع الجمهورية العربية السورية، كما جاء في بيانها الرسمي منتصف شهر أيلول/سبتمبر الحالي بعنوان "أمة واحدة في مواجهة الاحتلال والعدوان"، الذي أعلنت فيه الحركة "استئناف علاقتها مع سوريا الشقيقة"، و"أعربت فيه عن تقديرها الجمهورية العربية السورية قيادةً وشعباً".

هذا القرار، وما تبعه من جدلٍ بين مؤيد ومَعارض، وما آثاره من نقاشٍ بين راضٍ وساخط، أعاد موضوع المقاومة الفلسطينية ومحددات علاًقتها بالأمة بمختلف مكوناتها: دولاً وأنظمةً وشعوباً وأحزاباً وقوى... إلى الواجهة السياسية، ليستدعي النقاش حوله والبحث في محددات منهجية تضبط علاقات المقاومة الفلسطينية ومواقفها السياسية وسلوكياتها العملية بالأمة ومكوناتها في الاتجاه الذي يخدم فلسطين الشعب والقضية والمقاومة.

انتبهت منظمة التحرير الفلسطينية إلى حساسية هذا الموضوع وأهميته، فوضعت في الميثاق الوطني الفلسطيني مادةً تؤكد حيادها تجاه صراعات الأمة الداخلية، جاء فيها: "... وتلتزم بالحياد فيما بينها... ولا تتدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة"، والتزمت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) بهذا المضمون في نظامها الداخلي بالنص على أن: "حركة فتح لا تتدخل في الشؤون المحلية للدول العربية". وفي مؤتمرها الحركي السادس سجلت أنها لا تدخل "في تحالفات جزئية مع بعض الدول العربية ضد دول عربية أخرى".

ولكن حركات اليسار الفلسطيني، كالجبهتين الشعبية والديمقراطية، اعتبرت أن معركة الشعب الفلسطيني واحدة ضد الصهيونية والإمبريالية والرجعية، فانحاز اليسار إلى "الثوريين والاشتراكيين" ضد "الرجعيين والرأسماليين".

وعملياً، تورطت المنظمة في الصراعات الداخلية - بعيداً من الصواب والخطأ – ولا سيما في الأردن (أيلول الأسود 1970)، وفي لبنان (الحرب الأهلية 1975)، وبين العراق والكويت (الغزو العراقي للكويت 1990)... وغيرها، ما ألحق أضراراً كبيرة بالقضية الفلسطينية ما زالت آثارها مستمرة.

وتبنت حركة المقاومة الإسلامية نظرياً موقف منظمة التحرير الفلسطينية في وثيقتها السياسية مضموناً ونصاً: "... وترفض التدخل في الشؤون الداخلية للدول، كما ترفض الدخول في النزاعات والصراعات بينها"، ولكن هذا الموقف النظري المحايد الرافض للتدخل في الصراعات الداخلية العربية بين الدول وداخلها، لم يتحقق أثناء ثورات "الربيع العربي"، وغلبت عليه حسابات "الجماعة" ونظرية "من وقف معنا في الحق لا نقف معه في الباطل"، فاتخذت الحركة مواقف سياسية وعملية تجاه أطراف الصراع الداخلية في الدول العربية التي ضربتها أعاصير "الربيع العربي" المسمومة بناء على محددات ليست فلسطين كشعب وقضية ومقاومة في سلّم أولوياتها، وهذا مصدر الإرباك في الموقف السياسي للحركة، الذي أنتج مواقف متأرجحة ومتناقضة ومضبوطة بموازين القوة على الأرض ولعبة الغالب والمغلوب، وخصوصاً في كل من مصر وسوريا، مع أن المطلوب لم يكن أكثر من النأي بالحركة عن صراعات بوصلتها ليست فلسطين، وليس الوقوف مع أي طرف في الحق أو الباطل.

أما حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، فرغم تأكيدها إقامة علاقات إيجابية مع الجميع لنصرة القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وخدمتهم، فإنها ربطت موقفها السياسي ومحددات علاقتها مع أطراف الأمة بفلسطين، فأكدت في وثيقتها السياسية أن العلاقة مع كل طرف تتحدد "بناء على موقفه من فلسطين، ومستوى دعمه المادي والمعنوي لها، وأقله دعم وإسناد صمود شعبنا وثباته على أرضه، وحقه في المقاومة والدفاع عن نفسه وأرضه ومقدساته، في مواجهة العدوان الصهيوني المستمر".

وبذلك، حددت أولوية علاقتها مع الأمة بموقفها من فلسطين، باعتبارها القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية، فتقترب من الآخرين بقدر اقترابهم من فلسطين والمقاومة وعدائهم للكيان الصهيوني، وتبتعد عن الآخرين بقدر ابتعادهم عن فلسطين والمقاومة واقترابهم من الكيان الصهيوني، وتنأى بنفسها عن المحاور والصراعات الموجهة لصرف الأمة عن قضيتها المركزية فلسطين تحت عناوين مذهبية وعرقية وسياسية وغيرها.

يتضح مما سبق أهمية وضع محددات للمواقف السياسية لحركات المقاومة الفلسطينية تجاه الأمة بمختلف دولها وشعوبها وأنظمتها وقواها السياسية، وأساس هذه المحددات فلسطين: الشعب والقضية والمقاومة، والميزان هو مقدار الاقتراب أو الابتعاد من فلسطين، فبقدر اقتراب الآخرين في الأمة من فلسطين وشعبها وقضيتها ومقاومتها يتم الاقتراب منهم، وبقدر ابتعادهم عن فلسطين وشعبها وقضيتها ومقاومتها يتم الابتعاد عنهم.

في المقابل، بقدر قبول الآخرين في الأمة للكيان الصهيوني تدرجاً، من الاعتراف، ثم التطبيع، حتى التحالف، يتم التناقض معهم. وبقدر رفض الآخرين في الأمة للكيان الصهيوني تدرجاً من عدم الاعتراف، ثم دعم المقاومة، حتى الحرب ضده، يتم الانسجام معهم.

إن تحديد فلسطين كأساس لضبط العلاقة والموقف والسلوك لدى حركات المقاومة الفلسطينية مع أ طراف الأمة يترتب عليه توحيد المحددات في التعامل مع الجميع، فلا يمكن تبرير التطبيع مع الكيان الصهيوني - على سبيل المثال - أو السكوت عنه عندما يقوم به طرف ما، ورفضه ونقده عندما يقوم به طرف آخر.

ويترتب عليه عدم اتخاذ موقف سياسي أو بناء العلاقة على أساس "مصلحة الحركة" المرتبطة بمفاهيم الفرقة الناجية أو الحزب الأوحد والمنفصلة عن مصلحة فلسطين ومشروع تحريرها.
ويترتب عليه عدم اتخاذ موقف سياسي أو التدخل الفعلي في الصراعات البعيدة عن فلسطين ذات الهويات المذهبية والعرقية والسياسية وغيرها، والنأي بفلسطين وشعبها وقضيتها ومقاومتها عن تلك الصراعات التي لا تشير بوصلتها إلى فلسطين والقدس والأقصى.

"أريد حلاً".. لا يأتي بالشكوى والاستجداء

كــتب بتــاريخ:

29 سبتمبر 2022م

يروى أن أعرابياً كان يرعى الإبل لقومه، فهاجمته عصابة من قطّاع الطرق، واستولت على الإبل من دون أن يفعل شيئاً سوى صعود تلة لينهال عليهم شتماً حتى ساروا بالإبل. ولما عاد إلى قومه، سألوه عن الإبل، فروى لهم القصة، فسألوه عما فعله لتحريرها من اللصوص، أجابهم: "أوسعتهم شتماً وساروا بالإبل"، فذهبت مقولته مثلاً يقال لكلّ من يكتفي بما يقوله ليكون بديلاً مما يفترض أن يفعله ليأخذ حقه، فينطلق لسانه بالشتم والشكوى والاستجداء، تماماً مثل خطاب رئيس المنظمة والسلطة الفلسطينية السيد محمود عباس الأخير في الأمم المتحدة، الغني بالشكوى والاستجداء، الذي أنهاه بقوله: "أريد حلاً"، وكأن قضايا التحرر الوطني تحل بالشكوى والاستجداء.

برع السيد محمود عباس في خطاب الشكوى والاستجداء، فشكا "إسرائيل" وبريطانيا وأميركا والأمم المتحدة، واستجدى منهم الحل في الوقت نفسه، فكان نصيب "إسرائيل" من الشكوى قيامها بالمذابح والتهجير والقتل والنهب والتدمير والسجن والاستيطان والتهويد والعنصرية وإخلالها بالاتفاقيات وتعطيلها الانتخابات... ونصيب بريطانيا من الشكوى وعد بلفور وتمكين قيام الكيان الصهيوني، ونصيب أميركا دعمها الكيان الصهيوني في كل جرائمه، ونصيب الأمم المتحدة ازدواجية المعايير وعدم تطبيق قرار التقسيم ورفض الاعتراف بدولة فلسطين.

أما الاستجداء، فقد توزع خبط عشواء على كل فقرة في الخطاب، ابتداء من استجداء الحماية "من شان الله احمونا من العدوان"، مروراً باستجداء الدولة من الأمم المتحدة "نتمنى ونترجى ونقول لكم دخيلكم... نريد أن نعيش معهم مع إسرائيل"، وانتهاء باستجداء الحل "انتظرنا طويلاً وتعبنا طويلاً... فهل لديكم حل.. نريد حلاً".

السيد محمود عباس قدم صورة المظلومية الفلسطينية أمام الوحشية الإسرائيلية، وسرد رواية الضحية الفلسطينية في مقابل الجلاد الإسرائيلي، وشرح قضية الشعب الفلسطيني المجني عليه تحت الاحتلال ضد الكيان الصهيوني الجاني المحتل.

هذا كلّه جيد ومطلوب، ولكنه لا يحرر أرضاً من احتلال، ولا يخلّص شعباً من محتل، ولا ينقذ وطناً من ضياع. ما يحرر الأرض ويخلّص الشعب وينقذ الوطن هو التوقف عن خطاب الشكوى والاستجداء الذي يعيد إنتاج الفشل مرةً كل عام على منصة الأمم المتحدة، والتخلّص من فكر التسوية السلمية والتعايش مع الاحتلال الذي قاد إلى الشراكة الأمنية والاقتصادية مع الاحتلال، والخروج من وهم السلطة (الوطنية) والدولة (المستقلة) إلى جانب الكيان والاستيطان، واستبعاد نخبة أوسلو الفاشلة عن أداء دور البطولة في فيلم التحرير الوهمي لإعادة إنتاج مشروع التحرير الحقيقي.

مشروع التحرير الحقيقي فكرته أن الأوطان تحرر بالمقاومة الشعبية المسلّحة كعمود فقري لكل أنواع المقاومة، وليس بالمقاومة السلمية فقط، القائمة على فلسفة اللاعنف والتخلّي عن الكفاح المسلّح، التي يطالب بها السيد محمود عباس، والتي أكدها مراراً وتكراراً على منصة الأمم المتحدة قائلاً: "لن نلجأ إلى السلاح. لن نلجأ إلى العنف. لن نلجأ إلى الإرهاب. سنحارب الإرهاب سوياً"، بطريقة تتناقض مع منطق الواقع وسنن التاريخ وتجارب الشعوب التي تؤكد حتمية المقاومة المسلّحة في حركات التحرير الوطنية لا نتزاع الحرية، وبطريقة تتنكّر لتراث الثورة الفلسطينية النظري والعملي ولتجربتي المقاومتين اللبنانية والفلسطينية في تحرير الأرض بالمقاومة المسلّحة عامي 2000 في جنوب لبنان و2005 في قطاع غزة، وبطريقة تخالف طبيعة الكيان الصهيوني القائم على الاستيطان الإحلالي، ونوع الصراع الوجودي التناحري معه القائم على العنف الإرهابي الذي يكافئه العنف الثوري.

وبدلاً من خطاب الشكوى والاستجداء وتقديم قرابين الولاء للغرب الاستعماري المتحالف مع الكيان الصهيوني بمهاجمة المقاومة المسلّحة تحت عناوين العنف والإرهاب، كان من الأفضل البحث عن مكامن القوة الحقيقية لمشروع التحرير، والتي تكمن في الشعب الفلسطيني، باستعادة وحدته الوطنية على أساس المشروع الوطني الفلسطيني؛ مشروع المقاومة والتحرير الذي يأتي عن طريقه الحل، وليس بطريقة "أريد حلاً".

"أريد حلاً" تعني الشكوى والاستجداء ليأتي الآخرون بالحل، والحل الحقيقي لا يأتي بهذه الطريقة، بل يأتي من تراث الثورة الفلسطينية الموجود في أحد أناشيدها: "الحل ما حدا علينا بيفرضوا.. والحل من غير طريقنا بنرفضوا"، وكل أناشيد الثورة التي تتمسك بالمقاومة والسلاح طريقاً لتحرير فلسطين وعودة اللاجئين وانتزاع الحقوق.

البديل من الاحتلال والدعم الأميركي والغربي له ليس الاستمرار في النهج الذي يكرس الاحتلال، ولكن في استمرار المقاومة والجهاد حتى إنهاء الاحتلال وإزالة الكيان، وفي استمرار حشد طاقات الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية نحو مشروع المقاومة والتحرير وبوصلته فلسطين والقدس.

"الجهاد الإسلامي".. والإسلام الآخر

كـتب بتـاريخ:

6 آكتوبر 2022م

تَحيي حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين في السادس من تشرين الأول/أكتوبر من كل عام ذكرى (الانطلاقة الجهادية) للحركة، وهو اليوم الذي حدثت فيه معركة الشجاعية عام 1987، التي استشهد فيها 6 مجاهدين للحركة في أثناء اشتباك مسلّح مع قوة من جيش الاحتلال الإسرائيلي كانت تطاردهم في حي الشجاعية في مدينة غزة، بعد تنفيذهم بضع عمليات فدائية ناجحة.

فكان هذا الحدث الجهادي هو الأبرز في تاريخ الحركة منذ نشأتها في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، وكان دمهم الزكي هو الوقود الذي أشعل فتيل انتفاضة الحجارة الأولى، التي ظلت نيرانها تتصاعد وصولاً إلى (حادثة المقطورة) في كانون الأول/ديسمبر، لتنتشر نارها في كل مدن فلسطين خصوصاً الضفة والقطاع، فكان السادس من تشرين الأول/أكتوبر هو اليوم الذي يرمز إلى تحول مشروع الحركة الجهادي المقاوم من الحالة الحركية التنظيمية إلى الحالة الشعبية الجماهيرية، فاتّخذ مناسبة تَحيي فيها الحركة ذكرى (الانطلاقة الجهادية) لها.

قبل تاريخ (الانطلاقة الجهادية) كانت الحركة حواراً فكرياً وسياسياً، ثم تحولت إلى حراك سياسي وتنظيم جهادي مقاتل؛ كان الحوار بين مجموعة من الطلبة الفلسطينيين في جمهورية مصر العربية في نهاية سبعينيات القرن العشرين، أبرزهم وقائدهم المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، وكان هذا الحوار يدور حول إشكالية مزدوجة الاتجاه: اتجاه تمثله الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، مضمونها تغييب الإسلام كمرجعية فكرية لنضالها السياسي، ونظرية ثورية لكفاحها الوطني. واتجاه تمثله الحركة الإسلامية الفلسطينية ممثلة في جماعات الإخوان المسلمين، وحزب التحرير، والدعوة، والسلفية، مضمونها تغييب فلسطين كقضية مركزية في برامجها الدعوية والتربوية، وتؤجل الجهاد المسلّح كوسيلة للتحرير انتظاراً لاكتمال الإعداد والتربية، أو قدوم الخلافة، أو تطهير المجتمع من المنكرات، فأبدع الشقاقي في حل هذه الإشكالية فجمع بين الإسلام كمرجعية ومنطق، وفلسطين كقضية وهدف، والجهاد كوسيلة ونهج، فكانت محاور: الإسلام

وفلسطين والجهاد كلمات السر التي أبدعت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، حركة وطنية بمرجعية إسلامية، وحركة إسلامية قضيتها المركزية وطنية.

الجمع بين الإسلام وفلسطين والجهاد كان المبرر الأساسي لنشأة حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين قبل 4 عقود من الزمن لتقوم بواجب القتال لتحرير فلسطين من الكيان الصهيوني، وهذا المبرر ما زال موجوداً ما دامت فلسطين لا تزال "إسرائيل"، وما دامت هناك حاجة إلى صوت أصيل للإسلام وفلسطين والجهاد داخل فلسطين والأمة، صوت الإسلام الحضاري والوسطي والثوري، في مقابل الإسلا م الآخر المتوحش والمتطرف والمهادن، صوت فلسطين الكاملة والموحدة: أرضاً وشعباً وقضية ومقاومة، في مقابل فلسطين الأخرى المَقسمة بقرار (الشرعية الدولية) وفلسطين المَجزأة إلى شقي الوطن بصيغة (توافقية وطنية مشتركة)، وصوت الجهاد والمقاومة الثابتة على المبادئ والحقوق، في مقابل نهج المساومة، وجوهره التعايش مع الاحتلال، أو نهج المناورة، وجوهره تأجيل الاشتباك مع الاحتلال.

صوت الإسلام الأصيل هو حاجة ضرورية دائمة في فلسطين، ولذلك سعت الحركة لتقدم رؤية منهجية متجددة لفهم الإسلام والتاريخ والواقع، ليكون العمل الإسلامي مثمراً، ولتقدم إسهامات فكرية تتجاوز حال الجمود الفكري التي أشلّت الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي في كل قضايا العصر فلسطينياً وعربياً وإسلامياً، وتسعى ليكون الإسلام هو الحل والمرجعية للإجابة عن إشكاليات الأمة، وأن يكون الإسلام رسالة الأمة وروحها وهويتها، ومحرك تاريخها، وصانع مجدها، ومحرك ثوراتها، ومجدد حيويتها، الإسلام الذي يدفع معتنقيه إلى الثورة على المنكر في كل صوره ممثلاً في احتلال أجنبي، واستبداد سياسي، وتطرف ديني، واستغلال اقتصادي، وظلم اجتماعي، وفساد أخلاقي، وجمود فكري..

فقدمت في هذا الإطار من خلال فكر مؤسسها إسهامات فكرية في قضايا العصر التي تخص الإنسان والمرأة والثورة والتغيير والتراث والتجديد والتاريخ والتربية والحرية والثقافة.. إضافة إلى إسهامه المركزي المبدع (المشروع الإسلامي المعاصر) كمشروع لتحرير الأمة ونهضتها ووحدتها وعالميتها انطلاقاً من مشروع تحرير فلسطين.

الإسلام الأصيل الذي تسعى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين لتكون صوتاً له في فلسطين والأمة يقابله الإسلام الآخر بوجهيه المهادن والمتوحش، فالمهادن أهم نماذجه (الإسلام الأميركاني) كما أطلق عليه المفكر الإسلامي سيد قطب، وهو الإسلام الذي لا يقاوم الاستعمار والظلم والطغيان ولا يثور على الاحتلال والاستبداد والفساد، الإسلام الذي يخضع معتنقوه للاستعمار الأميركي طواعية، ويتعايش أهله مع الاحتلال من دون كراهية.. إسلام يزرع في النفوس القابلية للاستعمار، ويغرس في العقول الرضى بالاستحمار، ويروض السلوك على الخضوع للاستكبار..

الإسلام الأميركاني بصيغته الجديدة الإبراهيمية، ليتخذ من فكرة المشترك الديني (إبراهيم)، مدخلاً إلى قبول فكرة التعايش مع "إسرائيل" كدولة طبيعية مهيمنة في المنطقة العربية والإسلامية، وتطوير فكرة التطبيع الثقافي ليأخذ بعداً دينياً وطابعاً شرعياً.

الوجه الآخر للإسلام الآخر، الذي ترى حركة الجهاد الإسلامي أنه تشويه للإسلام هو (الإسلام المتوحش) بصورته الداعشية وأخواتها المتطرفة التكفيرية، التي تخدم الاستعمار الصهيو_أميركي في المنطقة وتحرف بوصلة الجهاد عن فلسطين من خلال فكر التكفير، وعمل التقتيل، ونهج التفريق.. الفكر والعمل والنهج، هي نتاج للتطرف الديني، والتعصب المذهبي، والجمود الفكري، والاستبداد السياسي. واعتقادهم أن اجتهادهم في فهم النص الديني هو الإسلام نفسه يكفر مخالفه؛ وليس اجتهاداً داخل دائرة الإسلام. وحصيلة لفكرة (جماعة المسلمين) المستمدة من عقيدة (الفرقة الناجية) التي تختزل مفهوم الأمة في الحزب أو الجماعة، وليس في كل المسلمين كأمة واحدة على اختلاف لغاتهم وقومياتهم ومذاهبهم.

عندما كتب المفكر الشهيد فتحي الشقاقي كتابه (الخميني.. الحل الإسلامي والبديل) في نهاية السبعينيات ، جعل الحل الإسلامي هو الأصيل وغيره هو البديل، فكون منظومة فكرية ونظرية ثورية محورها الإسلام وفلسطين والجهاد، الأساس الذي أقيمت عليه حركة الجهاد الإسلامي، كتجاوز إبداعي لحالة السكون في الساحتين الإسلامية والفلسطينية، وهذا التجاوز تطلب خوض معركة على جبهتين: البدائل العلمانية المتغربة المرتبطة بالاستعمار فكرياً، ومع ما سماه الشقاقي: "الآجنحة المتخلّفة في الحركة الإسلامية نفسها التي عجزت عن فهم نفسها والآخرين والعصر والعلاقات القائمة.." وبهذا

الفهم المتجاوز كان الجهاد الإسلامي بمثابة رؤية حضارية داخل الحركة الإسلامية وقوة تجديد داخل الفكر الإسلامي، وفهم متميز للعلاقة بين الإسلام وفلسطين.

القرضاوي والبوطي.. مدرسة واحدة فرقتها السياسة

كــــتب بتـــاريخ:

19 أكتوبر 2022م

زرت في أيلول سبتمبر الماضي ضريحي القائد البطل صلاح الدين الأيوبي والعالم الشهيد محمد سعيد البوطي أثناء وجودي في سوريا، وهما يرقدان بجوار بعضهما في رحاب المسَجد الأموي وسط دمشق القديمة، وبعد أيام من هذه الزيارة توّفي العالم الكبير يوسف عبدالله القرضاوي في العاصمة القطرية الدوحة، وكانت زيًارة ضريح البوطي وخبر وفَاة القرضاوي مدعاة لاستحضار بعض الذكريات الماضية المرتبطة بسيرة العالمين الراحلين كمدخلٍ لإلقاء الضوء على الخلاف السياسي الذي وقع بينهما في موضوع الثورة على َالنظام الحاكم رغم انتمائهما إلى مدرسة إسلامية واحدة في العقيدة والفقه.

كان أول كتاب قرأته في الثقافة الإسلامية هو كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) للدكتور القرضاوي، في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين، فكان مدخلاً مشجعاً لمواصلة القراءة في الثقافة الإسلامية لما له من قيمة علمية وعملية؛ تيسر الفقه للمسلمين في واقعهم المعاصر. وكان من أهم الكتب التي قرأتها في بداية ثمانينيات القرن العشرين، كتاب (فقه السيرة النبوية) للدكتور البوطي، لما له من قيمة تحليلية واستنباطية؛ تَقدم السيرة النبوية بطريقة مفيدة للمسلمين في واقعهم المعاصر، فكان الكتابان للعالمين - القرضاوي والبوطي - وإبداعهما الفكري الآخر كله من أهم أسس المنظومة الفكرية الإسلامَية المعاصرة.

مرت سنوات من الزمن وأردت شراء نسخة جديدة من كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) من معرضٍ للكتاب بغزة أقامته جماعة سلفية، وتوقعت وجود الكتاب في المعرض نظراً لشهرته الواسعة وتعدد طبعاته المتتالية، فلم أجده بين الكتب، التي كانت معظمها مصبوغة باللون السلفي الوهابي، فسألت مدير المعرض عن الكتاب، فنفى وجود كتاب (الحلال والحلال في الإسلام) في المعرض، فصححت له اسم الكتاب (الحلال والحرام في الإسلام)، فكرر نفس الإجابة مضيفاً عليها بعض الألفاظ

المسيئة للدكتور القرضاوي، مبرراً ذلك بأنّه لم يجعل في الإسلام شيئاً محرماً، فحلل الموسيقى والتصوير وحلق اللحية وكشف وجه المرأة...

ومضت سنواتٌ أخرى، حتى وصل قطار الزمن إلى المحطة التي أشعل فيها الفقير البائس محمد البوعزيزي نار الثورة في جسده المنهك، فأشعلت نار الثورة في كل بلده تونس، لتنتقل إلى جوارها العربي المثخن بالفساد والاستبداد، لتصل محفوفةً بكل أنواع الشّبهات والمؤامرات إلى سوريا العروبة والمقاومة؛ لتخرج أسوأ ما في جوفها من تكفير وتقتيل، وذروته اغتيال العالم الكبير محمد سعيد البوطي، وهو الحدث الذي فرح به اثنان من زملاء العمل بغزة آنذاك، فتبادلاَ التهنئة باغتيال البوطي، وعندما استنكرت عليهما ذلك الأمر المشين، بدأ سيل الشتائم ينهال على الدكتور البوطي بأبشع الألفاظ والأوصاف.

موقف مدير المعرض من الدكتور القرضاوي، وزميلي العمل من الدكتور البوطي، هو نفس موقف التيار السلفي الوهابي من العالمين، المتسم بالكراهية لشخصهما والرفض لفكرهما، وسببه انتمائيهما لمدرسة إسلامية معتدلَة نقيضة للمدرسة السلفية الوهابية المتطرفة، وهي المدرسة الأشعرية الوسطية التي تمثل (أهل السنة والجماعة)، اللقب الذي تحاول المدرسة السلفية الوهابية احتكاره لنفسها، لتحتكر من خلاله تمثيل الإسلام. وكلا العالمين تخرجا من جامعة الأزهر التي تتبنى المذاهب الفقهية الأربعة لـ(أهل السنة والجماعة) وفق المَذهب الأشعري في العقيدة، المدرسة التي قدمت الإسلام الوسطي المعتدل بدون إفراط أو تفريط، وتجمع بين النقل والعقل، والثبات والمرونة، وفقه النصوص والمقاصد، وتبتعد عن الغلو والتطرف والتكفير واستحلال الدماء.

ويعتبر العالمان امتداداً لمدرسة الإحياء الديني والبعث الإسلامي التي أسسها الإمام جمال الدين الأفغاني، ووَصلت إلى الشيخ محمد الغزالي التي تركز على: وحدة الأمة الإسلامية، والمشروع الحضاري الإسلامي، ووسطية الإسلام والأمة، وصلاحية الإسلام لقيادة البشرية، والعودة إلى النبع الصافي (القرآن والسنة)، والتجديد المعاصر للفقه والفتوى، والجمع بين الأصول والتجاوز في التراث، والتيسير في الفقه، والتبشير في الدعوة، والروح في العبادة، واليقين في العقيدة، والالتزام في الأخلاق، ورد الجزئيات إلى الكليات، والظنيات إلى القطعيات، والمتشابهات إلى المحكمات، والفروع

إلى الأصول... وانتماء العالمين لمدرسة إسلامية واحدة لم يمنع التمايز الطبيعي بينهما كعالمين مجتهدين ومفكرين مبدعين.

ركّز القرضاوي إضافة لفقه النصوص على فقه: المقاصد والسنن والواقع والحضارة والأولويات والموازنات والاختلاف وناقش قضايا: الأصالة والمعاصرة، والتراث والاجتهاد، والثقافة والتغريب، والصحوة الإسلامية. وقدم حلولاً لمشاكل: الاقتصاد والفقر، والغلو والتطرف، والسياسة والحكم، والتمذهب والاختلاف. وتبني القدس وفلسطين كقضية أولى للأمة العربية والإسلامية، وأفتى بجواز العمليات الاستشهادية في فلسطين. أما البوطي بصفته يمثل الاتجاه الأكثر محافظة وتمسكاً بالثوابت والأصول داخل المدرسة الأشعرية الوسطية، فقد ركّز على وضع ضوابط للاجتهاد والفتوى والتجديد خاصة للمصلحة الشرعية، وقدم رؤى إسلامية لقضايا: الاقتصاد، والمرأة، وتحديد النسل، وحرية الفرد، وحقوق الإنسان، وتربية النشء. والتغيير الاجتماعي. واعتبر أن (السلفية) مرحلة زمنية مباركة وليست مذهباً إسلامياً، وحرم الاعتراف بالكيان الصهيوني وعقد الصلح معه وضرورة الجهاد لتحرير فلسطين.

التمايز الفكري بين العالمين كان طبيعياً، ولكن الخلاف السياسي حول ثورات (الربيع العربي) خاصة حول سوريا لم يكن طبيعياً، فقد تجاوز الحد الطبيعي عندما طالب الشيخ القرضاوي أمريكا أن تقف "وقفة لله" في دعم المعارضة المسلّحة في سوريا، وعندما أفتى بوجوب قتال "الذين يعملون في السلطة.. عسكريين ومدنيين.. علماء وجاهلين" واعتبر أن "من يقف مع السلطة هو ظالم مثلها، يجب أن نقاتلهم جميعاً"، رداً على سؤال يتعلق بموقف البوطي من النظام السوري ففهم البعض من ذلك جواز قتل الشيخ البوطي فقتلوه. بينما اعتبر البوطي أن تحريض القرضاوي على الثورة في سوريا بأنها طريقة غوغائية، واعتبر "الطريقة الغوغائية ليست هي الطريق التي تصلح الفساد، بل هي التي تفتح أبواب الفتنة" وهذا الخلاف السياسي بين العالمين يعود إلى اختلاف الأرضية السياسية والحركية بينهما.

ينتمي الدكتور القرضاوي إلى تيار الإخوان المسلمين حركياً وفكرياً، فتبنى مشروع الجماعة في الوصول إلى السلطة في البلدان التي ضربتها أعاصير (الربيع العربي)، تمهيداً لإقامة مشروع الخلافة الإسلامية، وكانت سوريا إحدى هذه البلدان المؤهلة لتحقيق المشروع بعد إسقاط نظام الحكم القائم

فيها بالتحالف والتنافس مع التيارين السلفي والليبرالي فيها، وزاد من حدة موقفه تجاه سوريا واقترابه من الموقف السلفي المتطرف ومجاملته للتيار الوهابي السعودي، وإثارته للبعد المذهبي.. خلافه مع الأزهر الأشعري الذي دعم إسقاط حكم الإخوان المسلمين في مصر، وخصومته مع إيران بإسلامها الثوري العمود الفقري لمحور المقاومة والداعمة الأساسية لسوريا المقاومة.

بينما ظل الدكتور البوطي على موقفه المستمد من التراث الإسلامي السني بمدرسته الأشعرية وأساسه رفض الخروج على الحاكم إلاّ بظهور الكفر البواح الصريح منه، ووجوب طاعة الحاكم حتى لو كان فاسقاً أو جائراً، وإن كان أخذ الحكم بالتغلّب (الثورة أو الانقلاب)، وفق جواز (إمارة المتغلّب)؛ منعاً للفتنة ودرءاً للفوضى وحقناً للدماء، بناء على قاعدة الأخذ بأخف الضررين وأقل الشرين وأهون المفسدتين، وترك أشد الضررين وأكثر الشرين وأعظم المفسدتين. وبناء على نظريته في التغيير الإصلاحي التدريجي الذي يبدأ بالفرد وينتهي بالدولة مروراً بالجماعة والمجتمع، لاسيما وهو يرى ببصره وبصيرته مآلات (الثورة) المدمرة على سوريا شعباً ونظاماً ودولة. فأراد أن يغلق باب الفتنة سداً لذرائع الفساد.

والحقيقة بعد التأكيد على حق الشعوب في الثورة لانتزاع حريتها وكرامتها وحقوقها أن ما يفتح باب الفتنة والفساد هو عدم قدرة بعض العلماء على التمييز بين مصلحة الآمة ومصلحة الجماعة، والتفريق بين مصلحة الشعب ومصلحة الحزب، والفصل بين الثورات الأصيلة الموجهة لإصلاح العباد وبناء البلاد وتطوير الأوطان وتحرير الشعوب، وبين الثورات الهجينة الموجهة لإفساد العباد وتدمير البلاد وتخلّف الأوطان وتقييد الشعوب.

الشقاقي وفلسطين بين فقهي الانتظار والثورة

كـــتب بتـــاريخ:

26 آكتوبر 2022م

أشاد المفكر الشهيد فتحي الشقاقي – مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين – الذي تأتي ذكرى استشهاده السنوية هذه الأيام، بنظرية "ولاية الفقيه" للإمام الثائر آية الله الخميني، وسجل شهادته المشيدة بالنظرية في كتابه الأول، الصادر في نهاية سبعينيات القرن العشرين، بعنوان: "الخميني.. الحل الإسلامي والبديل"، عبر قوله: "ويقف الإمام الخميني موقفاً إسلامياً وثورياً رائعاً عندما يقف في وجه بعض الشيعة الذين يجلسون في انتظار المهدي ليقيم حكم الإسلام، وليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً".

وعد الشقاقي ذلك الاجتهاد ثورةَ في الفكر والفقه، أنتجت ثورة لدى الناس وفي الواقع، كانت مدخلاً جبرياً لإسقاط نظام حكم الشاه الملتزم الولاء لأميركا و"إسرائيل"، وإقامة نظام حكم إسلامي ملتزم دعم فلسطين والمقاومة. وعبر هذا الموقف الذي التزمه الشقاقي مبكّراً، حسم طريقه واختار مصيره، متجاوزاً فقه الانتظار إلى فقه الثورة.

تجاوز الشقاقي فقه الانتظار عندما رفض فكرة انتظار قيام "الخلافة الإسلامية" لتقوم بمهمة تحرير فلسطين، كمبرر لتأجيل الجهاد والثورة في فلسطين، وقدم أطروحته الفكرية التي تربط بين مشروعي الخلافة والتحرير، ومضمونها أنّه بقدر ما نتقدم نحو مشروع الجهاد والثورة لتحرير فلسطين، نتقدم في اتجاه مشروع الخلافة الإسلامية، بل إن الجهاد والثورة في فلسطين هما طريق إقامة الخلافة الإسلامية، وقال موضّحاً: "رفضنا انتظار قيام الخلافة الإسلامية كي نبدأ تحرير فلسطين... لا يجوز أن نتحجج بعدم قيام تلك الدولة لنؤجل الجهاد من أجل تحرير فلسطين، كما نرى العكس؛ نرى أنه بقدر ما نتقدم نحو فلسطين، وبقدر ما نمارس جهادنا كإسلاميين في فلسطين، بقدر ما يتعزز الدور الإسلامي في المنطقة والعالم، ونرى أيضاً بقدر ما تتبنى الحركة الإسلامية قضية فلسطين وتستقطب الناس حول هذه القضية بقدر ما ستقوى هذه الحركات في بلدانها وبقدر ما ستتحقق مشروعيتها".

تجاوز الشقاقي فقه الانتظار عندما رفض فكرة انتظار الوحدة، في بعديها العربي والإسلامي، ليبدأ بعدها مشروع تحرير فلسطين، كمبرر لتأجيل الجهاد والثورة في فلسطين. وقدم أطروحته الفكرية، التي ترى في العلاقة بين الوحدة والتحرير علاقة جدلية تبادلية. فالتقدم في اتجاه الوحدة - عربياً وإسلامياً - يؤدي إلى التقدم في اتجاه التحرير. والتقدم في اتجاه التحرير يؤدي إلى التقدم في اتجاه الوحدة، وقال موضّحاً: "نحن نرى في جهادنا دعوة إلى استنهاض الآمة كي تقوم بواجبها، كي تنهض وتتوحد وتتجه إلى بيت المقدس".

فمشروعا الوحدة والتحرير متلازمان ومتوازيان، وهذا ينطبق على الوحدة الوطنية الفلسطينية، والوحدة القومية العربية، ووحدة الآمة الإسلامية. فعندما يعتصم الجميع بحبل الله وقضية فلسطين، وتتجه قِبلة جهادهم نحو القدس، وتَشير بوصلة صراعهم إلى الكيان الصهيوني، تتحقّق الوحدة وينجز التحرَير.

تجاوز الشقاقي فقه الانتظار عندما رفض فكرة انتظار تربية الجيل المسلم في "مرحلة الاستضعاف المكية"، ليكون قادراً على ا لجهاد والثورة لتحرير فلسطين في "مرحلة التمكين المدنية"، كمبرر لتأجيل الجهاد والثورة في فلسطين. وقدم أطروحته الفكرية، ومضمونها "التربية من خلال المواجهة". فالجهاد والثورة، في إطار مشروع المقاومة والتحرير، هما أفضل وسيلة لتربية الجيل المسلم وإعداده لتحرير فلسطين. فعملية التحرير وتغيير الواقع تتم بواسطة عملية جدلية تبادلية، يتم فيها تغيير ما في النفس بالتربية، وتغيير ما في الواقع بالجهاد، وكلاهما ثورة، سواء في النفس أو في الواقع. فالهداية والجهاد متلازمان، كما قال تعالى: "وَالّذين جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدينهم سبلَنا ۚ وإن اللّه لَمعَ المَحْسنين"، كما أن الإيمان والفتنة مترابطان، استنَاداَ إلى قوله تَعالى: "أَحَسب الناس أن يتّركَوا أن يَقولوا آمَنّا وهَمْ لَا يفْتَنون". والفتنة تتحقق في المواجهة مع الاحتلال والجهادَ ضد الكيان، فالبدء بالجهاد والثورة لتحرير فلسطين هو طريق التربية الحقيقية.

تجاوز الشقاقي فقه الانتظار عندما رفض فكرة انتظار وعد الآخرة، لتزول "إسرائيل" من الوجود وتتحرر فلسطين بالقَدر الإلهي المخبوء في عالم الغيب، الذي انتظره البعض، على رصيف أحلام التأويل الرقمي الوهمي والتفسير العددي الظني، عقوداً من الزمن الضائع، كمبرر لتأجيل الجهاد والثورة في فلسطين، فحرص الشقاقي، انطلاقاً من فقه الثورة، على أن يأتي وعد الآخرة، والشعب الفلسطيني

جزء من الوعد الإلهي، ومحرك لتاريخ المستقبل، من خلال قيامه بدوره في إنجاز الوعد الإلهي بالفعل الإنساني، بإخراج القدر الإلهي من عالم الغيب إلى القدر الإلهي في عالم الشهادة. وحدد دور المجاهدين في فلسطين في: "إحياء فريضة الجهاد ضد العدو ومشاغلته واستنزاف طاقاته، وكشف وجهه البشع، وتدمير ما يستطيعون من قدراته، وإدامة الصراع حياً حتى وحدة الأمة وتحقيق النصر".

لذلك، أنشأ حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين لتقوم بهذا الدور أسوةَ بتجربتي الإمامين الشهيدين: عز الدين القسام وحسن البنا في الجهاد المسلّح في فلسطين.

تجاوز الشقاقي فقه الانتظار عندما رفض فكرة انتظار التوازن الاستراتيجي، أو التكافؤ العسكري، أو مراكمة القوة... لتبدأ حرب التحرير الفاصلة مع الكيان الصهيوني لتحرير فلسطين، كمبرر لتأجيل الجهاد والثورة في فلسطين، فكتب يقول: "إن الثورة عمل غير مؤجل، وإن الوجوب فوق الإمكان، وإن مهادنة العدو والهروب من مواجهته حتى تكتمل ما تَسمى بالقدرة المكافئة هو وهم يشلّ الحركة ويقتلها، ويسمح للعدو بالنمو والتعاظم، ويجعله دوماً في الوضع الأفضل للانقضاض".

كما طرح مفهوم "مشاغلة العدو" كأفضل طريقة لمراكمة القوة وتحقيق توازن الرعب، واستنزاف العدو، وزعزعة استقراره، وتقويض أمنه، وتعميق مأزقه الوجودي، وضرب ركائز المشروع الصهيوني المعتمد على الأمن والهجرة والاستيطان... لإجباره على الرحيل عن الأرض الفلسطينية، وصولاً إلى التحرير الكامل لفلسطين عبر الحرب الشاملة الفاصلة بمجهود كل أفراد الشعب والأمة، أو من يؤمن بمشروع المقاومة والتحرير منهم.

فقه الثورة، الذي آمن به المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، كان حاضراً في أدب نجيب محفوظ؛ الأدب الذي قرأه الشقاقي وحث إخوانه وتلامذته على قراءته، فأخذ كاتب هذه السطور بتوجيه الشقاقي، فوجد في رواية "الحرافيش"، ولاسيما حكايتها العاشرة، "التوت والنبوت"، ما يدل على فقه الثورة من خلال ثلاثية تجمع الرمزية والصوفية والوجودية. فالرمزية كامنة في أسطورة البطل عاشور الناجي، المهدي المنتظر لأهل الحارة، والذي سيخلّصهم من الظلم والاستبداد والفساد، أبدله نجيب محفوظ بالبطولة الجماعية، لينهض "الحرافيش" بالثورة بأنفسهم للخلاص من الظلم.

والصوفية لديه تجاوزت مفهومها التقليدي السلبي، القائم على العبادة الفردية والزهد في الدنيا والعزلة عن الناس وانتظار الفرج من دون فعالية، إلى مفهومها الثوري الإيجابي، القائم على تحريض المظلومين على الثورة، وتشجيع المستضعفين على المقاومة، وزرع الأمل بالخلاص في نفوس البؤساء، والتوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب.

والوجودية تعدت مفهوم الاغتراب السلبي ومفاهيم العجز واللامعنى واللاجدوى، إلى الإيمان بقيمة الإنسان، والثقة بقدرته على التحكم في حاضره ومستقبله ومصيره، من خلال تغيير معتقداته وأفعاله وفقاً للقانون الإلهي: "إِنّ اللّهَ لَا يُغَيِر مَا بِقَوْم حَتّى يُغَيِروا مَا بِأنفُسِهِمْ"، في أفضل تَجَلٍ لفقه الثورة الذي جمع بين الإمام الثائر آية الله الخمينيّ والأديب الكبير نجيب محفوظ والمفكّر الشهيد فتحي الشقاقي.

مشروع المقاومة والتحرير قبل إنهاء الانقسام

كــتب بتـاريخ:

3 نوفمبر 2022م

ترسخت في أذهاننا منذ حدوث الانقسام الفلسطيني قبل عقد ونصف عقد من الزمن بعض الأفكار السياسية والقناعات الوطنية محورها ربط الوحدة بإنهاء الانقسًام، واقتران التحرير بزوال الانقسام، وجعل إنهاء الانقسام مدخلاً حتمياً لتحقيق الوحدة الوطنية، وممراً جبرياً لإنجاز مشروع التحرير، وشرطاً أساسياً لتحقيق الأهداف الوطنية...

وبعد "إعلان الجزائر" الذي صدر في ختام مؤتمر "لم الشمل الفلسطيني" منتصف شهر تشرين الثاني/أكتوبر الماضي، لا نكاد نجد فلسطينياً واحداً يؤمن بأن الاتفاق سيجد طريقه إلى التطبيق، وينهي الانقسام فعلاً، ويحقق الوحدة الوطنية، ولم تكن الجزائر إلا محطة أخرى شهدت كتابة فصل آخر من مسرحية "خيبتنا" التي سبقتها فصول من الخيبة كَتبت في محطات سابقة أخرى في مكة والقاهرة وغزة وبيروت وإسطنبول وموسكو وغيرها. وقد آن الوقت لمراجعة هذه الأفكار والقناعات وتغييرها.

"إعلان الجزائر" هو مجرد اتفاق شكلي على مبادئ عامة تفتقد التفاصيل التي يتربص فيها شيطان الانقسام والخصام، وتخلو من وجود آليات التطبيق التي تَحطّم قطار الوفاق والاتفاق، ويقفز على قضايا الخلاف الجوهرية التي تصطدم بها كل جهود المصالحة والموافقة...

وقد حصر إعلان الوحدة الوطنية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية المفرغة من قوى المقاومة الأساسية، وحصر الشراكة السياسية عبر آلية الانتخابات العامة التي بدأ بعدها عصر الانقسام الفلسطيني، وحصر مفهوم المصالحة الوطنية في إنهاء الانقسام حول سلطة تحت الاحتلال، وأكّد احتكار تمثيل الشعب الفلسطيني لمنظمة فقدت روحها الثورية ومضمونها النضالي وأهدافها التحريرية ومشروعها الوطني...

كذلك، ركّز الإعلان على إعادة إنتاج نظام سياسي عموده الفقري السلطة التي ابتلعت المنظمة ومشروعها الوطني وأنتجت الانقسام، بدلاً من بناء نظام سياسي وطني ينسجم مع مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين.

مصير "إعلان الجزائر" سينتهي إلى مصير كل اتفاقيات المصالحة السابقة المدفونة في مقبرة الاحتلال والسلطة وصحراء أوسلو والانقسام، التي يحضر بعد توقيعها التفاؤل الممزوج بالآمل والرجاء، ثم التفاؤل المشوب بالترقب والحذر، ثم يغيب التفاؤل ويبقى الترقب والحذر... وصولاً إلى التشاؤم المصحوب بالنحس والتعس.

وقد كتبت عن هذه الحال من الخيبة والإحباط في مقالات سابقة، منها مقال "قصة الراعي والذئب واتفاقيات المصالحة الفلسطينية"، الذي جاء فيه: "ما أشبه قصة الراعي والذئب بقصتنا مع المصالحة! لم يعد أحد من الشعب الفلسطيني يصدقهم للسبب نفسه الذي فقد أهل القرية الثقة بالراعي جراءه"، ومنها مقال "وفود الفصائل في موسكو.. فرصة جيدة للتسوق"، الذي جاء فيه: "أمام وفود الفصائل الموجودة في موسكو فرصة جيدة للتسوق وزيارة الأماكن السياحية الجميلة، على أمل وجود فرصة أخرى للتسوّق والسياحة في عاصمة أخرى أبعد من موسكو وأكثر بَعداً من المصالحة".

ومن هذه المقالات "فيلم المصالحة لم يعد يجذب المشاهدين"، الذي قلت فيه: "ما زال الجمهور الفلسطيني المشاهد لفيلم المصالحة غير واثق بأدوار المصالحة، وغير مصدق لها، وغير مقتنع بأبطال الفيلم بعدما أدوا أدوار الانقسام ردحاً من الزمن"، ومنها "المصالحة الفلسطينية.. لماذا التفاؤل حذر؟"، الذي ذكرت فيه "أن المشكلة ليست في توقيع الاتفاق، بل في تطبيقه... الذي يصطدم بانعدام الإرادة السياسية لإنهاء الانقسام، ومراكز القوى المستفيدة من الانقسام"

تكرار الفشل في تطبيق اتفاقيات المصالحة الفلسطينية برهان على وجود تحديات كبرى ومعوقات عظمى أمام المصالحة والوحدة تجعلها مستحيلة في ظلّ الواقع الحالي، ويمكن إجمال أهمها في وجود الاحتلال الحاضر الغائب في كل محاولات التطبيق كلاعب مركزي يسعى لإبقاء الانقسام والصراع الداخلي خدمة لمصلحته، ووجود السلطة المؤسسة لحال الانقسام عندما قبل صانعوها بدور ضبط أمن الاحتلال وقمع المقاومة، فأسسوا بذلك لوجود فريقين متناقضين داخل الشعب الفلسطيني،

ووظيفة السلطة المرتبطة بوجودها، سواء في الجانب الآمني أو المدني، كإدارة مدنية لشؤون السكان تحت الاحتلال، وعدم أداء هذا الدور يعني إسقاطها إسرائيلياً وغربياً، وحتى عربياً، وهذا يصطدم باتفاقيات المصالحة.

ومن التحديات والمعوقات الأخرى، فلسفة المصالحة القائمة على إعادة إنتاج النظام السياسي الفلسطيني الذي أوصلنا إلى مأزقي السلطة والانقسام، والتي تدور إما حول إدارة سلطة منقسمة وإما تقاسم سلطة موحدة، هروباً من إقامة سلطة وطنية وفق استحقاقات مرحلة التحرير الوطني.

إن مفهوم إنهاء الانقسام لدى النظام الرسمي الفلسطيني والعربي هو إدخال المقاومة الفلسطينية في بيت الطاعة الأميركي وتطويع فصائل المقاومة تحت سقف أوسلو. هذا المفهوم يناقض رؤية المقاومة، ومضمون الوحدة الوطنية لدى جماعة أوسلو هو الحفاظ على شكل إطار منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني من دون مضمون الوحدة التي أسست على المشروع الوطني الفلسطيني ونهج المقاومة الشاملة.

تجاوز هذه التحديات والمعوقات يحتاج إلى تحرير الإرادة الفلسطينية من قيد الاحتلال، وتحويل وجود السلطة إلى رافعة للاستقلال، وتغيير وظيفة السلطة لتخدم المشروع الوطني الفلسطيني، وتبديل فلسفة المصالحة لتنتج نظاماً سياسياً فلسطينياً يناسب مرحلة التحرير الوطني، وتركيز مفهوم إنهاء الانقسام على إنهاء نهج التسوية والعودة إلى مشروع المقاومة والتحرير، وليكن مضمون الوحدة الوطنية هو وحدة فلسطين: الأرض والشعب والقضية والمقاومة.
وحتى تجاوز هذه التحديات والمعوقات، لا خيار سوى الذهاب إلى مشروع المقاومة والتحرير قبل إنهاء الانقسام، بل إن مشروع المقاومة والتحرير هو الذي سينهي الانقسام، فوحدة الشعب الفلسطيني وطلائعه المجاهدة وقواه المناضلة وحركته الوطنية في ميدان الجهاد والثورة والمقاومة هي الوحدة الحقيقية التي يلتحق بها كل المؤمنين بمشروع المقاومة والتحرير من الشعب الفلسطيني والوطن العربي والأمة الإسلامية، في جبهة فلسطينية وعربية وإسلامية واحدة، بوصلتها القدس، وهدفها فلسطين، ونهجها المقاومة، وركيزتها الوحدة، وعدوها "إسرائيل"... وهذا يتطلّب من قوى المقاومة البدء بتشكيل "جبهة مقاومة إسلامية وطنية" تواصل مشروع المقاومة والتحرير ليكون مدخلاً للوحدة والتحرير معاً.

الانتخابات الإسرائيلية تَعيد إنتاج المأزق الصهيوني

كـــتب بتـــاريخ:

10 نوفمبر 2022م

انتهت الانتخابات الإسرائيلية بتقدم معسكر نتنياهو، على معسكر خصومه، وهي الانتخابات الخامسة داخل الكيان الصهيوني خلال 4 أعوام، وأفرزت كتلة حزبية يترأسها شخص مَتهَم بـــ 3 قضايا فساد من الدرجة الأولى.

وجود انتخابات عامة في الكيان الصهيوني طريقة ديمقراطية لتداول السلطة وتغيير القيادة وتجديد الإدارة. وهي أحد عوامل البقاء ومصادر القوة التي يتمتع بها الكيان. ويبقى الدعم الغربي والضعف العربي أهم أسباب الوجود واستمرار البقاء للكيان.

والانتخابات الإسرائيلية العامة، وإن كانت من عوامل القوة للكيان، فإنها، من خلال تكرارها وعجزها عن إفراز قيادة غير ملوثة بالفساد، أعادت إنتاج المأزق الصهيوني وزادت فيه عمقاً.
أحد جوانب المأزق الصهيوني هو مأزق النظام السياسي في الكيان الصهيوني الذي نتج منه إجراء 5 انتخابات عامة في 4 أعوام، فلم يعد هذا النظام قادراً على ولادة حكومة قوية تكمل مدتها الدستورية. وإذا تمت ولادة قيصرية للحكومة، فسرعان ما تنهار تحت تأثير ابتزاز الأحزاب الصغيرة، ولاسيما الدينية منها، فلقد انتهى عصر الأحزاب الكبيرة والمؤسسة والقائدة للكيان، وحلّت مكانها الأحزاب المتوسطة والصغيرة، والتي تتشكل بسرعة وتندثر بسرعة، والتي يصعب تكتلها ويسهل تفككها.

ولعلّ أهم مظهر للمأزق السياسي الإسرائيلي هو تمحور الحملة الانتخابية الحزبية الأخيرة حول شخص نتنياهو بين معسكرين، معه أو ضده، وليس حول القضايا المصيرية الكبرى للكيان الصهيوني، كالصراع على فلسطين أو "أرض إسرائيل"، وهوية "الدولة" وعلاقتها بالديانة اليهودية. ولعلّ العودة إلى نتنياهو، كخيار شعب لقيادة الدولة والشعب، تعني إفلاس الحركة الصهيونية والدولة العبرية من إفراز قائد جديد، كجيل الآباء المؤسسين، فتحول نتنياهو الفاسد، وفق المقاييس الإسرائيلية، إلى آخر "ملوك إسرائيل" إيذاناً بتفككها وزوالها.

المأزق السياسي للكيان الصهيوني، الذي أظهرته الانتخابات الإسرائيلية، هو الوجه السطحي من المأزق، الذي يخفي تحته طبقات من المأزق أكثر عمقاً، منها المأزق الأمني الوجودي للكيان، فهو آخر كيان استيطاني إحلالي عنصري في العالم، يعيش في وسط عالم عربي ـ إسلامي غريب عنه، ولا ينتمي إليه، ومعاد له، ويرفض وجوده، وينكر شرعيته، على رغم تطبيع بعض الأنظمة العربية السطحي. وهو الكيّان الوحيد في العالم، الذي يرى أن هزيمته العسكرية الحاسمة تمثل تهديداً لوجوده الفعلي كدولة، ولم يستطع، منذ أكثر من نصف قرن، تحقيق نصر عسكري واضح على رغم قوته العسكرية - التقليدية والنووية - الهائلة، وأخرج جيشه مهزوماً بقوة المقاومة من جنوبي لبنان وقطاع غزة، وعجز جيشه وأمنه عن توفير الأمن لمستوطنيه أمام عمليات الضفة وصواريخ غزة، حتى أصبح الكيان أكثر الأماكن خطراً على اليهود في العالم، الأمر الذي نقض الأساس الذي قام عليه المشروع الصهيوني وكيانه المغتصب لفلسطين.

المأزق الأمني الوجودي للكيان الصهيوني لم يكن ليوجد لولا وجود المقاومة من داخل فلسطين وخارجها، ولولا صمود الشعب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة من البحر إلى النهر. وهذا الوجود، الذي أصبح يساوي الوجود اليهودي الصهيوني، مقوضاً بذلك أحد أسس المشروع الصهيوني من الجانب الديموغرافي، لا يستطيع الجمع بين المحافظة على أغلبية يهودية في كل الأرض، ولا يستطيع الجمع بين إقامة دولة يهودية مع دولة ديمقراطية، ولا يمكنه الذهاب إلى دولة واحدة أو حل الدولتين... وهذا المأزق الديموغرافي سيتعمق في ظل صعود تحالف الصهيونية الأكثر تطرفاً في وجهيها القومي العلماني (الليكود) والقومي الديني (الصهيونية الدينية)، سواء أقيمت "دولة اليهود القومية العلمانية"، كما يرى "الليكود"، أو "الدولة اليهودية القومية الدينية"، كما ترى "الصهيونية الدينية".

التحالف الصهيوني العلماني والديني، والذي يقف على رأسه زعيم حزب الليكود بنيامين نتنياهو، مصاب بعمى الأيديولوجيا الصهيونية، فلا يرى حقيقة المأزق الصهيوني، ولا يدرك عمق التفكك الذي أصاب تلك الأيديولوجيا، مثل: تآكل الروح الطلائعية، وتراجع القيم الجماعية، ونزع القداسة عن المسلّمات الصهيونية، وعدم ذوبان التناقضات الداخلية، واستمرار الجدل الوجودي بشأن مستقبل "إسرائيل"، وهيمنة عصاب المصير القومي على النخبة، وتكاثر عدد أنبياء زوال "إسرائيل" في أوساط المفكرين والسياسيين اليهود الصهاينة. وهذا التحالف، في تطرفه، قومياً ودينياً، وبما يحمله من

عقدة التفوق القومي والاستعلاء الديني، سيزيد في التناقض داخل "المجتمع الإسرائيلي" في الكيان الصهيوني، ولاسيما بين العلمانيين والمتدينين، وبين الغربيين والشرقيين. والتطرف والتناقض هذان سوف يزيدان في الصراع والتفكك داخل الكيان الصهيوني.

تفكّك الكيان الصهيوني من الداخل لا يكفي لزواله، ولا يعني انتظار ذلك. فهذا التفكك هو العامل الذاتي، الذي سيساعد على هزيمة الكيان وزواله، كما قال الله تعالى في "سورة الحشر"، عن بني إسرائيل: "يَخْرِبُونَ بُيوتَهُمْ بِأَيْديهِمْ"، لكن العامل الأهم والرئيس موجود في تكملة الآية الكريمة "يَخْرِبُونَ بُيوتَهُمْ بِأَيْديهِمْ وَأَيْدي المُؤْمنين"، فلا بدّ من أيدي المؤمنين المقاومين لاستكمال دائرة النصر، وهم الموصوفون في آية أخرى بالإيمان والقوة، كما قال الله تعالى: "عِبادًا لَنَا أُولي بَأْسٍ شَديد"، وهؤلاء المقاومون لا بد من انتظامهم في جبهة فلسطينية تأخذ على عاتقها مواصلة مشروع الصمود والمقاومة والتحرير، مدعومة بجبهة عربية ـ إسلامية، بوصلتها القدس، وهدفها فلسطين، ومحورها المقاومة.

الإسلام والسياسة وبينهما مفاهيم مشتبهات

كـــتب بتـــاريخ:

17 نوفمبر 2022م

سمعت، مؤخراً، في ندوة حوارية أحد المشاركين يردد جملة "لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة"، في إطار نقده للفكر السياسي الإسلامي المعاصر والعمل السياسي للحركات الإسلامية، الجملة نفسها سمعتها مرات عديدة في خطابات الرئيس المصري الأسبق محمد أنور السادات في إطار صراعه مع جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه لم يتردد في استدعاء الدين لإضفاء الشرعية على عمل سياسي هو توقيع اتفاقية "كامب ديفيد" مع الكيان الصهيوني...

ولم يكن السادات والأنظمة العربية الحاكمة وحدهم يساهمون في شبهات العلاقة بين الإسلام والسياسة، فقد أجاد ذلك بعض الحركات الإسلامية، مثل: تحريم الانتخابات ثم تحليلها، وجواز الثورة في بلادٍ دون غيرها، ومهاجمة التطبيع الذي تقوم به أنظمة والسكوت عن غيرها.

هذه العلاقة الملتبسة بين الإسلام والسياسة أنتجت بعض المفاهيم المشتبهات التي باتت بحاجة إلى تصويب، منها: النظام السياسي، والخلافة الإسلامية، والدولة المدنية، والإسلام السياسي، وحاكمية الله.

مفهوم "النظام السياسي" في الإسلام ليس ديناً ثابتاً أو وحياً مقدساً لا يمكن تغييره، مثل العقيدة والشريعة والأخلاق؛ وإنما هو وضع بشري وإبداع إنساني، وإسلامية النظام السياسي نابعة من كفاءته في تحقيق المقاصد الإسلامية الثابتة، فهناك فرق بين النظام السياسي الإسلامي، وبين المرجعية التي يستند إليها، والمقاصد التي يسعى لتحقيقها، فالنظام السياسي يكون مدنياً بشرياً متغيراً ومتطوراً، والمرجعية هي القواعد الدينية والمبادئ السياسية التي يستند إليها، والمقاصد هي الرسالة والغايات التي يسعى النظام لتحقيقها، ومن أمثلة ذلك: الشورى كمبدأ يمكن أن يتحقق بنظام "أهل الحل والعقد" القديم، أو "النظام البرلماني" الحديث، والوحدة كمبدأ يمكن أن تتحقق بنظام "الخلافة الإسلامية" القديم، أو "النظام الفيدرالي" الحديث.

ومفهوم "الخلافة الإسلامية" هو نظام سياسي للحكم، ومؤسسة مدنية بشرية، أبدعتها الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لتحقيق مقاصد الدين ومصالح الأمة الدنيوية والأخروية، وأهمها: تحقيق فريضة الوحدة الإسلامية، وتطبيق الإسلام في حياة الأمة، وأساس الخلافة البيعة التي تتم برضى الأمة، وهي عقد بين الحكام والمحكومين يلتزم به الحكام وعلى رأسهم "الخليفة" بأن يسوسوا المسلمين بالحق والعدل والشورى والمساواة. ويلتزم المسلمون بالسمع والطاعة في المعروف.

وأي شكل للدولة الإسلامية يحقق هذه المبادئ يؤدي الغاية المقصودة من نظام الخلافة، أما التمسك بالشكل التقليدي النمطي لنظام الخلافة، وإعادة استنساخ الصورة التاريخية لها لإسقاطها على الواقع المعاصر فهما تشويه لنظام الخلافة الإسلامية، فنحن بحاجة إلى تصويب المفهوم ليتناسب مع واقع الأمة وروح العصر، مع المحافظة على مرجعيتها ومقاصدها ورسالتها الإسلامية.

ومفهوم "الدولة المدنية" ليس نقيضاً لمفهوم "الدولة الإسلامية"، ففي كليهما تكون السيادة للأمة، والشعب هو مصدر السلطات، بشرط أن تكون المرجعية للإسلام، ويكون الحكام فيهما نواباً عن الأمة والشعب في الحكم وليس عن الله تعالى، والأمة هي التي تختارهم وتراقبهم وتحاسبهم وقد تعزلهم إذا أخلّوا بشروط العقد. ومدنية الدولة الإسلامية تقوم على المؤسسات المحكومة بالقانون، والشورى هي آلية اتخاذ القرارات في جميع مؤسساتها، وتعتمد على التعددية السياسية والفكرية، والحرية الدينية والمذهبية في إطار ضوابط الدين، ولغير المسلمين كامل حقوق المواطنة، وعليهم كامل واجباتها، مثلهم في ذلك مثل المسلمين، كما نصت وثيقة المدينة "الصحيفة" في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) "لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين".

ومفهوم "الإسلام السياسي" أطلقه خصوم الحركات الإسلامية للإيحاء بأن السياسة دخيلة على الإسلام وليست منه، فمن الطبيعي أن تسعى الحركات الإسلامية لأن يكون للإسلام دور في حياة الناس ويستعيد رسالته الحضارية انطلاقاً من الفهم الشمولي الحضاري للإسلام كمنهج حياة ونظام حكم، وهذا عمل سياسي مشروع ككل الحركات الأيديولوجية المختلفة التي تسعى للوصول إلى السلطة لتطبيق نظريتها السياسية.

فالإسلام بدون فكر سياسي ينبثق منه عمل سياسي يسعى نحو تغيير واقع الناس ليكون منسجماً مع الإسلام غير موجود إلاّ في عقول من يريد إبعاد الإسلام عن حركة الحياة وتيار الحضارة ومسار التاريخ، وإذا كانت هناك مشكلة في "الإسلام السياسي" فهي في الفكر السياسي المنحرف والعمل السياسي الخطأ، الذي تكون نتيجته إما دفع المسلمين للتطرف تكفيراً وتقتيلاً، أو عدم دفعهم للثورة على الاحتلال والاستبداد والاستغلال، والظلم والفساد والتطرف.

ومفهوم "حاكمية الله" كمدخلٍ للتكفير والتقتيل، بدأ منذ أن رفع الخوارج شعار "لا حكم إلاّ الله" في وجه الخليفة الشرعي للأمة الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، والمشكلة في المفهوم ما زالت قائمة، لخّصها الإمام علي بقوله: "كلمة حق يراد بها باطل"، والحق يكمن في صوابية مضمونها (مرجعية الإسلام للحكم)، أما الباطل فيكمن في الفكر والتطبيق، ويتجسد في الخلط بين حكم الله واجتهاد البشر، واعتبار اجتهاد الجماعة هو حكم الله ومن يخرج عنه يحكم عليه بالكفر ويستحق القتل، والخلط بين: حاكمية الله المستمدة من القرآن والسنة كمرجعية، وسيادة الأمة متمثلة في اختيار نظام حكمها وحكامها، فحاكمية الله لا تصادر سيادة الأمة ولا سلطة الحاكم وفق مرجعية حاكمية الله.

السياسة في الإسلام تعني ببساطة أن يمارس المسلمون حياتهم الجماعية وفق التصور الإسلامي للحياة، وهو تصور أكثر شمولاً وسعةً وعمقاً من شعار (تطبيق الشريعة الإسلامية) الذي يرفعه بعض الحركات الإسلامية، وفهم المسلمين للإسلام وفق هذا التصور الحضاري الوسطي الثوري يعطيهم قوةً في الوعي والإرادة والعمل، تجعلهم يمتلكون زمام أمرهم ومصيرهم، ويمارسون جوهر إنسانيتهم وسيادتهم، متمثلاً في اختيار نمط حياتهم وحكامهم ونظمهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها... بطريقة منسجمة مع فطرتهم وعقيدتهم ومصلحتهم، وتكسبهم مناعةً ضد القابلية للاستعمار والاستحمار، وتعطيهم حصانة ضد الرضى بالاستخفاف والعبودية.

وبذلك نضمن ألا تكون السياسة هي مشكلة الدين، وألا يكون الدين هو ألعوبة السياسة، ليظل الدين ضابطاً للسياسة وموجهاً للسياسيين، بما يخدم مصلحة الشعب والأمة.

حوار المذاهب الإسلامية بين التقريب والتعايش

كــتب بتـــاريخ:

24 نوفمبر 2022م

أطلق شيخ الأزهر الإمام أحمد الطيب مبادرةً للحوار بين المذاهب الإسلامية في مطلع شهر تشرين الثاني/نوفمبر الحالي أثناء انعقاد "ملتقى البحرين للحوار" في المنامة، دعا فيها "علماء الدين الإسلامي كله، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ومدارسهم، إلى المسارعة لعقد حوار إسلامي – إسلامي جاد من أجل إقرار الوحدة والتقارب والتعارف، تَنبذ فيه أسباب الفرقة والفتنة والنزاع الطائفي على وجه الخصوص".

وخص بالمبادرة التقارب بين السنة والشيعة، فقال: "هذه الدعوة، إذ أتوجه بها إلى إخوتنا من المسلمين الشيعة، فإنني على استعداد، ومعي كبار علماء الأزهر ومجلس حكماء المسلمين، لعقد مثل هذا الاجتماع بقلوبٍ مفتوحة وأيدٍ ممدودة للجلوس معاً إلى مائدةٍ واحدة".

وقد رد عليه الدكتور حميد شهرياري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية مرحباً بالمبادرة، ومبدياً استعداده للحوار لتحقيق فكرة التقريب.

الدعوة إلى الحوار بين جناحي الأمة الإسلامية - السنة والشيعة - لتحقيق فكرة "التقريب" تحت عنوان "أمة إسلامية واحدة" هي دعوة قديمة متجددة. وقد ولدت استجابةً لتحديين واجها الأمة الإسلامية، أحدهما تحد خارجي يتمثّل بالمشروع الاستعماري الغربي المَهدد لوحدة الأمة الإسلامية عبر إسقاط نظام "الخلافةً الإسلامية" وتجزئة بلاد المسلمين، والآخر تحد داَخلي يتمثل بتزايد التباعد والتعصب بين المذاهب الإسلامية المَهدِد لوحدة الأمة الإسلامية عبر إسًقاط مفهوم "الأمة الإسلامية" وتفرقة شعوب المسلمين.

وكانت فكرة "التقريب" الوجه الآخر لفكرة "الجامعة الإسلامية" وامتداداً لها في مواجهة التجزئة الخارجية والتفرقة الداخلية، وكان الأزهر، ولا يزال، رائداً في احتضان الفكرة عبر علمائه وشيوخه الذين ساهموا في تأسيس مؤسسة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة عام 1947 وتفعيلها،

وظلّت الفكرة حاضرة في الأزهر حتى بعد إغلاق الدار رسمياً في عهد السادات عام 1979، رغم ضجيج التحريض المذهبي الأسود عند المتعصبين من الطرفين. وإلى جانب الأزهر، حمل لواء التقريب المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، الذي أسس عام 1990 على عين إيران الفكرة والثورة والدولة.

وعلى الرغم من صواب فكرة التقريب وسمو هدفها، فهي ما زالت فكرة غير واضحة، وهدفاً غير واقعي، فالمفهوم المرتبط بفكرة التقريب يشير إلى تنازل كلّ مذهب عن بعض آرائه وقناعاته ومعتقداته في العقيدة والفقه والفكر للالتقاء في نقطة الوسط، وهذا كهدف غير قابل للتطبيق وغير ممكن الإنجاز، ودون تطبيقه وإنجازه جبال من العوائق العقيدية والفقهية والفكرية والسياسية والنفسية، راسخة في العقل والقلب والنفس والتاريخ والسياسة.

هذا ما أثبتته التجارب التاريخية المعاصرة، والأقرب وضوحاً وهدفاً هو فكرة "التعايش"، بمعنى أن يعيش المسلمون على اختلاف مذاهبهم وفرقهم كأفراد وجماعات ومجتمعات وشعوب ودول إلى جانب بعضهم بعضاً بأمن وسلام واستقرار وطمأنينة، في جو من التفاهم والتوافق والتعاون، وبأي شكل من الوحدة كأمة إسلامية واحدة من دون صراع وتناحر وقتال، وبأسلوب من التعايش السلمي لا يكونون ملزمين فيه بالتنازل عن مذاهبهم والذوبان في الآخر، ولكنهم يكونون ملزمين باحترام الرموز الدينية والحفاظ على الأصول الإسلامية، وتقديم الانتماء إلى الأمة الإسلامية على الانتماء إلى الجماعة المذهبية، وعدم تضخيم الذات الجمعية المذهبية (الفرقة أو الطائفة) على حساب الذات الجمعية الإسلامية (الشعب أو الأمة).

مفهوم "التعايش" يقوم على أساس إحالة الفصل في الخلافات الراسخة بين الفرق والمذاهب إلى الله تعالى ليحكم بين الناس يوم القيامة، كما قال تعالى: {فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}، والتعامل مع خلافات صدر الإسلام وفق منهجية قرآنية عمادها قوله تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، لينشغل المسلمون المعاصرون في إعمار دنياهم كطريقٍ لإعمار آخرتهم، ولا تعمر دنياهم إلا بوحدتهم كأمة.

والوحدة تبدأ بالتعايش وفق منهجية الالتقاء على "الكلمة السواء" المذكورة في قوله تعالى: {تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}، تجمع الأمة على الأصول الموحدة والقواسم المشتركة التي أكدها المفكر الشهيد فتحي الشقاقي في دراسته المنشورة في مجلة "الطليعة الإسلامية" عام 1982 بعنوان "السنة والشيعة.. ضجة مفتعلة ومؤسفة"، مشيراً إلى جماعة التقريب في القاهرة: "لقد اتفقوا على أن المسلم هو من يعتقد بالله رباً، وبمحمد نبياً ورسولاً لا نبي ولا رسول بعده، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة وبيتاً محجوباً، وبالأركان الخمسة المعروفة، وبالإيمان بالبعث وبالعلم بما هو ضروري في الدين".

وبذلك، تكون الأصول الموحدة التي تؤسس لقاعدة "التعايش" هي: الانتماء إلى الدين الإسلامي والأمة الإسلامية، وعبادة الله الأحد، واتباع الرسول الخاتم، والتسليم بالقرآن والسنة مصدراً أساسياً للإسلام والتشريع، والإيمان بأركان الإيمان والإسلام، ووحدة العبادات وأصول المعاملات، وقبلة الصلاة الواحدة (مكة)، وقبلة الجهاد الواحدة (القدس)، والقضية المركزية الواحدة (فلسطين).

وفي إطار التعايش بين المذاهب الإسلامية، قدم الشيخ محمد الغزالي بصفته أحد علماء الأزهر مبادرة للتقارب والوحدة بين السنة والشيعة تحت عنوان "مبادئ على طريق التصالح والإخاء" في كتابه "دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين" في الربع الأخير من القرن العشرين.
المبادرة تتكون من 4 بنود:

البند الأول يؤكد الاتفاق على "أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد والمصدر الأول للتشريع، وأن الله حفظه من الزيادة والنقص وكل أنواع التحريف".

البند الثاني يؤكد الاتفاق على "أن السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والرسول أسوة حسنة لأتباعه إلى قيام الساعة، والاختلاف في ثبوت سنة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية".
البند الثالث يؤكد أن "ما وقع من خلاف في القرن الأول يدرس في إطار البحث العلمي والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل يجمد من الناحية العملية تجميداً تاماً ويترك حسابه على الله".

البند الرابع يخص المستقبل، وفيه "يواجه المسلمون جميعاً مستقبلهم على أساسٍ من دعم الأصول المشتركة - وهي كثيرة جداً - وعلى مرونةٍ وتسامحٍ في الفروع الفقهية شتى ووجهات النظر المذهبية الأخرى".

المبادئ التي وضعها الشيخ محمد الغزالي على طريق التصالح والإخاء والتعايش بين السنة والشيعة إيماناً بوحدة الأمة الإسلامية تتطلب السعي نحو تحقيق شرطين:
الأول: إزالة كلّ أشكال التباعد والصراع بين المذاهب الإسلامية، وكل ما يؤدي إليهما، مثل الجهل والتعصب والتطرف والقطيعة والجمود والانغلاق والتعدي على الرموز الدينية.

ا لثاني: إيجاد كلّ أشكال التقارب والتعايش بين المذاهب الإسلامية وكل ما يؤدي إليهما، مثل: العلم والتسامح والاعتدال والتواصل والمرونة والانفتاح واحترام الرموز الدينية.

ويبقى جوهر فكرة تعايش أهل القبلة هو "قاعدة المنار الذهبية" للسيد رشيد رضا، وهي: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه". وقبلهما وبعدهما، لا بد من الحوار نهجاً للتعارف والتقارب والتعايش.

مونديال قطر بيــن صراع الحضارات وتعارفها

كـــتب بتـــاريخ:

1 ديسمبر 2022م

بعد ما يقرب من قرنٍ مضى على إبحار سفينة بطولة كأس العالم في كرة القدم (المونديال)، رست سفينة المونديال بأمان، لأول مرة، في ميناء دولة عربية وإسلامية، هي قطر، وبعد أكثر من عقدٍ من انطلاق قطار الحملة الغربية الشرسة لسحب تنظيم قطر لمونديال 2022، وصل قطار مونديال قطر بسلام إلى محطته الأخيرة بالافتتاح والمباريات.

وقد تركزت محاور الحملة الغربية ضد قطر على:

- نزع شرعية تنظيم قطر للمونديال بإلقاء تهمة الفساد على قرار "الفيفا" إسناد البطولة إليها.
- نفي قدرة قطر كدولة عربية صغيرة على تنظيم البطولة كفعالية رياضية كبيرة.
- ضرب مصداقية قطر الأخلاقية بادعاء انتهاكها لحقوق العمال الأجانب.
- تصوير قطر كدولة "متخلّفة" عن قيم "التحضر" الغربية المتعلّقة بحرية الشواذ "المثليين" وشرب الخمور...

هذه الحملة الغربية التي شارك فيها سياسيون وإعلاميون ورياضيون وحقوقيون من مختلف الدول الأوروبية تتطلب البحث في خطورتها وجذورها في إطار التناقض بين نظريتي صراع الحضارات في الغرب وتعارف الحضارات في الإسلام.

خطورة الحملة الغربية ضد مونديال قطر تكمن في تنصيب الغرب نفسه سيداً على العالم ليكون: حكماً للأخلاق، ومعياراً للقيم، وميزاناً للحقيقة، ومقياساً للحضارة. لأنه - بزعمه - يملك: النموذج الأخلاقي الأمثل، والمنظومة القيمية الأسمى، والحقيقة المطلقة الأصدق، والمثال الحضاري الأرقى.. وعلى العالم أن يحتذي به ويتبعه في كل ذلك، ومن هذه العقيدة الفوقية انطلق السياسي الإسباني جوزيف بوريل، ممثل الاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية، ليؤكدها بقوله: "أوروبا حديقة العالم.. وأغلب بقية العالم غابة"، مستثنياً الدول التي أنشأتها أوروبا في العالم بعد إبادتها وتهجيرها واستعباد سكانها الأصليين.

وبهذه النظرة الفوقية ترى أوروبا نفسها وامتداداتها الاستعمارية من أستراليا ونيوزيلندا إلى أميركا وكندا مروراً بـ"إسرائيل" مركزاً للعالم ومنبعاً للحضارة، بينما بقية العالم هامش متخلف عليه أن يتبع

المركز الحضاري للعالم، حتى لو كانت أخلاق المركز انتهازية ميكافيلية، وقيمه شاذة إباحية، وحقيقته أحادية مطلقة، وحضارته مادية استعلائية.

رؤية السياسي الإسباني جوزيف بوريل المعبرة عن الغرب الأوروبي ومستعمراته في الزمن الحاضر والتي لخّصها في نظرية "الحديقة والغابة" الجديدة، هي إعادة إنتاج لرؤية الفيلسوف اليوناني

أرسطوطاليس، المعبرة عن كل الأوروبيين والغرب في الزمن الغابر، والتي لخّصها مخاطباً تلميذه الإسكندر الأكبر: "ثقافتنا هي الأفضل، حضارتنا هي الأفضل، رجالنا هم الأفضل، وكل الآخرين برابرة". وبهذه الروح العنصرية الاستعلائية الغربية، انطلق الإسكندر الأكبر اليوناني الوثني غازياً الشرق، وانطلق هرقل الأكبر الروماني مجتاحاً الشرق، وسار على دربهما كل الغزاة القادمين من الغرب، أمثال: فريدريك الأول الألماني الصليبي، ونابليون بونابرت الفرنسي الكاثوليكي، وآدموند آلنبي البريطاني الإنجيلي، وجورج بوش الابن الأميركي البروتستانتي...

وبالروح نفسها، عمد فلاسفة أوروبا ومنهم جورج هيغل وديفيد هيوم وإيمانويل كانط إلى تأصيل فكرة تفوق العرق الأبيض والحضارة الأوروبية، وعمد علماء أوروبا ومنهم آدم سميث وتشارلز داروين وهربرت سبنسر إلى التنظير لفكرة الصراع وحتمية سيطرة الأغنى والأصلح والأقوى، فأنتجت فلسفتهم وعلمهم: النازية، والفاشية، والعنصرية، والإمبريالية، والصهيونية، والعولمة.

الفلسفات والنظريات التي تؤصل للصراع وتَنظّر للاستعلاء أعطت الغرب أحقية حسم الصراع لمصلحته، وصلاحية قيادة العالم باستعلاء؛ لكونه الأفضل عرقياً والأرقى حضارياً، وقد أعاد تأكيدها المؤرخ البريطاني الأميركي باري بوزان في أطروحته حول "المركز والأطراف" عام 1991 التي قسم فيها العالم إلى مركز "متحضر" هو الغرب، وأطراف "متخلفة" هي بقية العالم، والمركز مهدد بزحف الهجرة من الأطراف، وبالصراع الحضاري بين الغرب والإسلام. ولخّصها الفيلسوف الأميركي فرانسيس فوكوياما في أطروحته حول "نهاية التاريخ" عام 1992 والتي عدّ فيها ما وصل إليه الغرب بقيمه الليبرالية ونظامه الرأسمالي قمة الحضارة الإنسانية، وأن المشكلة الأساسية بالنسبة إلى الغرب هو الصراع مع الإسلام كحضارة متناقضة معه. ووضحها المفكر الأميركي صاموئيل هنتنغتون في أطروحته حول "صدام الحضارات" عام 1996م، إذ رأى فيها أن الغرب هو مركز الحضارة العالمية

وحتمية خضوع الآخرين لها لا سيما الحضارتين الإسلامية والصينية؛ فَشَرعن بذلك العدوان الغربي بقيادة أميركا على العالم، وحمل الرئيس الأميركي الحالي، جو بايدن، كل هذا الإرث للصراع الحضاري الغربي وسجله في مقاله في أثناء حملته الانتخابية بعنوان "لماذا على أميركا أن تقود العالم؟".

صراع الحضارات الغربي هو الأرض التي نبتت فيها شجرة العنصرية والاستعلاء الغربية، فأنتجت ثمارها المرة بطعم الكراهية ورائحة العدائية، التي أكل منها الأوروبيون الذين تولوا الحملة الغربية المعادية لمونديال قطر، فكان الرد الواضح عليها والبديل الحضاري لها من مونديال قطر نفسه عندما افتتح الشاب القطري المبدع غانم المفتاح المونديال بالآية الكريمة: "يَا أَيهَا النّاس إنّا خَلَقْنَاكُم مَن ذَكَرٍ وَأنثَى وَجَعَلنَاكَمْ شعُوباً وَقبائل لتعَارَفوا، إنّ أكْرمَكَمْ عندَ الله أتقَاكَم، إن اللّهَ علَيمٌ خَبير". وهي الآية القرآنية التي وضعت الأساسَ لنَظرية "تعارف الحضارَات" الإسلامية كرؤية أصيلَة للتعايش السلمي بين شعوب العالم وتعارف حضاراتهم.

نظرية "تعارف الحضارات" تقوم على أسس هي:

- إن الله خلق الناس مختلفين: "ولَوْ شَاءَ ربّكَ لَجَعَلَ الناس أمّةً واحدَةً، ولَا يَزَالُونَ مُخْتَلفين".
- خلق الله الناس أحراراً "ولَوْ شَاءَ ربّكَ لآمَن مَن في الأرض كلّهم جَميعاً، أفَأنتَ تكْرِهُ الناس حَتّى يَكُونوا مؤْمنين".
- وخلقهم مختلفين وأحراراً ليتعارفوا "وَجَعَلنَاكمْ شعُوباً وَقبائل لتَعَارفَوا"، فأصل العلاقة بين الناس المختلفين والأحرار هو التعارف الإنساني القائم على مبادئ: الوحدة الإنسانية " يَا أَيهَا النّاس"، والأصل الإنساني الواحد "إنّا خَلَقْنَاكُم مَن ذَكَرٍ وأنثَى"، والتنوع الإنساني "وَجَعَلنَاكمْ شعُوباً وَقبائل"، وعلاقة التعارف الإنساني "لتَعَارفَوا"، التعارف القائم على: تبادل المعرفة والخبرة، واستمرارية الاتصال والتواصل، وديمومة التضامن والتعاون.

وبنظرية التعارف الإسلامية، البديل الأصيل لنظرية الصراع الغربية، يتم تقديم مفاهيم: تفاعل الحضارات على تصادم الحضارات، وتدافع الحضارات على تطاحن الحضارات، وتعارف الشعوب على تنافر الشعوب، وتلاقح الثقافات على تناقض الثقافات، ومراكمة الإنجازات البشرية على إلغاء إنجازات الآخرين، وقيم الأخوة الإنسانية على قيم التفوق العنصرية، والالتقاء على كلمة سواء والقواسم المشتركة على فرض الكلمة والنموذج الأوحد.

العروبة تَبعث من جديد في مونديال قطر

كــتب بتـاريـخ:

8 ديسمبر 2022م

ظن البعض أن روح العروبة خرجت من الجسد العربي، حتى عادت من جديد إليه في مونديال قطر، فالروح التي خرجت من بوابة السياسة بسبب الأنظمة الحاكمة والحدود المفروضة عادت من بوابة الرياضة في مونديال قطر، وبعثت الحياة من جديد في الجسد العربي.

علامات الحياة في هذا الجسد تتمثل بالتفاف الجماهير العربية حول منتخبات قطر والسعودية وتونس والمغرب، بتشجيعها أثناء المباريات، والفرح عند فوزها، والحزن عند خسارتها، وآخرها ابتهاج العرب من المحيط إلى الخليج بتأهل منتخب المغرب لدور ربع النهائي لكأس العالم بعد فوزه على المنتخب الإسباني.

وكذلك، يعد حضور فلسطين كقضية جامعة لكل العرب في مونديال قطر من علامات عودة الروح وبعث الحياة في الجسد العربي. برز هذا الحضور من خلال رفع المشجعين العرب علم فلسطين، ووضع الكوفية الفلسطينية، والهتاف لفلسطين، ومقاطعة الإسرائيليين وإعلامهم، ومواجهتهم بعبارة: "ما في شي اسمه إسرائيل. هذه فلسطين"، التي أطلقها مشجعون من كل الجنسيات العربية. هذا البعث الجديد للعروبة في مونديال قطر يقتضي العودة إلى ماضي العروبة ومستقبلها.

نشأت العروبة كهوية قومية في النصف الأول للقرن العشرين، نتيجة مجموعة عوامل، أهمها رد الفعل على سياسة التتريك الطورانية العثمانية، تزامناً مع النهضة الفكرية العربية، واقتراناً بحركات التحرر من الاستعمار العربية.

وقد تبلورت كمشروع سياسي في النصف الثاني للقرن العشرين نتيجة سلسلة أحداث، أهمها ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، وثورة الضباط الأحرار (23 تموز/يوليو) في مصر، ونكبة فلسطين عام

1948، وفشل العدوان الثلاثي على مصر، واندلاع ثورة الجزائر على الاحتلال الفرنسي، وقيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا.

تبنت العروبة كهوية قومية ومشروع سياسي تيارات قومية، أهمها حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي والتيار القومي الناصري، فسرت روح العروبة في الجسد العربي الممتد من المحيط إلى الخليج، وعبر الفن عن هذه الروح القومية، ولا سيما فن الأغنية العربية.

برزت روح العروبة في مئات الأغاني العربية، ولا سيما في مصر والشام، فغنى محمد سلمان: "لبيك يا علم العروبة كلنا نفدي الحمى"، وغرد كارم محمود: "أمجاد يا عرب أمجاد في بلادنا كرام أسياد"، ولحن محمد عبد الوهاب أوبريت "وطني حبيبي الوطن الأكبر، يوم ورا يوم أمجاده بتكبر".

وحضرت فلسطين في أغاني العروبة، فدعت أم كلثوم إلى المقاومة والتحرير: "أصبح عندي الآن بندقية إلى فلسطين خذوني معكم"، وبشّرت فيروز بحتمية العودة: "سنرجع يوماً إلى حينا.. سنرجع مهما يطول الزمان".

وكما عبر الفن عن روح العروبة في سنوات إشراقها، فقد عبر عنها في سنوات غروبها، فكان أوبريت "الحلم العربي" في نهاية القرن العشرين خير تعبير عن ذلك الغروب بعدما أصبحت العروبة من ذكريات الماضي المدفون وأحلام المستقبل المكنون، كما صرحت كلمات الأوبريت، ومنها: "أجيال ورا أجيال هنعيش على حلمنا... دا حلمنا طول عمرنا حضن يضمنا كلنا"، فعبرت عن تحول العروبة من مشروع قريب المنال إلى حلم في الخيال، بفعل أحداث جعلته في حكم المحال.

أهم هذه الأحداث كان فشل مشروع الوحدة العربية بين مصر وسوريا، وضياع بقية فلسطين بعد النكبة الثانية في حزيران/يونيو، وانهيار التيار القومي الناصري بوفاة زعيمه جمال عبد الناصر، وتفكك حركة القوميين العرب، وانقسام حزب البعث العربي الاشتراكي بين سوريا والعراق، وسقوط النظام العربي الرسمي بعد اتفاقية "كامب ديفيد" وحرب الخليج الثانية، وتدجين الحركة الوطنية الفلسطينية بقيادة المنظمة بعد اتفاقية أوسلو...

وعندما وصلنا إلى مطلع الألفية الثالثة، تبخّر "الحلم العربي" نفسه تحت شمس التطبيع الحارقة، أو هكذا خَيل إلى النخبة العربية الحاكمة والمرتبطة بها، المهزومة نفسياً، والمستلبة عقلياً أمام

الاستعمار الصهيو- أميركي، فكفروا بالعروبة هويةً ومشروعاً، ورفعوا شعارات ظاهرها الوطنية وباطنها اللاوطنية، مثل: مصر أولاً، ولبنان أولاً، والسعودية أولاً... ونشروا تدوينات غبية بنكهة صهيونية، مثل: "فلسطين ليست قضيتي"، وكتبوا مقالات تَنظّر لفوائد التجزئة القطرية وتشرعن وجود "الدولة" العبرية.

وجود العروبة لدى الجماهير العربية كهوية وعاطفة وحلم جيد ومطلوب، ولكنه لا يكفي، فلا بد من تحول الهوية إلى مشروع قومي، والعاطفة إلى برنامج سياسي، والحلم إلى خطة عمل. وقبل كل ذلك، من الضروري تحديد مضامين مشروع العروبة السياسي، ورسالة العروبة الحضارية، وقضية العروبة المركزية.

مشروع العروبة السياسي هو "الوحدة"، فالوحدة كمشروع قومي للعروبة ترتبط بجذور عميقة راسخة مستمدة من وحدة اللغة والثقافة والحضارة والتاريخ والجغرافيا والتحديات والمصالح، وتستند إلى وحدة المشروع الغربي الاستعماري ضد الأمة العربية والإسلامية، القائم على تجزئة الوطن العربي، ليسهل على الغرب السيطرة العسكرية والهيمنة السياسية عليه، وليتمكّن من النهب الاقتصادي والإلحاق الثقافي.

ومشروع التجزئة الا ستعماري يتطلّب مواجهته بمشروع الوحدة العربية في إطار الدائرة الإسلامية، للتحرر من الاستعمار الغربي بكل صوره المباشرة وغير المباشرة. هذا المشروع الوحدوي العربي من شأنه أن يبعث الروح في الأمة، فيشحذ الهمم، وينير الوعي، ويوحد الصفوف، ويفجر الطاقات، ويطلق الإبداعات، فتعود خير الأمم من جديد.

رسالة العروبة الحضارية هي "الإسلام"، فالإسلام كرسالة حضارية للعروبة مستمد من قوة العلاقة بين الإسلام والعروبة، فكتاب الإسلام القرآن الكريم هو كتاب عربي اللسان، ونبي الإسلام محمد - صلّى الله عليه وسلم - عربي، وبلد الإسلام الجزيرة العربية كمصدر للإشعاع الحضاري للعالم هو بلد عربي.

والإسلام هو الرسالة الخالدة التي جعلت للعرب ذكراً والعروبة مجداً، وجعلت لهم حضارة إنسانية راقية، فالإسلام هو المحتوى الحضاري للعروبة والمضمون الحي للقومية العربية، وكما قال ميشيل عفلق – مؤسس حزب البعث – عن رسالة العروبة: "إن العروبة من غير الإسلام مفهوم سلبي. ومن

دونه، تبقى القومية العربية قالباً أجوف فارغاً، والإسلام هو المضمون الحي الثوري للقومية العربية"، وكما قال فتحي الشقاقي – مؤسس حركة الجهاد – عن العلاقة بين العروبة والإسلام، إن العروبة هي اسمنا ولوننا وجلدنا وأرضنا، والإسلام هو روحنا وهويتنا، "لقد سرقت الأرض من تحت أقدامنا، فيما نحن مشغولون بإلهيات الصراع بين العروبة والإسلام".

قضية العروبة الأولى هي فلسطين؛ ففلسطين قضية مركزية للعروبة، بسبب ارتباطها بمكانة القضية الفلسطينية القومية والدينية، بما لها من قداسة في الدين، وعمق في التاريخ، ومركزية في الصراع، وتأثير في الواقع، وأهمية للمستقبل.

وما دامت "إسرائيل" مركز المشروع الغربي الاستعماري ورأس حربته ضد الأمة العربية والإسلامية، ولأن العروبة - كما الإسلام – تعيش التحدي المركزي في فلسطين، فلا خيار سوى أن تكون فلسطين مركز المشروع القومي العربي المنسجم مع المشروع الإسلامي العالمي.

هذا يعني أن القضية الفلسطينية مرتبطة بكل قضايا العرب والمسلمين، والتخلّص من واقع التجزئة والتخلّف والتبعية وإنجاز مشروع الوحدة والنهضة والاستقلال مرتبط بإنجاز مشروع تحرير فلسطين، فهما أمران متكاملان يهيئ أحدهما للآخر، كما قال ميشيل عفلق: "كل معركة تخوضها الجماهير العربية ترتبط بمعركة فلسطين تؤثر فيها وتتأثر بها"، وكما قال فتحي الشقاقي: "أصبحت فلسطين قضية العرب المركزية، والعمل من أجل تحريرها أصبح معياراً لإخلاص الجميع لقضايا القومية".

العروبة تَبعث من جديد في مونديال قطر كروح وعاطفة وهوية، بعدما خَيل إلى البعض أن الروح ماتت، والعاطفة خمدت، والهوية طمست. وعودة الروح وتأجج العاطفة وبروز الهوية أشياء مطلوبة للعروبة، ولكن ما هو مطلوب أكثر هو أن يكون للعروبة مشروع سياسي هدفه الوحدة، ورسالة حضارية مضمونها الإسلام، وقضية مركزية عنوانها فلسطين.

الفقـر والوعي والثورة

كـــتب بتـــاريخ:

16 ديسمبر 2022م

تنتهي رواية "الحرافيش" للأديب الكبير نجيب محفوظ بثورة الحرافيش على حكم فتوة الحارة الطاغية، والحرافيش هم طبقة مسحوقة من الكادحين الفقراء في الحارة المصرية كان الفتوة يسلبونها عرقها ومالها. ومن خلال أحداث وحوارات الرواية وضّح نجيب محفوظ رؤيته للعلاقة بين الفقر والوعي والثورة، مجيباً عن سؤال، من الذي يصنع الثورة، الفقر أم الوعي؟

فقد ظلّ الحرافيش مستكينين دهراً من دون أن يثوروا على الطغاة المتعاقبين على حكم الحارة، ولم يثوروا إلا بعد أن نشر عاشور الناجي -بطل الرواية- الوعي الثوري بينهم، ونقطة البدء كانت في الحوار الذي دار بين عاشور الناجي وأخيه، بعدما صفع حسونة السبع -فتوة الحارة- أمهم على وجهها، فقال له أخوه: " لولا أننا صرنا حرافيش ما تعرضت آمنا للإهانة"، فرد عليه عاشور الناجي "حرافيش أم وجهاء ستدرك الإهانة دائماً من يتقبلها"، وبمفهوم المخالفة لن تدرك الإهانة من يرفضها، ورفض الإهانة والظلم يسبقه الوعي.

الرفض القائم على الوعي للإهانة والظلم هو الأرض التي تدفن في باطنها مخزون الغضب الشعبي المتراكم، حتى إذا ما تأججت نار الثورة انفجرت كالبركان تحرق الطاغية وتدمر منظومة الاستبداد والفساد، وهذا ما أدركه عاشور الناجي عندما نشر الوعي الثوري بين الحرافيش، فبدد وهم انتظار البطل المخلّص الساكن في عقولهم واستبدله بالبطولة الشعبية ليتولوا بأنفسهم تغيير حالهم السيئ بالثورة، وكسر حاجز الخوف من الطاغية المزروع في قلوبهم لينفجروا بشجاعة في وجه الطاغية وعصابته كالبركان الثائر، ونزع من نفوسهم مرض القابلية للاستحمار فانقلبوا بوعي ثوري يزودهم المناعة المقاوِمة للاستحمار والاستعمار، والمحصنة من الإذلال والاستغلال، والرافضة للإهانة والاستخفاف

شرط الوعي بين الفقر والثورة أكده المفكر الشهيد، فتحي الشقاقي، في دراسته لثورة الشيخ الشهيد، عز الدين القسام، بعنوان: (القسام.. الرائد الأول لطلائع الحركة الإسلامية في فلسطين)، فذكر أن

القسام كان ينشر أفكاره الجهادية بين العمال والفلاحين والباعة، وهم فقراء الشعب الفلسطيني آنذاك، وعلّل ذلك بقوله: "إن القسام كان يرى في العمال والفلاحين أصدق الفئات وأكثرها استعداداً للبذل والتضحية"، ولكن الشقاقي استنبط من ثورة القسام أن الفقر وحده لا يصنع ثورة، ولا حتى مجرد الإحساس بالظلم الناتج عما سماه "القهر الاقتصادي"؛ فلا بد من الوعي بالفقر والظلم؛ فعلل ثورة القسام بقوله: "الإيمان في قلوب هذه الطليعة، والوعي لخطر التحدي والمعركة كانا العامل الأهم للثورة"، فالثورة عند الشقاقي هي نتيجة لمعادلة تجمع بين الإيمان والوعي، والقهر الاقتصادي الناتج عن الفقر أحد مصادر وقودها، لاسيما في ثورة تجمع بين الجهاد الإسلامي، والتحرير الوطني، والنضال الاجتماعي.

إشهار سيف الثورة بعد وعي الظلم المسبب للفقر حدث متكرر في التاريخ البشري، لا سيما ضد أنظمة الحكم التي تجمع بين احتكار السلطة والثروة، أو تتحالف فيها النخبتان الحاكمة والمالكة، فينهض الفقراء المستضعفون بالثورة ضد الأغنياء المستكبرين، إدراكاً منهم بأن الفقير لا يجوع إلا بتخمة الغني، وقد يموت الفقير مخمصةً، فيما يموت الغني بطنةً، ولا ينتشر الفقر والحرمان في بلد ما إلا بانتشار البذخ والإسراف فيها، ولا تزداد الهوة بين الأكثرية البائسة والقلة المترفة إلا بازدياد الفجوة في توزيع الثروة بين طبقتي الميسورين والمعوزين، ولا يزداد الفقراء فقراً والأغنياء غنى إلاّ بمنعهم حقهم في مال الله المودع بيد الأغنياء، كما وضح ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما صنع أغنياؤهم".

وفهم الصحابي الثائر أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه- هذا التوجيه النبوي، فقال: "عجبت لمن لم يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه"، وهذا ما شرحه ابن حزم الأندلسي -إمام المذهب الظاهري- في كتابه (المَحلّى)، بقوله: "إذا مات الرجل جوعاً في بلد اعتَبر أهله قتلة، وأخذت منهم دية القتيل، وإن للجائع عند الضرورة أن يقاتل في سبيل حقّه في الطِّعام الزائد عند غيره، فإن قُتل (الجائع) فعلى قاتله القصاص، وإن قُتل المانع (الغني) لعنه الله لأنه منع حقاً وهو من الطائفة الباغية"، والأصل ألا يصل المجتمع المسلم إلى هذه الدرجة تطبيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي عملاً بنص الحديث النبوي "مَن كانَ معه فَضْل ظَهرٍ فَليعدْ به على مَن لا ظَهر له، ومَن كان له فضل زادٍ

فليعد به على من لا زاد له"، والأولى أن يكون الزاد والحاجات الأساسية لأفراد المجتمع مكفولة لهم بإيجاد فرص عمل للقادرين، وسد حاجات غير القادرين وفق منظومة التكافل الاجتماعي.

إذا كان حضور الوعي مطلوباً للثورة، فإن تغييب الوعي مطلوب للطغاة، الذين يعمل كهنتهم لترسيخ مفاهيم ومعتقدات تشرعن الفقر والتفاوت الطبقي والظلم الاجتماعي، ولذلك فإن تصويب هذه المفاهيم والمعتقدات المرسخة للفقر كحالة فردية ومنظومة اجتماعية مطلوب لخلق وعي رافض للظلم المؤدي إلى الفقر، ومن أمثلة ذلك: أهمية الوعي بالمشكلة الاقتصادية بأنها مشكلة سوء استغلال وإنتاج لموارد الطبيعة، وسوء استهلاك وتوزيع للثروات، وليس مشكلة ندرة الموارد الطبيعية التي أودعها الله تعالى في الأرض لتكفي كل البشر إلى يوم القيامة لقوله تعالى عن الأرض (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا)، وأهمية وعي المنهج النبوي في سد حاجات الفقراء بكرامة من خلال تمكينهم من امتلاك أدوات الإنتاج لإيجاد فرص عمل لهم تسد حاجاتهم، وليس بتقديم مساعدات مالية وعينية لهم تسد حاجاتهم موقتاً وتبقيهم متسولين مؤبداً، وأهمية تصويب عقيدة القضاء والقدر وعلاقتها بحرية الإنسان ومسؤوليته، وتصويب مفهوم التوكل على الله وربطه بالسعي والعمل، وتصويب حقيقة التفاوت الاقتصادي ووضعه في إطار التكامل الوظيفي والحراك الاجتماعي، وغير ذلك من الأمثلة.

العلاقة بين الفقر والوعي والثورة لخصها فيلسوف الثورة الاشتراكية، كارل ماركس، بقوله: "الفقر لا يصنع ثورة، إنما وعي الفقر هو الذي يصنع الثورة، الطاغية مهمته أن يجعلك فقيراً، وكاهن الطاغية مهمته أن يجعل وعيك غائباً". فوجود الفقر -من دون إحساس بالقهر ووعي بالظلم- لا يصنع ثورة ولا يحدث انفجاراً، ووجود الفقر والإحساس به كقهر اجتماعي لا يصنع ثورة، ولكنه يحدث انفجاراً شعبياً يفرغ مخزون الغضب والانتقام، وقد يحقق مكاسب جريئة موقتة لمصلحة الفقراء من دون أن يغير واقعهم جذرياً. ووجود الفقر والإحساس به كقهر اجتماعي، ووعيه كمنظومة حكم تصنع الفقر والظلم يصنع ثورة، إذا ما اكتملت شروطها تؤدي إلى تغيير جذري يفضي بدوره إلى تداول السلطة والثروة، ويحقّق العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، ويقضي على الاستبداد والفساد.

الكمبيوتر الرهيب وصناعة التفاهة

كــــتب بتـــاريخ:

22 ديسمبر 2022م

نشر الكاتب البريطاني لويس إلكسندر عام 1970م قصة بعنوان (الكمبيوتر الرهيب)، كانت مقررة علينا في المنهاج الدراسي المصري عام 1978م في الصف الأول الثانوي، القصة خيالية بطلها جهاز كمبيوتر ضخم بحجم الغرفة يمتلكه الجيش الأمريكي، صنعه ثلاثة مهندسين، ويوجهه قائد الجيش الأمريكي، والكمبيوتر الضخم يتحكم في كل أجهزة الكمبيوتر الصغيرة في العالم، ومن خلالها يتحكم في العالم. مع الوقت أصبح للكمبيوتر الضخم عقلاً مفكّراً وإرادةً فاعلةً وشهوةً جامحةً، جعلته يطمح لاحتكار التحكم في العالم وحده دون البشر، فوضع خطةً ونفذها بواسطة إصدار الأوامر لجنود الجيش الأمريكي للتخلّص وتصفية المهندسين الثلاثة لمعرفتهم بالرقم السري الذي يدمره، ثم تصفية قائد الجيش الأمريكي لمعرفته كلمة المرور التي تشغله وتوجهه؛ لينفرد بعد ذلك في التحكم بأجهزة الكمبيوتر الصغيرة المنتشرة في العالم، ومن خلالها يتحكم في العالم، ليتمكن من تغيير مسار الأحداث ونمط الحياة البشرية على كوكب الأرض.

ما تنبأ به مؤلف قصة (الكمبيوتر الرهيب) في الخيال مطلع سبعينيات القرن العشرين، تحقق بشكل ما في الواقع مطلع القرن الحادي والعشرين؛ فقد تحكمت تكنولوجيا الكمبيوتر في منظومة الحياة البشرية، مغيرةً نمطها وطبيعتها جوهرياً، ومبدلةً إيقاعها وصلاتها كَلياً، ومن أهم مظاهر التغير وسائل تحصيل الثقافة وتبادل المعرفة وتواصل الناس، فبعد أن كانت تعتمد على الوسائل الورقية تحولت إلى الوسائل الإلكترونية كَتباً وصحفاً ورسائل، لاسيما بعد التطور الهائل لأجهزة الكمبيوتر مادياً وبرمجياً، والتطور الكبير لشبكة المعلومات العالمية التفاعلية (الانترنت) على مستوى الخدمات والبرمجيات، هذا التطور الهائل والكبير خدم البشرية إيجابياً في مختلف المجالات الحياتية، ولكن صاحبه في نفس الوقت تطوراً سلبياً في صناعة التفاهة على منصات التواصل الإلكترونية.

صناعة التفاهة في الغرب الذي اخترع الكمبيوتر وابتكر الإنترنت عبر عنها الفيلسوف الكندي المعاصر (آلان دونو) في كتابه (نظام التفاهة)، ويعرف فيه نظام التفاهة بأنه: "النظام الاجتماعي الذي تَسيطر

فيه طبقة الأشخاص التافهين على جميع مناحي الحياة، وبموجبه تتم مكافأة الرداءة والتفاهة عوضاً عن العمل الجاد الملتزم"، من صفاته: تضخم النزعة المادية والاستهلاكية، واعتبار الإنسان مجرد شيء وسلعة بدون كرامة، وسيادة منطق الرأسمالية المتوحشة التي أحالت البشر إلى مجرد آلات مسخّرة لتحقيق فائض الإنتاج... وعبر عنها المفكر اللاتيني المعاصر (ماريو باراغاس) في كتابه (حضارة الفُرجة)، تحدث فيه عن: صناعة الرموز الرخيصة، وثقافة الاستعراض، وفكر التسطيح، وفن التهريج واللهو، وحلل فيه الثقافة الاستهلاكية كمنتج للرأسمالية، وانتقد التركيز على التسلية والموضة والجنس والإثارة في الإعلام، وهاجم من يقيمون وجودهم ودورهم ونجاحهم بظهورهم على منصات التواصل الاجتماعي عدد المتابعين والمشاركين والمعجبين.

إذا كانت صناعة التفاهة قد تغلغلت في الغرب فإن تغلغلها في غير الغرب أعمق، لاسيما في البلاد الأقل عملاً وإنتاجاً وإبداعاً، لارتباطها عكسياً بالعمل والإنتاج والإبداع، فكلما انشغلت الشعوب بالعمل والإنتاج والإبداع تراجعت صناعة التفاهة فيها، وكانت أهم مخرجات تلك الصناعة المدمرة الثرثرة اللغوية المنطوقة والمكتوبة، التي تزدهر عند الأمم التي غادرت العمل والإنتاج والإبداع إلى البطالة والإفلاس والإخفاق، فضربها العجز والكسل، وأقعدها الوهن والفشل، واستبدلت العمل بالقول، والتجديد بالتقليد، والتخطيط بالتخبيط، والإبداع بالاتباع، والابتكار بالتكرار. خاصة بعدما أصبح تبادل الثرثرة عبر الشبكة العنكبوتية أكثر سهولةً وسيولةً، وأسرع شيوعاً وذيوعاً وأقرب سفاهةً وبلاهةً، وكل ذلك القبح بفضل إبداع الغرب للكمبيوتر والإنترنت ليقوم (المسلمون) بتوظيفه في حملات التكفير والتسفيه ضد بعضهم البعض، وليوزعوا مَخرجات صناعة التفاهة ما بين ثرثرةٍ فارغةٍ وإشاعةٍ كاذبة، وما بين قولٍ بذيء واتهام مَسيءٍ.

صناعة التفاهة بواسطة الثرثرة على منصات (السوشيال ميديا) تتخذ أشكالاً عديدة، أهمها: تبادل المجاملات المزورة، وإظهار المشاعر المزيفة، وتملّق أصحاب النفوذ، وتقمص شخصيات الناجحين، وتضخيم الإنجازات الشخصية، وتغطية الإخفاقات الخاصة، وتعويض عقد النقص، وتصدير صورة مثالية للذات، وجلب الاهتمام والتعاطف، ولفت الانتباه والأهمية،، والقيام بدور الأستاذ الحكيم...

ولذلك تَعتبر منصات (السوشيال ميديا) منبراً للنفاق والخداع الاجتماعي، ومنصةً للعَري الأسري، والأفكار الشاذة، والمحتويات السخيفة، والفضائح المثيرة، والمنشورات البذيئة، والصور المبتذلة، والفيديوهات الرديئة... وأكثر الأماكن التي يوجد فيها تناقض بين شخصية الإنسان الحقيقية الواقعية

وشخصيته المزيفة الافتراضية، والتي يوجد فيها تناقض بين ما يعمله الإنسان في العالم الفعلي، وما يقوله في العالم الافتراضي.

هذه الأشكال من مخرجات صناعة التفاهة يقف وراءها دوافع نفسية عديدة لاسيما في المجتمعات الأقل عملاً وإنتاجاً وإبداعاً، والأكثر إحباطاً وإخفاقاً وبؤساً، وأهم هذه الدوافع النفسية اللاشعورية التفريغ الانفعالي، ليخرج الإنسان المقهور من باطنه: طاقة الغضب المقموعة، ومخزون الغرائز المكبوتة، وطبقات العقد المدفونة، وأكوام الإحباطات المكدسة، وكم الأحلام الموءودة... ويساعده في هذا التفريغ الانفعالي توهمه بأنه فعل الشيء المرغوب لمجرد أنه قاله، واكتسب الصفة الحسنة لمجرد أنه ادعاها وانتقم من خصمه لمجرد أنه شتمه، وهذا كله يعطيه شعوراً وهمياً بالراحة، ويمنحه إحساساً خادعاً بالسعادة.

ومن الدوافع النفسية اللاشعورية التي تقف وراء حب الناس لنشر ومتابعة الفضائح والإشاعات والأخبار التي تكشف عورات الناس وتهتك أعراضهم وتسيء لسمعتهم، وهي راحة الشماتة بالآخرين، كما يقول أنيس منصور في كتابه (كيمياء الفضيحة): "الناس تسعدهم الفضيحة، فهي فرصة للشماتة بالآخرين، الفضيحة هي الصرف الصحي للعلاقات الإنسانية"، وفضائح الناس تعطي الشخص إحساساً بالأفضلية والتعالي على الآخرين، كما أن مصائب الناس تَعطي شعوراً خفياً بالراحة لأن تلك المصيبة تخطتنا وذهبت للآخرين.

وأخيراً منذ أن نشر لويس إلكسندر كتابه (الكمبيوتر الرهيب)، وخلال نصف قرن من الزمن تطورت أجهزة الكمبيوتر وشبكة الإنترنت ومنصات السوشيال ميديا، وتطورت معهم الحياة البشرية إيجابياً في كثير من المجالات، ولكنها تغيرت سلبياً في مجالات أخرى، أفرزت صناعة التفاهة والتافهين، وهذا ما تنبأ به رسول الله وخاتم النبيين محمد - صلىً الله عليه وسلم - في حديث السنوات الخداعات التي ستأتي على الناس عندما تندثر الثقافة الأصيلة، وتضعف القيم الأخلاقية، ويغيب الإبداع الحقيقي، فذكر من خصائصها: "ينطق فيها الرويبضة"، وعندما سئل عن الرويبضة، قال: "الرجل التافه يتكلم في أمر العامة". وهذا بالتأكَيد لا ينطبق على صانعي المحَتوى المفيد والثقافة الجادة، التي تَساهم في تثقيف الأفراد، وتقوية الأسر، وبناء المجتمعات، وتعزيز القيم، وتهذيب الأخلاق، وتشييد الحضارات.

بين عامين.. أوهام وحقائق فلسطينية

كـــــتب بتـــاريخ:

29 ديسمبر 2022م

ونحن نودع عام 2022م ونستقبل عام 2023م، وبينما أحداث الصراع بين الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين والشعب الفلسطيني الصامد تشتد وتتصاعد، كان هناك صراعاً من نوعٍ آخر يدور على الساحة الفلسطينية داخل الفكر السياسي الفلسطيني بين الأوهام والحقائق الخاصة بالصراع، كان فيها عام 2022م شاهداً على سقوط بعض الأوهام وترسيخ بعض الحقائق المبدِدة لها، ومنها أوهام: زوال (إسرائيل) عام 2022م بانتظار وعد الآخرة، وإنجاز الدولة الفلسطينية بوجود الكيان الصهيوني، وإنهاء الانقسام الفلسطيني بتحقيق المصالحة، وإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية بوجود فكرها السياسي الحالي، وإمكانية التعايش مع الاحتلال أو تأجيل الصراع معه، ولأهمية الوعي بهذه الأوهام وإدراك الحقائق المبدِدة لها من المفيد تناولها بشيء من التفضيل.

وهم زوال (إسرائيل) من الوجود عام 2022م، بناء على نبوءة بشرية حددت توقيت تحقق وعد الآخرة في عام 2022م، هذا الوهم بني على أساسٍ غير صائب قاعدته منهج التأويل الرقمي الظني لآيات القرآن الكريم، وهو منهج أقرب للشعوذة الرياضية التخمينية، والاستشراف غير العلمي للمستقبل، وأبعد ما يكون عن المنهج الإسلامي في تفعيل الدور الإنساني لتحقيق الوعد الإلهي، فالتاريخ ليس قاعة انتظار على رصيف أحلام وعد الآخرة، والسنن التاريخية لا تَحابي أو تَجافي أمةً دون غيرها، وقوانين الحضارة لا تتبدل أو تتحول بأماني شعب دون غيره..

والحقيقة المبدِدة لهذا الوهم هي أن زوال (إسرائيل) بموجب وعد الآخرة حتمية مستنبطة من آيات القرآن، وسنن التاريخ، ومعطيات الواقع، ولكن توقيت تحقيق هذه الحتمية مرتبط باكتمال شروط النصر والتمكين، وباستكمال إغلاق دائرة التدافع الحضاري بين الحق الفلسطيني العربي الإسلامي، والباطل الصهيوني الغربي الاستعماري، وصولاً إلى حسم الصراع في ملحمة وعد الآخرة لصالح الأمة ورسالتها العالمية، وهذا يرتبط بالضرورة بالجهد البشري من الشعب الفلسطيني مدعوماً بالأمة العربية والإسلامية، ليلتقي الجهد البشري بالقدر الإلهي في وعد الآخرة.

ووهم آخر سقط منذ انتهاء المرحلة الانتقالية لاتفاقية أوسلو عام 1999م، ولكنه تأكد عام 2022م من خلال فوز كتلة نتنياهو الصهيونية بشقيها العلماني والديني في الانتخابات الإسرائيلية، وهو وهم الدولة الفلسطينية المستقلة بوجود الكيان الصهيوني وموافقته في إطار التسوية السلمية، وهو وهم بني على آساس غير صحيح، آهم فرضياته: آن الكيان الصهيوني سيعطينا جزءاً من آرض فلسطين هي الآرض المحتلة عام 1967م؛ إذا تنازلنا لع عن معظم آرض فلسطين هي الآرض المحتلة عام 1948 م، وأن الكيان الصهيوني يمكن أن يقبل كياناً نقيضاً له ما بين البحر والنهر بخلاف طبيعته الإحلالية الاستيطانية التوسعية، وطبيعة الصراع الوجودي معه، وأن الضغط الدولي الغربي يمكن أن يصل لدرجة إجباره على القبول بدولة فلسطينية تَهدد وجوده المرتبط بالمشروع الغربي الاستعماري.

والحقيقة أن هذا الوهم قد نشأ بعد تراجع المشروع الوطني الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية من هدف التحرير الكامل لفلسطين من البحر إلى النهر، إلى هدف الدولة الفلسطينية المستقلة على أي جزء يتم تحريره من آرض فلسطين في إطار البرنامج المرحلي، الذي انحرف من مرحلية التحرير إلى مرحلية التسوية، فقادت المنظمة إلى توقيع اتفاقية أوسلو، واستبدلت الدولة بالسلطة كمرحلة انتقالية للدولة... وهكذا تعمق الوهم الذي بدده الواقع وحقيقة العودة إلى الأصل، وهو هدف التحرير الكامل لفلسطين بالمقاومة، وبعد التحرير تَقام الدولة الفلسطينية المستقلة.

وفي عام 2022م شهد (إعلان الجزائر) كاتفاقٍ آخر للمصالحة الفلسطينية، وهو إعلان سياسي نظري يفتقد لمقومات التطبيق العملي على الأرض، وقد ذهب مع ريح عام 2022م كغيره من اتفاقيات المصالحة التي تنقلت بين عواصم العرب والعجم على مدار السنوات السابقة، لتنهي وهم إنهاء الانقسام الفلسطيني بهذه الطريقة غير المجدية؛ لأنه بني على أساسٍ غير سديد يفترض أن الطرف الرئيسي في الانقسام يمتلك حرية الإرادة السياسية لإنهاء الانقسام وإنجاز المصالحة في ظل الاحتلال، ويفترض أن السلطة كمؤسسة تمتلك القدرة الذاتية على تغيير وظيفتها المحددة لها مسبقاً في اتفاقية أوسلو، ويتجاهل الهدف المراد للمصالحة في إدخال فصائل المقاومة الفلسطينية في بيت الطاعة الصهيوأمريكي بعد دمجها في النظام السياسي الفلسطيني المحكوم بسقف آوسلو والاحتلال، ويتجاهل الإطار المحدد للمصالحة في إدارة سلطة تتعايش مع الاحتلال، وليس بناء سلطة تحتضن مقاومة الاحتلال.

ولهذه الأسباب تبدد وهم إنهاء الانقسام الفلسطيني وضاعت فرص المصالحة الفلسطينية، وظلت صخرة الاحتلال ووظيفة السلطة وهدف المصالحة عقبات تحول دون تحقيق المصالحة... ولا مناص من التخلي عن هذا الوهم الذي لن يتحول إلى حقيقة إلاّ بتغيير المسار جوهرياً بذهاب قوى المقاومة إلى مشروع الوحدة الوطنية مباشرة، الذي يمر عبر مشروع المقاومة والتحرير باتفاق الفلسطينيين على الهدف (تحرير فلسطين) والوسيلة (المقاومة الشاملة).

ويرتبط بوهم إنهاء الانقسام وهم إمكانية إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية بوجود الفكر السياسي الحالي للمنظمة، هذا الوهم بني على أساس غير ثاقب يقدس منظمة التحرير الفلسطينية كإطار وطني ومَسمى سياسي، ويتهاون بشأن الأهداف الوطنية والمضامين السياسية التي أنشئت من أجلها المنظمة، ويتجاهل الفكر السياسي العقيم الجامد، القائم على نهج التسوية وانعدام خيارات فريق أوسلو المهيمن على المنظمة رغبةً في احتكار شرعية تمثيل الشعب الفلسطيني، وما يترتب عليها من امتيازات سياسية ومعنوية.

والحقيقة التي تحررنا من وهم إمكانية إصلاح المنظمة بوجود فكرها السياسي الحالي هي التحرر من تقديس الأطر الوطنية والمَسميات السياسية إذا فرغت من أهدافها التحررية ومضامينها الثورية، للتركيز على مشروع التحرير، فمشروع تحرير فلسطين كهدف ومضمون أهم من منظمة التحرير الفلسطينية كإطار ومسمى. وهذه الحقيقة تقودنا إلى ضرورة تغيير الفكر السياسي للمنظمة لإزالة عقبة إصلاحها المركزية، أو تشكيل جبهة وطنية مقاومة تضم كل من يؤمن بمشروع المقاومة والتحرير، وحاضنتها الشعب الفلسطيني، وهدفها التحرير والعودة، وركيزتها الصمود والمقاومة، وعمقها الأمة العربية والإسلامية.

آخر الأوهام هو وهم إمكانية التعايش مع الاحتلال أو تأجيل الاشتباك معه، هذا الوهم بدده عام 2022م بفعل تصاعد المقاومة الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني في كل الأرض الفلسطينية مجسداً بالاحتلال والحصار والاستيطان والتهويد والعنصرية وغيرها، وقد كانت معارك قطاع غزة وآخرها (وحدة الساحات)، واشتباكات المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية وطليعتها كتيبة جنين واخواتها التابعة لسرايا القدس الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وتمسك الشعب الفلسطيني في الداخل المحتل عام 1948م بحقوقه الوطنية وهويته الفلسطينية، خير دليل على

إنهاء وهم التعايش أو التأجيل، لأنه وهم بني على أساسٍ غير منطقي معزول عن طبيعة الكيان الصهيوني الاستيطانية الإحلالية وطبيعة الصراع الوجودي معه، وأساسٍ غير واقعي يناقض تجارب حركات التحرير الوطنية السابقة، وأساسٍ غير ثوري قاعدته: نظام سياسي فلسطيني يستخدم مشروع التحرير وسيلة للتعايش مع الاحتلال، وأرضيته حركة وطنية فلسطينية توظف نهج المقاومة أداةَ لتأجيل الاشتباك مع الاحتلال.

والحقيقة المَبددة لهذا الوهم هي الذهاب إلى بناء نظام سياسي فلسطيني بوصلته المشروع الوطني الفلسطيني، مَشروع المقاومة والتحرير، فلا معنى لأي نظام سياسي يتعايش مع الاحتلال، ولا قيمة لأي حركة وطنية تؤجل الاشتباك مع الاحتلال إلى مرحلة زمنية مجهولة، ولا أهمية لأي إطار وطني أو سياسي يتهرب من استحقاقات مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين.

إذا كان عام 2022م هو عام تبديد الأوهام، فإن عام 2023م سيكون عاماً لترسيخ الحقائق: حتمية زوال (إسرائيل) بموجب وعد الآخرة الإلهي بعد العمل البشري بجهاد ومقاومة الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية بعيداً عن وهم الانتظار على رصيف وعد الآخرة. وضرورة العودة إلى هدف التحرير الكامل لأرض فلسطين بالمقاومة الشاملة بعيداً عن وهم الدولة الفلسطينية المستقلة بجانب الكيان الصهيوني، وأهمية الذهاب إلى الوحدة الوطنية من بوابة مشروع المقاومة والتحرير بعيدا عن وهم اتفاقيات المصالحة العقيمة، والحاجة إلى تشكيل جبهة وطنية مقاومة تقود الحركة الوطنية الفلسطينية ومشروعها الوطني التحرري بعيداً عن وهم إصلاح منظمة التحرير بفكرها السياسي الحالي، وأولوية بناء نظام سياسي فلسطيني يوجد أرضية صلبة لمقاومة الاحتلال واستمرار الاشتباك معه بعيداً عن وهم التعايش مع الاحتلال أو تأجيل الاشتباك معه.

وحدة الساحات
الطريق إلى القدس
شهداء معركة
وحدة الساحات

فهرسّت

الجزء الرابع

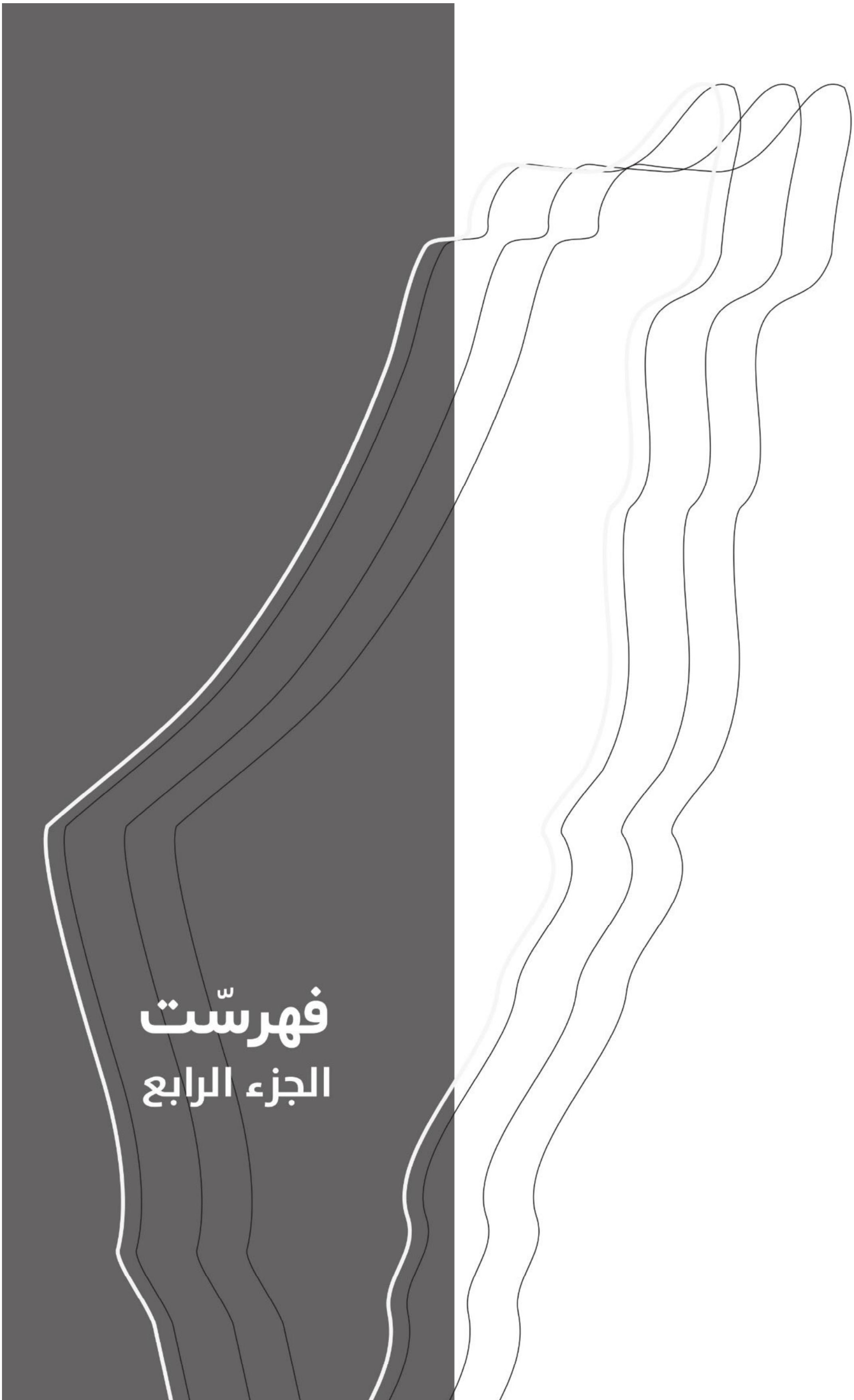

فهرست المحتويات

• الترتيب حسب تاريخ النشر

إهداء 7
تقديم 8
لماذا حتمية تجديد التراث الإسلامي؟ 12
التطبيع المغربي.. الحرام بنكهة إسلامية 15
جدل عيد الميلاد.. أزمة عقل صحراوي 19
الانتخابات الفلسطينية.. رؤية ثالثة 22
السنة والشيعة.. التعايش بدل التقريب أو الصراع 26
الاحتلال وصناعة الملهاة.. الانتخابات الفلسطينية مثالا 30
فلسطين.. بين إمامين 33
ميشيل عفلق.. الإسلام برؤية قومية 37
كلب الست وكلب الولاية 41
الصبر ليس مفتاح الفرج أحياناً 45
لا زال أبو ذر الغفاري يمشي وحده 49
نوال السعداوي.. وتحرير المرأة 53
الشتم.. تفريغ انفعالي وإفلاس أخلاقي 57
ماذا خسر المسلمون بعزل (المعتزلة)؟ 60
(الإسلام السياسي).. أزمة مصطلح ونَخبة 64
رمضان من رقي الأغنية إلى إسفاف الدراما 68
في اليمن شيء لا يفهمه آل سعود 71
بايدن والعولمة.. أمركة بطعم البرجر 75
القدس ومعركة السيادة بين الانتخابات والمقاومة 78
عندما تكون الدراما مقاومة 81
يوم القدس العالمي بين نهجين ومحورين 84
بعد (سيف القدس) نغزوهم ولا يغزونا 87
هل ستكون (سيف القدس) الحرب قبل الآخيرة؟ 90
نحو مشروع تحرير مركزه غزة وقبلته القدس 93

سيف القدس تبدد الوهم المسمى عرب إسرائيل 96
حارس الأسوار غفا في وقت الحراسة 99
بايدن والأرمن.. الثعلب واعظاً 103
محمد آل خاجة.. "جوييم" بدرجة سفير 107
مشروع التحرير أهم من منظمة التحرير 111
"الكولوسيوم" الفلسطيني 115
حلف القدس.. إيران والجهاد الإسلامي نموذجاً 118
بـيـــن حـــلـــفـــيـــن 122
هكذا عالج "القرآنيون" الخطأ بالخطيئة! 126
اتفاقات أبراهام: سلام إسرائيلي وإسلام آمريكاني 130
مأزق تونس بين روايتين 134
الحرية في فكر الجهاد الإسلامي 137
سيد قطب والوهابية.. ليسا سواء 141
أفغانستان و"طالبان" بين الجبرتي والشقاقي 145
طالبان ومأزق الحاكمية 148
الهروب إلى الحرية 151
المعبر بين التعايش مع الاحتلال ومقاومته 154
الحركة الإسلامية ومعضلة أطروحة الحكم 157
الباخرة الإيرانية بتتكلم عربي 160
التاريخ ليس قاعة انتظار إلى وعد الآخرة 163
تصاريح غزة.. بؤس الصورة وعمق المأزق 166
الوحدة الإسلامية بين مفهومي الأمة والجماعة 169
فلسطين.. جدل الوحدة والتحرير 172
الاستبداد والتطبيع وجهان لبرهان واحد 175
عندما يصاب المهزوم بعقدة المنتصر 178
شجرة الزيتون والصراع على الأرض والرواية 181
الإرهاب صناعة بريطانية 184
الحقبة الإسرائيلية والتطبيع المغربي 187
الصهيونية والداعشية.. وجهان لعملة واحدة 190

"الجهاد الإسلامي" و"الإخوان" بين الامتداد والتجاوز 194
ملحمة الحرافيش وفلسفة الثورة 199
من سيزول عام 2022: "إسرائيل" أم النبوءة؟ 203
هشام هواش: الحرية بروح الشهادة 208
فتاوى عيد الميلاد بين أزمتي الفتوى والثقافة 210
فلسفة المقاومة في فكر "الجهاد الإسلامي" 213
فلسطينيو النقب وديمومة النكبة والمقاومة 219
الثورة الفلسطينية والصراعات العربية.. اليمن نموذجاً 222
دورة المجلس المركزي الفلسطيني.. نفق في آخر النفق 226
محمد صبحي.. يستتاب وإلا قتل 229
مسادا ستسقط ثانية 233
رواية التطبيع.. تزييف الوعي العربي 237
العقوبات الأميركية.. استعمار بروح الكاوبوي 240
الغرب بين أوكرانيا و"إسرائيل".. القاعدة والاستثناء 243
المرأة الفلسطينية بين الواقع والمأمول 246
لاجئــون بعيـــون زرق 249
أردوغان.. الجدار المائل سقط 252
روسيا والغرب.. صراع بين شبيهين أو نقيضين؟ 255
يوم الأرض بعد "سيف القدس"... المقاومة والتحرير 258
"الجهاد الإسلامي" واستراتيجية المقاومة المستمرة 261
صراع الرواية بين الغالب والمغلوب 265
المقاومة المسلّحة بين التجريم والتقديس 268
يوم القدس ودائرة النصر 272
خـطـاب المقـاومـة بين أمانـي النصـر ومشـروع التحـريـر 275
المقاومة بالدراما.. "شارة نصر جلبوع" نموذجاً 278
شيرين وجدل الترحم العقيم 281
سميح حمودة.. الوعي والثورة 284
"مسيرة الأعلام" وتصويب خطاب المقاومة 288
الوحدة الاسم الآخر لرمضان شلح 291

الردع خير وسيلة للدفاع عن سوريا 295
العلمانية وخرافة فصل الدين عن السياسة 298
المؤتمر القومي الإسلامي.. المعضلة والحل 301
الحركة الوطنية والجهاد الإسلامي بين الانسجام والتمايز 305
عندما تكون الفتوى خارج السياق 311
مؤتمر جدة بين حلمين 315
"كيرة والجن".. دق على جدران الوعي 319
كتيبة جنين ونظرية تثوير الجماهير 323
لماذا الحرب على "الجهاد الإسلامي"؟ 327
"بزوغ الفجر".. المصطلح والمعركة 331
حزب الله والجهاد الإسلامي.. الفكر والمقاومة 335
تحرير فلسطين بين الحرب الشعبية والحرب الفاصلة 340
إليزابيث.. الموت في لندن والحداد في عمان 343
المقاومة الفلسطينية ومحددات العلاقة بالأمة 346
"أريد حلاً".. لا يأتي بالشكوى والاستجداء 349
الجهاد الإسلامي والإسلام الآخر 352
القرضاوي والبوطي مدرسة واحدة فرقتها السياسة 356
الشقاقي وفلسطين بين فقهي الانتظار والثورة 360
مشروع المقاومة والتحرير قبل إنهاء الانقسام 364
الانتخابات الإسرائيلية تعيد إنتاج المأزق الصهيوني 367
الإسلام والسياسة وبينهما متشابهات 370
حوار المذاهب الإسلامية بين التقريب والتعايش 373
مونديال قطر بيــن صراع الحضارات وتعارفها 377
العروبة تبعث من جديد في مونديال قطر 380
الفقر والوعي والثورة 384
الكمبيوتر الرهيب وصناعة التفاهة 387
بين عامين.. أوهام وحقائق فلسطينية 390

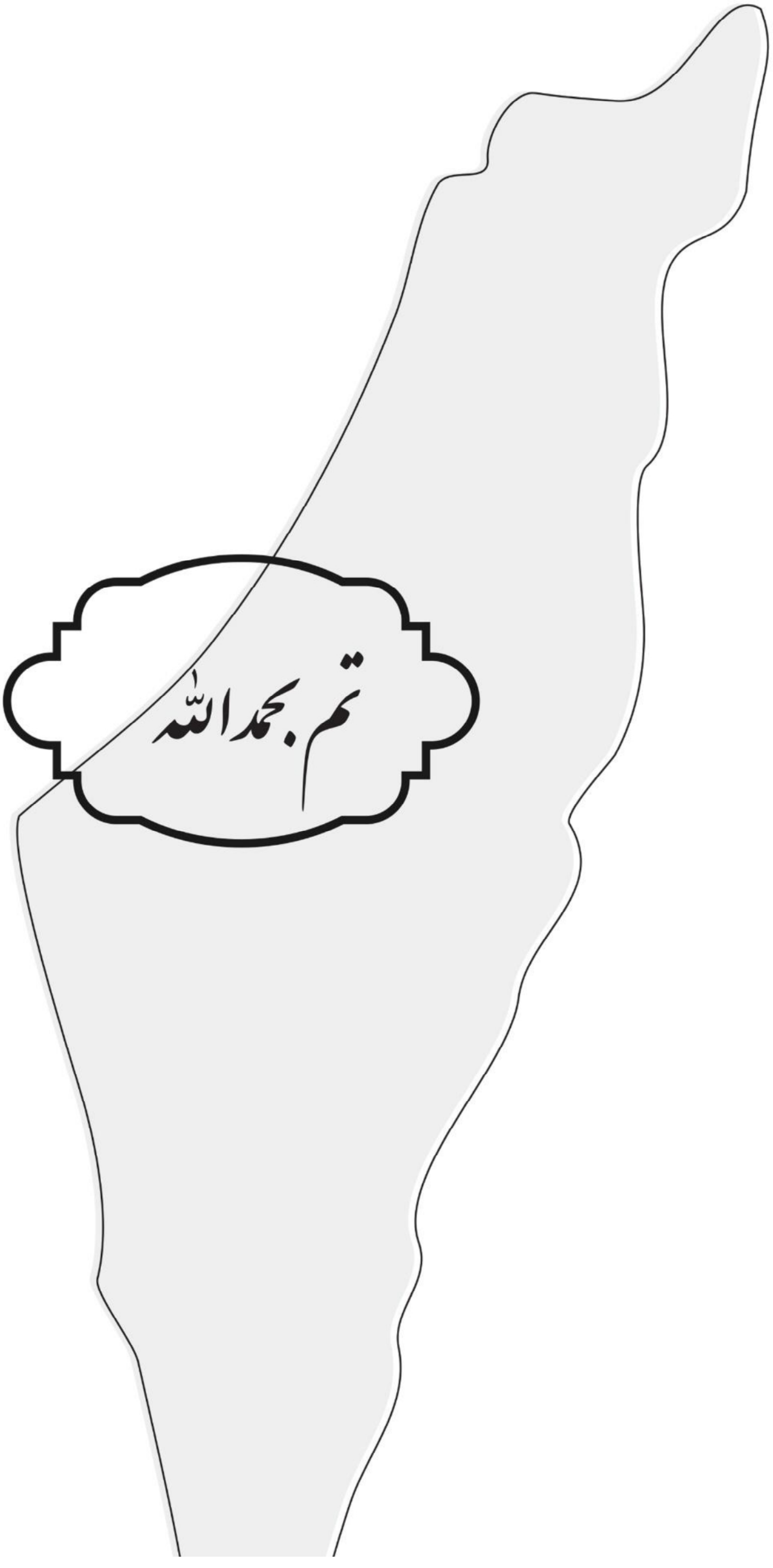
تم بحمد الله